وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامـعة الانبـــار

مجلة جامعة الانبار للغات والآداب

تصدر عن جامعة الأنبار

مجلة علمية فصلية محكمة

الرقم الدولي: ٢٠٧٣-٦٦١٤

العدد ٢٨ - السنة العاشرة (٢٠١٩)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية العراقية
(١٣٧٩ لسنة ٢٠١٠)

Anbar University Journal of Languages and Literature No. 28 – 10th Year – 2019

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Anbar University

Anbar University Journal of Language and Literature

Published by Anbar University

Quarterly Scientific Referred Journal

ISSN: 6614-2073

No.28 -10th year (2019)

Trust Number in Iraqi National Library
(1379 in 2010)

AUJLL

AUJLL.uoanbar.edu.iq

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار

مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب

فصلية علمية محكمة تعنى بدراسات وأبحاث اللغات الحديثة وآدابها تصدرها جامعة الأنبار

ISSN 2073-6614 (Print)
ISSN: 2408-9680 (Online)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية (١٣٧٩ لسنة ٢٠١٠)

رئيس هيئة التحرير
الأستاذ الدكتور عامر مهيدي
كلية التربية للعلوم الإنسانية-جامعة الأنبار

مدير هيئة التحرير
الأستاذ الدكتور علي حسين خضير
كلية الآداب – جامعة الأنبار

سكرتير هيئة التحرير
الأستاذ المساعد الدكتور محمد فليح حسن
كلية الآداب -جامعة الأنبار

أعضاء هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور اوغو روبيو	جامعة روما الأولى-قسم اللغات الحديثة -ايطاليا
الأستاذ الدكتور يوسف حسين بكار	جامعة اليرمـــوك- كلية العلوم التطبيقية-الأردن
الأستاذ الدكتور فائز طه عمر	جامعة الشارقـــة – كليـــة الآداب -الإمارات
الأستاذ الدكتور حامد حماد عبد	جامعة الانبار- كليـــة التربيـــة للبنات-العراق
الأستاذ الدكتور حارث إسماعيل تركي	جامعة كاربـــوك- كليـــة الآداب – تركيا

مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب -جمهورية العراق -محافظة الأنبار – الرمادي – جامعة الأنبار ص.ب (٥٥ رمادي)
Email: aujll@uoanbar.edu.iq Mobile: +9647732017683 (٥٥٤٣١ بغداد)

شروط النشر وضوابطه

١-مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب مجلة فصلية علمية محكّمة تصدر عن جامعة الأنبار بواقع عددين في السنة، تنشر البحوث من الجامعات والمؤسسات العلمية المحلية والعربية والأجنبية، في الآداب واللغات الحية.

٢-يقدم الباحث البحث مطبوعًا في نسختين يكون حجم الخط (١٤) للمتن و(١٢) للهوامش الختامية بخط (simplified Arabic) للبحوث باللغة العربية، وبخط (Times New Roman) للغات الأخرى وبمسافات منفردة، وبمسافة (٢,٥) من جميع الجهات.

٣-تكون البحوث المقدمة للنشر مكتوبة وفق المناهج العلمية البحثية المتعارف عليها ويرفق مع كل بحث مستخلصين باللغتين العربية والانجليزية بحدود (المائة) كلمة لكل منهما مع الكلمات المفتاحية.

٤-ألّا يزيد عدد صفحات البحث على (٢٥) صفحة مع الأشكال والرسوم والجداول والصور والمراجع، وتستوفى مبالغ إضافية من الباحث لما زاد على ذلك، أما الملاحق فتُدرج بعد ثبت المصادر والمراجع، علمًا أنّ الملاحق لا تنشر وإنما توضع لغرض التحكيم فقط.

٥-يرجى طبع الآيات القرآنية وعدم نسخها من المصاحف الالكترونية، مع مراعاة دقة تحريكها لغويًا.

٦-تعرض البحوث على محكمَين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وصلاحيتها، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

٧-يحصل الباحث على نسخة واحدة من العدد الذي ينشر فيه بحثه.

٨-ما ينشر في المجلة يعبر عن وجهة الباحث (الباحثين)، ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

٩-تحتفظ المجلة بحقوق نشر البحوث الحصرية وفقًا لقوانين حقوق الطبع والملكية الفكرية الدولية ولا يجوز النقل أو الاقتباس أو إعادة النشر لأي مادة منشورة في المجلة إلّا بموافقة خطية من المجلة.

فهرس العدد

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحات
١	حدّ الحَرْف	أ.م.د. حسن أحمد العثمان	١ - ٢٣
٢	مستويات التوازي في شعر محمود درويش	أ.م.د. عارف عبد صايل الباحثة إيثار شكري شاكر	٢٤ - ٣٦
٣	الإبْدال الصَّوْتِي في كِتَابِ وَشْي الحُلَلِ في شَرْحِ أَبْيَاتِ الجُمَلِ لأبِي جَعْفَر أَحْمَد اللَّبْلِيّ(٦٩١هـ)	أ.د. علي حسين خضير الباحث عبدالقادر عبد صالح	٣٧ - ٦١
٤	المذهب الكلامي في السنة النبوية دراسة نقدية مقارنة	د. عبد الكريم محمد خلف	٦٢ - ٨٤
٥	اللَبِنَةُ المُضِيَّة في الأَفْعَالِ المُعْتَلَّة العَيْن الواويّة اليائِيّة	أ.م.د. أسامة محمد سويلم	٨٥ - ١٠٤
٦	التّنازُعُ في فِكْرِ النّحاةِ بَيْنَ التَّقْعِيدِ والتَّناقُضِ	أ.م.د. عبد الرزاق علي حسين	١٠٥ - ١٢١
٧	ردودُ الدماميني النّحويّةُ في كِتَابِهِ مصابيح الجامع في الأفعالِ	أ.م.د. عمر علي محمد شهاب	١٢٢ - ١٣٦
٨	مصطلح التهجير في العهد القديم والقرآن الكريم دراسة لغوية مقارنة	د. عماد خضير سلمان	١٣٧ - ١٥٥
٩	مجازية الكناية ومراتبها في البلاغة العربية	أ.م.د. عبد الناصر هاشم	١٥٦ - ١٨٦
١٠	إشكالية التجنيس والرؤى الملتبسة رواية (الأجنبية) لعالية ممدوح أنموذجًا	د. شيماء جبار علي	١٨٧ - ٢٠٢
١١	مسوغات الابتداء بالنكرة محمد أبو طاهر بن إبراهيم البري المدني (ت ١١٥٧هـ) دراسة وتحقيق	أ.م.د. نصيف جاسم محمد	٢٠٣ - ٢٣٦

حَـدّ الحَرْف

أ.م.د. حسن أحمد العثمان
المملكة العربية السعودية - جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية – قسم اللغة والنحو والصرف
Dr.hasan.othman@windowslive.com

الملخص:

اجتهد النحاة في وضع تعريفٍ للحرف، ونظراً إلى تنوُّع المذاهب والمدارس فقد تعددتِ التعريفات واختلفتْ، كما اختلفتْ ألفاظُها وتراكيبُها المعبّرةُ عنها داخلَ التعريفِ الواحدِ، وهذا البحثُ دراسةٌ استقرائيّةٌ تأريخيةٌ لأربعةَ عشر تعريفًا توصلتُ إليها، مبيّنًا صاحب كل تعريف ومَن وافقه من العلماء أو خالفه أو كانت له مناقشات حول تعريفه.

Abstract

grammar scholars tried hard to define the particles, and due to the diversity of schools, there were many different definitions and different utterances and structures within every single definition.

This study is an inductive and historical study for fourteen different definitions I found. In this study I indicate to who he made every definition and to who ,from other scholars , agreed , disagreed or had a discussion about it.

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

فإنني حين كنتُ أكتبُ في خصائص الحرف وجدتُ أنّ الاختلاف في حدّه كبير، وأنّ عدد ما وضعوه له من الحدود كثير، وأنّ أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى ونقاشاتهم لما ذكر للحرف من حدود متعدّدة متباينة.

وممّا يثير في النفس ضرورةَ الوقوف على أصول تفكيرهم وبواعث خلافاتهم أنك لا تجد كتابًا نحويًّا ارتضى صاحبُه للحرف حدًّا ما، هو فيه صاحبُ هذا الحدّ أو ناقلٌ له متابعٌ فيه، إلّا وتجد عددًا كبيرًا من المؤاخذات والاستدراكات على هذا الحدّ.

فدعاني هذا الأمرُ وسابقُه إلى التفكير في هذا البحث، واستوجب هذا استقراءً تاريخيًا لما ورد من حدود ومناقشات لها، وتفتيشًا في عدد كبير من المظانّ التي انقسمت إلى ثلاث مجموعات، أولها كتب النحو، وثانيها كتب الحدود والتعاريف، وثالثها كتب الأصول.

وكان جملة ما وقفت عليه من الحدود أربعة عشر حدًّا، ذكرتُها مرتبة تاريخيًّا، ورجائي أن أكون وفّقتُ فيما أقدمتُ عليه، ولله الحمد ابتداءً وانتهاءً.

سأعرض هنا ما وقفتُ عليه من الحدود مرتبة تاريخيًا، وهي في مجملها أربعةَ عشرَ حدًّا، ولربّما تفرع عن أحدها العددُ من الحدود.

- **الحدّ الأول لعليّ رضي الله عنه (ت ٦٩هـ):** الحرفُ ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل.

رُوي أنّ أبا الأسود تلقى من علي رضي الله عنه صحيفة فيها: الكلام اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل[١].

وبمثل هذا قال سيبويه (ت ١٨٠هـ) رحمه الله، قال: الحرف ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل[٢].

ووصفه ابن فارس حدّ سيبويه بأنه أقرب ما قيل في حدّ الحرف[٣].

ووصفه ابن السيد البطليوسي بأنه حدّ صحيح لا مطعن فيه[٤].

وبمثله أيضًا قال أبو عبد الله الطوال (ت ٢٤٣هـ)، قال: الأداة ما جاءت لمعنى ليس باسم ولا فعل[٥].

وأبو الحسن بن كيسان (ت ٢٩٩هـ) حيث قال: الحرف ما حدث به معنى غير معنى الاسم والفعل[٦].

وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، قال: الحرف ما جاء لمعنى ليس فيه معنى اسم ولا فعلا[٧].

والمطرزي (ت ٦١٠ هـ)، قال: الحرف ما جاء لمعنى ليس بمعنى الاسم ولا بمعنى الفعلا[٨].

- **الحدّ الثاني للأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ):** الحرف ما لم يحسن له الفعل ولا الصفة ولا التثنية ولا الجمع ولم يجز أن يتصرّف[٩].

قال ابن السيد البطليوسي: قوله ما لم يحسن له الفعل ولا الصفة ولا التثنية ولا الجمع خطأ، لأن الفعل داخل تحت هذا التحديد، ومن الأفعال أيضا ما لا يتصرف[١٠].

- **الحدّ الثالث لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٦هـ):** الحرف ما كان موصلًا الفعل إلى اسم، أو عاطفًا، أو تابعًا لتحدث به معرفة، أو كان عاملًا[١١].

علق عليه البطليوسي بقوله: إنه فاسد أيضًا، لأن من الحروف ما يأتي لمعنى الاستفهام ولمعنى الاستثناء ولمعنى النفي والقسم والتمني والنهي، وغيره[١٢].

- **الحدّ الرابع للأخفش الأصغر (ت ٣١٥هـ):** الحرف ما أفاد معنًى لم يكُن في الكلام، نحو قولك: زيد منطلق، ثم تقول: أزيد منطلق، فيكون في الكلامِ معنَى الاستفهام.

قال ابن السيد البطليوسي: قوله: ما أفاد معنًى لم يكُن في الكلام فاسد، لأن هذا موجود في الأسماء والأفعال[١٣].

- **الحدّ الخامس لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١٦هـ):** الحرف ما لم يكن صفة لذاته، وكان صفة لما تحته، ألا ترى أنك تقول: مررت برجل صاحبك، فصاحبك صفة لذاته، وتقول: مررت برجل في الدار، فقولك في الدار صفة لما تحته لا لذاته.

وردّ عليه البطليوسي قائلا: قول أبي إسحق: ما لم يكن صفة لذاته إنما أراد أنه يكون صفة معنوية لا لفظية، والفعل يشرك الحرف في هذا المعنى، ألا ترى أنك إذا قلت: مررت برجل يضرب زيدًا، فيضرب صفة معنوية لا لفظية، وكذلك الجمل الخبرية تكون صفات بمعانيها، لا بألفاظها[١٤].

- **الحدّ السادس لمحمد بن الوليد، ابن ولّاد البصري (٣٣٢هـ):** يستدل على الحرف بأنه وصلة شيء إلى شيء.

قال ابن السيد البطليوسي: ينتقض عليه بأن من الحروف ما ليس وصلة، وينتقض عليه بالذي فإنه وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، وبقولك يا أيها الرجل فإن أيّا ههنا وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، وينتقض عليه بقولك مررت برجل ذي مال، فإن ذي وصلة إلى وصف الرجل بالمال[١٥].

- **الحدّ السابع ذكره الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) لبعضهم، قال:** قال بعضهم: الحرف ما خلا من دليل الاسم والفعل، فلم يسغ فيه شيء ممّا ساغ فيهما.

قال: هذا وصف، وليس بحدٍّ له[١٦].

وممّا يوافق ما نقله الزجاجيّ ويشابهه ويلتقي معه ما يلي[١٧]:

١- ابن جني (ت ٣٧٧هـ): والحرف مَا لم تحسن فِيهِ عَلامَة من عَلَامَات الْأَسْمَاء وَلَا عَلَامَات الْأَفْعَال وَإِنَّمَا جَاءَ لِمَعْنى فِي غَيره[١٨].

قال الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي (ت ٥٣٩هـ) في شرح اللمع: هذا ليس بحدّ، وإنما هو على سبيل التعليم[١٩].

وقال العكبري (ت ٦١٦هـ) في شرح اللمع أيضًا: حروف المعاني كلمة لا يصح أن يكون لها شيء من علامات الأسماء والأفعال[٢٠].

٢- الورّاق (ت ٣٨١هـ): ما امتنع حدّ الِاسْم وَالْفِعْل مِنْهُ، أَو امتنعت خواصهما مِنْهُ[٢١].

٣- الحريري (ت ٥١٦هـ) في الملحة:

والحرفُ مَا ليستْ لهُ عَلامَهْ فَقِسْ على قَولي تَكُنْ عَلّامَهْ

- قال الحريري في شرحها: شبه الحرف في تعريفه بإخلائه من العلامة بكون ثلاثة أثواب بيض معك، فأعلمت اثنين منها، فإخلاء الأخير من العلامة علامة له تخرجه عن الاشتباه وتزيل عنه الالتباس[٢٢].

- وقال الفاكهي (ت٩٧٢هـ) في شرحها كذلك: ليس له علامة وجودية، بل علامته التي امتاز بها عن قسيميه عدمية[٢٣].

٤- ابن السراج الشنتريني (ت ٥٤٩هـ): وعلامته امتناع علامات الأسماء والأفعال منه[٢٤].

٥- ابن الخشاب ٥٦٧: وربما عُرّف بعلامة سلبية فقيل: الحرف ما لم تحسن فيه علامات الأسماء ولا علامات الأفعال، ألا ترى أنك لا تقول: من قد ولا قد سوف[٢٥].

٦- الحيدرة اليمني (ت ٥٩٩هـ): وعلاماته تعريه من علامات الاسم والفعل[٢٦].

٧- العكبري (ت ٦١٦هـ): وَمن عَلَامَات الْحَرْف امتناعُه من دُخُول عَلَامَات صَاحِبِهِ لِأَن مَعَانِيهَا لَا تصُح فِيهِ[٢٧].

٨- ابن معطي (ت ٦٢٨هـ): وعلاماته ألّا يقبل علامات الأسماء ولا علامات الأفعال[٢٨].

٩- ابن مالك (ت ٦٧٢هـ): قال في شرح الكافية الشافية[٢٩]:

والحرف ما من العلامات خلا كهل وبل وإنْ وليت وإلى

وقال في العمدة شرح العدّة : ويعرف الحرف بخلوه من علامات الأسماء والأفعال[٣٠].

وقال في الألفية: سواهما الحرف كهل وفي ولم.

قال ابن الناظم (ت ٦٨٦هـ): يعني أن هل وفي ولم حروف لامتناع كونها أسماءً أو أفعالا، لعدم صلاحيتها لعلاماتها، وعدم ما يمنع الحرفية[٣١].

وقال المرادي (ت ٧٤٩هـ): فكل ما لا يقبل شيئا من علامات الاسم ولا من علامات الفعل فهو حرف فترك العلامة علامة له[٣٢].

وقال ابن هشام: ويعرف الحرف بأنه لا يحسن فيه شيء من العلامات، التسع، كهل وفي ولم[٣٣].

وقال الشاطبي (ت ٧٩٠هـ): كل كلمة لم يصلح فيها شيء مما تقدم من خواص الأسماء أو خواص الأفعال فهي حرف[٣٤].

١٠- ابن فلاح (ت ٦٨٠هـ): خواص الحرف كلها سلبية، ومنهم من قال: ما لم يحسن فيه علامات الأسماء ولا علامات الأفعال.

وقيل: لم توضع له علامة ثبوتية لأنه علامة في نفسه، فلو وضع له علامة لأفضى إما إلى الدور أو إلى التسلسل[٣٥].

١١- ابن إياز (ت ٦٨١هـ) : وقد اعترض على ذلك بعض المتأخرين بأن قال: علامات الأسماء والأفعال حروف، وإذا كان كذلك اقتضى هذا توقف معرفة الشيء على نفسه، وهو ممتنع[٣٦].

وقال في قواعد المطارحة (ت ٦٨١هـ): وعلامته ألا تحسن فيه علامات الأسماء والأفعال. كذا قالوا، وفيه نظر[٣٧].

١٢- الإسفراييني (ت ٦٨٤هـ): علامة الحرف التعرّي عن علامتهما[٣٨].

١٣- ركن الدين (ت ٧١٥هـ): علامته سلبية، وهي سلب علامة الاسم والفعل عنه[٣٩].

١٤- محمد بن الحسن الصايغ (ت ٧٢٠هـ): علامة الحرف سلبه ممّا تقدّم من علامات الأسماء والأفعال، فتجريده من العلامة علامة له[٤٠].

١٥- ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ): الحرف كلمة لا يحسن فيها شيء من علامات الأسماء أو الأفعال[٤١].

١٦- ابن هشام (ت ٧٦١هـ): ويعرف الحرف بأنه لا يحسن فيه شيء من العلامات التسع[٤٢].

يقصد العلامات الخاصة الخمسة التي ذكرها للاسم، والأربعة التي ذكرها للفعل.

١٧- علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ): قيل: لا يحْتاج إِلَى حد لهُ، لأَن ترك العلامَة له علامَة، وَهذا اختارَهُ جمَاعة منهُم الحريري، وردَّ بأنه لتعريف حقيقَة المحدُود، وَلا تُعرَفُ حقيقَةٌ بِتَرْكِ تعرِيفِها[٤٣].

١٨- شمس الدين الجَوْجَرِيّ (ت ٨٨٩هـ): الحرف ما لا يصلح معه شيء من علامات الأسماء ولا من علامات الأفعال[٤٤].

١٩- السيوطي (ت ٩١١هـ): الحرف لا علامة له، علامته ألا يقبل شيئا من علامات الأسماء والأفعال[٤٥].

٢٠- ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ): والحرف عارٍ عن خواصّهما[٤٦].

- الحدّ الثامن للزجاجي (ت ٣٣٧هـ): ما دلَّ على معنى في غيره.

وهو الحدّ الأشهر والأكثر قبولًا.

ولعلّ الزجاجيّ (ت ٣٣٧هـ) في الإيضاح والجمل هو صاحب هذا الحدّ[٤٧].

ووافقه أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) في المسائل العسكريات ٨١، والورّاق (ت ٣٨١هـ) في علل النحو ١٤٢، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في المفصّل ٣٧٩، وفي الكشاف ٢٠/١، وابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ) في المرتجل ٧، والمطرّزي (ت ٦١٠هـ) في المغرب في ترتيب المعرب ٥١٨/١، وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في الكافية ٥١، والصغاني (ت ٦٥٠هـ) في العباب ٣٨٥/١ حرف، وفي التكملة والذيل والصلة ٤٥٠/٤ حرف، وعلاء الدين البخاري الحنفي (ت ٧٣٠هـ) في كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ١٠٩/٢، والآمدي (ت ٧٣١هـ) في الإحكام في أصول الأحكام ٦١/١، والملك المؤيد (ت ٧٣٢هـ) في الكاش ٧٢/٢، والطيبي (ت ٧٤٣هـ) في حاشيته على الكشاف ٩/٢، وابن هشام (ت ٧٦١هـ) في شرح الشذور١٨، والجرجاني (ت ٨١٦هـ) في التعريفات ٨٥، وعلي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥ هـ) في تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول ٧١/١، وفي التحبير شرح التحرير ٢٩٦/١، وابن النجار الحنبلي (ت ٩٧٢ هـ) في مختصر التحرير شرح الكوكب المنير ١٩/٧، والتهانوي (ت ١١٥٨هـ) في كشاف اصطلاحات الفنون ١٨٥/١.

قال أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) في شرح هذا الحدّ:" المراد من قولنا في الحرف: إنه دال على معنى في غيره، أنّ تصور معناه متوقف على خارج عنه "[٤٨].

وعقّب ركنُ الدين (ت ٧١٥هـ) في شرح الكافية على تفسير السيرافي للحدّ بقوله: " وفيه نظر، لأن الأمور النسبية والإضافية كذلك، كالقرب والبعد والغير والمثل ونحوها "[٤٩].

وشرحه الخبيصيّ (ت ٧٣١هـ) في الموشّح بقوله (ت ٧٣١هـ): " ما يتوقف دلالتُها على معناها الإفرادي على متعلّق لها "[٥٠].

- ولم يرتض هذا الحدَّ أبو علي الفارسي، وردّ اعتراضه ابنُ كلٍّ من يعيش[٥١]،والمراديّ[٥٢].

ورأى البطليوسي (ت ٥٢١هـ) هذا الحدّ فاسدًا، قال: "هذا الحدّ غير صحيح عند متأمله حتى يزاد فيه: ولم يكن أحد جزأي الجملة المفيدة، أو يقال كما قال سيبويه: ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل[٥٣].

ولم يرتضه كذلك شهابُ الدين القرافي (ت ٦٨٤هـ) في خصائصه[٥٤].

وممّا يتصل بحدّ الزجاجي ويلحق به:

وممّا يدور في فلك حدّ الزجاجي الحدود التالية:

١- أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٧هـ): مَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى فِي غَيْرِهِ، وَخَلَا مِنْ دَلِيلِ الاسْمِ وَالفِعْلِ[٥٥].

٢- الرماني (ت ٣٨٤هـ): كلمة لا تدلّ على معنًى إلا مع غيرها ممّا معناها في غيرها[٥٦].

٣- ابن جني (ت ٣٩٢هـ): مَا لم تحسن فِيهِ عَلامَة من عَلَامَات الْأَسْمَاء وَلَا عَلَامَات الْأَفْعَال وَإِنَّمَا جَاءَ لِمَعْنى فِي غَيره[٥٧].

قال الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي (ت ٥٣٩هـ) في شرحه: " قوله: هذا ليس بحدّ، وإنما هو على سبيل التعليم، ثم قال: (والحرف ما جَاءَ لِمَعْنى فِي غَيره) هذا حدّ، لأن الحروف معانيها في غيرها، والأسماء والأفعال معانيها في أنفسها "[٥٨].

٤- ابن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ): ما أبان عن معنى في غيره، ولم يكن أحد جزأي الجملة[٥٩]، فاحترز بهذا عمّا عابَه ابنُ إيازٍ في حدّ الزجاجي[٦٠].

٥- أبو الخطاب الكَلْوَذَاني (ت ٥١٠هـ): ما دل على معنى في غيره، لا في نفسه[٦١].

٦- ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ): ما جاء لمعنى في غيره ولم يكن أحد جزأي الجملة المفيدة[٦٢].

٧- ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ): ما جاء لمعنى في غيره، وليس باسم ولا فعل[٦٣].

٨- الزمخشري (ت ٥٣٧هـ): ما دل على معنى في غيره؛ ومن ثم لم ينفك من أسم أو فعل يصحبه، إلا في مواضع مخصوصة[٦٤].

وارتضاه كثيرون منهم الصغّاني في العُباب[٦٥].

٩- ابن الخشّاب (ت ٥٦٧هـ): كلمة تجيء لمعنى في غيرها من إثبات أو نفي أو غير ذلك من المعاني[٦٦].

١٠- الأنباري (ت ٥٧٧هـ): ما جاء لمعنى في غيره[٦٧].

واختاره ابن جني (ت ٣٩٢هـ)[٦٨]، والشريف عمر بن إبراهيم الكوفي (ت ٥٣٩هـ)[٦٩].

ولم يرتض الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) حدّ الأنباري هذا، ووصفه بأنّه لفظٌ مُبْهَمٌ، وظاهِرُ الفَسَادِ[٧٠].

وعدّ ابنُ يعيش (ت ٦٤٣هـ) حدَّ الأنباريّ فاسدًا، إذ هذا بيان علّة مجيئه لا بيان حدّه، والمراد من الحدّ بيان الذات لا العلّة[٧١].

ويلحق هذا الفساد، على رأي ابن يعيش، حدَّ ابني جني والخشاب، فاللفظ محلّ الاعتراض فيهما كلفظ الأنباري.

وقال ابن فلاح (ت ٦٨٠هـ): ومن قال: ما جاء لمعنى في غيره فقد حدّه بالرسم الناقص، لأنه عرفه بالخاصة فقط، بيانه: أن (لمعنى في غيره) هو العلة، والمجيء هو المعلول، والعلة غير المعلول، فقد عرفه بأمر خارج عن حقيقته[٧٢].

وإلى قريب من قول الرازي ذهب الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)[٧٣].

١١- السهيليّ (ت ٥٨٣هـ): ما دلّ على معنى في غيره وليس يفهم العرب من الحرف ذلك المعنى[٧٤]، أي معناه متوقف على سياقه وتضامه مع غيره، بخلاف أخويه[٧٥].

١٢- ابن رشد (ت ٥٩٥هـ): لفظ يدل على معنى في غيره[٧٦].

١٣- أبو موسى الجزولي (ت٦٠٧ هـ): كلمة لا تدل على معنى في نفسها ولكن في غيرها[٧٧].

١٤- العكبري (ت ٦١٦هـ): مَا دلّ على معنى فِي غَيره فَقَط[٧٨].

ووافقه أبو حيان والمرادي والفاكهي[٧٩]، ورأى الأوّلان أنه من أحسن حدود الحرف.

١٥- العكبري (ت ٦١٦ هـ): كلمة جاءت لمعنى في غيرها. قال:" وحروف المعاني كلمة لا يصح أن يكون لها شيء من علامات الأسماء والأفعال، وإنما جاءت لمعنى ثالث غير معنى الاسم والفعل، أو تقول: جاءت لمعنى في غيرها، والاسم والفعل جاءا لمعنى فيهما[٨٠].

١٦- ابن معطي (ت ٦٢٨هـ): كلمة لا تدل على معنى إلا في غيرها[٨١].

واختاره الرضي[٨٢]، وابنُ إياز (ت ٦٨١ هـ) في قواعد المطارحة والمحصول[٨٣]، و محمد بن الحسن الصايغ (ت ٧٢٠هـ)[٨٤] ، وابن هشام في تعاليقه على التسهيل[٨٥]، وفي الجامع الصغير[٨٦].

١٧- الشلوبين (ت ٦٤٥هـ): كلمة تدل على معنى في غيرها لا في نفسها[٨٧].

١٨- ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ): ما دلّ على معنى في غيره، ومن ثمّ احتاج في جزئيته إلى اسم أو فعل[٨٨].

١٩- ابن عصفور (ت ٦٦٣هـ): لفظ يدل على معنى في غيره لا في نفسه[٨٩].

ولم يرتضه النحاس ٩٠، وبيّن السيوطيُّ أنّ النحاس بهذا خالف شبه الإجماع[٩١].

٢٠- الرضي (ت ٦٨٦هـ): الحرف ما لا يدلّ على معنى إلا في غيره[٩٢].

والفرق بينه وبين حد ابن معطي أن ابن معطي اختار جنسًا قريبًا (كلمة)، وهذا أولى من الجنس البعيد في حدّ الرضي (ما).

٢١- أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): كلمة تدل على معنى في غيرها[٩٣].

وهذا هو مفهوم كلام ابن الحاجب في الكافية، قال ابنُ الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في الكافية في أقسام الكلمة: لأنها إما أن تدل على معنى في نفسها أوْ لا، الثاني الحرف[٩٤].

واعترض عليه ابنُ هشام (ت ٧٦١هـ) من وجهين، قال: " اشتمل هذا الكلام على أمرين مشكلين، أحدهما دعوى دلالة الاسم والفعل على معنى في نفس اللفظ يقتضي بظاهره قيام المسمّيات بالألفاظ الدالة

عليها، وذلك محال، لأن ذات زيد لم تقم بلفظ الزاي والياء والدال، وكذلك الحدث والزمان لم يقم بلفظ نحو قام وذهب. والآخر: دعوى دلالة الحرف على معنى في غيره، وهذا وإن كان مشهوراً بين النحويين إلا أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس نازعهم فيه، وزعم أنه دال على معنى في نفسه، وتابعه أبو حيان "[٩٥].

٢٢- ابن هشام (ت ٧٦١هـ): الحَرْف مَا دلّ على معنى فِي غَيره وَلم يدل على معنى فِي نَفسه[٩٦].

٢٣- الدّماميني (ت ٨٢٧هـ): هو الذي لا يدل إلا على معنى في غيره[٩٧].

٢٤- الأَبَّذي (ت ٨٦٠هـ): كلمة لا تدل على معنى في نفسها، لكن تدل عليه في غيرها[٩٨].

قال ابن قاسم المالكي (ت ٩٢٠هـ): " ليس المراد أن الحرف لا معنى له في نفسه البتة، بل المراد أن لمعناه متعلقًا لا بد من ذكره عند ذكر الحرف[٩٩].

وقال الرَّسموكي (ت ١٠٤٩هـ) في شرح حدّ الأبذي أيضًا: " ويعتبر معنى كون الحرف معناه في غيره بأن يوقف عليه دون ما بعده، فلا يكون له معنى حتى يؤتى بما بعده، فيكون معناه فيه، كقولك أكلت من وسرت بـ، فإن ذلك لا يتم حتى تقول: الرغيفِ وزيدٍ "[١٠٠].

٢٥- المرداوي (ت ٨٨٥هـ): قال بعضهم: هُوَ لفظ لَا يدل على معنى فِي نَفسه[١٠١].

٢٦- المرداوي (ت ٨٨٥هـ): وقال بعضهم: لفظ لَا يسْتَقلّ بِالْمَعْنَى. قال: وهذا مع سابقه متقاربان في المعنى[١٠٢].

٢٧- الفاكهي (ت٩٧٢هـ): الحرف كلمة دلت على معنى في غيرها وليس له علامة وجودية[١٠٣].

٢٨- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت القرن ١٢هـ): كلمة دلّت على معنى غير مُسْتَقل بالمفهومية[١٠٤].

٢٩- التهانوي (ت ١١٥٨): الحرف ما يوجد معناه في غيره.

ذكره التهانوي لبعضهم، ولم ينسبه[١٠٥].

٣٠- التهانوي (ت ١١٥٨): الحرف ما دلّ على معنى ثابت في لفظ غيره.

ذكره التهانوي لبعضهم، ولم ينسبه[١٠٦].

- **الحدّ التاسع ذكره الزجاجي (ت ٣٣٧هـ):** ما لا يستغني عن جملة يقوم بها، قال: وقال بعضهم: الحرف ما لا يستغني عن جملة يقوم بها. ثمّ قال الزجاجي: وهذا وصف للحرف صحيح، وليس بحدّ له، إنما الحد ما ذكرت لك[١٠٧].

وهذا الحدّ غير منفكّ عن الحدّ الذي وضعه الزجاجي (ت ٣٧٣هـ) للحرف، وقد تقدم بيان الكلام فيه، وهو قوله: الحرف ما دلّ على معنى في غيره.

وممّا يتصل بهذا الحدّ ما يلي:

١- النحاس (ت ٣٣٧هـ) في شرح المقرب: الكلمة لا بد وأن تدل على معنى، فذلك المعنى إما أن يفتقر في تمام فهمه إلى ضميمة أوْ لا، فإن افتقر فهو الحرف.

وقال أيضًا: الحرف كلمة تفتقر في تمام فهمها إلى ضميمة.

وقَالَ: والفرق بينه وبين الِاسْم وَالفِعْل أَن المَعْنى المَفهُوم مِنهُ مَعَ غَيره أتم من المَفهُوم مِنْهُ حَال الإفرَاد بخلافهما فالمفهوم مِنْهُمَا فِي التَّرْكِيب عين المَفهُوم مِنْهُمَا فِي الْإِفْرَاد[١٠٨].

٢- أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ): الأداة لفظ يدل على معنى مفرد لا يمكن أن يفهم بنفسه[١٠٩].

٣- الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): الحرف ما دلّ على معنى في غيره، ومن ثمّ لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه[١١٠].

قال ابن يعيش: " وقوله: ومن ثمّ لا ينفك من اسم أو فعل يصحبه ، يريد: ولكونه لا يدل على معنى إلّا في غيره، افتقر إلى ما يكون معه ليفيد معناه فيه[١١١].

٤- الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ): أما الحرف فلا يدخل فيه المجاز بالذات، لأن مفهومه غير مستقل بنفسه، بل لا بد أن ينضم إليه شيء آخر لتحصل الفائدة، فإن ضمّ إلى ما ينبغي ضمه إليه فهو حقيقة فيه، وإلا فهو مجاز في المركب، لا في المفرد[١١٢].

٥- القرافي (ت ٦٨٤هـ): خالف ما عليه الجمهور فذهب إلى أن حروف المعاني إن كانت من حرفين فأكثر أفادت معناها التصوري أفردت أو ركبت، بخلاف الأحادية فلا تفيده إلا مركبة[١١٣].

٦- المرداوي (ت ٨٨٥هـ): وقال بعضهم: لفظ لَا يسْتَقلّ بِالْمَعْنَى. قال: وهذا مع سابقه متقاربان في المعنى[١١٤].

٧- السيوطي (ت ٩١١هـ): الحرف مَشْرُوط فِي إِفَادَة مَعْنَاهُ الَّذِي وضع لَهُ انضمامه إِلَى غَيره من اسْم كالْبَاء فِي مَرَرْت بزيد أَو فعل كقد قَامَ أَو جملَة كحروف النَّفْي والاستفهام وَالشّرط[١١٥].

٨- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت القرن ١٢هـ): كلمة دلّت على معنى غير مُسْتَقل بالمفهومية[١١٦].

- **الحدّ العاشر** لأبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ): الأداة لفظ يدل على معنى مفرد لا يمكن أن يفهم بنفسه[١١٧].

وعلق البطليوسي عليه بقوله: وهذا تحديد صحيح، هو نحو ما قاله سيبويه: إنه جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، ونحو ما قلناه: إنه ما لم يكن أحد جزأي الجملة المفيدة[١١٨].

- **الحدّ الحادي عشر لابن رشد (ت ٥٩٥هـ):** الحرف لفظ يدل على النسب التي تكون بين الأسماء أنفسها، وبين الأسماء والأفعال[١١٩].

- **الحدّ الثاني عشر لأحمدُ بن يحيى بن المرتضى (ت ٨٤٠ هـ):** لفظ وضع لإفادة معنى إضافي حال إضافته[١٢٠].

- **الحدّ الثالث عشر** نقله المرادي (ت ٧٤٩هـ) عن بعضهم، قال: **حدّه تركُ حدّه**: وهذا من اللطائف، قال المرادي: قال بعض النحويين: لا يحتاج في الحقيقة إلى حد الحرف، لأنه كلم محصورة. وليس

كما قال، بل هو مما لابد منه، ولا يستغنى عنه، ليرجع عند الإشكال إليه، ويحكم عند الاختلاف بحرفية ما صدق الحد عليه[١٢١].

ومثله ما قاله عليُّ بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ) وقد نقله كذلك عن بعضهم ولم ينسبه، ولعل مصدره الجنى الداني، قال: قيل: لَا يحْتَاج إِلَى حد لَهُ، لأَن ترك العَلامَة له عَلامَة، وَهذا اخْتَارَهُ جمَاعَة مِنهُم الحريري، وردَّ بأنه لتعريف حَقِيقَة الْمَحْدُود، وَلَا تُعْرَفُ حَقِيقَةٌ بِتَرْكِ تعْرِيفِها[١٢٢].

- **الحدّ الرابع عشر** للسيوطي، قال: حدُّه عَدُّه.

قال: أحسن ما يضبط الحرف بالعدّ، لأن الحروف محصورة، وقد عدّها ابن فلاح في مغنيه سبعين حرفًا بطرح المشترك ثلاثة عشر آحادًا، وأربعة وعشرون ثنائية، وتسعة عشر ثلاثية، وثلاثة عشر رباعية، وخماسي واحد وهو لكنَّ[١٢٣].

مناقشات عدد من شراح المفصّل والكافية لحدّ الزجاجي:

كانت لشرّاح المفصّل والكافية مناقشات لحدّ الزجاجيّ الذي ارتضاه الزمخشريُّ وابنُ الحاجب في المفصّل والكافية، وهذا بيان لبعضها:

١- قال ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ):" قولهم: (ما دلّ على معنى في غيره) أمثلُ من قولِ من يقول: (ما جاء لمعنى في غيره)؛ لأن في قولهم: (ما جاء لمعنى في غيره) إشارةً إلى العلّة، والمراد من الحدّ الدلالة على الذات، لا على العلّة التي وُضع لأجلها، إذ علّةُ الشيء غيرُه[١٢٤].

٢- وأورد ابنُ الحاجب على قول الزمخشري: (ما دل على معنى في غيره):" يَرِدُ عليه الأسماء التي لا تعقل إلا بمتعلق مذكور معها مثل: عند وقيد وقدي وقاب وما أشبهها. وجوابه: أنا نحكم بأن معنى القدر والجهة مفهوم من قاب وعند كالفوقية من فوق. وإنما اتفق أنهم لم يستعملوه إلا كذلك ونحكم على أن مَن ونحوها لا يفهم منها ذلك المعنى من حيث وضعها إلا مضموماً إلى متعلقها، وإنما حكمنا بذلك لما ثبت من استقراء كلامهم أن الحرف وضعه كذلك والاسم كذلك، وثبت أن هذه من قبيل الأسماء بخصائصها، فوجب أن لا تحمل على جهة يلزم أن تكون به حرفاً بعد ثبوت اسميتها لما فيه من التناقض، والذي يوضح لك ذلك إطباقهم على أن عنْ وعلى في قولك: قعدتُ عن يمينه ووليت عليه، حرف أيضاً، وهما اسمان في قولك: قعدت من عن يمينه وأخذت من عليه، ولولا ما ثبت من خاصية الاسم فيهما في المحلين المخصوصين لم يحكم عليهما باسمية، فلما ثبت كونهما اسمين بالخواص التي توجب الاسمية وجب حملهما على معنى الاسم وإن كان فيه بعد، إذ تقديرها على ما كانت عليه من معنى الحرفية يلزم منه التناقض العقلي، وحملها على هذه الجهة يلزم منه استبعاد، وإذا تردد بين التناقض والاستبعاد والتجئ إلى أحدهما وجب الحمل على الاستبعاد، فكذلك ههنا"[١٢٥].

٣- وقال أيضا مملياً بدمشق سنة عشرين على أول قسم الحرف من المفصل: " (الحرف ما دل على معنى في غيره)، ومعنى ذلك أن وضعه لمعناه مشروط بذكر متعلقة بخلاف الاسم والفعل فإنه لا يشترط فيهما ذلك

باعتبار إفرادهما، فإن ذكر متعلق فلأمر غير ذلك. قال: "ومن ثم لم ينفك". يعني: ومن أجل أن وضعه مشروط بذكر المتعلق لم يكن بد من ذكر متعلقة معه، وهو إما اسم وإما فعل، فلا ينفك إذن حرف من متعلق إما اسم وإما فعل"[١٢٦].

٤- وقال أيضا: مملياً إذ أُوردَ على قوله في حد الحرف: " (ما دل على معنى في غيره)، الأسماء المشتركة، فإنه لا يفهم مدلولها إلا بالقرينة، وكذلك الحرف فإنه لا يفهم معناه إلا بذكر متعلقه معه.

فجوابه: أن الأسماء المشتركة ليس من شرط استعمالها لفظ آخر يقترن بها، بل قد يكون قصد المتكلم الإبهام، ومن ثم يجيء كثير من المشتركات يجوز فيها الأمران، أعني كل واحد من مدلوليها، كقوله تعالى: {ثلاثة قروء}، وليس كذلك في الحرف، فإنه لا يستقيم أن نقول: خرجت من الحروف العشرة، وهذا يرد عليه: جاء زيد العالم والعاقل، فإنه تابع توسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة، وليس بعطف في التحقيق، وإنما هو باق على ما كان عليه في الوضعية، وإنما حسن دخول حرف العطف لنوع من الشبه بالمعطوف ولما بينهما من التغاير"[١٢٧].

٥- ساق ركن الدين الاسترابادي (ت ٧١٥هـ) مجموعة من التفسيرات لحدّ ابن الحاجب، وعقّب عليها، فقال: " وقال بعضهم: (المراد من قولنا: الحرف دال على معنى في غيره أنك إذا قلت: مِنْ مثلا لم تدر أهي مبعّضة أم مبيّنة أم غيرهما، فإذا ذكرتَ مجرورها تبين معناها حينئذ).

وهو في غاية الضعف، لأن ما ذكره يدل على أنها مشتركة، والاشتراك لا يقتضي كون معنى الكلمة في غيرها، وإلا لكانت الأسماء مشتركة كذلك، ولأنه لا يتم في الحروف غير المشتركة.

وقال بعضهم: (المراد من قولنا الحرف يدل على معنى في غيره أن قولنا: زيد قائم يفيد معنى، فإذا قلنا: ما زيد قائمًا، فما أفاد معنى في غيره، وهو عدم قيام زيد.)

وفيه أيضًا نظر، لأن كثيرًا من الأسماء والأفعال بهذه المثابة، كالأسماء والأفعال الدالة على معنى النفي.

وقال بعضهم: (الأولى أن يقال: إن معنى قولهم: الحرف يدل على معنى في غيره، أن الذي دل عليه الحرف له متعلق لابد من ذكره في الاستعمال، بخلاف الاسم والفعل، فإذا قلت: سرت من البصرة كان معناه أن ابتداء السير كان من البصرة، ووجب ذكر متعلق هنا وهو البصرة، فإذا صرحتَ بالاسم الذي يكون معناه هذا، وهو الابتداء، لم يجب ذكر متعلق معناه، تقول: الابتداء خير من الانتهاء، ويكون مفيدا، وإنّ لك أنْ تذكر له متعلقا).

وفيه أيضا نظر، لأنه يرد عليه ذو، وأن معناه صاحب، وله متعلق، وهو المال أو غيره لا بد من ذكره عند استعمال ذو.

وقيل: المراد به أن الحرف مشروط في دلالته على معناه ذكر متعلّقه، وليس مثل ذو كذلك، لكن لما أُتي به للتوصل في جعل الجنس صفة للنكرة لم يذكر متعلق معناه ".

ثم بيّن الركنُ أنّ ما يرتضيه في تفسير أن الحرف ما دل على معنى في غيره أنه دال على معنى له متعلّق لا يستعمل إلا مع ذكر ذلك المتعلق.

وقال: " لا يقال: هذا الحد منقوض بنفس هذا الحد، لأنه يصدق عليه أنه دل على معنى في غيره، فيكون حرفا، لكنه ليس كذلك لكونه مركبًا، ووجوب كون الحرف مفردًا "[١٢٨].

٦- وقال الإمام المهدي (ت ٨٤٩هـ) في النجم الثاقب في شرح كافية ابن الحاجب: " وقد أورد على هذا الحد اعتراضات:

الأول: إذا كانت من الابتداء وإلى الانتهاء وفي الشيء يعني وسطه ونحو ذلك، لزم أن يكون الابتداء والانتهاء حروفا فيدخل في الحد ما ليس منه، أو يكون من وإلى وحتى ونحوهما أسماء، فيخرج من الحد ما هو منه، بل كله، لأنه لا شيء من الحروف إلا ومعناه اسم، فحروف النفي معناها النفي، وحروف العطف معناها العطف، وحرفا الاستفهام معناهما الاستفهام، وهذه أسماء.

وأجيب بأن هذه الحروف تفيد ابتداء وانتهاء ووسطا مقيدا، وإطلاقها من غير تقييد تسامح، وأما الابتداء والانتهاء والوسط، فهذه الألفاظ تقيدها من غير نظر إلى تقييد بغيرها، ولا مانع من أن تضع العرب من لابتداء مقيد، والابتداء يفيد الابتدائية مطلقا، وكذلك سائر الحروف، نحو كاف التشبيه، فإنها بمعنى مثل، وهو اسم، و(على) بمعنى فوق، وهو اسم، وأيضا قد يكونان اسمين وحرفين، فإن مثل تفيد مشابهة مطلقة، والكاف مشابهة مقيدة، وفوق فوقية مطلقة، وعلى فوقية مقيدة، والمراد بالمطلق أنها صالحة للتقييد والإطلاق، وأما الحروف فلا تفيد معانيها إلا بالتقييد.

الثاني: أسماء الاستفهام والشرط والمعاني كالقيام والقعود، والصفات كالقائم والقاعد، وهي دالة على معنى في غيرها، لأن يستفهم عن فعل وشرط فعل، والقيام لا يكون إلا لموصوف، والقائم لذات، فيدخل في الحد ما ليس منه.

وأجيب بأنه دالة على معاني في أنفسها، وهو الأصل، ودالة على معاني في غيرها فقط، بخلاف الاسم والفعل، فإنهما يدلان على معنى في أنفسهما، فإن مِن لمن يعقل، وما لما لا يعقل، ومتى للزمان، وأين للمكان، والصفات والمعاني دالة على معنى في نفسها، والحرف لا يدل إلا على معنى في غيره فقط، بخلاف الاسم والفعل، فإنهما يدلان على معنى في أنفسهما، وقد ينضم إلى ذلك دلالتهما في غيرهما ولا يقدح، لأنهما لم يخرجا عما وضعا له.

الثالث: أورده المصنف في المنتهى: الذي وسائر الموصولات الاسمية إنها تدل على معنى في غيرها، لأنها لا تفيد إلا بالصلة، وكذلك ذو وفوق وتحت لأنها تفتقر إلى ما تضاف إليه.

والجواب : أنها وضعت لمعاني في أنفسها ولكن عند انضمام غيرها فمعنى ذي صاحب ومعنى الذي قام القائم، وهذا لا يرد على حقيقة الحرف، لأنه ما دل على معنى في غيره، وإنما يرد لو قال: ما دل بغيره على معنى.

الرابع: قولك من حرف جر فإنها تدل على معنى في نفسها فيخرج من الحد ما هو منه لأنك إن جعلتها حرفا لزم السؤال، وإن جعلتها اسما لم يصدق المقال.

وأجيب بأنها في هذا المثال اسم لا حرف، ويراد بها اللفظ المخصوص، كما تقول ضرب فعل ماض، أي هذا اللفظ "[١٢٩].

٧- وأورد السيوطي على هذا الحدّ عددًا من الإيرادات، وهذه هي مع شيء من الاختصار والتصرف، قال: " قول الكافية: (الحرف ما دل على معنى في غيره، ومن ثم احتاج في جزئيته إلى اسم أو فعل) ترد عليه أمور:

الأول : اعترض عليه ابنُ هشام (ت ٧٦١هـ) من وجهين، قال: " اشتمل هذا الكلام على أمرين مشكلين، أحدهما دعوى دلالة الاسم والفعل على معنى في نفس اللفظ يقتضي بظاهره قيام المسمّيات بالألفاظ الدالة عليها، وذلك محال، لأن ذات زيد لم تقم بلفظ الزاي والياء والدال، وكذلك الحدث والزمان لم يقم بلفظ نحو قام وذهب. والآخر: دعوى دلالة الحرف على معنى في غيره، وهذا وإن كان مشهورًا بين النحويين إلا أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس نازعهم فيه، وزعم أنه دال على معنى في نفسه.

قلت: علل ابن النحاس ما يفهمه فلا دليل في عدم فهمه على أنه لا معنى له، لأنه لو خوطب بالاسم والفعل ذهب إليه بأنه لا يخلو المخاطب بالحرف من أن يفهم موضوعه لغة أم لا، فإن لم وهو لا يفهم موضوعهما لغة كان كذلك، وإن خوطب به من يفهم موضوعه لغة فإنه يفهم منه معنى عملا بفهمه موضوعه لغة، كما إذا خاطبنا بهل من يعرف أنها موضوعة للاستفهام وكذا باقي الحروف ، فإذن عرفنا أن له معنى في نفسه، قال: لكن الفرق بينه وبين الاسم والفعل أن فهم معناه في التركيب أتم منه في الإفراد بخلافهما.

وقال ابن هشام في بعض تعاليقه على التسهيل: هذه العبارة معترضة من ثلاث جهات، لأنها توهم كون الشيء ظرفا لنفسه، وكون الحامل لمعنى الحرف غيره لا نفسه، فإذا لم يوجد ذلك الغير لا يفهم معنى الحرف ، ونحن قاطعون بانتفاء ذلك، وأن نحو ليت يفهم منها معنى التمني بمجرد النطق بها كما في المنصوص من الأسماء والأفعال، وأن نحو مَن يفهم منها أحد معانيها لا بعينه كما في المشترك من الاسم والفعل، وكذا القول في الباقي، وكون أسماء الشرط والاستفهام أسماء وحروفًا لدلالتها على معنى في نفسه، وهو الشخص العاقل في مَن، وغير العاقل في ما، والزمان في متى، والمكان في حيثما، وعلى معنى في غيره، وهو معنى الشرط والاستفهام.

قال: فإن قيل: هذه الأمور الثلاثة مندفعة، أما الأوّلان فلأن المراد بدلالة الكلمة على معنى في نفسه دلالتها على معنى باعتبار نفس ذلك المعنى، لا باعتبار تعلقه بمحل، والمراد بدلالتها على معنى في غيره دلالتها على معنى باعتبار تعلق ذلك المعنى بأمر خارج عنه، فإذا قلت: خرجتُ مِن البصرة دلتْ مِن على ابتداء الخروج المتعلق بالمحل المخروج منه، ولم تدل على حقيقة الابتداء باعتبار نفسه، كما دل عليه الابتداء في قولك: أعجبني الابتداء، وأما الثالث فلأن التقسيم باعتبار المعنى الوضعي لا التضمّني. قلنا: نعم لكنها عبارة ملبسة

موهمة خلاف المراد، فينبغي العدول عنها إلى عبارة سالمة عن ذلك، فيقال: لأنها إما أن تكون موضوعة لمعنى باعتبار نفسه أو باعتبار تعلقه بغيره، الثاني الحرف... إلى آخره انتهى.

الثاني: قولها: (وقد علم بذلك حد كل واحد منها)، قال صاحب اللباب: الذي علم ليس بحد حقيقي، لأن امتيار الحرف عن أخويه بقيد عدمي، وهو عدم الاستقلال، وامتياز الاسم عن الفعل أيضًا بقيد عدمي، وهو عدم الاقتران، فلا يكون مركبا من الجنس والفصل، والحد الحقيقي لا بد فيه من ذكرهما.

وأجاب السيد في شرحه: بأن ذلك إنما يكون في حدود الحقائق المتأصلة في الوجود، وأما في الماهيات الاعتبارية فليس ذلك بلازم، بل كلما ذكر في حدودها فهو جنس وفصل، إذ ليس لها ماهية سوى ذلك.

الثالث: إن في قوله (ما) إبهامًا، والحدود تصان عن مثل ذلك، قال النيلي: فلو قال (لفظ) أو (كلمة) كان أقرب. قال الرضي: والذي سهل ذلك الاعتماد على ما تقدم من المستقيم.

الرابع: قيل تدخل في الحروف الأسماء الموصولة وضمير الغائب وكاف التشبيه الاسمية وكم الخبرية وأسماء الاستفهام والشرط لقوله (في غيره). وأجاب الرضي: بأن الموصولة وضمير الغائب وإن احتاجا إلى لفظ آخر لكن لا يفيدا معناهما الذي هو الشيء المبهم ويحدثاه في ذلك اللفظ، فإن لفظ الذي مثلا يفيد معناها الذي هو الشيء المبهم في نفسها لا في صلتها، وإنما تحتاج إلى صلتها لكشف ذلك الإبهام، وكذا ضمير الغائب فهما مبهمان، لكن اشترط فيهما من حيث الوضع أنه لا بد لهما من معين مخصص، وأما الكاف الاسمية فمعناها المثل بخلاف الحرفية فمعناها التشبيه الحاصل في لفظ آخر، وكذا كم معناها كثير لا الكثرة التي هي معنى فيما بعدها، بخلاف ربّ فإن معناها القلة التي في مجرورها، وإنما وجب القول بهذا في كم ورب والكافين الاسمية والحرفية صونًا للحد عن الاعتراض، وأما اسم الاستفهام والشرط فكل منهما يدلّ على معنى في نفسه وعلى معنى في غيره، نحو قولك: أيّهم أضرب وأيّهم تضرب أضرب، فإن الاستفهام متعلق بمضمون الكلام، إذ تعيين مضروب المخاطب مستفهم عنه، ومعنى الشرط موجود في الشرط والجزاء، وأي في الموضعين دالة على ذات أيضًا، وهي ليست معنى فيما بعدها، فسلم الحد.

ويمكن الجواب بما قاله سيبويه: إن حرفي الاستفهام والشرط وهما الهمزة وإنْ حذفتا وجوبا قبل مثل هذا الاسم لكثرة الاستعمال، فكان الأصل أأيّهم أضرب ؟ وإنْ أيهم تضرب، ثم ضمّن أيّ معنى الاستفهام والشرط، فالمعنيان عارضان فيها، وإن كانا لازمين، وكذا ما سوى أيّ نحو: مَن تضرب، أي أَمَنْ، ومَن تضرب أضرب، أي إنْ مَن

الخامس: قيل: إن معاني أسماء المعاني إنما هي في غيرها، فإن الضرب معناه ليس في نفسه، بل في زيد مثلا. وأجاب شارح اللباب: بأنها معتبرة في نفس ألفاظها بحسب الوضع، ولذلك يصح الإخبار عنها نحو: الضرب شديد، وإن كانت في غيرها بحسب الوجود، فلا ينتقض طرد التعريف بها.

السادس: اعتُرض على هذا الحد بالصفات، فإن معنى طويل مثلا في جاءني رجل طويل موجد لمعناه أي الطول في موصوفه حتى صار الموصوف متضمنا له.

وأجاب الرضي بالمنع، فإن معنى طويل ذو طول فهو دال على معنيين أحدهما قائم بالآخر، إذ الطول قائم بذو فمعناه الطول وصاحبه لا مجرد الطول الذي في رجل، وإنما ذكر الموصوف قبله لتعين ذلك الصاحب الذي دل عليه طويل وقام به الطول، لا ليقوم به الطول، وأما قولهم: النعت دال على معنى في متبوعه، فلكون المتبوع معينا لذلك الذي قام به المعنى ومخصصا له.

السابع: اعترض عليه بالأفعال، فإن ضرب موضوع ليدل على ضاربية ما ارتفع به.

قال الرضي: ولا يندفع هذا الاعتراض إلا بما قال بعضهم: الحرف ما لا يدل إلا على معنى في غيره، فإن ضرب مفيد في نفسه الإخبار عن وقوع ضرب وفي فاعله وعن ضاربيته ، بخلاف مِن فإنه لا يفيد إلا معنى الابتداء في غيره انتهى.

وقال ابن هشام في كتاب له على التسهيل كالتوضيح على الألفية: الحرف كلمة لا تدل إلا على معنى في غيرها، وفائدة الحصر خروج بعض الأسماء كأسماء الشرط والاستفهام، فإنها تدل على معنى في نفسها وعلى معنى في غيرها انتهى. وقد ذكر الحدَّ كذلك بالحصر في الجامع

وفي المغنى لابن فلاح: الحرف كلمة دلت على معنى فقط، قال: وخرج بقيد فقط ذلك، قال: ومنهم من يقول لإخراجه: ولم يكن جزأي الجملة .

الثامن: وقال النيلي: لابد أن يجعل قوله: (ومن ثم احتاج في جزئيته إلى اسم أو فعل) من تتمة هذا الرسم، وإلا دخل فيه الأسماء المناسبة للحرف كأين وكيف، فإنها تدل على معنى في غيرها، لكن لا تحتاج في جزئيتها إلى غيرها، بل أين من قولك أين زيد ؟ جزء الكلام ، قال: ثم إنه على كل تقدير ينتقض بالكلام الندائي فإن جزءه الحرف ولم يحتج في جزئيته إلى اسم أو فعل يصحبه. قال: ويجاب بأن المنادى مفعول وهو فضلة فليس بجزء الكلام، وإنما اقتصر فيه على الحرف لنيابته عن الجملة المفيدة، فهو بمنزلة قولك نعم أو لا في الجواب في الاقتصار عليه لنيابته عن الجملة .

التاسع: قال النيلي: ويرد على الرسم أيضا الحركة الإعرابية، فإنها تدل على معنى في غيرها وهو المعرب بها وليست حرفا مع كونها لفظا. ويجاب بأن المراد بها كلمة والحركة ليست بكلمة.

العاشر: قال النيلي أيضًا: لو قال: احتاج إلى لفظ يصحبه كان أشمل لدخول الجملة والمفرد فيه، فيدخل حروف الشرط والاستفهام والنفي وأما التي للتفصيل.

الحادي عشر: أحسن ما يضبط الحرف بالعد، لأن الحروف محصورة، وقد عدها ابن فلاح في مغنيه سبعين حرفًا بطرح المشترك ثلاثة عشر آحادًا، وأربعة وعشرون ثنائية، وتسعة عشر ثلاثية، وثلاثة عشر رباعية، وخماسي واحد وهو لكنّ[١٣٠].

فهرس الهوامش

١- انظر الفاضل في اللغة والأدب للمبرد ص٥، وتنبيه الألباب لابن السراج ٣٩، ٦٩، وأمالي الزجاجي ٢٣٨، ونزهة الألبا للأنباري ١٨، وإنباه الرواة للقفطي ٣٩/١، وكنز العمال للهندي ٢٨٣/١٠، والأشباه والنظائر للسيوطي ١٢/١

٢- الكتاب ١٢/١

٣- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ٨٦

٤- إصلاح الخلل ٧٥

٥- إصلاح الخلل ٧٦

٦- إصلاح الخلل ٧٦

٧- الجمل للجرجاني ص٦

٨- المصباح في علم النحو للمطرزي ص٨٦

٩- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ٨٦، و إصلاح الخلل ٧٦

١٠- إصلاح الخلل٧٦

١١- إصلاح الخلل ٧٦

١٢- إصلاح الخلل ٧٦

١٣- إصلاح الخلل ٧٦

١٤- إصلاح الخلل ٧٦

١٥- إصلاح الخلل ٧٦-٧٧

١٦- الإيضاح ٥٥

١٧- انظره مفصلا في الخصيصة الرابعة من خصائص الحرف

١٨- اللمع ٨

١٩- البيان في شرح اللمع ١٦

٢٠- شرح اللمع للعكبري ٥/١

٢١- علل النحو ١٤٢

٢٢- شرح الحريري على ملحته ٩

٢٣- كشف النقاب ٢٩٠

٢٤- تلقيح الألباب ١٠٤

٢٥- المرتجل ٢٥

٢٦- كشف المشكل لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني ١٥٦

٢٧- اللباب ٥١/١

٢٨- الفصول الخمسون ١٥٣

٢٩- شرح الكافية الشافية ١٧٢/١

٣٠- العمدة شرح العدة ١٠٦/١

٣١- شرح ابن الناظم ١١

٣٢- توضيح المقاصد ٢٩٢/١

٣٣- أوضح المسالك ٥٠/١
٣٤- المقاصد الشافية ٥٨/١، وانظر كذلك شرح المكودي ٨، وشرح ابن عقيل ٢٤/١
٣٥- المغني ١٤٦-١٤٧
٣٦- المحصول ٥٥/١
٣٧- قواعد المطارحة ٩
٣٨- اللباب للإسفراييني ٢٣
٣٩- البسيط ٥١٣/٢
٤٠- اللمحة في شرح الملحة ١١٧/١
٤١- تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة ١٠٦/١
٤٢- أوضح المسالك ٥٠/١
٤٣- التحبير شرح التحرير ٢٩٦/١-٢٩٨
٤٤- شرح الشذور ١٥٩/١
٤٥- الهمع ٨٠/١
٤٦- أسرار النحو ص٧٦
٤٧- انظر الإيضاح ٥٤، والجمل ١٨
٤٨- انظر الجنى الداني ٢٣
٤٩- انظر البسيط في شرح الكافية لركن الدين الاسترابادي ١: ١٢٣-١٢٦، ٥١٣/٢
٥٠- الموشح للخبيصي ٦٨٦/٢
٥١- انظر شرح المفصل لابن يعيش ٣/٨-٤
٥٢- الجنى الداني ٢٣
٥٣- إصلاح الخلل ٧٤-٧٥
٥٤- الخصائص للقرافي ٧٢-٧٣
٥٥- التفاحة ١٤
٥٦- الحدود للرماني ٦٧
٥٧- اللمع ٨
٥٨- البيان في شرح اللمع ١٦
٥٩- شرح المقدمة المحسبة ١٢٥/١
٦٠- انظر المحصول لابن إياز ١٩/١
٦١- التمهيد في أصول الفقه ٧٠/١
٦٢- إصلاح الخلل ٧٥
٦٣- إصلاح الخلل ٧٥
٦٤- المفصل ٣٧٩
٦٥- العباب الزاخر حرف ٣٨٥/١
٦٦- المرتجل ٢٣.

٦٧- أسرار العربية للأنباري ١٢
٦٨- اللمع ٨
٦٩- البيان في شرح اللمع ١٦
٧٠- ساحرة الطرف ٤٢، ومفاتيح الغيب ٥٠/١
٧١- انظر شرح المفصل لابن يعيش ٢/٨
٧٢- المغني ١٤٣/١
٧٣- الكليات ٣٩٤/١
٧٤- نتائج الفكر ٥٩-٦٠
٧٥- نتائج الفكر ٦٤
٧٦- الضروري في صناعة النحو ١٠٦
٧٧- المقدمة الجزولية ص٤
٧٨- اللباب في علل البناء والإعراب ٥٠/١
٧٩- انظر التذييل والتكميل ٥٠/١، والجنى الداني ٢٠-٢٣، وشرح الحدود للفاكهي ١٠٢-١٠٣
٨٠- شرح اللمع ٥/١
٨١- الفصول الخمسون ١٥٣
٨٢- شرح الكافية ٤٢/١
٨٣- قواعد المطارحة ٩، والمحصول ٥٥/١
٨٤- اللمحة في شرح الملحة ١١٧/١
٨٥- النكت النحوية للسيوطي ٨٨/١
٨٦- النكت النحوية للسيوطي ٨٨/١
٨٧- التوطئة ١١٣
٨٨- الكافية ١٧٩
٨٩- المقرب ٤٦/١
٩٠- التعليقة للنحاس ٦١/١-٦١
٩١- همع الهوامع للسيوطي ٢٥/١
٩٢- شرح الكافية ٤٢/١
٩٣- الارتشاف ٢٣٦٣/٥
٩٤- الكافية ٥١
٩٥- شرح اللمحة البدرية ٢١٤-٢١٥.
٩٦- المباحث المرضية ٣٤
٩٧- تعليق الفرائد ٣٣٣/٢
٩٨- الحدود ٤٤٢.
٩٩- شرح حدود الأبذي لابن قاسم المالكي ٥٥
١٠٠- شرح حدود الأبذي لعلي بن أحمد الرسموكي ٣٧

١٠١- تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة ١٠٦/١
١٠٢- تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة ١٠٦/١
١٠٣- كشف النقاب ٢٩٠
١٠٤- دستور العلماء ٢٠/٢
١٠٥- كشاف اصطلاحات الفنون ١٨٦/١
١٠٦- كشاف اصطلاحات الفنون ١٨٧/١
١٠٧- الإيضاح ٥٤
١٠٨- التعليقة للنحاس ٦٢/١
١٠٩- الحروف للفارابي ص ٢٨
١١٠- المفصل ٣٧٩
١١١- شرح المفصل ٢/٨- ٥
١١٢- المحصول ٣٢٨
١١٣- الخصائص ٨٢-٨٤
١١٤- تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة ١٠٦/١
١١٥- الهمع ٢٥/١
١١٦- دستور العلماء ٢٠/٢
١١٧- الحروف للفارابي ص ٢٨، وإصلاح الخلل ٧٧
١١٨- إصلاح الخلل ٧٧
١١٩- الضروري في صناعة النحو ١٠٦
١٢٠- تاج علوم الأدب ٤٣٩/١
١٢١- الجنى الداني ٢٠
١٢٢- التحبير شرح التحرير ٢٩٦/١-٢٩٨
١٢٣- النكت النحوية للسيوطي ٧١/١-٨٩
١٢٤- شرح المفصل ٢/٨-٣
١٢٥- أمالي ابن الحاجب ٣١٠/١-٣١١
١٢٦- أمالي ابن الحاجب ٣٥٣/١-٣٥٤
١٢٧- أمالي ابن الحاجب ٦٠٧/٢-٦٠٨
١٢٨- انظر البسيط في شرح الكافية لركن الدين الاستراباذي ١: ١٢٣-١٢٦، ٥١٣/٢
١٢٩- النجم الثاقب في شرح كافية ابن الحاجب ١٠٦٦/٢- ١٠٦٨
١٣٠- النكت النحوية للسيوطي ٧١/١-٨٩

فهرس المصادر والمراجع

-ارتشاف الضّرب : لأبي حيّان ، تحقيق الدكتور رجب عثمان محمد ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، ١٩٩٨م.
-الأزهية في علم الحروف : للهروي ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة ، ١٩٧١ م.
-أسرار العربية : لابن الانباري ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ط١ ، ١٣٧٧ - ١٩٥٧
-الأشباه والنّظائر : للسيوطي ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، بيروت ، دار الرِّسالة ، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .
-الأصول في النَّحو : لابن السراج ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ، بيروت ، مؤسَّسة الرِّسالة ، ط١، ١٩٨٥ م .
-الأمالي النَّحويَّة : لابن الحاجب ، تحقيق الدكتور هادي حسن حمودي ، بيروت ، عالم الكتب ، ط١، ١٩٨٥ م .
-أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك : لابن هشام ، تحقيق محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل، ط٥ ، ١٩٧٩ م .
-الإيضاح في شرح المفصّل : لابن الحاجب ، تحقيق الدكتور موسى بناي العليلي ، بغداد ، مطبعة العاني ، ط١، ١٩٨٣ م .
-الإيضاح في علل النحو : للزجاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ، بيروت ، دار النفائس ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
-تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب : لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق الدكتور محمد طاهر الحمصي ، دمشق ، دار سعد الدين ، ط١ ، ٢٠٠٨ م
-التَّبصرة والتّذكرة : للصيمري ، تحقيق الدكتور فتحي أحمد مصطفى عليّ الدِّين ، نشر مركز البحث العلميّ بجامعة أمّ القرى ، ط١، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .
-التحبير شرح التحرير : لعلي بن سليمان المرداوي ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ط١ ، ٢٠٠٠م
-تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول: لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي ، تحقيق عبد الله هاشم ، وهشام العربي ، قطر ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م
-التَّذييل والتَّكميل في شرح كتاب التَّسهيل : لأبي حيَّان الأندلسي ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، دمشق ،دار القلم ، ط١.
-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : لابن مالك ، تحقيق الدكتور محمَّد كامل بركات ، مصر ، المكتبة العربيّة ، ط١، ١٩٧٦ م .
-التَّصريح بمضمون التَّوضيح : للشَّيخ خالد الأزهريّ ، بيروت ، دار الفكر
-تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد : لمحمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر الدماميني، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى.
-التَّعليقة شرح المقرب : لبهاء الدِّين بن النحّاس الحلبي ، تحقيق الدكتور خيري عبد الرّاضي عبد اللّطيف ، المدينة المنوّرة ، مكتبة دار الزّمان ، ط١، ١٤٢٦هـ .
-تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد : لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد ، المعروف بناظر الجيش ، تحقيق مجموعة ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ
-توضيح المقاصد والمسالك إلى ألفيّة ابن مالك : للمرادي ، تحقيق د. عبد الرَّحمن عليّ سليمان ،مصر ، مطبعة الحلبي، ط٢.
-الجنى الدَّاني : للحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق فخر الدِّين قباوة ، ومحمّد نديم فاضل ، دار الكتب العلميّة ، ط١، ١٩٩٢ م
-جواهر الأدب : لعلاء الدين الإربلي ، مصر ، مطبعة وادى النيل ، ١٢٩٤ هـ - ١٨٧٧ م
-الحدود : للرماني ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، الأردن ، دار الفكر .
-الحدود في علم النحو : لأحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيُّ ، شهاب الدين الأندلسي ، تحقيق نجاة حسن عبد الله نولي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١١٢- ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

-الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل : لأبي محمَّد عبد الله بن محمَّد بن السيّد البطليوسي ، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي ، بغداد ، دار الرَّشيد ، ط١، ١٩٨٠ م
-الخصائص : لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي ، تحقيق الدكتور ناجي محمدو عبد الجليل ، مجلة كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية
-دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) : للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
-رصف المباني في شرح حروف المعاني : للإمام أحمد بن عبد النّور المالقي ، تحقيق الدكتور أحمد محمَّد الخرّاط ، دمشق ، مجمع اللّغة العربيّة ، ط١، ١٣٩٤هـ
-ساحرة الطرف في الاستعاذة والبسملة والاسم والفعل والحرف : لفخر الدين الرازي ، تحقيق الدكتور محمد محمد فهمي عمر ، المدينة المنورة ، دار الزمان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
-شرح الألفيّة : لابن عقيل ، تحقيق محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، القاهرة ، دار التراث ، ط٢٠، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
-شرح الألفيّة : لابن النّاظم ، تحقيق الدّكتور عبد الحميد السيّد محمَّد عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل .
-شرح الألفيّة : للأشموني ، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي .
-شرح الألفيّة : للمرادي ، تحقيق الدكتور عبد الرَّحمن سليمان ، القاهرة ، ط٢
-شرح الأنموذج في النَّحو : لمحمَّد بن عبد الغني الأردبيلي ، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ، الرِّياض ، دار العلوم ، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
-شرح التحفة الورديّة : لزين الدِّين أبي حفص عمر بن الوردي ، تحقيق الدكتور عبد الله عليّ الشلال ، الرِّياض ، مكتبة الرّشد ، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
-شرح التَّسهيل : لمصنّفه ابن مالك ، تحقيق الدكتور عبد الرَّحمن السيّد ، والدّكتور محمَّد بدوي المختون ، القاهرة ، دار هجر ، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م .
-شرح جمل الزجّاجي : لابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح ، مكّة المكرّمة ، المكتبة الفيصليّة ، مصوّرة عن طبعة سابقة .
-شرح الحدود في النحو : لعبد الله بن أحمد الفاكهي ، تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري ، ط١ ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨
-شرح حدود النحو للأبذي : لابن قاسم المالكي ، تحقيق الدكتور خالد فهمي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م
-شرح حدود النحو للأبذي : لعلي بن أحمد الرسموكي ، تحقيق الدكتور البشير التهالي ، الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
-شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ : لابن مالك ، تحقيق عدنان عبد الرَّحمن الدوري ، بغداد ، مكتبة العاني ، ط١، ١٩٧٧ م.
-شرح الكافية الشَّافية : لابن مالك ، تحقيق الدكتور عبد المنعم هريدي ، نشر مركز البحث العلميّ بجامعة أمّ القرى ، ط١، دمشق ، دار المأمون للتراث ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
-شرح كافية ابن الحاجب : للرضي ، بيروت ، دار الكتب العلميّة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .
-شرح المفصّل : لابن يعيش ، بيروت ، عالم الكتب .
-شرح ملحة الإعراب : لناظمها ، تحقيق الدكتور أحمد محمَّد قاسم ، حدائق حلوان ، مطبعة عبير للكتاب والأعمال التجاريّة ، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢ م

-شفاء العليل في إيضاح التَّسهيل : للسلسيلي ، تحقيق الدكتور الشّريف عبد الله بن عليّ الحسيني البركاتي ، مكّة المكرّمة ، المكتبة الفيصليّة ، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
-الضروري في صناعة النحو: للقاضي أبو الوليد بن رشد، تحقيق د. منصور علي ، مصر، دار الصحوة، ط١، ٢٠١٠.
-الفصول الخمسون : لابن معطي ، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي ، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٩٧٧م
-الفوائد الضيائيّة شرح كافية ابن الحاجب : لنور الدِّين عبد الرَّحمن الجامي ، تحقيق الدكتور أسامة طه الرفاعي ، بغداد ، مطبعة وزارة الثقافة والشؤون الدِّينيّة ، ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
-الفوائد والقواعد : لعمر بن ثابت الثمانيني ، تحقيق د. عبد الوهاب محمود الكحلة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ٢٠٠٢م
-قواعد المطارحة في النحو : للحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله ، ابن إياز البغدادي ، تحقيق الدكتور يس أبو اليهجاء ، و الدكتور شريف عبد الكريم النجار ، و الدكتور علي توفيق الحمد ، الأردن ، ١٤٣٢، إربد ، دار الأمل ٢٠١١ م .
-الكافية : لابن الحاجب ، تحقيق الدكتور طارق نجم عبد الله ، جدّة ، دار الوفاء ، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
-الكتاب : لسيبويه ، تحقيق عبد السَّلام هارون ، بيروت ، عالم الكتب .
-كشَّاف اصطلاحات الفنون : للمولوي محمَّد أعلى بن عليّ التهانوي ، بيروت ، دار صادر .
-كشف الأسرار شرح أصول البزدوي : لعبد العزيز بن أحمد بن محمد ، علاء الدين البخاري الحنفي ، دار الكتاب الإسلامي .
-كشف المشكل في النَّحو : لعليّ بن سليمان الحيدرة اليمني، تحقيق د. هادي عطيّة مطر ، بغداد ، الإرشاد ، ط١، ١٩٨٤ م.
-الكليّات: لأبي البقاء أيّوب بن موسى الكفوي، تحقيق عدنان درويش ،ومحمّد المصري ، بيروت، دار الرِّسالة،ط٢، ١٩٩٣.
-المحصول : لجمال الدين الحسين بن بدر بن إياز ، تحقيق الدكتور شريف عبد الكريم النجار ، عمان ، دار عمار ، ط١ .
-مختصر التحرير شرح الكوكب المنير : لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي ، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ط٢ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م
-المرتجل : لأبي محمَّد عبد الله بن أحمد المشهور بابن الخشّاب ، تحقيق عليّ حيدر ، دمشق ، مجمع اللّغة العربيّة ، ط١،١٩٧٢ م
-المصباح في علم النحو : للمطرزي ، تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد طلب ، مكتبة الشباب ، ط ١ .
-المساعد على تسهيل الفوائد : لابن عقيل ، تحقيق الدكتور محمَّد كامل بركات ، نشر مركز البحث العلميّ بجامعة أمّ القرى ، ط١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
-المغني في النحو : لابن فلاح ، تحقيق عبد الرزاق عبد الرحمن أسعد السعدي ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراه ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
-مغني اللبيب : لابن هشام ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دمشق ، دار الفكر ، ط١ ، ١٣٦٨هـ - ١٩٦٤م
-المفصّل : للزَّمخشريّ ، بيروت ، دار الجيل ، ط٢ .
-المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية : لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، ط١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
-المقتصد في شرح الإيضاح: لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د. كاظم بحر المرجان ، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ، ط١، ١٩٨٢م.
-المقرب : لابن عصفور ، تحقيق أحمد عبد الستّار الجواري ، وعبد الله الجبوري ، بغداد ، مطبعة العاني ، ط١، ١٩٧١ م .
منهاج الوصول إلى علم الأصول : للبيضاوي ، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ .

-الموشح على كافية ابن الحاجب : لشمس الدين أبي بكر محمد بن أبي بكر الخبيصي ، تحقيق الدكتور شريف عبد الكريم النجار ، الأردن ، دار عمار ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠١٢م
-النجم الثاقب شرح كافية ابن الحاجب : للإمام المهدي صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم ، تحقيق الدكتور محمد جمعة حسن نبعة ، صنعاء ، مؤسسة الإمام زيد بن علي ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
-نهاية السول شرح منهاج الوصول : لأبي محمد ، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي ، تحقيق محمد بخيت المطيعي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م
-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : للسيوطي ، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ، الكويت ، دار البحوث العلميّة ، ط١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

مستويات التوازي في شعر محمود درويش

أ.م.د. عارف عبد صايل
جامعة الأنبار- كلية الآداب
قسم اللغة العربية
Dr.arifabd@gmail.com

الباحثة إيثار شكري شاكر
جامعة الأنبار- كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة أنواع التوازي في الشعر العربي المعاصر، واتخذ من شعر محمود درويش أنموذجًا للدراسة، وقد هدف البحث إلى إيضاح مصطلح التوازي وبيان أهم أنواعه، وذكر شواهد لذلك في شعر محمود درويش من أجل الوقوف على جزئية تتشارك في رفع القيمة النصية وإبرازها ، والبحث في المتعة والجمالية التي أثارها المبدع ، فعلاقات التوازي تمنح النصوص قيمة فنية عن طريق التقابلات والتماثلات ، فيكشف ذلك عن طبع مهذب وفيض في الفكر المبدع.

Abstract

The study explores types of parallelism in the Arabic contemporary poetry. It uses the poetry of Mahmood Dirwish as a model for the study. The study aims to define the concept of parallelism and identify its types with illustrative examples to explore this part of text which contribute in elevating and highlighting the textual values as well as the aesthetic value created by the poet. This is true because parallelism relationship add to the text an aesthetic value through utilizing paradises and similarities. This trend entails a delicate orientation and a flow of creation intellectuality.

التمهيد:

يعد مفهوم التوازي من المفاهيم المعاصرة في تحليل النص الأدبي، وهو التوالي الزمني الذي يؤدي إليه توالي السلسلة اللغوية المتطابَقة أو المتّشابهة، ويشمل العناصر الصوتية والتركيبية والدلالية، وأشكال الكتابة وكيفية استغلال الفضاء[١] "وهو ما يسمح بالحديث عن نمطين اثنين، هما التوازي الظاهر والتوازي الخفي"[٢]. ويسمى التوازي في بلاغتنا العربية القديمة استنادًا على ذات المفهوم بالتقسيم، والتقسيم كما عرفهُ لنا ابن رشيق القيرواني هو "استقصاء الشاعر جميع ما ابتدأ بهِ"[٣]، ويضرب ابن رشيق لذلك مثلاً من أشرف المنثور قولهِ (ﷺ): "وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لَبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت"[٤].

لذا يمكن القول إن مقولة «التوازي تتعدى كونها تقنية تحرك البنية التركيبية للألفاظ إلى كونها ظاهرة متجذرة في التكوين النصي على كل مستوياته، ابتداءً من أصغر مكوناته اللسانية المتمثلة في الدال اللغوي وأقسامه اللسانية، إلى التراكيب الجملية، وبالتالي إلى بنية النص الكلية»(٥).

وقد أشار تودوروف إلى الدراسة الأهم، وعدَّ رومان جاكبسون قدَّم "الدراسة الأدق للنظام المكاني في الادب، فبين في تحاليله للشعر أن كل طبقات الملفوظ، بدءًا من الفونيم وسماتهِ التمييزية، ووصولاً إلى المقولات النحوية والمجازات، يمكن أن تندرج في انتظام مركب حسب تناظر أو تدرج او تناقض أو توازٍ ... الخ مشكِّلة بمجموعها بنية فضائية حقيقية"(٦).

ثم يعود جابكسون من جديد ليطرح ما يسمى (بنظام التماثلات) مشيراً في المفهوم الى التوازي، فنجدهُ يقول: "وهناك نظام التماثلات منتظمة في التأليف وتدرج للعناصر على مستويات مختلفةِ: التراكيب النحوية، الاشكال القواعدية والاصناف القواعدية والمترادفات الكلمية وتطابقات بني المفردات كلية معجمية وأخيراً تراكيب صوتية وأطر عروضية، ويُضفي هذا النظام على الأبيات المترابطة عن طريق الموازاة توافقاً واضحاً وتنوعاً عظيماً على السواء، وفي خلفية الكَل المتكامل يبرز تأثير التنوعات الصوتية والمعجمية والمعاني رائعاً"(٧).

عند ملاحظتنا لظواهر التوازي لنص ما من خلال إدراك المتماثلات والتقسيمات بانتظام أفقي وآخر عمودي، سيثير ذلك التنظيم في أنفسنا أسئلة عن نوعية التوازي الموجود هل هو أفقي أم عمودي؟ أم أنهُ نحوي أم بلاغي او أنهُ صوتي؟ ام هل هو تشابه أم تضاد أم أنهُ تقسيم لما تمَّ إجمالهُ مسبقاً؟ ثم ما الهدف من وراء ذلك كله، وبعد هذه الاسئلة لا بد أنهُ ستقودنا الحاجة إلى إيجاد أجوبة واضحة لها.

ولذلك "يمكن بصعوبة لمشكلة هامة بالنسبة للسانيات والشعرية مثل مشكلة التوازي أن تتم السيطرة عليها اذا حصرنا بشكل منتظم التحليل في الأشكال الخارجية"(٨) المتقابلة والمتماثلة منها إذ "يبرز التماثل عن طريق الموقع الوزني التطابق النحوي لفاعلين، او التطابق الصرفي لاسمين، أو التطابق المعجمي او في بعض الأحيان حتى الصوتي"(٩). وممكن تقسيم أنواع التوازي على:

أولًا : التوازي النحوي

"إن أنساق التوازيات في الفن اللفظي تخبرنا، بشكل مباشر عن الفكرة التي تتكون لدى المتكلم عن التماثلات النحوية، ذلك أنهُ يمكن لدراسة مختلف أنواع الرخص الشعرية في مجال التوازي، وكذلك لدراسة المواضعات التي تخص القافية أن تَزودنَا بمفاتيح نفسية لتأويل بناء لغة معطاة، ولتأويل الاهمية النسبية لمكوناتها"(١٠). ولذلك فإن "تحليلاً لسانياً صارماً يسمح بإدراك مختلف تجليات التوازي"(١١)، فإنَّ الموازاة الشعرية تمثل بدورها "دعماً مهماً للتحليل اللغوي للغة، وتحقيق ذلك عن طريق توضيح اية أصناف نحوية أو اية مكونات للبنى النحوية تدركها جماعة لغوية ما، على أنها متعادلة، وتبعاً لذلك، يمكن أن تقوم بدور الوحدات المتوازية(١٢)"

كأن يكون الشطر الاول من نص ما عبارة عن فعل + فاعل + مفعول بهِ ويليهِ في الترتيب الشطر التالي له بالطريقة نفسها، ومن ذلك مثلاً:

وضعـــوا علـــى فمـــهِ السلاســـلْ
ربطـــوا يديـــهِ بصخـــرة المـــوتى،
وقالـــــوا: أنت قاتْـــــــــــل!
أخـــذوا طعامـــهُ، والملابس، والبيارقْ
ورمـــوهُ فـــي زنزانـــة المـــوتى،
وقالـــــــوا: أنـت ســـارق! (١٣)

فهنا نجد التوازي النحوي واضح في وجودهِ العمودي في النص بتوازي الفعل وفاعله مراتٍ في (وضعوا، ربطوا، أخذوا)، ليزيد هذا التوازي من شعرية النص ولتتكاتف هذهِ الشعرية بتقاطع هذا التوازي بتوازي أُفقي وهو توازي بلاغي سمتهُ التعديد والتقسيم في (أخذو طعامه، والملابس، والبيارق).

ومن الأمثلة الأخرى للتوازي النحوي هو توازي (شبه الجملة) في قولهِ

الـــدوح مروحـــةٌ وحـــرشُ السنديانْ
مشـــــــط صـــــــغـــير
للآخـــــــــــــــــــرين...
و حريـــر صـــدَرك، والنـــدى والأقـــوان
فَـــــــــرش وَثيـــــــــــــر
للآخـــــــــــــــــــرين...(١٤)

فهنا توازي بين للأخرين الأولى والثانية عمودي يتقاطع مع التوازي البلاغي في (وحرير صدرك، والندى والأقحوان).

ومن انواع التوازي النحوي (النفي) مثالهُ:

و لم يضـــع رسالـــة ... كعادة المسافرين
تقـــول إنـــي عائـــدُ ... و تسكتَّ الظنون
و لـــــم يخـــــط كلمـــــةً...
تضـــــيء ليـــــل أمـــــهُ الـــتي...
تخاطـــــب السمـــــاء والأشياء (١٥)

فهنا (ولم يضع، ولم يخط) تقوم بوظيفتها الشعرية كنية دلالي تجعل التفكير يتركز عليها ويعاودها، لتوازيها، كذلك من أنواع التوازي النحوي النداء في قوله:

قـــــولوا لهـا، يا ليـــــل! يا نجـــوم!

يـــــــــا دروب! يا سحـــــــــاب!
قــولوا لها: لـــن تحمـــلي الجـــواب (١٦)

فهنا النداء يتوازى توازي افقي (ياليل، يانجوم) وعمودي بتكراره في الشطر الثاني، هذا التأكيد على معاودة النداء، لهُ مَن الشعرية ما يجعل المتلقي يحس بكوامن الشاعر وإلحاحه في توجيه النداء بهذه الطريقة الملحة.

ثانيا: التوازي المعجمي

وهو التوازي الناتج عن توالي الوحدة المعجمية نفسها أفقيًا أو عموديًا.

وإن كان بالضبط الوزن، هو الذي يفرض نسبة التوازي: البنية التطريزية للبيت في عمومه، الوحدة النغمية وتكرار البيت والاجزاء العروضية التي تكونهُ، فأنها لابد تقتضي عناصر الدلالة النحوية والمعجمية توزيعًا متوازيًا، ويحظى الصوت حتمًا بالأسبقية على الدلالة"(١٧).

ولكن التكرار وإن كان للصوت فيه تأثير فلا تخلو الدلالةُ منهُ، ولاسيما التأكيد، وهذا ما يتضح في تكرار وتوازي الألفاظ المعجمية نفسها.

ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر:

بايـــــــــعت أحـــــــــــزاني..
و صافـــــحت التشـــــرد و الســـغب
غـــــضـــــــبٌ يـــــــــدي..
غضـــــــــــبٌ فـــمـــــــي..
و دماء أوردتـــي عصـــير مـــن غضب!(١٨)

فهنا يبدو التوازي في الوحدة المعجمية (غضبٌ) واضحٌ إذ أنا هذا التوازي ينبئ بوجود رسالة أراد الشاعر إيصالها بطريقة تفوق الاعتياد، وكان الشاعر قد نجح إذ أضاف (غضب) بالتوازي مرة إلى (يدي) وأخرى إلى (فمي) ليؤكد أنهُ يَغلي حتى النخاع لاسيما عندما جعل دمهُ الذي يمشي في أوردتهِ عصارة ذلك الغضب.

كذلك في قولهِ:

أخـاف يا أحـــبتي .. أخـاف يا أيتـام ..
أخـاف أن ننساه بين زحمـــــة الأسمـاء
أخاف أن يـــذوب فـــي زوابع الشتاء!
أخاف أن تنـام فـــــي قلـــــوبنا
جـــــــــراحـــــــــنا.
أخـــــاف أن تـــــــــنام (١٩)

فهنا يعدد الشاعر مخاوفه بتوازي أفقي في الشطر الاول من النص، ثم لينتقل إلى إكمالها بتوازي عمودي معدداً إياها الواحد تلو الأخر في الأشطر الأخرى، وإنما يوحيهِ ذلك التوازي من شعرية هي اتساع ذلك الشعور في الخوف من انتشاره في تلك التفاصيل كلها، والإحكام في تمام النسيان.

غصت دروب الموت... حين سدها المسافرون
ســـــدت دروب الحزن... لـو وقفت لحظتين
لحـــــــــــــظتـــــــــــــين! (٢٠)

فهنا من المبالغة في التشبيه أن جعل الاحزان كالدروب، تلك الدروب المزدحمة بالأحزان هي كالدروب المزدحمة بالمركبات إن سُدت للحظة ينتج الاختناق المروري، فالأحزان تكثر فيها تسد الدروب التي تسير فيها، ذلك المعنى تؤكدهُ وجود الوحدة المعجمية (لحظتين) (بالتوازي)، فكان هنا محاذيف تقول: حتى لو كان الوقوف للحظتين فقط، فهنا التكرار المتوزاي وظيفته الشعرية (التعجب).

كـــــــــان القـــــــــمـــــــــر
كـــعهـــــده - منـــذ ولـــــدنا - باردا
الحـــــــزن فـــــــي جبينهِ مـــرقرق.
روافـــــــــــدا ... روافـــــــــــدا
قـــــــرب سيـــــاج قـــــريـــــة
خـــــــــــرَّ حـــــــــــزيناً
شـــــــــــــــــــــــارداً...(٢١)

هنا توازي معجمي أُفقي تمثلهُ الوحدة (روافدا) والتي وظيفتها الشعرية (التكثير)، ولتزداد الصورة مبالغة نجد الشاعر جعل الحزن في جبين القمر مرقرقًا، وعادةً ما يلتصق بالجبين الذل أو العز اما الحزن فمَكانهُ القلب ولكن الحزن الذي أرادهُ الشاعر في هذه الصورة هو الناتج عن الذلُ والهوان الذي يفرض على الإنسَان فتسلب منهُ أشيائهُ العزيزات مما يورث الهم والحزن.

حلـــــــقتُ ذقـــــــني مـــــرتين!
مسحـــــــتُ نعـــــــلي مـــــرتين
أخـــــذت ثـــــوب صاحـــبي...وليرتين...
لأشتري حلـــوى لها و قهوة مع حليب ..(٢٢)

فهنا التوازي الأفقي التي تمثلهُ الوحدة المعجمية (مرتين) إفادة المبالغة في الاهتمام ليقابلهما كسر التوقع وأُفقه، عند عدم حضور الحبيبة إلى الموعد الذي ينتظر الشَاعر.

ثالثا : التوازي الصوتي

"بالطبع تخلق البنى الصوتية والوسائل العروضية على الاخص ظرفاً مناسباً للإحساس بالموازاة الشعرية"(٢٣). والتوازي على مستوى الشعر يتعلق بنسبة البيت الموسيقية أو الصرفية والنحوية أو الدلالية، أما بالنسبة للبنية الصوتية فالأمر يتعلق بتكرار المقاطع من جهة ومن جهة اخرى تكرار الجناس، السجع، وبالقافية(٢٤). ويتمثَّل التوازي الصوتي عند جاكبسون في التكرار والقافية والترصيع والسجع والتطريز، وعدد المقاطع او التفاعيل والنبر والتنغيم (٢٥).

أما من انواع التوازي الصوتي هو التقابل العروضي بين شطرين:

وصارعـــت الذئاب، وعـــدت للبيتِ
بـــلا رنَّات ضحكـةِ حلـــوةِ البيتِ
بَغيـــر حفيـــف قبـــلتها
بغيـــر رفيـــف لـــمستها
بغير سؤالها عني، وعـــن أخباري
مـأســـاتي (٢٦)

فهنا التوازي بين الشطرين الثالث والرابع فالتفاعيل فيها تامة التوازي بصوائتها وصوامتها.

بغير حفيـــف قبلتـــها
-U U -U /-U U -U مفاعـــلتن مفاعـــلتن

بغيـــر رفيـــف لـــمستها
-U U -U /-U U -U مفـــاعلتن مفـاعلتن

"صحيح أن البنيات الصوتية والأدوات التطريزية تفرض جواً جد ملائم لإدراك التوازي الشعري، إلا أنَّ هَذا التأثير يكون فيها أحياناً مخففا"(٢٧).

فتوازي التفاعيل بين هذين الشطرين تجعلنا ندرك فهماً خاصاً أراده الشاعر في التأكيد والتوضيح للفكرة المتوازية ضمن هذين الشطرين المتوازيين.

وحيداً أصنـــعُ القـــهـــوة
o - - -U /- - -U

وحيـــدا أشـــرب القـــهـــوة
o - - -U /- - -U

فأخَســـر مـــن حياتـــي...
أخســـرَ النشـــوة(٢٨)

فالتوزاي المقطعي العروضي بين الأشطر الاول والثاني أيضا وظيفتهُ الشعريةً التي نجح الشاعر في إيصالها هي التأكيد على الوحَدة التي يعيشها الشاعر.

وأختَـــــزن العـــــذاب لأننـــــــــي وحَـــــــدي
بـــــــــــــــدون حنـان كفيـــــــــــــــــكِ
U -U U- - U /- U مفاعلتـــــن فعـــــولان
بـــــــدون ربيـــــــــــــــع عيـــــــــــنيكِ!...(٢٩)
U- -U /-U U -U مفاعلتـ ـــــن فعـ ـــولان

هذا التوازي الحاصل بين الاشطر الثاني والثالث في النص يؤكد الفكرة التي يطرحها الشاعر في الشطر الاول والنص بصورة عامة، وهي الوحدة والخسارة، كل ذلك يعكس الشعور الذي يختزنهُ الشاعر في ثناياه ويحاول طرحهُ من خلال القصيدة شعرا.

لماذا نفتـــش عـــن أغنيات البكـــاء
بـــديـــوان شعـــر قديـــــم ؟
و نسأل يا حبنا ! هـــــل تـــــدوم ؟
أحبك حب القوافـل واحـة عشب و ماء
و حـــب الفقيـــــــــر الـــرغيـف!
كما ينبت العشـب بين مفاصل صخـــــرة
وجـــــــدنا غريبيـــــن يـــوما
و نبقـــى رفيـــقيـــــن دوما(٣٠)

فهنا التوازي الصوتي بين أخر شطرين في النص عندما تنتظم التوزيعات العروضية، "والحقيقة أَن التوزيع البنائي بشكل منتظم للنبور ولحدود الكلمات يجعلنا حساسين إزاء كل تجليات التوازي الصوتي والنحوي"(٣١)، هذا التوازي الذي بنيتهُ الفكرية تقابل دلالي، اذ التوازي قائم في التقابل بين (غريبين – رفيقين) وبنفس الانتظام الصوتي:

وجدنا غريبـــــــــــــــين يوما
U- -/ U- -/- - فـ عولن فـ عـــولن عـــولن

و نبقى رفيقـــــــــــــين دوما
U- -/ U- -/- - فعولن فعولـــــــن فعولـــــن

رابعًا : التوازي البلاغي

يمكن لبنية التوازي أن تستوعب الصورة الشعرية بما فيَها من تشْبيهات واستعارات ورموز، ويمكن للتوازي أن يتخطى حدود البيت أو المقطوعة لكي يستوعب القصيدة، حيث يتوازى مجموعة من الأبيات (مقطوعة) مجموعة أخرى ضمن القصيدة(٣٢). ويقسم (هوبكنس) التوازي إلى أنواع:

١. أما أنه ناتج عن تحسين وأما عن تأكيد هو الذي يولد التوازي شديد الوسم في الكلمة والمعنى... ويضم الاستعارة والتشبيه والتمثيل...الخ
٢. التوازي المنقطع (المتباين، المتعارض حيث يلتمس الأثر في تشابه الأشياء، ويضم الطباق والتباين الخ وذلك النَوع الذي يلتمس قيدِ الأثر في المغايرة(٣٣).

ثم يذكر لنا هوبكنس قولًا آخر يقول فيه "أن التوازي نوعان بالضرورة، فإما أن يكون التعارض موسوماً بشكل واضح وإما أنهُ بالأحرى أن يكون انتقاليًّا أو تلوينيًّا"(٣٤).

فأنواع التعارض هي (الطباق) (المفارقة) (المقابلة) اما الانتقالي التلويني فيقصد به التعديد اي بدون ترادف او طباق، وذلك إنما يمكن في وصف أحد ما محبوبتهُ فيقوم بالتنقل من صفة إلى أُخرى موازية لها في الحسن والجمال ليست بالضرورة ترادف أو طباق، ومثال ذلك أن ينتقل من وصف الوجه إلى الشعر إلى الجيد إلى الطلة وهكذا.

تحيّـــــــــةً ... و قبلـــــــــــــــةً
وليس عنـــــــدي ما أقـــــــــول بعْـد
مـــــن أيـــن أبتـــدي؟ .. و أيـــن أنتهي؟
ودورة الـــــــزمان دون حـــــــــــدْ
وكـــــل ما فـــي غـــــربتـــــي
زوادة، فيـــها رغيـــفٌ يابسٌ، ووجْـــد
ودفتـــرٌ يحمـــل عَنـــي بعـــض ما حملت
بصـــقت فـــي صفحاتِه ما ضاق بي من حقدْ
مـــــن أيـــــــن أبتـــــدي؟(٣٥)

النص مليء بالتوازنات البلاغية كما سنرى فمنها يقام على التضاد وذلك في قولهِ

مـــن أيـــن أبتدي؟ .. و أيـــن أنتهـــي؟

والشعرية التي يَثيرها على التضاد الأَفقي هو الحيرة وعدم التثبيت على اي هم يستطيع أن يجعل منهُ نقطة الابتداء وآخر ليكون آخرها، وما يجعل هذا المعنى أَكثر سعة ما جعلَهُ من نقاط في نهاية كل فقرة منها.

كذلك أسلوب التعديد في الأسطر التي تليها

وكـــــل ما فـــي غـــربتـــــي
زوادة، فـــيها رغيـــــفٌ يابسٌ، ووجْـــد
ودفترٌ يحمـــل عَنـــي بعـــض ما حمـــلت

إن أسلوب التقسيم والتعديد الذي أخذ بعداً أفقياً وأخر عمودياً يجعلنا نقف لنشعر بما كان المبدع قد شعر بهِ، هذا التوازي الذي قوامهُ التعديد نجح في إقامة اللغة التواصلية بين المبدع وبيننا نحن القراء لنتفاعل معه ونفهمهُ فْهماً صحيحاً، فالنص "لا يأخذ شكله الواقعي إلا من خلال نشاط القارئ مما يجعل فيه نصّا تفاعلياً، لأن التواصل أصبح يتطلب التشارك، فالحركة أصبحت تتجه مَن النص إلى القارئ وبالعكس"(٣٦).

ويستمر الشاعر في قصيدتهِ هذهِ بتوازيات بلاغية قوامها التعديد ليثري النص بالشعرية:

فكيـــف حـــال والـــــــدي؟
ألـــــم يـــزل كعهـــدهِ، يحب ذكر الله
والأ بـــناء .. والتـــراب .. والزيتـــــون؟

ثم

وكيـــف حال جـــــدّتـــي
ألـــم تَـــزل كعهدها تقعـــد عند الباب؟
تـــــدعـــــو لـــنـــا
بالخيـــــر ... والشَباب ... والثـــواب!

ثم

وكيـــف حال بـــــيـــتـــنا
والعتبة الملساء ... والوجاق ... والأبواب؟(٣٧)

هذه التوازيات بين المقاطع، إنما لها من الوظيفة الشعرية ما يجعلك تفهم سبب وجودها، فهذا التقسيم الذي أبداهُ الشاعر والتعديد في نصهِ، يؤكد ولههُ إلى كل شيء في بلدهِ الوالد واهتماماته والجدةُ وتفاصيل دعائها وحتى البيت بما فيه من عتبة وأبواب ووجاق، "والتقسيم تفيدنا مباحثهُ في التشويق وتنشيط ذاكرة المتلقي"(٣٨)، كما نرى.

اقبـــض علـــى عنـــق السنابـــل
مثـــلما عانـــقت خنـــجر!
الأرض، والفـــلاح، والإصـــرار،
قـــل لـــي: كيـــف تقهـــر...

هـــــذي الأقانـــــيم الثلاثـــة،
كيـــــف تقـــــهـــر؟ (٣٩)

إن التوازي الذي وظفهُ الشاعر قوامهُ التعديد والعطف وبما "أن العطف يقتضي المغايرة"(٤٠) فإن اجتماعها يثير لدينا فكرة موحدة تجمعها، وهذهِ الفكرة تتعزز بإطلاقهِ عليها أسم (الأقانيم الثلاثة)، والأقنوم الواحد الجوهر أو الاصل وهو في (اللاهوت المسيحي) هو أحد الأقانيم الثلاثة الأب، والابن، وروح القدس(٤١)، فإن الحالة التي لا تنفك عن الارض والفلاح والإصرار أبداً هي الجهاد.

كـــــان أبـــــي
كعهـــــده، محمـــلاً متاعـــبا
يـــطاردَ الـــرغيـــف أينما مضى...
لأجلـــهِ ... يـــصارع الثعـــالبا
و يصنـــــــع الأطـــفال...
و التـــــــــــراب...
والكـــــــــــواكبا...(٤٢)

فهنا التوازي الذي قوامهُ المجاز في المقطع (محملاً متاعباً)، يطارد الرغيف، يصارع الثعالب، ويصنع الاطفالّ)، كل هذهِ المجازات أدت إلى تركيز الشعرية في النص وبالتالي في ذهن المتلقي.

والبحـــــــرُ أبيـــــــضُ
هـــــذهِ سُفـــــني الأخيـــــرةْ
ترسو على دمع المدَينة، وهي ترفـــع رايتي،
لا رايـــــةُ بيضاء فـــي بيـــروت(٤٣)

فهنا التوازي قوامهُ تقابل دلالي يفهم من سياق الكلام في (والبحرُ أبيضُ، (اللون الأبيض) يقابلها (لارايةُ بيضاء)، (اللون في الغالب أسود) حيث لا سلام هناك ولا أمان، هذا الانعطاف في درجة التوازي الشديدة تجعل الفكرة اكثرُ وضوحاً، "واعتمادا على عود درجة التوازي يمكن تقديم الفرضية التالية؛ وهي كثرة الدرجة تسعى إلى تركيز الفكرة في ذهن المخاطب، وقلتها تسعى على المفاجأة وإلى التنوع"(٤٤).

كما أن التضاد يقوم بالعمل نفسهِ عند وجودهِ في نصٍ ما:

يا سيـــــــــد الجـــــمرهْ
يا سيـــــــــد الشعَّـــــلـــهْ
ما أوســـــــــع الثـــــورهْ
ما أضيـــــــــق الرحلَـــــــهْ
ما أكبـــــــــر الفكـــــــرهْ

ما أصغـــــــــــر الدولـــــــــــهْ! [٤٥]

فإن التوازي المصنوع من (أوسع، أضيق) و (أكبر، أصغر) تجعلني وتجعلك تشعر بالإحباط الذي شعر بهِ الشاعر بتركيز أكبر.

الخاتمة :

بعد هذا الدراسة في شعر محمود درويش توصل البحث الى جملة من الامور نجملها بالآتي:

- يشيع نسق التوازي في مستويات عدَّة منها: نحوي ومعجمي وصوتي وبلاغي.
- ممكن الحصول على التوازيات النحوية من خلال تعادل وجودها في النصوص افقيا او عموديا
- التوازي المعجمي وهو التوازي الناتج عن توالي الوحدة المعجمية نفسها أفقياً أو عموديا.
- أسهم التكرار في إثراء البعد الدلالي الصوتي عبر شحن التجربة الشعرية بثراء إيقاع النفس نتيجة قدرة المفردة المتكررة على التحول والتبدل من دلالة إلى أخرى لتوازي بذلك الدفق الشعوري المختزن في ذاكرة الشاعر.
- التوازي البلاغي يشمل انواع التقابل والتضاد والتكرار والتعداد، وتعد هذه الاشكال صورا من صور التوازي في النسق الشعري.

الهوامش

(١) ينظر: التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)، د. محمد مفتاح: ٩٧.
(٢) الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري – التشعب والانسجام، د. جمال بند حمان: ١٨٨.
(٣) كتاب العمدة، ابن رشيق القيرواني: ٣١٠.
(٤) مسند أبي داود: ٤٦٤/٢.
(٥) تقنيات التوازي البلاغية في «الممثلون» لنزار قباني، د. فايز عارف القرعان: ١٤٤.
(٦) ينظر: الشعرية، تزفيتان تودوروف: ٦٤.
(٧) أفكار وأراء حول اللسانيات والأدب، رومان جاكبسون: ١٠٥.
(٨) قضايا الشعرية، رومان جاكبسون: ٦٧.
(٩) أفكار واراء حول اللسانيات والادب: ١٢٩.
(١٠) قضايا الشعرية: ٦٧.
(١١) المصدر نفسه: ١٠٩
(١٢) أفكار وأراء حول اللسانيات والادب: ١١٠، وينظر: قضايا الشعرية: ١٠٩.
(١٣) ديوان محمود درويش، ج١٢/١، وينظر: ص ١٦،٣١.
(١٤) المصدر نفسه: ١٠؛ وينظر: ٣٤.
(١٥) المصدر نفسه،: ٢٠، وينظر: ١٤، وينظر: ١٩، ٢٢، ٢٣، ٤٩
(١٦) المصدر نفسه: ١٢.
(١٧) ينظر: قضايا الشعرية: ١٠٨.

(١٨) ديوان محمود درويش: م١/٧، وينظر: ١٨.
(١٩) المصدر نفسه: ١٩.
(٢٠) المصدر نفسه: ٢، وينظر: ٢٣، وينظر: م٢/٧٢، ٧٤، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ١٠١.
(٢١) المصدر نفسه، م١/ ٢٦.
(٢٢) ديوان محمود درويش، م١/ ٢٩.
(٢٣) أفكار وأراء حول اللسانيات والأدب: ١٠٩
(٢٤) ينظر: قضايا الشعرية: ٤٨.
(٢٥) ينظر: المصدر نفسه: ٨، وينظر: الموازنات الصوتية (في رؤية البلاغة والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة)، د محمد العمري: ٢٣.
(٢٦) ديوان محمود درويش، م١/ ٣١
(٢٧) قضايا الشعرية: ١٠٩.
(٢٨) ديوان محمود درويش، م١/ ٣١.
(٢٩) المصدر نفسه: ٣٢.
(٣٠) المصدر نفسه: ٦١.
(٣١) قضايا الشعرية: ١٥٩.
(٣٢) ينظر: قضايا الشعرية: ٨.
(٣٣) ينظر: G.M.Hopkiosa. c. نقلا عن قضايا الشعرية: ٤٨.
(٣٤) ينظر: قضايا الشعرية: ٤٨ والقول منقول عن هوبكنس.
(٣٥) ديوان محمود درويش، م١/ ص ٣٣، وينظر: م ١/ ٣٢
(٣٦) شعرية النص التفاعلي (أليات السرد وسحر القراءة)، د لبيبة خمّا:٣٦.
(٣٧) ديوان محمود درويش، م ١/ ٣٦-٣٧، وينظر: ٣٩، ٥٤، ٥٥، ٥٦، وينظر: ٦٦، ٧٨، ٧٩، وينظر: م٢/ ٦٩، ٧٦.
(٣٨) النص الادبي بين التلقي وإعادة الإنتاج (من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة)، ميلود حبيبي، ضمن كتاب نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، (د.ت):١٦٧.
(٣٩) ديوان محمود درويش، م١/ ٤١.
(٤٠) الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين كيكلري العلائي :١٤٢.
(41) www. Almaany. Com/ar/ dict/ ar-ar/ أقانيم
(٤٢) ديوان محمود درويش، م١/ ٢٧-٢٨.
(٤٣) المصدر نفسه، م٢/ ٦٦.
(٤٤) التشابه والاختلاف: ١١٨.
(٤٥) ديوان محمود درويش، م٢: ٧٧، وينظر: ٤٧، ١٠٠.

المصادر والمراجع

- أفكار وأراء حول اللسانيات والأدب، رومان جابكسون، ت فالح صدام الأمارة، د. عبد الجبار محمد علي، مراجعة د. مرتضى باقر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠ .
- الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري – التشعب والانسجام، د. جمال بند حمان، رؤية للنشر ، القاهرة ط١، د.ت.
- التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط١ الاولى، ١٩٩٦.
- تقنيات التوازي البلاغية في «الممثلون» لنزار قباني، د. فايز عارف القرعان، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، مجلة علمية نصف سنوية محكّمة، جامعة اليرموك، إربد - الأردن، مج٦، ع١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ديوان محمود درويش، المجلد الاول، دار العودة، بيروت، ط١، ٢٠١٠ .
-الشعرية، تزفيتان تودوروف ، ت شكري مبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٢ ١٩٩٠.
- شعرية النص التفاعلي (أليات السرد وسحر القراءة)، د لبيبة خمّاء، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٤ .
- العمدة، ابن رشيق القيرواني، شرح وضبط د. عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ج٢، ط الثانية، ٢٠٠٦.
-الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين العلائي، تحقيق د. حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، ط١، ١٩٩٠.
- قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ت محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٨ .
- مسند أبي داود، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ) تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- الموازنات الصوتية (في رؤية البلاغة والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة)، د محمد العمري، افريقيا الشرق،
- النص الادبي بين التلقي وإعادة الإنتاج (من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة)، ميلود حبيبي، ضمن كتاب نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، (د.ت).
www. Almaany. Com/ar/ dict/ ar-ar _/ أقانيم

الإبْدال الصَّوْتِي في كِتَابِ وَشْي الحُلَلِ في شَرْحِ أبْياتِ الجُمَلِ لأبِي جَعْفَر أحْمَد بن يُوسُف اللَّبْليّ (٦٩١هـ)

أ.د. علي حسين خضير الشّمّري
جامعة الأنبار- كلية الآداب
قسم اللغة العربية
alirumadi@yahoo.com

الباحث عبدالقادر عبد صالح
جامعة الأنبار- كلية الآداب
قسم اللغة العربية
a_abdoo15@yahoo.com

الملخص :

المأمول من هذا البحث، أن يَستطيع المُطَّلع عليه التعرف إلى القيمة الدلالية الصوتية بوصفها وحدات تمييزية تنتج منها آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة فمن المعلوم أن الجانب الصوتي هو ركن أساس في بيان المعاني، وقد تبيَّن لكثير من العلماء قديمًا وحديثًا أن للجانب الصوتي أثرًا دقيقًا في توضيح الدلالة ولاحظوا مناسبة الحروف لمعانيها، فرأوا أن المادة الصوتية في الصوامت والصوائت لها أثر في استدعاء المعنى أو الإيماء إليه، ولعل إدراك علمائنا العرب هذه الروابط اللغوية الصوتية الدلالية المتمثلة في فهم المعنى هي التي جعلتهم يبحثون في العلاقة القائمة بين علمي الأصوات والدلالة منطلقين في توضيحها من الأثر الذي تؤديه الصوامت والصوائت في تحقيق التنوع الدلالي مشيرين إلى وجوه بعض العلاقات والروابط القائمة بين أصوات كثير من الكلمات وما تدل عليه . هذا ما نبغي الوصول إليه في بحثنا هذا .

Abstract

It is hoped that the reader of this research will be acquainted with the phonological, semantic value as distinctive units leading to the production of thousands of words with different meanings. It is known that the vocal side is a cornerstone in the statement of meanings, and it has been shown to many scientists old and recent that the vocal side has a precise effect in clarifying meaning. They noticed the appropriate letters of meanings and they found that the sound material in consonants and vowels has an impact on recalling meaning or referring it. Perhaps the recognition of our Arab scientists these semantic phonological links in the understanding of meaning is what made them examine the relationship between phonology and semantics starting to clarify the impact of the consonants and vowels in achieving the diversity of semantic pointing to the aspects of the relations and links between the sounds of many words and Indicate it. This is what we intend to reach in our research .

مقدمة

تعدُّ هذه الدراسة من صميم علم الأصوات الوظيفي أو الفونولوجي، فالإبدال بين الصوامت والصوائت القصيرة ، الذي يقع على مستوى الوحدات اللسانية فيمتدّ تأثيرها إلى بنيتها الدلالية، فيسهم في تغيير دلالتها، أو تبقى الكلمة محافظة على معناها فقد استرعت قضية الألفاظ ودلالتها الباحثين في مختلف فروع المعرفة، ولم يكن لغويو العربية بدعًا من هؤلاء فقد أقروا بالإقناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله، وعلى الرغم من أن الباحثين تداولوا كثيرًا تعريف ابن جني في اللغة على "أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[١] فإن هذه الدراسة تريد أن تأخذ على عاتقها ربط أصوات اللغة بالأغراض والمقاصد فابن جني يرى أنّ هذا الربط أمر طبيعي في اللغة ومكوِّن من مكوناتها[٢]، إذ قال: "فإن كثيرًا من هذه اللغة وجدته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها، ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف، وكذلك قالوا: صرَّ الجندب، فكرروا الراء لِما هناك من استطالة صوته"[٣]، وقد تتبعت هذه الظاهرة في كتاب وشي الحلل وقد أفرزت دراسة هذا الكتاب ظواهراً لغوية متعددة في الصوت والنحو والصرف والدلالة من هنا كانت دراستنا في القضايا الصوتية فشملت بعضًا من المباحث الصوتية انتظمت في خطة معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي، وفقًا لطبيعة الموضوع الذي يحتاج الوصف والتفسير والتحليل، قائم على مطلبين سبقا بمقدمة وتلتهما خلاصة بأهم ما توصل إليه البحث مذيلة بروافد البحث من مصادر ومراجع، ضمّ المطلب الأول الإبدال بين الصوائت وجاء المطلب الثاني: ليدرس الإبدال بين الصوامت، ثم بعد ذلك أفضى البحث إلى أمور نحسبهما على جانب من الأهمية.

أهمية البحث وأهدافه

تعامل علماء اللغة مع مستويات الدراسة اللغوية الصوتية الصرفية والنحوية والدلالية، على أنها جزء لا يتجزأ من نظام لغوي متكامل يمثل الدرس الصوتي العنصر الرئيس فيه، إذ يشكل الصوت اللغوي الدعامة الأساس التي قامت عليها الدراسات اللغوية، وقد أكدت دراسات علمائنا القدماء والمحدثين على الحديث عن أثر الصوامت والصوائت في المستويات اللغوية .

من هنا تكمن أهمية البحث في سعيه إلى توضيح الأثر الحقيقي الذي تؤديه الصوائت القصيرة والطويلة بوصفها فونيمات في الجانب الدلالي الإفرادي والسياقي من الدراسات اللغوية .

الصوت والمعنى (الدلالة الصوتية)

الدلالة الصوتية: "هي الدلالة التي تعتمد على الأصوات في نغمها وجرسها"[٤].

تعد الدراسة الصوتية المحور الأول للولج إلى عالم النص والكشف عن أغواره، فهي اللبنات الأولى لتكوين الكلام، وتعد من أهم مظاهر الدراسات اللسانية الحديثة المعاصرة ، وقد اعتنى علماء العربية المتقدمون بفكرة

الصوت وما يؤديه من معانٍ منذ وقت مبكر وأشاروا إلى العلاقة بين مسألة الأصوات ودلالاتها، إذ إنها نالت عناية كبيرة لديهم؛ لأنّهم يرون أن هذه المسألة قد ارتبطت بقضية نشأة اللغة(٥)، ولعل أول من تنبّه إلى هذا الخليل بن أحمد، إذ جاءت عنه بعض المحاولات التي قام فيها بربط الألفاظ بمدلولاتها(٦) ثم جاء بعده سيبويه ونبّه إلى نوع آخر من هذه الإيحاءات، وهو ما توحي به كل صيغة من الصيغ الصرفية من معان مجردة، وتوالت بعدهم الإشارات في ثنايا الكتب للعلماء إلى أن وصل الأمر إلى ابن جني فوقف عنده وقفة يشار إليها بالبنان ووضع لها حدًا وتعريفًا، إذ قال: على أن اللغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٧) وقد بلغت ذروتها إذ سماها الدلالة اللفظية إذ قال: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء وشحيج الحمار، ونعيق الغراب وصهيل الفرس ... ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد"(٨)، فعدّها من أقوى الدلالات، قال: "والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية"(٩)، ويلحظ أن ابن جني تميز عن غيره في بحوثه الصوتية والدلالية فوضع في كتابه الخصائص بابين لبيان مظاهر هذه الدلالة الصوتية :

الأول: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، **والثاني** إمساس أشباه المعاني(١٠)، وأنكر العلاقة الاعتباطية؛ لأنّ اللفظ نفسه يدل على الحدث وصورته ولم يكتف بذكر مظاهر الصوت والمعنى بل يذكر البراهين التي تدل على قصدية العلاقة بين الصوت والمعنى(١١).

ويرى القيرواني (ت٤٦٣هـ) أنَّ "اللفظ جسم وروحه المعنى يرتبط به"(١٢)، وأن هذه المسائل لعلها كانت معروفة لدى القدماء بالأمثلة والتطبيقات، وعلى الرغم من ذلك لم يحددوا مصطلحًا واضحًا لهذه الظاهرة(١٣). أما الدلالة الصوتية فهي تسمية حديثة شغلت حيزًا كبيرًا من الدراسات اللغوية عند المُحْدَثين(١٤)، فالصوت "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها من دون أن ندرك كنهها"(١٥)، وللصوت اهتزازات وتذبذبات فقد "ثبت علميًا أن للصوت اهتزازات محسوسة في موجات الهواء تنطلق من جهة الصوت، وتذبذب من صانعه المصدرة له، فتسبح بالفضاء حتى تتلاشى، يستقر الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها، فتوحي بدلائلها فرحًا أو حزنًا ..."(١٦) وأن ما تؤديه الأصوات المؤلفة للكلمة هو إظهار المعنى وكشفه، وتتحقق الدلالة الصوتية من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء ويعرف بالعناصر الصوتية الثانوية(١٧)، وأنّ المدلول الصوتي للفظة لا يسلم دائمًا؛ لأنّه تحدده التعريفات التجريدية التي تحددها المعجمات، وذلك لأنّ لكل كلمة لها استعمالاتها التي تكون في قيمها التعبيرية، فقيمة اللفظة عندما ينقطع مدلولها(١٨)، وقد بدا الدكتور صبحي الصالح متأثرًا بما صنعه ابن جني، وأيده فيما يتعلق بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها(١٩)،وتحديد مفهوم الدلالة الصوتية هو استعمال المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ حتى يَحْدِث تعديل أو تغير في معاني الألفاظ؛ لأنّ كل صوت مقابل استبدالي لآخر، فاستبداله بغيره أو تفسيره لابد أن يعقبه اختلاف في المعنى(٢٠)، وقد أطلق أحد الباحثين على علاقة الصوت بالمعنى اسم (المحاكاة الصوتية) وهي تعني حكاية الصوت للمعنى، أي: تمثل الأصوات لمعانيها، وهو ما

يسمى في علم اللغة الحديث بالقيمة الدلالية للصوت[٢١] ويخلص أحد الباحثين إلى نتيجة عامة هي أن "كل حرف أو حركة في اللغة العربية يمكن أن يكون مقابلًا استبداليًا فالحروف في تبدلها ذات وظيفة فونيمية، كذلك الحركات لها دلالات صوتية، أي: ذات وظيفة أقرب إلى وظيفة الحروف في تغير الكلمات"[٢٢]، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن سبب حدوث الإبدال فونيمية هو التطور الصوتي وأن الكلمة الشائعة في الاستعمال هي الأصل، والأخرى هي التي حدث فيها التغير[٢٣]، وأشار أيضا إلى أن الاختلاف الضعيف في المعنى مع صعوبة الربط الصوتي يدل على أن الكلمتين تنتميان إلى أصلين مختلفين[٢٤].

وإشارته إلى المعنى الحاصل بين الإبدال وإن كان ضعيفًا يعد التفاتة ذكية، فهو من القلائل الذين أشاروا إلى ذلك، وهذا هو الذي ينبغي أن تؤكده الدراسات الحديثة في دراسة التغير الدلالي الحاصل بسبب التنوع الصوتي في بنية الكلمة سواء أكان ذلك على مستوى الصوامت أم الصوائت وهو ما سيكون غاية أساسية يتبناها هذا المبحث، فقد يؤدي الإبدال الصوتي في القراءة على مستوى الصامت أو تغير الضبط الحركي إلى تغير المعنى من قراءة لأخرى، مع ملاحظة أن هذا الاختلاف في المعنى ليس اختلاف تناقض أو تغايرٍ في دلالة المفردة وإنما اختلاف التنوع في الفهم أو المعنى بما يزيد من وضوح المراد، وشاهد على تقارب المعاني وتداخل استعمالاتها إذا تقاربت حروف معانيها، ولنا فيما جاء من كتاب الله من إبدال دليل على ما ذكرنا، فإذا تأملته وجدته أمرًا مقصودًا لكل جزئية من جزيئاته قائمًا على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز في الكشف عن سرٍّ مستور أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم[٢٥]. وتنبغي الإشارة إلى أن هناك نوعين من الإبدال الصوتي وتغير الضبط الحركي للمفردة **أحدهما:** الإبدال الصوتي على مستوى الصامت أو تغير على مستوى الصائت لا يصاحبه تغير في المعنى، وهذا يقصد به الإبدال اللغوي .

والثاني: الإبدال والتغير في المستوى نفسه، ويصاحبه تنوع في دلالة المفردة وهذا النوع هو ما نحن بصدد دراسته في هذا المبحث . فقد لاحظ اللَّبْلِيّ من تنوع دلالة الألفاظ في الكتاب أثر في تلمس المعاني المختلفة تبعًا لذاك التنوع قد تلمسنا أثر الصوت في المعنى (الدلالة الصوتية) لدى الشارح في توجيهه لطائفة من الألفاظ توجيهًا صوتيًا قائما على الإبدال فيما بين الصوائت أو الصوامت، وإليك إيضاح ذلك فيما يأتي:

المبحث الأول: الإبدال الصوتي بين الصوائت

من خصائص اللغة العربية اعتمادها في تغير معاني الكلمة المكونة من مجموعة الصوامت على تغيير الصوائت، إذ لا يمكن الفصل بين الحرف وحركته، فالحركة للحرف كالروح للجسد يحيا بوجودها ويموت بفقدها، وقد تنبه علماء اللغة من القدماء والمُحدَثين إلى أهمية التشكيل الصوتي الحاصل بفعل الصوائت القصيرة أو الطويلة في إنتاج أبنية مختلفة[٢٦]. وفي العربية نوعان من الصوائت، الأول: صوائت قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة، والأخرى طويلة هي الألف والواو والياء المدية، وقد تختلف دلالة اللفظ بتغير الصوائت مثلما قد تختلف دلالته باختلاف الصوامت، كما سيأتي ذلك لاحقا، إذ تمتاز الصوائت القصيرة بالقوة والضعف في تركيبها؛ لأنّ أقوى الحركات هي الضمة تليها الكسرة ثم أخفهن الفتحة، ولم يغفل القدماء عن

قوة الصائت وضعفه إذ إن هذه العلاقة مرتبطة بقوة المعنى وضعفه، ومنهم سيبويه [٢٧]، والمُبَّرد[٢٨]، وابن جني[٢٩] . ولم يبتعد المُحْدَثون من أهل اللغة عن تقريرات القدماء لهذه الظاهرة الصوتية، في قدرة الصوائت على التفريق بين معاني الألفاظ، فالدكتور عبد الصبور شاهين يقول: "إن الحركات هي التي تستقل بتوجيه الدلالة إلى حيث يريد المتكلم، فإذا أراد وصفًا للفاعل استخدم من الحركات ما يؤدي معناه، وإذا أراد اسم المفعول فإن له حركاته الخاصة وهكذا ... ويقول أيضًا ونرى نحن أنه: استخدام العنصر المتغير – أساسا – وهو الحركات لتشخيص معنى المادة في صيغة مراده"[٣٠] . لقد تنبه اللَّبْلِيّ إلى أثر الصائت في المعنى ولم يغفلها، وذلك من خلال وقوفه عند الألفاظ المختلفة في حركاتها، ومنها :

أولا : الإبدال بين الضمة والفتحة

أَكْل – أُكْل:

ورد ذلك عندما عقّب اللَّبْلِيّ على قول الشاعر[٣١]:

إِذَا الرِّجَالُ شَتَوْا وَاشْتَدَّ أَكْلُهُمُ فَأَنْتَ أَبْيَضُهُمْ سِرْبَالَ طَبَّاخ

إذ قال: "أُكلُهُمُ فيه ثلاث روايات: ... فأما من روى أُكْلُهُم بضم الهمزة مع تسكين الكاف، فأنه أراد قُوتهم وطعامهم الذي يأكلونه، أي: غلت أسعارهُم، ومن رواهُ: أَكْلُهُم بفتح الهمزة مع تسكين الكاف، فمعناه كَثُرَ أَكْلُهُم، وذلك أن الأَكْلَ يكثُرُ في الشتاء بسبب قلة الطعام، وعدم وجدانه فهم لا يجدون إلا بعد جهد وجوع، فإذا وجدوه بالغوا في الأكل، ويكون الأكل بفتح الهمزة بمعنى المأكول"[٣٢]، قال أبو عبيدة: أَكَلْتُ أُكْلَةً – أي: لقمة وأَكلت أَكلة – إذا أكل حتى يشبع، والأُكل بالضم: القوت والرزق، ومنه قيل: للميت انقطع أُكله[٣٣]، إنّ اختلاف الصائتين أدّى إلى اختلاف الدلالة، فلما كانت الفتحة أخف وأضعف من الضمّة عبّروا بها عن كثرة الأكل، ولمّا كانت الضمّة أثقل وأقوى عبّروا بها عن القوت والرزق، فالأكل يقلُّ في الشتاء ويكون الحصول عليه بصعوبة، ففصل الشتاء يمنع التصرف والتحرك وتنقطع الميرة فيكون الجهد مضاعفًا، و" الأَكَلَةُ: المرَّةُ الواحدةُ من أَكَلْتُ، والأُكْلَةُ: اسم لما يؤكلُ من دفعة واحدة ولهذا عُبِرَ عنه باللُّقْمَةِ، وحكى الأصمعي عن بعضهم لأَكْلَةٌ مأدومَةٌ أحبُّ إليّ من عشر أَكَلاتٍ قِفَارٍ"[٣٤] .

سَدُوس – سُدُوس :

وضّحَ اللَّبْلِيّ ذلك عند تعقيبه على قول الشاعر[٣٥]:

فَإِنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بِدِرْهَمَيْهَا فَإِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ

إذ قال: "سَدُوسُ بفتح السين: قبيلة من بني شَيبَانَ، وبضم السين قبيلة من طَيِّئٍ، هذا قول ابن الكلبي، ورد المُبَّرد على سيبويه، وجعل سَدُوسَ بالفتح اسم امرأةٍ، وقال الأصمعي: اسم الرجل: سُدُوسٌ بالضم، وأما السَدُوسُ بالفتح فهو الطيلسانُ"[٣٦]، وقال أبو عبيدة: السَدُوس بالفتح الطيلسان، واسم الرجل سُدُوس

بالضم، وذكر ابن حبيب (ت: ٢٤٧هـ)[٣٧]: أنّ كل سَدُوس في العرب مفتوح السين إلا سُدوس بن الأصمع بن ابي عبيدة بن ربيعة بن نصر بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ[٣٨] .

فالفارق الصوتي بين الصائتين الضمة والفتحة أدى إلى تغير الدلالة فلمّا كانت الفتحة أخف الحركات وأضعف من الضمّة كانت ملائمة لمعنى الخفة وكثرة الاستعمال؛ لأنّ العرب تميل إلى الخفة، ولما كانت الضمّة أثقل وأقوى لاءمت معنى الثقل والقلة؛ لأنّ ضم السين أثقل عليهم من الفتح .

ثانيًا: الإبدال بين الفتحة والكسرة

السَّبُّ – السِّبُّ

بيَّن اللَّبْلِيّ ذلك عند تعقيبه على قول الشاعر[٣٩]:

ولكنَّ نِصْفًا، لَوْ سَبَبْتُ وسَبَّني بنُو عَبْدِ شَمسٍ مِنْ مَنافٍ وهاشِمِ

إذ قال: "والسَّبُّ بفتح السين: الشتم، ورمي أعراض الناس بالمعايب، وذكرهم بقبيح القول، حُضَّرًا وغُيبًا، يقال سَبَّه يَسُبُّهُ سَبًّا، وسَابَّهُ مُسابَّةً وسِبابًا، والسِّبُّ بالكسر، والسبيب: الذي يُسَابُّكَ[٤٠]، السَّبُّ: الشَّتْم وإفراط العداوة وفيه فساد للدين وإضرار بأهله[٤١]، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٤٢]، قال الطبري: " قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سبِّ آلهتنا، أو لنهجوَنَّ ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، فيسبوا الله عدوًا بغير علم"[٤٣] .

ذكر أبو عبيدة أنَّ السِّبَّ بالكسر الكثير السباب، والسِبُّ: الَّذِي يُسابُّكَ. والسِّبُّ: السِّتْرُ، والسِّبُّ: الخمارُ، والسِّبُّ: العِمامة[٤٤]، ويبدو لنا أن هناك مناسبة بين اختيار الكسرة التي هي أقوى من الفتحة، فأعطيت الكسرة لقوتها لمعنى السِّب، فهو أشد وقعًا من ضرب السيف؛ لأنّه يقول في الرجل بما فيه وبما ليس فيه، لذلك يكون فيه إيذاء للمسلمين أعظم عليهم من المحاربة باليد[٤٥]، وأدى إبدال الفتحة إلى إبدال المعنى أيضا ويبدو أن هناك مناسبة بين اختيار الفتحة لخفتها لمعنى الشتم واختيار الكسرة لثقلها لمعنى القوة؛ لأنّ الكسرة أقوى من الفتحة .

حِجْر – حَجْر:

بيَّن اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر[٤٦]:

لِمَنِ الديارُ بقُنَّةِ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ حِجَجٍ ومن دهر

إذ قال: "الحَجْرُ بفتح الحاء: مدينة اليمامة، والحِجْرُ بكسر الحاء مدينة ثمود"[٤٧]، الْحِجْرُ يَنْطَلِقُ عَلَى مَعَانٍ: مِنْهَا حِجْرُ الْكَعْبَةِ. وَمِنْهَا الْحَرَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾[٤٨] أي: حَرَامًا مُحَرَّمًا. وَالْحِجْرُ: الْعَقْلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لِذِي حِجْرٍ﴾[٤٩]، وَالْحِجْرُ دِيَارُ ثَمُودَ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٥٠]، وَهُوَ الْمُرَادُ هنا، فـ "أَصْحَابُ الْحِجْرِ هم ثمود قوم صالح، الحِجْر واديهم هو بين المدينة والشام"[٥١]، وَ كانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ

الْجِبالِ بُيُوتًا يسكنون فيها آمِنِينَا ولم يبالوا بالآيات والرسول وتمادوا عليه فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ الشديدة الهائلة وهم كانوا حينئذ مُصْبِحِينَ- داخلين في الصباح- كقوم لوط فأهلكوا بالمرة وروى[٥٢]. الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما "أن صيحة ثمود كانت من تحتهم، وصيحة مدين كانت من فوقهم"[٥٣]

كذلك الحَجْر: بالفتح يوحي إلى معان عدّة لكن ما يهمنا ما قصده المؤلف وهو حَجْر: (قَصَبةٌ باليمامةِ) وَقيل: هِيَ سُوقُها، وَفِي المراصد: مدِينَتُها وأُمُّ قُراها[٥٤]. فالإبدال الصوتي بين الصائتين الفتحة والكسرة أدى الى فارق دلالي في المعنى، فنلاحظ أن الصائت القصير (الكسرة) جاءت مناسبة معنىً وشكلًا، أما المعنى فهو الشدة والهلاك من تحتهم وهذا أكبر دليل على قوة الله وقدرته عليهم، في حين أعطي الصائت القصير (الكسرة) لقوتها للمعنى الأقوى، أما شكلها فجاء ملائمًا للدلالة على الانخفاض وهو الوادي، في حين أوحت خِفةُ الفتحة إلى دلالة الانبساط .

نُعْذَرَا – نُعْذِرَا:

بيَّن اللَّبْلِيّ ذلك عند تعقيبه على قول الشاعر[٥٥]:

فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَينُكَ إنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا، أو نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

إذ قال: "فنُعذَرَا يروى بفتح الذال وكسرها، فمن فتح الذال فمعناه نُنْسبُ إلى العذرِ، أي: يقوم عُذْرَنَا معنا بالاجتهاد في الطلب، ومن كسر الذال فعلى معنى: نُبلِـغُ العُذرَ، أي: نأتي بما نُعذَرُ عليه، يقال: أعذَرَ الرجلُ: إذا بَلَغَ العُذرَ"[٥٦]، أما من فتح الذال فيجعل العذر ثابتًا، لذلك يقال: أعذر الرجل: ثبت له العذر، وقيل: اعتذر بمعنى أعذر أي: صار ذا عذر أي: أبلى عذرًا فلا يلام عليه، أما من كسر الذال فلم يثبت له عذر وهو المظهر للعذر اعتلالًا من غير حقيقة له في العذر وهو لا عذر له وهو مقصر ولم يبالغ وهو يرى أنه مبالغ [٥٧]، وقال الفراء: "لعن الله المعذّرين، ذهب إلى من يعتذر بغير عذر"[٥٨]، أما أبو هلال العسكري فقد فرق في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾[٥٩]، إذ قال: "المعذَر بالتخفيف: الذي له عذر صحيح، والمعذّر بالتشديد الذي لا عذر له وهو يريك أنه معذور"[٦٠]، وقال: ابن سيده: العذر "بفتح الذال أي: يعْذُرَنا الناس، ونعذِر بكسر الذال – أي: نبلغ العذر"[٦١]، أنّ اختلاف الصائتين أدّى إلى اختلاف الدلالة، فلما كانت الفتحة أخف وأضعف من الكسرة عبّروا بها عن النسب، ولمّا كانت الفتحة أثقل وأقوى عبّروا بها عن التبليغ.

المُدَجّج – المُدَجَّج:

وضّح اللَّبْلِيّ ذلك عند تعقيبه على قول الشاعر[٦٢]:

فَقُلْتُ لهم: ظُنّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ بالفَارِسِيّ المُسَرَّدِ

إذ قال: "المُدَجِّجُ بفتح الجيم وكسرها ... المُدجِّجُ بالكسر: الفارس، وبالفتح: الفرسُ؛ لأنّهم كانوا يَدْرَعُونَ الخيلَ"(٦٣)، قال الليث: "المدجّج الفرس الذي قد تدجج في شكته أي: شاك السلاح قال: أي: دخل في سلاحه كأنه تغطى به ... أما من رواه بالكسر فهو الذي عليه سلاح تام؛ لأنّه يدجج أي: يمشي رويدًا لثقله، وقيل: لأنّه يتغطى به"(٦٤)، أما المدجَّج بالفتح: فالفرس؛ لأنّهم يدرعون الخيل وقاية لها(٦٥)، وقال التبريزي: "وقد جاءت أحرف في لفظ الفاعل والمفعول هذا احدها"(٦٦). ويبدو مِمَّا ذكره الشارح أن الكسرة لقوتها أعطيت للمعنى الأثقل لِمَا يحمله الفارس من ثقل السلاح ، في حين جاءت خفة الفتحة مناسبة لمعنى الوقاية .

ثالثًا : الإبدال بين الكسرة والضمة

بَعِد – بَعُد :

ذكرَ اللَّبْلِيّ ذلك في نقله عن أئمة اللغة عند التعقيب على قول الشاعر (٦٧):

لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذين هُمُ سُمُّ العُداة وآفَةُ الجُزُرِ

إذ قال: "لا يَبْعَدَنْ: لا يهلكنْ، قال الأئمة، وهم أبو الحسن عليُّ بن سيده المُرسِيُّ الداني، وأبو محمد بن السيد البطلوسي، وأبو الحجاج الأعلم الشَّنْتمَرِيُّ، وأبو بكر خازم بن محمد بن خازم القرطبي(٦٨)، وأبو عبدالله بن هشام السَّبتِيُّ وغيرهم: ... ما قالوه من الفرق بينهما، أعني أن (بَعِد) بكسر العين يستعمل في الهلاك، وبضم العين في الذي هو ضد القرب، هو المشهور"(٦٩). أما البُعدُ بالضم، فـ "هو من البُعدِ الذي ضده القرب، ولا يدعى به إلا على مبغوض"(٧٠)، قال تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(٧١)، فأرادت العرب التفريق بين البَعِدِ بمعنى الهلاك وبين البُعدِ الذي هو ضد القرب ففرقوا بينهما بصيغة البناء فقالوا: بُعُد بالضم في ضد القرب وبعِد بالكسر في ضد السلامة، فالفارق الصوتي بين الصائتين أدى إلى اختلاف المعنى فالضمة دلت على معنى البعد الذي هو ضد القرب، لذا كانت العرب تشقُّ على من تفقده، يريدون بذلك استعظام موت الشخص الجليل، والكسرة دلت على معنى الهلاك إذ لا يمكن لأحد أن يعذب بالهلاك غير الله تعالى فهو مدبر أمور الكون وأمره بين الكاف والنون، والله أعلم بالصواب .

الذُّلُّ – الذِّلّ:

وضحَّ اللَّبْلِيّ ذلك عند تعقيبه على قول الشاعر (٧٢):

فخالِفْ، فلا واللهِ تَهبطُ تَلْعَةً مِنَ الأرْضِ إلّا أنتَ للذِّلّ عارِفُ

إذ قال: "الذُّلُّ: ضِدُّ العِزِّ، يقال منه: ذَلَّ الرجلُ يذِلُ ذِلًّا بالضم والكسر"(٧٣)، وقال ابن جني: "الذِّل في الدابة ضد الصعوبة، والذُّل للإنسان، وهو ضد العز، وكأنهم اختاروا الفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة؛ لأنّ ما يلحق الإنسان أكبر قدرًا مما يلحق الدابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة، ولا تستنكر مثل هذا ولا تنبُ عنه"(٧٤). فالفارق الصوتي بين الضم والكسر أدى إلى فارق دلالي،

فأعطيت الكسرة لخفتها إلى الذِّلّ بالكسر، وهو اللِّين وَهُوَ ضِدُّ الصُّعُوبَةِ، وأعطيت الضمة لقوتها إلى الذُّلّ بالضم؛ لأنّ ذُلَّ الإنسان أقوى من ذِلِّ الحيوان(٧٥) ألا ترى أن فعل أكثر في الكلام من فعل، والياء أخف من الواو .

دَفُؤ- دَفِئ:

وضحَّ اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر(٧٦):

إِذَا كانَ الشِّتاءُ فأَدْفِئُوني فإنَّ الشَّيْخَ يُهْدِمُه الشِّتاءُ

إذ قال: "فأَدْفِئُوني أي: سخنوني، والدَّفاءُ ممدود، والدفاءةُ من السخونة، يقال: منها رجلٌ دفآنُ، وامرأةٌ دفْأَى: إذا كانا سُخنًا، يقال: دَفُؤَ يومنا، ودفِئ بالضم والكسر، فأما في الإنسان إذ استدفأ فدفِئ مكسورًا لا غير"(٧٧). نستنتج مِمَّا ذكر آنفًا أن اللَّبْلِيّ كان حريصًا على بيان المعاني المتقابلة بين الألفاظ بسبب اختلاف تعاقب حركاتها .

الإبدال بين الصوائت الطويلة :

بَنَى يَبْنِي - بَنَا يَبْنُو :

بيَّن اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر(٧٨):

فما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ولكنَّه بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

إذ قال: "البُنْيَانُ والبِنَاءُ: مصدرُ بنيتُ أبنِي"(٧٩)، ونقل اللبلي قول ابن التِّيَّانِيّ: إنه "يقال: بَنَى يَبْنِي بِنَاءً وبِنًى بالكسر والمد والقصر... ويقال: بَنَى يَبْنِي بِناءً في العمارةِ، وبَنَا يَبْنُو في الشرفِ"(٨٠)، وقال ابن جني: بنى يبني في البناء وبنا يبنو في الشرف والبنية في الحسب على لفظة البنية في البنيان(٨١). فالاختلاف الدلالي بين اللفظين سببه التعاقب الصوتي بين الفتحة و الضمة فأعطيت الفتحة للمعنى المادي الملموس وهو البناء، في حين جاءت الضمة ملائمة للمعنى المحسوس وهو الشرف .

المبحث الثاني : الإبدال الصوتي بين الصوامت

الإبدال في معظمه لا يتعدى ظاهرة صوتية تقوم على تغير الأصوات، وهي إحلال صوت أو مقطع لغوي مكان صوت أو مقطع لغوي آخر، وما يحدث من تغيير في الدلالات الصوتية يفضي إلى تغيير في المدلولات(٨٢). وقد بين اللَّبْلِيّ أثر إبدال الحروف الصوامت في المعنى، وربما يكون أكثر ذلك بسبب تعدد الروايات من خلال شرحه للأبيات، وقد تكلمت آنفًا على الإبدال بين الحروف ولكن مع الإبقاء على المعنى العام جامعًا لها قريبًا منها، أما ما تقتضيه دراسة هذا المطلب فهو الاستبدال الصوتي الذي يؤدي إلى تغيير في المعنى، ويأتي الإبدال بين الصوامت في فاء الكلمة وعينها ولامها كما يأتي:

أولًا: الإبدال الصوتي في فاء الكلمة :

جَشَأ - حَشَأ :

وضحَّ اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر(٨٣):

أَلاَ طعانَ أَلاَ فُرْسَانَ عاديةً إلا تَجَشُّؤُكُمْ عِنْدَ التَّنَانِيرِ

إذ قال: "تَجَشُّؤُكم: هو من الجُشَاء، وهو معروفٌ، ويروى (تَحَشُّؤُكم) بحاءٍ غيرِ معجمةٍ، وهو مأخوذ من المِحْشَا(٨٤)، وهو الكِسَاءُ الغَليظُ الذي يُشتملُ بهِ"(٨٥)، و "الجشاء: هو صوت مع ريح يخرج من الفم عند امتلاء المعدة بالطعام"(٨٦)، وقيل: جشأ القوم إذا خرجوا من بلد إلى بلد(٨٧). وإنما اختلف المعنى بين الجشأ والحشأ لتعاقب الصامتين الجيم والحاء فسببا تغييرًا في معنى الكلمة إذ جاء صوت الجيم المجهور الشديد ملائمًا لمعنى الضخامة والامتلاء فدل على انفعالات نفسية وسلبية لها انعكاساتها المحسوسة على وجوه الناس وأصواتهم مما يشاهد بالعين أو يسمع بالأذن(٨٨)، في حين لاءم صوت الحاء الرخو المهموس بمشاعر إنسانية وملمس حريري ناعم دافئ(٨٩).

سَبَأ - خَبَأ :

وضحَّ اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر(٩٠):

كَأَنَّ سَبِيئةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يكونُ مِزاجَها عسلٌ وماءُ

إذ قال: "كأن سبيئة فيها ثلاث روايات ... فأما الرواية الأولى، وهي رواية الزجاجي، فالسبيئة: الخمر المشتراة ... يقال: سبأت الخمر أسبؤها، واستبأتها : إذا اشتريتها للشرب ... وأما الرواية الثالثة وهي (كأن خبيئة)، فرواها ابن السيرافي(٩١)، وقال: هي الخمر المصونة المضنون بها"(٩٢)، إنما تغير المعنى بين السبأ والخبأ لتعاقب الفاء فيهما فالسبأ يدل على الشراء(٩٣)، أما الخَبْءُ فَمَا خبأْتَ من ذَخِيرَةٍ لِيَوْم ما أي: أنه يدل الادخار والاحتكار(٩٤). ومنه قول عثمان (رضي الله عنه): "لا شربت خمرًا لا في جاهلية ولا إسلام أي: أدخرتها وجعلتها خبيئة لنفسي"(٩٥)، ويبدو أن صوت السين المهموس ومخرجه من بين طرف اللسان(٩٦)، أوحى إلى معنى الشراء والانتقال بينما رخاوة الخاء(٩٧) وثباتها بوصفها من الحروف الحلقية الثابتة أوحت إلى معنى الادخار والتقييد .

عَادِيَة - غَادِيَة :

بيَّن اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر (٩٨):

أَلاَ طعانَ أَلاَ فُرْسَانَ عاديةً إلا تَجَشُّؤُكُمْ عِنْدَ التَّنَانِيرِ

إذ قال: "عَادِيَةً يروى بعينٍ غيرِ مُعجمةٍ، وبغينٍ معجمةٍ، فمن رواه بغينٍ غيرِ معجمةٍ فهو من العَدْوِ، الذي هو المشي، ومن رواه بغينٍ معجمةٍ فهو من الغُدُوِّ، الذي هو البكور، فهي تغدو إلى الغارة"(٩٩) أي: أنه نبَّه إلى الفارق الدلالي بين اللفظين بسبب التغيير الصوتي في فاء الكلمة بين صوت العين والغين إذ جاء وصف العين بأنه حرف حلقي مجهور(١٠٠)، فهذه الصفات تؤيد أنَّ هذا الحرف يمتاز بصفة البروز والتألق والانكشاف عند سماعه أو التلفظ به وكذلك رؤيته يقود الذهن مباشرة إلى العين التي حاسة المعاينة(١٠١)؛ لأنّ العَدْوَ هو الجري فيكون ظاهرًا، أما العدوان فهو أشد الظلم وتجاوز الحد في التعدي(١٠٢)، في حين لاءم صوت الغين البكور وهو زمان مخصوص، وهو عبارة عن الهجم على العدو صُبْحًا من غير إعلام لهم(١٠٣) قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾(١٠٤)، وَقَالَ قَتَادَةُ: "الْغُدُوُّ: صَلَاةُ الصُّبْحِ"(١٠٥)؛ لأنّ صوت الغين غالبا يدل على خفاء واستتار(١٠٦). قال اللَّبْلِيّ: "والرواية الأولى أحسن في معنى البيت؛ لأنّ الفرسان تكون عادية في كل زمان من غُدُوٍّ وغيره، وعلى الرواية الثانية التي بغين معجمة يكون في زمن مخصوص، وهو الغدو"(١٠٧) .

ثانيًا: الإبدال في عين الفعل :

أَحْدُو – أَحْذُو:

بيَّن اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر (١٠٨):

فآليتُ لا أَنفَكَّ أَحْذُو قصيدةً تكونُ وإيَّاهَا بِهَا مَثَلًا بَعْدِي

إذ قال: "أَحْدُو يروى بدالٍ غيرِ معجمةٍ، وبذالٍ معجمةٍ(١٠٩)، فمن رواه بدالٍ غيرِ معجمةٍ فهو من الحُدَاءِ، أي: أَحْدُو بها وأُغنِّي لتسمعَ فتُحفَظَ، ومن رواه بذالٍ معجمةٍ، فإنه أراد: أصنعُ "(١١٠). فالتغيير الدلالي بين الصوتين هو بسبب التعاقب الصوتي بين الدال والذال، يقال: "حَدَوْتُ بِالْإِبِلِ أَحْدُو حَدْوًا حَثَثْتَهَا عَلَى السَّيْرِ بِالْحُدَاءِ مِثْلُ: غُرَابٍ وَهُوَ الْغِنَاءُ لَهَا"(١١١)، وحدوت البعير: إذا سقته وأنت تُغنّي في أثره لينشط في السير كما يقال: أحدو قصيدة إليك أي: أسوقها اليك(١١٢)، وهما معنيان يحاكيهما صوت الدال المجهور(١١٣)؛ لأنّ من معانيه التي يوحي إليها "المشي البطيء للثقل بما يتوافق مع ثقل صوت الدال"(١١٤).

أما أحذو فمعناه في معاجم اللغة: التقدير والقطع أي: تعملون مثل أعمالهم كما تقطع إحدى النعلين على قدر الأخرى(١١٥)، فلاءم صوت الذال معنى القطع والتقدير؛ لأنّ من معانيه التي يوحي إليها شدة التحرك والقطع بما يتوافق مع خصائص القوة والفعالية في صوت الذال(١١٦) .

شَعَف - شَغَف:

وضَّح اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر(١١٧):

بِمَا فِي فُؤَادَيْنا من الهَمِّ والهَوَى فيَبْرَأُ مُنْهاضُ الفُؤادِ المُشَعَّفُ

إذ قال: "المُشَغَّفُ بغين معجمة: الذي قد بَلَغَ الحبُّ شغَافَ قَلبِه، وهو حِجَابُهُ، ويروى: المُشَعَّفُ بعين غيرِ معجمةٍ، وهو الذي شَعَفَهُ الحبُّ، أي: أحرقَهُ، الشَّعْفُ إحراقُ الحبِّ للقلب، قال بعضهم: مع لذة يجدها"[١١٨]، وهذا ما قاله أبو عبيدة: إنّ المشغوف بالمعجمة هو الذي بلغ حبّه شغاف قلبه وهو بهذا الرأي: يجعله قد بلغ مبلغًا عظيمًا من الحب[١١٩]، وقال الأصمعي الشغاف عند العرب داء تحت الشراسف، أما الشعاف بالعين المهملة فهي قراءة أبي جعفر بن محمد وابن محيصن والحسن في قوله تعالى: ﴿قد شغفها حباً﴾[١٢٠]، فقد كثرت فيه الأقوال، فمنهم من قال: إنّ الشعفة هي أعلى القلب، وهي معلَّق النياط، فيكون المعنى أنّ الحبّ قد خلص إلى القلب فأحرقه، وذكر بعضهم أنَّ معناه أحرقها مع تلذذ، وهو مأخوذ من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران[١٢١]، ومنهم من قال: إنّ (شعف) معناه ذهب به كلّ مذهب، مأخوذ من شعفات الجبال وهو رؤوسها[١٢٢]، فاللَّبْلِيّ نبَّه على الاختلاف الدلالي بين الصوتين فالشعف هو بمعنى الحرق من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران[١٢٣]، قال ابن حجر: "وَالْعرب تَقول فلان مشعوف بفلانه أي: برح بِهِ حبها، وَأما بِالْمُعْجَمَةِ فَيُقَال: لصق بقلبي وداخله والشغاف: حجاب الْقلب"[١٢٤]، يمس القلب برقة وعذوبة يجدها الإنسان في بداية حبه، قال أبو حيان الأَنْدلسي (ت: ٧٤٥هـ): "شَغَفَ: خَرَقَ الشَّغَافَ، وَهُوَ حِجَابُ الْقَلْبِ. وَقِيلَ: سُوَيْدَاؤُهُ، وَقِيلَ: دَاءٌ يَصِلُ إِلَى الْقَلْبِ فَيَنْفُذُ إِلَى الْقَلْبِ، وَكَسْرُ الْغَيْنِ لُغَةُ تَمِيمٍ، وَقِيلَ: الشَّغَافُ جِلْدَةٌ رَقِيقَةٌ يُقَالُ لَهَا لِسَانُ الْقَلْبِ، شَغَفَ وَصَلَتِ الْحِدَّةُ إِلَى الْقَلْبِ فَكَانَ يَحْتَرِقُ مِنْ شَغَفِ الْبَعِيرِ إِذَا هَنَأَهُ فَأَحْرَقَهُ بِالْقَطْرَانِ، وَالْمَشْغُوفُ الَّذِي أَحْرَقَ الْحُبُّ قَلْبَهُ"[١٢٥]، وبهذا تكون الأدلة قد تكافأت ويرجّح علو الشغاف على الشعاف، وقياسًا على هذا نستطيع أن نحكم على أنّ الشغاف أعلى من الشعاف ويؤيد هذا كله صفة الجهر والاحتكاك وهما اللذان يتصف بهما صوت الغين الذي يدل على الغموض والخفاء كأنَّ الحب مختفٍ بين جنبات القلب لما في الغين من رخاوة بخلاف العين التي بين الشدة والرخاوة[١٢٦] فناسبت رخاوة الغين ضعف العاشق ووهنه، أما الشعف فهو لوعة للقلب وإتقان واحتراق وكأن الحب قد مضى عليه زمن طويل الذي دل عليه الصامت المجهور المتوسط الذي يوحي بالانتشار والوضوح[١٢٧]، فقد لاءم صوت الغين الدلالة على الخفاء كأن الحب مختفيًا في قلبه، وحينها لاءم صوت العين الدلالة على الوضوح .

نَفَرَ - فَجَرَ:

وضحَّ اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر [١٢٨]:

ثُمَّ زادوا أنَّهم في قومهمْ غُفُرٌ ذَنْبَهُمْ غيرُ فُجْرْ

إذ قال: "نُفُرٌ بخاءٍ معجمة: جمع نَخُورٍ، يقال: رجل نَخُور ونِخِّيرُ لتكثير الفَخْرِ، ويروى فُجُر بالجيم من الفجر[١٢٩]، وهو الفسق"[١٣٠] أي: أنه نبَّه إلى التغيير الدلالي بين اللفظين بسبب الاختلاف الصوتي في الكلمة بين صوت الخاء والجيم إذ نتج من ذلك تغيير دلالي، فالفخر في المعاجم العربية هو ذكر المناقب، فَخَر الرجل في حسبه لذلك يقولون: عن الفخر هو عدّ القديم[١٣١]، أما الفُجر فهو التفتح في الشيء من ذلك

انفجار الظلمة عن الصبح ثم كثر حتى صار التفتح في المعاصي فجوراً ثم سمي كل مائل عن الحق فاجراً، فهو يدل على التوسع فلا يقال لصاحب الصغير: فاجر، قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإنسان لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (١٣٢). أوحى صوت الاستعلاء الخاء الرخو المهموس(١٣٣) إلى مشاعر إنسانية في عدّ المناقب(١٣٤)، في حين أوحى صوت الجيم الانفجاري المجهور الشديد(١٣٥) إلى انفعالات نفسية توحي بالقساوة والصلابة بما فيه من انعكاسات محسوسة على وجوه الناس وأصواتهم مما يشاهد بالعين أو يسمع بالأذن(١٣٦).

نَشَب - نَسَب:

بيَّن اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر(١٣٧):

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مالٍ وذَا نَشَبِ

إذ قال: "ذا نَشَبٍ يروى بالشين والسين، والرواية المشهورة الأولى، وأما التي بالسين غيرَ المعجمة فرواها الهجري في نوادره، فمن رواه بالشين(١٣٨) المعجمة فهو المال، وقال المُبَرِّد: النَّشَبُ: المال الثابت خاصةً، كالدارِ والعقار، وقال أبو محمد بن السيرافي: النَّشَبُ: العينُ والوَرِقُ والمتاعُ، أما من رواه بالسين غير معجمة فهو معروف، قالوا: وهذه الرواية أحسن؛ لأنّه اجتمع فيه الشرف والمال"(١٣٩).

وإنما تغيَّر المعنى بين النشب والنسب لتعاقب السين والشين فيهما، فالنشب: المال الأصيل، فأكثر ما يستعمل في الأشياء الثابتة التي لا يراح بها كالدور والضياع(١٤٠)، وأما النسب فيدل على القرابات فكلمة النسب قياسها اتصال شيء بشيء لذلك سمي النسب للاتصال والاتصال به(١٤١)، وهنا لاءمت الرخاوة والهمس في صوت الشين، المال الثابت؛ لأنّ من معانيها الخلط والتجميع(١٤٢)، ولاءم صوت السين الرخو المهموس الاتصال في القرابات؛ لأنّ صوت السين المتماسك يوحي بالبسط والامتداد(١٤٣) .

ثالثًا : الإبدال في لام الكلمة :

قَيْض - قَيْظ:

ذكر اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر (١٤٤):

غَدَتْ مِن عَلَيْهِ بعد مَا تَمَّ ظِمؤُها تَصِلُّ وَعَن قَيْضٍ بَزَيزاءَ مَجْهَل

إذ قال: "القَيْضُ: جمع قَيضَةٍ، وهي قِشرَةُ البيضةِ العليا اليابِسةُ، والقشرة السفلى يقال لها: الغِرْقِئُ، وقيل: القَيْضُ: قِشرُ البيضِ الأعلى الخالي عن الفرخ ... ويقال: قاض الفرخ البيضة يقيضها قيضًا، فهو قائضٌ: إذا كسرها، وخرج منها، وكلها بالضاد المعجمة، والقَيِظُ بالظاء: أشدُّ الحرِّ"(١٤٥) أي: أنه نبَّه إلى الاختلاف الدلالي بين اللفظين بسبب التغير الصوتي بين صوت الضاد والظاء إذ نتج منه تغير دلالي، فالقيض ما تفلق من قشور البيض العليا إذا قاضها الفرخ(١٤٦)، أما القيظ فهو شدة الحر وهو صميم الصيف (١٤٧) وهذا التغير الدلالي كامن في جرس الضاد وهو صوت يحاكي كسر الشيء بما يتوافق مع خصائصه من الرقة والنظارة

والضعف والأناقة[١٤٨]، وجرس الظاء الرخو المجهور يحاكي الشدة والقساوة بما يتوافق مع صدى صوته المفخم[١٤٩] .

وَيل - وَيح:

بيَّن اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر[١٥٠]:

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمّا جِئْتُ زَائِرَهَا وَيْلِي عَلَيْكِ وَوَيْلًا مِنْكَ يَا رَجُلُ

إذ قال: "وَيْلٌ: كلمة تقال لمن وقع في هلكة يستحقها ولا يترحم عليه، ووَيْحٌ: كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، فيترحم عليه"[١٥١] . إنَّ تغيير معنى اللفظين سببه اختلاف الصوت الوارد فيهما، إذ قال أبو سعيد السيرافي: "ويح: كلمة رحمة: قلت: وقال أكثر أهل اللغة: إن الويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة أو بلية لا يترحم معها، وويح لمن وقع في بلية يرثى له ويدعى له بالتخلص منها ألا ترى أن الويل في القرآن ما جاء إلا لمن استحق العذاب بجرمه وذلك قول الله جل وعز: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾[١٥٢]، وقال: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[١٥٣]، وقال: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾[١٥٤] فما جاء الويل إلا لأهل الجرائم ونعوذ بالله من سخطه، أما ويح فقد صح عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه قالها لعمار كأنه علم ما أصابه من الثقل فتوجع له وترحم عليه "[١٥٥]، وهنا لاءمت الرخاوة والهمس في صوت الحاء[١٥٦] الرحمة، في حين لاءم صوت اللام المجهور الشديد[١٥٧] معنى الهلكة والعذاب .

رابعًا: الإبدال بين المقصور والممدود:

بكى - بكاء

بيَّن اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر [١٥٨]:

تُبَكِّي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا وَكُنْتَ عَلَيْهَا بِالمَلَا أَنْتَ أَقْدَرُ

إذ قال: "تُبَكِّي على لُبنَى أي: تُبَكِّي غيرك لكثرة بُكائك ... أن البُكاءَ يُمَدُّ ويُقصَرُ"[١٥٩]، ومما يؤيد هذا قول الخليل إذ قال: البكاء يمد ويقصر فجعل معناه بالقصر الحزن وبالمد ذهب به إلى معنى الصوت[١٦٠]، قال ابن دريد (ت ٣٢١هـ): "فَمن مده أخرجه مخرج الرُّغاء[١٦١] والضُّغاء[١٦٢]، وَمن قصره أخرجه مُخرج الآفة والضِّنى وَمَا أشبهه"[١٦٣]، كذلك الجوهري نَحَى هذا المنحى إذ قال: فإذا مددت أردت الصوت وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها[١٦٤] فقد نشأ اختلاف دلالي في معنى الكلمة، بسبب الاختلاف الذي حصل في الإبدال بين صوتي الألف المقصورة والألف الممدودة .

الهوى - الهواء:

وضَّح اللَّبْلِيّ ذلك عند التعقيب على قول الشاعر [١٦٥]:

فَرَدَّ عَلَى الفُؤَادِ هَوًى عَمِيدًا وَسُؤلِ لَوْ يُبِينُ لنا السُّؤَالَا

إذ قال: "الهَوَى مقْصُورًا: ميل النَّفسِ، وقيل: شِدَّةُ تبريح الشَّوقِ، والهَوَاءُ ممْدُودًا: ما بين السماء والأرض"(١٦٦)، وإنما تغيَّر المعنى بين الهوى والهواء لتعاقب الألف المدودة والمقصورة فيهما، فالهوى مَقْصُور: يدل هوى الضَّمير، وقيل: الهَوَى محبةُ الإنسان الشَّيْءَ وغَلَبَتُه عَلَى قَلْبِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (١٦٧) مَعْنَاهُ نَهاها عَنْ شَهَواتِها وَمَا تَدْعُو إِليه مِنْ مَعَاصِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (١٦٨)، أما الهَوَاء مَمْدُود، فهُوَ الجوّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرض . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاق فِي قَوْله:﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ (١٦٩) أي: متخرِّقة لَا تعي شَيْئا من الخَوْف(١٧٠).

الخاتمة :

بعد التقصي لجملة المباحث الصوتية الواردة في كتاب وشي الحلل في شرح أبيات الجمل حاولنا في هذا البحث دراسة أثر الصوائت في المستوى اللغوي الدلالي في اللغة، وقد انطلقنا في دراستنا من مبدأ أن النظام اللغوي يؤلف كلًا واحدًا، وأن المستويات المتدرجة للبنية اللغوية توجد في علاقة تأثير متبادل فيما بينها، إذ يحتل مستوى البنية الصوتية مرتبة المستوى الأساس والموجه لبقية المستويات، لذا تنعكس خصائه على المستويات اللغوية الأخرى، فلا يمكن تفسير خصائص المستوى الصوتي بحقائق من مستويات اللغة الأخرى، في حين أن العكس ممكن، وأبان البحث جملة من الأمور نحسبها على جانب من الأهمية وهي مبينة بالآتي:

- إن الجانب الصوتي في اللغة العربية عنصر أساس مهم لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال في بلوغ المعنى المراد، والإحاطة به .
- إن كثيرًا من علمائنا القدماء والمحْدَثين قد تنبهوا إلى أهمية الجانب الصوتي في تشكيل الصورة الفنية، وأشاروا إلى ما تنطوي عليه الأصوات اللغوية من معان ودلالات وإيحاءات.
- إن الإبدال بين الصوامت والصوائت لم يكن غائبًا عن علمائنا الأوائل فقد درسه أهل اللغة عمومًا ، ولكنه استوى على سوقه في علم اللغة الحديث.
- للأصوات في اللغة العربية وظيفة بيانية وقيمة تعبيرية كشفها البحث قديمًا وحديثًا فمثلًا الغين تفيد معنى الخفاء والغيبة والغموض كما نلحظ في غاب، غمض ، والجيم تفيد معنى الجمع: نحو: جمع، جمد، وهكذا .
- تتوزع المخارج الصوتية بين الشدة والرخاوة ومن حيث الجهر والهمس توزيعًا عادلًا يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات كما جاء في صفحات البحث .
- على الرغم من تعدد المصطلحات المعبرة عن هذه الطائفة من الأصوات، إلا أننا وجدنا مصطلح الصوائت هو الأكثر دقة في التعبير عنها .
- تؤثر الصوائت في دلالة المشتقات والمصادر فتأتي منسجمة مع المعنى الذي يقصده المتكلم و تسهم أيضًا في تحقيق العدول الذي يهدف إلى المبالغة في المعنى، والتمييز بين المعاني .

- يعد موضوع المثلث اللغوي من أكثر المواضيع اعتمادا على الصوائت، فله أثر تمييزي بين مدلولات اللفظة الواحدة، إذ يمنح كل صائت الكلمة معنىً مختلفًا، عن المعاني التي يمنحها الصائتان الآخران.
- إن إطالة الحركات أداة من الأدوات المتوافرة بين يدي المتكلم للتعبير عن أغراض شتى، وتضمين العبارات دلالات عديدة .
- إن الصوائت هي التي تقوم بتعديد المعنى وتخصيصه لدلالة على صيغ محددة، وإن كانت الكلمة في العربية تعتمد على تشكيل الصوامت التي تؤدي المعنى الأصلي .

الهوامش

(١) – ينظر الخصائص : ١/٣٤ .
(٢) – ينظر الخصائص: ٢/ ١٦٤ .
(٣) – الخصائص: ١/٦٦ .
(٤) - دلالة الألفاظ: ٤٦ .
(٥) - ينظر: دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم: ١١ -١٧ .
(٦) – ينظر: العين: ١/٥٨ .
(٧) – ينظر الخصائص : ١/٣٤ .
(٨) - الخصائص: ١ / ٤٧-٤٨ .
(٩) - الخصائص: ٣ / ١٠٢ .
(١٠) - ينظر: الخصائص: ٢ / ١٤٧ – ١٥٤ .
(١١) - ينظر: الخصائص: ٢ / ١٦٣ .
(١٢) - العمدة: ١ /١٢٤ .
(١٣) - ينظر: المباحث الدلالية في شروح نهج البلاغة (أطروحة): ١٠٣ .
(١٤)- ينظر البحث الدلالي في ارشاد العقل السليم (أطروحة): ٢٩ .
(١٥) – الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٦ .
(١٦) – الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير: ١٤ وينظر : الإشارات البهية في تأثيرات الصوامت والصوائت النفسية في النصوص القرآنية ،م. علي حسين خضير، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، المجلد الرابع، العدد الثالث ، لسنة ٢٠٠٩، ص: ١٦.
(١٧)- ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ١٧ – ١٨ ، وينظر : التفسير الصوتي لقراءات سورة الواقعة في ضوء النبر والتنغيم ، م. علي حسين خضير ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية ،المجلد الثالث، العدد الرابع عشر لسنة ٢٠٠٨ ،ص: ١٩.
(١٨)- ينظر: الجهود الصوتية في كتب البلاغة من القرن الثالث حتى نهاية القرن السابع الهجري اطروحة: ١٩٠ .
(١٩) – ينظر: دراسات في فقه اللغة: ١٥١ .
(٢٠) - ينظر: الدلالات اللغوية عند العرب: ١٦٦ .
(٢١) – الصوت والدلالة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث بحث منشور): ٨٣ .
(٢٢) - الدلالات اللغوية عند العرب: ١٦٦ .

(٢٣) - ينظر: من أسرار اللغة: ٧٥ .

(٢٤) - ينظر: من أسرار العربية: ٨٤ .

(٢٥) – ينظر : الظواهر الصوتية في كتاب التفسير الكبير للرازي في ضوء علم اللغة الحديث ، د.علي حسين خضير ، أطروحة دكتوراة ، جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية – ٢٠١٤ ، ١/ ١٤٨ ، وأثر الإبدال الصوتي وتغير الضبط الحركي في تنوع المعنى: القراءات القرانية مثالا، مجلة كلية التربية واسط ،العدد١١ ص: ٦٣-٦٤ .

(٢٦) - ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٢٩، والصوائت وتأثرها بظاهرتي الاختلاس والاشباع ، علي حسين خضير ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية والاقتصادية ، العدد الثامن، لسنة ٢٠٠٥ ، ص: ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢٧) - ينظر: الكتاب: ٢ / ٢٥٨ .

(٢٨) - ينظر: المقتضب: ٢ / ١٨٩ .

(٢٩) - ينظر: الخصائص: ١ / ١٦٩ .

(٣٠) - المنهج الصوتي للبنية العربية: ٤٥ .

(٣١) - البيت من البسيط وهو في ملحق ديوان طرفة:١٥٠ بالرواية التي رواها اللبلي هنا عن محمد بن سلام ويعقوب، وينظر: هذه الرواية والروايات الأخرى التي أنشدها اللبلي بعد في: معاني القران للفراء ١٢٨/٢، وتهذيب اللغة (عمي): ٢٤٥/٣، والإنصاف: ١٢٤- ١٢٦، وشرح المفصل: ٦/ ٩٣ .

(٣٢) - وشي الحلل: ١ / ٤٩٩ – ٥٠٠ .

(٣٣) - ينظر: المخصص: ١ / ٤٤٧ .

(٣٤) - شرح فصيح ثعلب : ٢٣٦ .

(٣٥) - البيت من الوافر، للأخطل وهو في ديوانه: ٢٦٥، بالرواية التي ذكرها المؤلف في اخر الكلام على هذا الشاهد ويروى شمول بدل قبول.

(٣٦) - وشي الحلل:٨٥٢/٢، وينظر: إصلاح المنطق: ٣٣٣، والمقتضب: ٣٦٤/٣، والمخصص: ٤١/١٧، والصحاح: (سدس): ٩٣٧/٣، ونسب معد واليمن: ٥٢- ٥٦ ٢٦٠ .

(٣٧) - محمد بن القاسم بن معروف، أبو علي التميمي الشهير بابن حبيب (ت: ٣٤٧هـ): من العلماء بالحديث والأخبار.

(٣٨) - ينظر: نسب معد واليمن لابن الكلبي:٥٢- ٥٦ ٢٦٠ .

(٣٩) - البيت من الطويل، للفرزدق وهو في ديوانه ٥٢٣/٢ .

(٤٠) - وشي الحلل: ١ / ٥٢١ .

(٤١) - ينظر: لسان العرب: ١ / ٤٥٥، وتقريب الصارم المسلول على شاتم الرسول:: ٢٣٠ .

(٤٢) - سورة الأنعام من الآية:٨ .

(٤٣) - جامع البيان في تأويل القرآن الطبري: ١٢ / ٢٣ .

(٤٤) - ينظر لسان العرب (سبب): ٤٥٥/١ .

(٤٥) - ينظر: تقريب الصارم المسلول على شاتم الرسول: ٢٣٠ .

(٤٦) - البيت من الكامل، لزهير وهو في ديوانه :٨٦ وبشرح الأعلم:٦٠.

(٤٧) - وشي الحلل: ٢ / ٦٢٢ .

(٤٨) - سورة الفرقان من الآية: الفرقان: ٢٢، ٥٣ .

(٤٩) - سورة الفجر من الآية: ٥ .
(٥٠) - سورة الْحِجْرِ من الآية: ٨٠ .
(٥١) - التسهيل لعلوم التنزيل: ١ / ١٠ .
(٥٢) - ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: ١ / ٤١٧ .
(٥٣) - روح المعاني في تفسير القران:١٢ / ١٣٠ .
(٥٤) _ ينظر: تاج العروس(حجر): ١٠ /٥٢٣ .
(٥٥) - البيت من الطويل، لامرئ القيس وهو في ديوانه بشرح السكري ٢/٤٢٥.
(٥٦) - وشي الحلل: ٢ / ٧٨٤ .
(٥٧) - ينظر: العين (عذر): ٢/ ٩٤، والصحاح (عذر): ٢/٧٤٠، ولسان العرب (عذر): ٤/٥٤٥ .
(٥٨) - معاني القران: ١ / ٤٨ .
(٥٩) - سورة التوبة من الآية: ٩٠ .
(٦٠) - الفروق اللغوية: ١ /٤٩٩ .
(٦١) - الحلل في شرح أبيات الجمل::١٣٤ .
(٦٢) - البيت من لدريد بن الصمة الطويل وهو في ديوانه :٦٠، وروايته:
علانية ظنوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ، ... سَرَاتُهُمُ بالفَارِسِيّ المُسَرَّدِ
وينظر: الصحاح (ظنن) ٦/٢١٦٠، والأضداد لابن الانباري:١٤، والمحتسب ٢/٣٤٢، ولسان العرب (ظنن) ١٣/٢٧٢ .
(٦٣) - وشي الحلل: ٢/٨٠١، وينظر: الحلل في شرح أبيات الجمل ٢٦٩.
(٦٤) - لسان العرب: ٢ / ٢٦٥ .
(٦٥) - ينظر: الاقتضاب: ٣ / ١٢٩ .
(٦٦) - شرح القصائد العشر للتبريزي: ١ / ٢٠١ .
(٦٧)- البيت من الكامل وهو في ديوان الخرنق: ٢٩.
(٦٨) - وهو خازم بن محمد بن حازم، أبو بكر المخزومي القرطبي، ولد عام ٤١٠هـ، وروى عن يونس القاضي، ومكي بن أبي طالب، وأبي القاسم بن الإفليلي، وجماعة، وكان قديم الطلب، وافر الأدب، وكان من أجل أهل الأدب، وله اعتناء بالحديث، توفي سنة ٤٩٦هـ، ينظر: الصلة لابن بشكوال ١/٢٥٣، وتاريخ الإسلام ٣٤/٢٣٣، ٢٣٤ .
(٦٩) - وشي الحلل: ١/٨٨، وينظر: أدب الكاتب:٣٤٠، وتهذيب اللغة ٢/٢٤٥، والمحكم (بعد):٢/٣٢، والحلل:١٧، ١٨ .
(٧٠) - تفسير المحرر والوجز: ٣ / ٢٠٤ .
(٧١) - سورة هود من الآية: ٩٥ .
(٧٢) _ البيت من الطويل، لم اقف على قائله لكنه ورد منسوبا إلى لقيط بن زرارة، في الكتاب: ٣/ ١٠٥.
(٧٣) _ وشي الحلل: ١ / ٣٥٣ .
(٧٤) - المحتسب: ٢ / ١٧ .
(٧٥) - ينظر: لسان العرب (ذل): ١١/٢٥٦ .
(٧٦) _ البيت من الوافر، وهو للربيع بن ضبع الفزاري، ينظر: اللمع: ٣٨، وأسرار العربية: ١٣٥، وأبيات الجمل لابن سيده: ١١٣، الخزانة: ٧/٣٨١.

(٧٧) - وشي الحلل: ١/ ٢٣٨ .
(٧٨) - البيت من الطويل، لعبدة بن الطبيب، ينظر: الأصول:٥١/٢، وشرح المفصل ٦٥/٣، وخزانة الأدب ٥/ ٢٠٤ .
(٧٩) - وشي الحلل: ١ / ١٩٥، وينظر: المحكم (بنو): ٥٢١/١٠، ولسان العرب (بني): ١٤/ ٨٩ .
(٨٠) - وشي الحلل: ١ / ١٩٥، وانظر: المحكم (بنو): ٥٢١/١٠، ولسان العرب (بني): ١٤/ ٨٩ .
(٨١) _ ينظر: الخصائص: ٣ / ٣٠٢ .
(٨٢) - ينظر: علم الأصوات: ١١٠ .
(٨٣) - البيت من الطويل، لحسان بن ثابت: ٢١٥، وينظر: الكتاب: ٣٠٦/٢، والمغني: ٩٦، وخزانة الأدب ٦٩/٤ .
(٨٤) - تنظر: هاتين الروايتين الخزانة ٧١/٤ -٧٢، وشرح أبيات المغني: ٨٣/٢ .
(٨٥) - وشي الحلل: ٢ / ٩٠٢ .
(٨٦) - بحوث ودراسات في اللهجات العربية: ٢٠ /١٣ .
(٨٧) - ينظر: مقاييس اللغة: ٤٥٩/١ .
(٨٨) - ينظر: خصائص الحروف العربية: ١٠٦ -١١٠ .
(٨٩) - ينظر: خصائص الحروف العربية: ١٨٢ .
(٩٠) - البيت من الوافر، لحسان بن ثابت وهو في ديوانه ١٧/١، وينظر: الكتاب: ٤٩/١، والمقتضب: ٩٢/٤، والكامل: ١٦٤/١، والصحاح (سبا):٥٥/١ .
(٩١) - ينظر: شرح أبيات سيبويه ١/ ١٧٥ .
(٩٢) - وشي الحلل: ١ / ٢٠٤ -٢٠٥ .
(٩٣) - ينظر: العين ٧ / ٣١٦ .
(٩٤) - ينظر: تهذيب اللغة: ٧/ ٢٤٥ .
(٩٥) - الفائق في غريب الحديث: ١/ ٣٥١ .
(٩٦) - ينظر: الكتاب: ٤٣٤/٤ .
(٩٧) - ينظر: الكتاب: ٤٣٤/٤ .
(٩٨) - تقدم تخريج البيت .
(٩٩) - وشي الحلل: ٢ / ٩٠١ .
(١٠٠) - ينظر: الكتاب:٤٣٣/٤ – ٤٣٤ .
(١٠١) - ينظر: من ملامح الدلالة الصوتية في القران الكريم مجلة جامعة أهل البيت، العدد الرابع: ٢٣٨ .
(١٠٢) - ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣٨٦/٣ .
(١٠٣) - ينظر: المفهم: ١٠/٢ .
(١٠٤) - سورة الأعراف: ٢٠٥ .
(١٠٥) - البحر المحيط: ٢٦٣/٥ .
(١٠٦) - ينظر: تهذيب المقدمة اللغوية العلايلي: ٦٤ .
(١٠٧) - وشي الحلل: ٢ /٩٠٢، وتنظر الروايتين: الحلل: ٣٢٨، والخزانة ١٧/٤، وشرح أبيات المغني: ٨٢/٢ .

(١٠٨) - البيت من الطويل، لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين: ١٥٩/١، وشرح أبيات الجمل لابن سيده:١٤٣، والخزانة ٥١٥/٨، وشرح أبيات المغني: ١٥٣/٧ .

(١٠٩) - تنظر: الروايتين في ديوان الهذليين: ١٥٩/١، وشرحه للسكري: ٢١٩/١ .

(١١٠) - وشي الحلل: ٢ / ٩٨١ .

(١١١) - المصباح المنير: ٩٨١/٢ .

(١١٢) - ينظر: المقاصد النحوية في شرح الشواهد الشعرية الألفية: ٢٩٣/١، وخزانة الأدب: ٥١٧/٨ .

(١١٣) - ينظر الكتاب: ٤٣٤/٤، والمقرب: ٦/٢ .

(١١٤) - خصائص الحروف العربية: ٦٨ .

(١١٥) - ينظر: لسان العرب (حدا): ١٤/ ١٦٩ .

(١١٦) - ينظر: خصائص الحروف العربية:٦٦ .

(١١٧) - البيت من الطويل، للفرزدق في ديوانه: ١١٦/٢، وروايته المسقف بدل المشغف، وينظر: الكتاب ٣/ ٣٢٦، وشرح المفصل: ١٥٥/٤، والخزانة: ٧ ٥٣٨ .

(١١٨) - وشي الحلل: ٢ /٩٧٢.

(١١٩) ينظر: تهذيب اللغة: (شعف):٤٣٩/١، والمحكم (شعف): ٣٧٧/١.

(١٢٠)- سورة يوسف من الآية: ٣٠.

(١٢١) ينظر: غرائب القران١٣٠/١٢.

(١٢٢) ينظر: معاني القران واعرابه للفراء: ١٠٥/٣.

(١٢٣) - ينظر: لسان العرب (شعف): ١٧٧/٩ .

(١٢٤) - فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١/ ١٣٩ .

(١٢٥) – البحر المحيط: ٢٦٤/٦ .

(١٢٦) ينظر: الدراسات اللهجية: ٣١٥.

(١٢٧) - ينظر: العين(شعف): ٢٦٠/١، والمعجم الوسيط (شعف): ١/ ٤٨٥ .

(١٢٨) - البيت من الرمل، لطرفة بن العبد: ٥٨، وينظر: الكتاب ١٣٣/١، وشرح المفصل: ٧٤/٦-٧٥، والخزانة ٨/ ١٨٨ .

(١٢٩) - هذه الرواية ذكرها ابن سيده في شرح أبيات الجمل ١١٨، والخزانة ١٨٩/٨ .

(١٣٠) - وشي الحلل: ١/ ٤٨٣ -٤٨٤ .

(١٣١) - ينظر: العين: ٢٥٤/٤، ومقاييس اللغة (نَفَرَ): ٤٨٠/٤، والصحاح (نفر): ٧٧٩/٢ .

(١٣٢) - سورة القيامة: ٥ .

(١٣٣) - ينظر: ينظر: الكتاب: ١٢٨/٤ – ١٢٩ ، ودراسة الصوت اللغوي: ٣١٨ .

(١٣٤) - ينظر: خصائص الحروف العربية: ١٧٧ .

(١٣٥) - ينظر: الكتاب ٤ /٤٣٤ .

(١٣٦) _ ينظر: خصائص الحروف العربية: ١٠٥ – ١٠٧ .

(١٣٧) - البيت من البسيط، لعمر بن معد كرب: ٦٣، وينظر: الكتاب: ٣٧/١، والأصول ١٧٨/١، والخزانة ٣٣٩/١ .

(١٣٨) - ينظر: الخزانة ٣٤١/١، وشرح أبيات المغني ٢٩٩/٥ .

(١٣٩) - وشي الحلل: ١ / ١٦٢، وينظر: شرح أبيات الجمل لابن سيده ١١١، والنكت للأعلم ١٧١/١ .

(١٤٠) - ينظر: العين: ٢٦٩/٦، وتهذيب اللغة (نشب): ١١/ ٢٦٠ .

(١٤١) - ينظر: العين (نسب): ٢٧١/٧، تهذيب اللغة (نسب): ١٣ /١٢، ومقاييس اللغة (نسب) ٤٢٣/٥ .

(١٤٢) - ينظر: خصائص الحروف العربية: ١١٥ .

(١٤٣) - ينظر: خصائص الحروف العربية: ١١١ .

(١٤٤) - البيت من الطويل، لمزاحم بن حارث العقيلي: ١٢٠، وروايته "تم خمسها"، "بيداء مجهل"، ينظر: الكتاب: ٢٣١/٤، والمقتضب: ٥٣/٣، والأصول ٢١٦/٢، والخزانة ٥٣٥/٦ .

(١٤٥) - وشي الحلل: ١ /٣٠٢، وينظر: أدب الكاتب: ١٩٢، والكامل: ٦٧٥/٢، وتهذيب اللغة (قيض): ٢١٥/٩، ولسان العرب (قيض): ٢٢٦/٧ .

(١٤٦) - ينظر: الصحاح (قيض) ١١٠٣/٣ .

(١٤٧) - ينظر: العين (قيض): ١٨٦/٥ .

(١٤٨) - ينظر: خصائص الحروف العربية: ١٥٦ .

(١٤٩) - ينظر: خصائص الحروف العربية: ١٢٣ .

(١٥٠) - البيت من البسيط، للأعشى وهو في ديوانه: ٤٣، وينظر: شرح المفصل: ١٢٩/١، ولسان العرب (ويل): ٧٣٧/١١، والخزانة: ٣٩٤/٨، والتاج (ويل) ٧٣٨/١١ .

(١٥١) - وشي الحلل: ٢/ ٦٥٧، وينظر: الكتاب ٣٣١/١، وتهذيب اللغة (ويل) ٤٥٥/١٥، والصحاح ويل ٥/ ١٨٤٦، ولسان العرب (ويل): ١١/ .

(١٥٢) - سورة الهمزة الآية: ١ .

(١٥٣) - سورة فصلت من الآية: ٦ .

(١٥٤) - سورة المطففين الآية: ١ .

(١٥٥) - تهذيب اللغة (ويح): ١٩١/٥-١٩٢ .

(١٥٦) - ينظر: الكتاب ٤٣٤/٤ .

(١٥٧)- ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤ – ٤٣٥ .

(١٥٨) - البيت من الوافر، وهو للربيع بن ضبع الفزاري، وينظر: اللمع: ٣٨، وأسرار العربية: ١٣٥، وأبيات الجمل لابن سيده ١١٣، ولسان العرب ١٣ / ٣٦٥، الخزانة: ٧/ ٣٨١ .

(١٥٩) - وشي الحلل: ٦٣٠/٢، ٦٣١، وشرح جمل الزجاجي ٦٧٣/٢ .

(١٦٠) - نظر: العين: ٤١٧/٥ .

(١٦١) – يقال: رغا البعير، والنّاقة، يرغو رُغاء. والضَّبُعُ تَرْغو، وسَمِعْتُ رَواغيَ الإِبِل، أي: رُغاءَها وأصواتَها. وقد يُرغي صاحب الإِبل إِبِلَهُ باللّيل، ليَسْمَعَ ابن السّبيلِ رُغاءَها فيميل إليها ينظر: العين (رغو): ٤٤٤/٤ .

(١٦٢) - الضُّغاءُ: صوت الذليل إذا شق عليه، يقال: ضَغَا يَضْغُو وأَضْغَيتُه أنا. والضَّغْوُ: الاستخذاء. والضُّغاءُ: صوت الثعلب ينظر: العين (ضغو): ٤٣١/٤ .

(١٦٣) - جمهرة اللغة: ٢ / ١٠٢٧ .

(١٦٤) - ينظر: الصحاح (بكى): ٦ / ٢٢٨٤ .

(١٦٥) - تقدم تخريج البيت .

(١٦٦) - وشي الحلل:١/٥٣٦ .

(١٦٧) سورة النازعات من الآية ٤٠ .

(١٦٨) - ينظر: تهذيب اللغة (هوى): ٦/٢٦٠، ولسان العرب (هوا): ٦/٢٦٠ .

(١٦٩) - سورة إِبْرَاهِيم من لآية: ٤٣

(١٧٠) - ينظر: لسان العرب (هوا): ٦/٢٦٠ .

ثبت المصادر والمراجع

-أثر الإبدال الصوتي وتغير الضبط الحركي في تنوع المعنى: القراءات القرانية مثالا، مجلة كلية التربية واسط ،العدد الحادي عشر .

- الإشارات البهية في تأثيرات الصوامت والصوائت النفسية في النصوص القرآنية ، م. علي حسين خضير، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، المجلد الرابع، العدد الثالث ، لسنة ٢٠٠٩.

-أدب الكاتب، عبدالله بن مسلم بن قتيبة(ت٢٧٦ه)،تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة بيروت،(د-ت) .

-إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن اسحق ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) تح : احمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٣ - ١٩٧٠م .

-الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، مطبعة دار النهضة العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٦١م .

-الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن ابن السراج النحوي (ت ٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، (د. ط. ت).

-الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، تح: أ. مصطفى السقا و د. حامد عبد المجيد ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م .

-الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد الانباري (ت٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

-البحث الدلالي في ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (ت٩٨٢ه)، زينب عبدالحسين السلطاني ، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ٢٠٠٥م .

-البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، تح: عادل عبدالموجود وآخرين، الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٣م .

-بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نخبة من العلماء .

-تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط . ت).

-التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، د. محمود عكاشه، دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م .

-التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ)، تح: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ .

- التفسير الصوتي لقراءات سورة الواقعة في ضوء النبر والتنغيم ، م. علي حسين خضير ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية ،المجلد الثالث، العدد الرابع عشر لسنة ٢٠٠٨.

-تقريب الصارم المسلول على شاتم الرسول، د. صلاح الصاوي، دار الأعلام الدولي، ط١، ١٩٩٥ م .

-تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ، تح: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٤، ١٩٩٧م
-تهذيب المقدمة اللغوية ، للعلايلي، د. اسعد علي، دار النعمان، لبنان، ط١، ١٩٦٨م .
-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠ م.
-جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسين ابن دريد الازدي ، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٨٧م .
-الجهود الصوتية في كتب البلاغة من القرن الثالث حتى نهاية القرن السابع الهجري اطروحة: .
-الحلل في شرح أبيات الجمل، لأبي محمد عبدالله بن محمد ابن السيد البطليوسي (ت٥٥٢١)، تح: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٤ه_٢٠٠٣م .
-خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي(ت١٠٩٣ه)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ه_ ١٩٩٧م.
-خصائص الحروف العربية، حسن عباس، منشورات أتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٨ م.
-خصائص المذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، عبدالقادر رحيم، جامعة قار يونس بنغازي،ط١٩٩٣،٢.
-الخصائص، أبو الفتح ابن جني(ت٣٩٢ه)، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د. ط. ت).
-الخصائص، أبو الفتح ابن جني(ت٣٩٢ه)، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د. ط. ت).
-الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام النعيمي، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م .
-دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار المعارف، مصر، ط٩، ١٩٨٦م .
-دراسة الصوت اللغوي، د. احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م .
-دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم، د. خالد قيسبني دومي، عالم الكتّاب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٦ م .
-الدلالات اللغوية عند العرب، د. عبدالكريم مجاهد، دار الضياء عمان، ١٩٨٥م .
-دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٤م .
-ديوان الأخطل أبي مالك بن غياث بن غوث التغلبي صنعه العسكري، تح، د. فخرالدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر بيروت، ط٤، ١٤٠١٦ه_ ١٩٩٦م .
-ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان، تح: حسين نصار، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٤١٦ه_١٩٩٦م .
-ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٩٥م .
-ديوان امرئ القيس بن حجر، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف مصر، ط٥، ١٩٩٠م .
-ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري، دراسة وتح: أنور عليان أبو سويلم، ومحمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ط١، ١٤٢١ه_ ٢٠٠١م .
-ديوان حسان بن ثابت، تح، وليد عرفات، دار صادر بيروت، ٢٠٠٦م .
-ديوان دريد بن الصمة، تح: عمر عبد الرسول ، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥م .
-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ .
-شرح أبيات سيبويه، لأبي جعفر النحاس، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٦ه_١٩٨٦م .شرح الجمل لابن خروف ٨٢٨/٢، والخزانة ٨٢/١١ .
-شرح ابيات مغني اللبيب للبغدادي، تح: عبدالعزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث دمشق، ط١ .

-شرح الفصيح لثعلب، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي (ت٤٢١ه)، تح: سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى .
-شرح القصائِد العشر، يحيى بن علي التبريزي، عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ.
-شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، المعروف بابن يعيش(ت ٦٤٣هـ)، علق عليه جماعة من العلماء بعد مراجعته على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر، عنيت بطبعه المطبعة المنيرية بدمشق .
-شرح جمل الزجّاجيّ لابن عصفور الإشبيلي، علي بن مؤمن بن محمد، (ت٦٦٩هـ)،تح ، د. صاحب أبو جناح، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٠-١٩٨٢م.
-شرح جمل الزجّاجيّ، ابن بابشاذ ، طاهر بن محمّد، ت٤٦٩هـ، تحـ حسين علي لفتة السعدي، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
-شرح جمل الزجاجي، لأبي الحسن بن خروف الإشبيلي، تح: سلوى محمد عرب، الجزآن: الأول والثاني بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٩ه، والجزآن الثالث والرابع بمركز النشر العلمي ، جدة، ١٤٢٧هـ .
-شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه وأكملها، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٣.
-شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المزني، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشنتمري، الحميدية مصر، ط١، ١٣٢٣هـ.
-الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
-الصوائت وتأثرها بظاهرتي الاختلاس والاشباع ، علي حسين خضير، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية والاقتصادية ، العدد الثامن ، تشرين أول لسنة ٢٠٠٥ م
-الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، ط٢، ٢٠٠٠م.
-الصوت والدلالة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، د. محمود بو عمامة، بحث منشور ، مجلة التراث العربي، العدد٨٥ .
- الظواهر الصوتية في كتاب التفسير الكبير للرازي(٦٠٦هـ) في ضوء علم اللغة الحديث ، د.علي حسين خضير ، أطروحة دكتوراة ، جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية – ٢٠١٤ .
-علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ١٤٢٠ه_٢٠٠٠م .
-العمدة في محاسن الشعر، لابن رشيق القيرواني ، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.
-العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط . ت).
-غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن النيسابوري ، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٦هـ .
-فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، طبعة جديدة منقحة مُصححة، ومقابلة على طبعه بولاق، الطبعة السلفية التي حقق عدة أجزاء منها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
-الفروق اللغوية، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط١، ١٤١٢هـ .
-الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
-القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبدالصبور شاهين، مكتبة الخانجي القاهرة.

-الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ(سيبويه) (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
-لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، (د . ط).
-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ .
-المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: لعلي بن اسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
-المخصص: أبو الحسن بن سيده المرسي، تح: د. خليل ابراهيم جفال، احياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٣٧٠هـ) المكتبة العلمية، بيروت.
-معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧ه)، تح: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبدالفتاح إسماعيل شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م.
-معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء ، تح: د. عبد الأمير محمد أمين، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٩٨٥م .
-المفصل في صنعة الاعراب، لأبي القاسم الزمخشري (ت٥٣٨ه)، تح: د. علي بو ملحم ، مكتبة الهلال – بيروت، ١٩٩٣م.
-المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر إبراهيم القرطبي(ت٦٥٦ه)، تح: محي الدين ديب مستو ويوسف علي بديوي و أحمد محمد السيد ومحمود إبراهيم ، دار أبن كثير ، دمشق –بيروت ، ط٢، ١٩٩٩م.
-المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ (شرح الشواهد الكبرى)، بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، تح: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام ، القاهرة، ط١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.
-مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
-المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. كاظم محمد المرجان، المطبعة الوطنية، الاردن، ط١، ١٩٨٢م.
-من ملامح الدلالة الصوتية في القران الكريم مجلة جامعة اهل البيت العدد الرابع ص ٢٣٨
-منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تح: عبداللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيام، عنيت بطبعه مكتبة المرعشي، ١٤٠٦هـ .
-المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٩٨٠م
-نسب معد واليمن الكبير، لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، تح: د. ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
-وشي الحلل في شرح أبيات الجمل، أبي جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي (ت ٦٩١ه)، تح: د. أحمد محمد عبدالرحمن الجندي، دار الضياء- الكويت- ط١، ١٤٣٧ه-٢٠١٦م.

المذهب الكلامي في السنة النبوية دراسة نقدية مقارنة

د. عبد الكريم محمد خلف ضاحي
جامعة الأنبار – المكتبة المركزية
Karem161978@gmail.com

الملخص :

يركز بحثي هذا على فن بديعي ألا وهو المذهب الكلامي ، فيرصد أمثلة منه في الأحاديث النبوية الشريفة مُبرزاً سياقها الذي وردت فيه من حيث الجانب الموضوعي وآلية الاستعمال له من لدن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، وكذلك يرصد التعانق للفنون البلاغية في الإطار العام الذي ورد فيه المذهب الكلامي مُبيناً أثره في رسم الصورة وإيصال المعنى للمتلقي بوضوح شديد ودقة متناهية وجمال أخَّاذ ، ومقارنة كل ذلك ببعض الأمثلة القرآنية .

Abstract

My research concentrates an aesthetics Art which is the doctrine of reason .
It collects examples of Hadiths that reflects that aesthetic side . Showing the context in which it occurred and the mechanism of its usage by the Prophet and his followers . It also focuses on the margin of the Reason Doctrine Showing its effect in painting a picture and malcing the listeners understand clearly in such a perfect accuracy and comparing all that with examples from the Holly Quraan

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا (ﷺ)وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فكثيرًا ما كنت أدقق وأمعن النظر في كتب البلاغة والأدب متمعنًا في أمثلتها على ما تذكر من فنون بلاغية فأجد أنها تُكثر الاستشهاد بالقرآن الكريم والشعر العربي ، ولا تذكر من الأحاديث القدسية والنبوية إلا الشيء القليل ، والحال نفسه ينطبق على المناهج الدراسية في الكليات سواء أكان في الدراسات الأولية أم العليا ، وفي الآونة الأخيرة والحمد لله بدأت تظهر دراسات تُعنى بالحديث القدسي والنبوي وتنحى منحى التطبيق فيها ، وتبتعد عن التنظير ، وهذا مما لا بد منه ، ومن هذا المنطلق كان بحثي هذا ، والذي يتناول فناً بديعياً في نصوص الحديث النبوي الشريف ، وقد أسميته " المذهب الكلامي في السنة النبوية – دراسة نقدية مقارنة " ، وأُحاول الإجابة فيه عن الأسئلة الآتية :

ما أبرز الموضوعات التي جاء فيها هذا الفن البلاغي ؟ وهل تشابه مع مجيئه في القران الكريم ؟ كيف استعمله النبي (ﷺ)؟ وكيف استعمله الصحابة الكرام رضي الله عنهم ؟ وهل عانق مجيئه فنوناً بلاغيةً أخرى ؟ كل ذلك أجيب عنه مصحوباً بأمثلةٍ تطبيقية من السنة النبوية المطهرة ، ثم أقارنها بالأمثلة القرآنية التي حوت هذا الفن البلاغي . وقد قسمته على محاور :

المحور الأول : أمثلة تطبيقية من الأحاديث النبوية الشريفة .

المحور الثاني : استعمالات الصحابة رضي الله عنهم للمذهب الكلامي .

المحور الثالث : المذهب الكلامي بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

ثم أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها ، ثم ثبت المصادر.

المحور الأول : أمثلة تطبيقية من الأحاديث النبوية الشريفة .

لا بد لي في بداية الحديث هنا أن أُعرّج على ذكر أبرز الموضوعات التي جاء فيها هذا الفن البلاغي[١]، والتي تمثلت بالآتي :

الحديث عن الجانب العقائدي بكل تفصيلاته التي لا يمكن للعقل البشري أن يُدرك كُنهها ؛ ولذلك استعمل النبي صلى الله عليه وسلم الاحتجاج النظري والاستدلال العقلاني لتقريب الصورة للأفهام .

الحديث عن بعض العبادات وآلية تطبيق مفرداتها ، والتي قد يستغرب البعض منها ، فيأتي الإيضاح أو الحث على القيام بها وفق المراد النبوي ، ويتم ذلك عبر الإقناع على طريقة المذهب الكلامي .

الحديث عن بعض الجوانب السلوكية التي دعت الأحاديث النبوية الشريفة إلى تطبيقها على أتم وجه عند تعامل المرء مع من حوله من الناس ، ولترسيخ ذلك يأتي الاحتجاج النظري والاستدلال العقلاني .

الحديث عن بعض المعاملات التي ترغب الشريعة السمحاء بأن يمتثل بها الفرد المسلم في حياته اليومية وفق التوجيه الشرعي ، ويأتي الإقناع بتطبيقها على طريقة المذهب الكلامي .

وأول الأمثلة التي سأقف عندها ، والتي تحدثت عن الجانب العقائدي هو قوله (ﷺ): ((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: رُكْبَانًا، وَمُشَاةً، وَعَلَى وُجُوهِهِمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَيَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ))[٢] .

وظاهر هذا الحديث ((أن المراد مشيه على وجهه حقيقة فلذلك استغربوه حتى سألوا عنه ... وحكمة حشره على وجهه معاقبته على تركه السجود في الدنيا إظهاراً لهوانه وخساسته بحيث صار وجهه مكان يديه ورجليه في التوقي عن المؤذيات لَمَّا لَمْ يَجْعَلُوهَا سَاجِدَةً لِمَنْ خَلَقَهَا وَصَوَّرَهَا))[٣] ، وقد جاء الإجمال وبعده التفصيل موضحاً أهوال ومشاهد اليوم الآخر ، وعند سماع ذلك يقف المرء مذهولاً لمعرفة الأصناف التي جمعت أولاً وينتظر التفصيل فيها ، وما إن يصل التوضيح إلى الصنف الثالث حتى يستغرب البعض منه وهذه الإثارة النفسية تولد استقبالاً نفسياً عالياً لما يقال ، ولأن الأمر يتعلق بشيء من عالم الغيب احتاج توضيحه لقياس ومذهب عقلاني يستوعبه المتلقي ويفهمه ، ولأجل ذلك جاء المذهب الكلامي القائم على الحجة الدافعة ، فمن أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على فعل غير ذلك في الآخرة ، ونلحظ بهاء النص وتألقه بترابط أكثر من فن بلاغي فيه ، وقد صور القرآن الكريم ذلك فقال تعالى : ((الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ))[٤] ، وقال أيضاً : ((أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥].

ونلحظ هنا صورة الكافر الذي يلقى ((مغلولًا في النار، فلا يقدر عن أن يدفعَ عن نفسه النار إلا بوجهه، فحينئذ لا واقيَ له البتة))[٦].

أما قوله (ﷺ): ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا))[٧]، فنلحظ فيه استدلالاً عقلانياً على طريقة المذهب الكلامي ، إذ بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن عجزهم عن إدراك عالم الغيب وما فيه جعلهم غير عابئين لما ينتظرهم في مآلهم الأخير ((وتمام الدليل أن يقال لكنكم ضحكتم كثيرًا وبكيتم قليلًا، فلم تعلموا ما أعلم، فهذا قياس شرطي))[٨] ، وهو بهذه الصورة ينطوي تحت مفهوم المخالفة كما عند علماء الأصول . وهذا من تمام رحمة الله بعباده ، وإن كان فيه تلميح لضرورة الاستعداد لذلك اليوم ، وقد أسهمت المقابلة في إيضاح المقصود وتوضيح المراد ، فقد رسمت صورتين متقابلتين أثارتا بعداً جمالياً ونفسياً لدى المتلقي ، وهذا هو المغزى من التعانق للفنون البلاغية في النص الواحد .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)خَرَجَ إِلَى الْمَقْبُرَةِ، فَقَالَ: ((السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا)) ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ؟ قَالَ: ((بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي . وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ)) ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: ((أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ. فَلَا يُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: فَسُحْقًا. فَسُحْقًا. فَسُحْقًا))[٩].

وفي هذا الحديث النبوي الشريف يأتي المذهب الكلامي مُبرزاً آلية معرفته (ﷺ)لأمته يوم القيامة من خلال المقارنة بشيء من واقع المخاطبين المشاهد في بيئتهم ، ألا وهو مشهد الخيل المميزة عن محيطها الذي تجيء فيه ، ويُظهر هذا التميز ((أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَخْصُوصَةٌ بِالْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ))[١٠] وفي ذلك بشارة لهذه الأمة بأن واردهم إلى الماء هو محمد (ﷺ) ((والفرط : هو المتقدم إلى الماء))[١١] .

وقد تضمنت طريقة إقناعهم ضرب المثل برجل ((خيوله كلها سوداء، وله خيل غر محجلة ضمن هذه الخيول السوداء ، والغر المحجلة : هي التي في رأسها ويديها بياض، ألا يستطيع أن يميز بين هؤلاء وهؤلاء ؟ (فقالوا: بلى يا رسول الله! قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء)، فالنور الذي يكون للمؤمن يوم القيامة هو بسبب الوضوء))[١٢] ، وهنا تتضح الصورة أشد الوضوح للمخاطبين في كل زمان ومكان ، ويزيدهم بعد ذلك شوقاً وهمةً للقياه (ﷺ)على حوض الكوثر ((ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، نسأل الله عز وجل أن يسقينا من حوضه صلوات الله وسلامه عليه في أول من يسقيهم النبي صلوات الله وسلامه عليه))[١٣] .

وللخيال مساحة واسعة للتأمل في هذا النص الرائع فيرسم صورة ذهنية لهذا المشهد المتحرك : أناس يأتون للورود على حوض الكوثر فيُمنعون كما يُمنع البعير الضال ، وما أشده من توبيخ وصورة مستنفرة (بعير وضال) فيناديهم سيد الخلق (ﷺ)بثلاثية تكرار فريدة (أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ) ويأتيه الرد الملائكي

بنكوصهم عن الحق ، فيُردد مرة ثانية بالطريقة ذاتها (فَسُحْقًا. فَسُحْقًا. فَسُحْقًا) وهذه اللفظة (فسحقاً) ذات الأثر الفعال التي تحمل التأسف على ما فعلوه تذكرنا بالآية الكريمة ((يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون))[١٤] والتي تحمل الطابع نفسه ، والحسرة ((انفعال نفسي على حال مؤسفة لا يملك الإنسان شيئاً حيالها سوى أن يتحسر ، والله سبحانه وتعالى لا يتحسر على العباد ، ولكنه يقرر أن حالة هؤلاء العباد مما يستحق حسرة المتحسرين ، فهي حال بائسة مؤسفة تنتهي بأصحابها إلى شر وخيم وبلاء عظيم))[١٥] وهذه هي اللمحات المتشابهة في النصوص الشرعية .

وعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْجُشَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)فَصَعَّدَ فِيَّ الْبَصَرَ وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ: ((أَرَبُّ إِبِلٍ أَنْتَ، أَوْ رَبُّ غَنَمٍ؟ ، وَكَانَ يُعْرَفُ رَبُّ الْإِبِلِ مِنْ رَبِّ الْغَنَمِ بِهَيْئَتِهِ، فَقُلْتُ: مِنْ كُلٍّ قَدْ أَتَانِيَ اللَّهُ فَأَكْثَرَ ... قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَأْتِينِي ابْنُ عَمِّي، فَأَحْلِفُ أَنْ لَا أُعْطِيَهِ، وَلَا أَصِلَهُ، قَالَ: كَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ عَبْدَانِ أَحَدُهُمَا لَا يَخُونُكَ، وَلَا يَكْتُمُكَ حَدِيثًا، وَلَا يَكْذِبُكَ، وَالْآخَرُ، يَكْذِبُكَ وَيَكْتُمُكَ، وَيَخُونُكَ، أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟، قُلْتُ: الَّذِي لَا يَكْذِبُنِي، وَلَا يَخُونُنِي، وَلَا يَكْتُمُنِي، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ))[١٦]. وهنا كان الحوار على طريقة المذهب الكلامي لإقناع السائل وإيضاح الصورة لديه عن الدين الجديد وعن الخالق المعبود ، فقد تضمن الحوار تقريب الصورة لذهن المخاطب بعد التوظيف البارز لـ " العبد " بصورتيه المشاكس العاصي والناصح لسيده مما تولد لدى المقابل اختيار الناصح ، وهذا مما لا بد منه ، وبهذه الإجابة فهم السائل مقامه عند ربه ، وقد جاء الحوار النبوي هنا مقتدياً بما في القرآن الكريم إذ ضرب الله المثل بـ " العبد " كذلك ، فقال تعالى : ((ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون))[١٧] وهنا يظهر جلياً عمق الترابط بين النصوص الشرعية في التعبير عن الموضوع الواحد ، فقد ضرب الله المثل هنا ((بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضاً فيه ، وهو بينهم موزع ولكل منهم فيه توجيه ولكل منهم عليه تكليف ، وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق ، ولا يملك أن يُرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه ، وعبد يملكه سيد واحد وهو يعلم ما يطلبه منه ويكلفه به فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح))[١٨] ، فما أشد وضوح الصورتين والتي تحتم الاختيار الموفق للمتلقي وإلا سيُصيبه الخسران المبين. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)فَقَالَ: ((أرأيت قوله تعالى

((وجنة عرضها السَّمَاوات والأَرْض))[١٩] فأين النار؟ قال أرأيت الليل ما لبس كل شيء فأين النهار؟ قال حيث شاء الله ، قال فكذلك حيث شاء الله))[٢٠] .

ومن أروع الاستعمالات للمذهب الكلامي الإجابة النبوية للسائلين عن مشاهد يوم القيامة ولأن العقول لا تدرك حقيقتها وكنهها جاءت على هيئة سؤال للسائل نفسه ، وعند إجابته عليه يبين المراد وتتضح الصورة

لديه ، فلا داعي للخوض في تفصيلات عالم الغيب الكبير بكل ما فيه ، إنما هو الإقناع بأيسر الطرق وأقربها إلى الأذهان .

وعن قيسِ بنِ سعد، قال: أتيتُ الحيرةَ فرأيتُهم يسجدون لمرْزُبانٍ لهم، فقلتُ: رسولُ اللهِ أحقُّ أن يُسجدَ له، قال: فأتيتُ النبي (ﷺ) فقلت: ((إني أتيتُ الحيرةَ فرأيتُهم يَسجُدُونَ لمرزبانٍ لَهُمْ، فأنت يا رسولَ اللهِ أحقُّ أن نسجُدَ لك، قال: أرأيتَ لو مررتَ بقبري أكنتَ تَسجُدُ له؟ قال: قلت: لا، قال: فلا تَفْعَلُوا، لو كنتُ آمراً أحداً أن يَسجُدَ لأحدٍ لأمرتُ النِّساءَ أن يسجُدْنَ لأزواجِهِنَّ، لِمَا جَعَلَ اللهُ لهم عليهنَّ من الحق))[٢١].

ولإقرار حقيقة التوحيد لله رب العالمين جاء الاستدلال العقلاني هنا على طريقة المذهب الكلامي ؛ لمنع فعل ينافي هذه الحقيقة . قَالَ الطِّيبِيُّ معلقا على هذا الحديث:((أَيِ اسْجُدُوا لِلْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلِمَنْ مُلْكُهُ لَا يَزُولُ فَإِنَّكَ إِنَّمَا تَسْجُدُ لِي الْآنَ مَهَابَةً وَإِجْلَالًا، فَإِذَا كُنْتُ رَهِينَ رَمْسٍ امْتَنَعْتَ عَنْهُ))[٢٢] .

والملاحظ أن النهي النبوي هنا بمنتهى اللطف والمراعاة لنفسية المخاطب ، فلا تجريح ولا توبيخ ، إنما هو التوجيه والإقناع فحسب .

وكذلك الحال مع الجانب العبادي فقد كان للحوار العقلاني والمذهب الكلامي حضور بارز فيه ، ومن ذلك ما رواه ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : ((أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتِ تَقْضِينَهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ))[٢٣] . فنلحظ في هذا الحديث ((إثبات القياس، الذي هو أحد أصول الجمهور في الاستدلال ، وقد ضرب لها النبي عليه الصلاة والسلام المثل بما هو معهود لها، ليكون الفهم أبلغ، وليقربه من ذهنها ، فإن تشبيه البعيد بالقريب، يسهل إدراكه وفهمه))[٢٤] ، وقد جاء هنا ((تشبيه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه))[٢٥] ليتضح المراد للسائل ويقتنع أشد القناعة بتطبيق ما يُفضي إليه الجواب النبوي لا سيما بعد مجيء هذا الإقناع عقلانياً على طريقة المذهب الكلامي ، فانتقل النبي صلى الله عليه وسلم بحواره معها بالتدريج فحاورها أولاً ليصل إلى النتيجة الحتمية بضرورة وفائها لدين البشر ، وبعدها تطور الحوار لتقتنع أن دَين الله أحقُ بالقضاء . وعنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالُوا لِلنَّبِيِّ (ﷺ): يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: ((أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ))[٢٦] . وَفِي هَذَا الحوار النبوي ((دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُبَاحَاتِ تَصِيرُ طَاعَاتٍ بِالنِّيَّاتِ الصَّادِقَاتِ فَالْجِمَاعُ يَكُونُ عِبَادَةً إِذَا نَوَى بِهِ قَضَاءَ حَقِّ الزَّوْجَةِ وَمُعَاشَرَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَوْ طَلَبَ وَلَدٍ صَالِحٍ أَوْ إِعْفَافَ نَفْسِهِ أَوْ إِعْفَافَ الزَّوْجَةِ وَمَنْعَهُمَا جَمِيعًا مِنَ النَّظَرِ إِلَى حَرَامٍ أَوَ الْفِكْرِ فِيهِ أَوِ الْهَمِّ بِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الصَّالِحَةِ))[٢٧].

ومحصلة هذا القياس راجعة((إِلَى إِعْطَاء كل وَاحِد من المتقابلين مَا يُقَابل بِهِ الآخر من الذوات وَالْأَحْكَام))[٢٨]. ولعدم ظهور هذا المعنى سأل الصحابة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ، لأن الأجر غير معروف في المباح ، فأجابهم بسؤال : (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟).

قَالَ الطِّيبِيُّ : ((أَقْحَمَ هَمْزَةَ الِاسْتِفْهَامِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيرِ بَيْنَ لَوْ وَجَوَابِهَا تَأْكِيدًا لِلِاسْتِخْبَارِ فِي (أَرَأَيْتُمْ) ، أي : فَعَلَى ذَلِكَ الْقِيَاسِ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ ، وَعَدَلَ عَنِ الْحَرَامِ مَعَ أَنَّ النَّفْسَ تَمِيلُ إِلَيْهِ وَتَسْتَلِذُّ بِهِ أَكْثَرَ مِنَ الْحَلَالِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةً ، وَالنَّفْسُ بِالطَّبْعِ إِلَيْهَا أَمْيَلُ وَالشَّيْطَانُ إِلَى مُسَاعَدَتِهَا أَقْبَلُ وَالْمُؤْنَةُ فِيهَا عَادَةً أَقَلُّ كَانَ لَهُ أَجْرٌ))[٢٩].

ولو دققنا النظر في مجريات هذا الحوار لوجدنا أنها لا تُعدّ من قبيل الإنكار منهم للوحي ، ولكنها تحتمل الاستفسار منهم عن موضع معين ((فبين لهم وقاس القياس المتقدم ، وهذا القياس المتقدم الذي قرر ضربٌ من قياس العكس))[٣٠] . فرتب صلى الله عليه وسلم ((الأجرَ والوزرَ على مجرد الوضع، من غير قصدِ شيءٍ آخر، فيكون فعلهُ بمجرده في محله نية))[٣١]

وبهذا يتضح المذهب الكلامي هنا ، والذي استند على قياس العكس ، إذ قاس صلى الله عليه وسلم الحلال بالحرام قياساً عكسياً لأنه قاس حالاً على حال ((فالمقيس عليه هو وضعها في حرام وأنه يأثم ، فيقاس عليه أنه إذا وضعها في حلال فإنه يؤجر))[٣٢] ، وبعرض صورتي الحلال والحرام اتضح المراد وثبت الأجر استناداً إلى أصل الفعل من المخاطبين .

وعنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، قَالَ: هَشَشْتُ يَوْمًا فَقَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ)فَقُلْتُ: صَنَعْتُ الْيَوْمَ أَمْرًا عَظِيمًا، قَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضْمَضْتَ بِمَاءٍ وَأَنْتَ صَائِمٌ؟ قُلْتُ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : فَفِيمَ؟))[٣٣].

فجاء المذهب الكلامي هنا على هيئة ((الجمع بين الشيئين في الحكم الواحد لاجتماعهما في الشبه وذلك أن المضمضة بالماء ذريعة لنزوله إلى الحلق ووصوله إلى الجوف فيكون به فساد الصوم كما أن القبلة ذريعة إلى الجماع المفسد للصوم ، فإذا كان أحد الأمرين منهما غير مفطر للصائم فالآخر بمثابته))[٣٤] لاجتماعهما في وجه الشبه . فزال بهذا الحوار استعظام عمر رضي الله عنه لفعله واطمئن بعد أن علم بأن صومه لم يفسد استناداً إلى هذا القياس، ودل على ((أن أصل الفعل لا يمنع منه لا المضمضة ولا الاستنشاق، لكن يمنع من المبالغة التي يغلب على الظن حصول الفطر بسببها، كما أنه أيضاً يمنع من المبالغة في التقبيل، وما هو أعظم من التقبيل مما يغلب على الظن معه أنه يحصل منه شيء يخدش الصيام))[٣٥].

فما أعظم استقبال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الإخبار ، فلم يوبخه ولم يعنفه ، بل بثّ فيه روح البساطة والهدوء واستقبال الفعل بصورته التي وقعت ، فما هو إلا سلوك لا لوم عليه . كل ذلك جرى بما ابتدأه به نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم من قياس على هيئة سؤال كإشارة اطمئنان لهذه الشخصية المستفهمة عن حكم ما فعلت ، وقد كان استنفار هذا الصحابي الجليل وسرعته في الاستفهام عن مشروعية فعلته واضح في هذا

الحديث بما رسمه حرف الفاء من سرعة التعاقب (فقبلت – فأتيت – فقلت) فالفاء أفادت اختصار الزمن ، فهو قد طوى الزمن بسرعة ، حيث جاءت الأفعال جميعها معطوفة بحرف الفاء الذي يفيد السرعة في المجازاة بدون مهلة زمنية [٣٦]، لتعطي شعوراً بسرعة الأحداث وتعاقبها.

وفي موضوع عبادي آخر يشوق النبي صلى الله عليه وسلم المخاطبين بطريقة المذهب الكلامي والاستدلال العقلاني بضرب المثل الذي يُقرب الصورة لهم لرفع الهمة والترغيب بالعمل الذي يوصي به ، فيسألهم ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا)) [٣٧] .

وهنا جاءت الْهمزَة للاستفهام على سبيل التقرير ، فهو أمر محسوم سلفاً ومتفق عليه عقلاً ومنطقاً، وفائدة التمثيل هنا التقييد وجعل المعقول كالمحسوس فشبه ((على وجه التمثيل حال المسلم المقترف لبعض الذنوب المحافظ على أداء الصلوات الخمس في زوال الأذى عنه وطهارته من أقذار السيئات)) [٣٨].

قال ابن العربي: ((وَجه التَّمْثِيل أَن الْمَرْء كَمَا يتدنس بالأقذار المحسوسة فِي بدنه وثيابه ويطهره المَاء الْكثير، فَكَذَلِك الصَّلَوَات تطهر العَبْد من أقذار الذُّنُوب حَتَّى لَا تبقي لَهُ ذَنبا إِلَّا أسقطته وكفرته)) [٣٩] .

ونلاحظ هنا عكس في اللفظ للمبالغة فعكس ((في التشبيه حيث أن الأصل تشبيه المعقول بالمحسوس)) [٤٠] .

ومن الصور البديعة التي احتواها هذا الحديث النبوي الشريف تخصيص الفعل المضارع ((دون الماضي والأمر، في قوله: (يغتسل – يبقي - لا يبقي – يمحو) للدلالة على تكرار الغسل وتجدده واستمراره، وما أجمل العموم في لفظ (يغسل) غير المقيد، وبلاغته العميقة في تنوع الغسل، ليشمل جميع البدن أو معظمه، أو الاقتصار على أعضاء الوضوء فقط، وللدلالة على طهارة تجدد الأوساخ الحسية في البدن والثوب، والمعنوية من الطهارة النفسية والقلبية، فهو متجدد مع المرات الخمس، وللدلالة على استمرار محو الذنوب في (يمحو الله بهن الخطايا) في العمر كله، لتجدد الغسل والصلاة المفروضة كل يوم)) [٤١]

وقد تزاحمت الصور الجزئية في هذا الحديث النبوي الشريف لتتعانق مع المذهب الكلامي ليتم الإقناع للمخاطبين في كل زمان ومكان ومنها :

المجازُ المرسلُ في (يغتسل فيه)، فليس المرادُ أن يغتسل في امتداد النهر كلِّه، يَسْبَحُ فيه من أوله إلى آخره، بل المراد في جزء منه، لتوحي الكلية في النهر بشمول الجسد وكمال الطهارة .

ومنها: صورة الاستعارة التصريحية في (يمحو الله بهن الخطايا) لأن الخطايا أمر معنوي، والمحو لا يكون إلا للحسي، فجاءت في صورة محسوسة للتأكيد على غفرانها كلها، سواء الصغائر منها أو الكبائر على الأرجح عند العلماء ، وهذا من الترغيب الإلهي للناس كافة .

ومنها: صورة التشبيه التمثيلي إذ شبّه الذي يغتسل بالماء خمس مرات - يعني الوضوء – ألا يبقى في جسده شيء من الشوائب والأوساخ بحال المصلي الذي تُمحى بصلاته ذنوبه كلها [٤٢] .

وأما الصورة الكلية البديعة فقد وردت في أقصوصة طريفة ومثيرة، نسج فيها الخيال أحداثًا حسية ومشاهد حية، لتحريك العاطفة وإثارة العقل وتنشيط الوجدان واشتياق القلب ((فجاءت في صورة حكاية جرت في العادة، وقامت مشاهدها المتنوعة فيما بين منزل مقام على نهر واسع ومتجدد، بجوار منازل أخرى، يغتسل المقيمون فيها كل يوم خمس مرات، في كل مرة يزيل الأوساخ من البدن والثوب، ثم يتبعها بالصلوات الخمس، ويدور الحوار بين شخصيات القصة، الراوي الذي سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم والمتحدث والسائل والمجيب، والمستمعون وهم كثيرون، يفكرون في السؤال ويحاولون الإجابة، كل ذلك في أحداث محسوسة، ومشاهد حية ومتحركة في قصة قصيرة بليغة))[٤٣] .

وإنما ضرب المثل بالنهر؛ لأن النهر لجريته لا يقف فيه الماء الأول الذي اغتسل به في المرة الأولى، وإنما يتجدد عند كل مرة من الاغتسال ماء جديد ، فشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الصلوات الخمس بالمرات الخمس في الاغتسال، وأن تلك المرة الأولى أزالت ما وجدته من الخطايا بإزالة ذهبت بها الجرية، ثم جاءت الغسلة الثانية فغسلت ما عساه تجدد، ثم ذهبت به الجرية، ثم جاءت الغسلة الثالثة كذلك، فكانت الغسلات ماحية ما يتجدد بين كل غسلتين من الذنوب))[٤٤] .

وفائدة التمثيل التأكيد وجعل المفعول كالمحسوس . قال الطيبيّ: ((في هذا الحديث مبالغة في نفي الذنوب، لأنهم لم يقتصروا في الجواب على لا، بل أعادوا اللفظ تأكيدًا))[٤٥] ، وهذا من دقائق التعبير في الحديث النبوي الشريف .

أما الجانب السلوكي فلم يكن بمعزل عن هذا الاحتجاج النظري لحث المتلقين على ضرورة الأخذ بالتوجيهات النبوية ، ومن ذلك قوله (ﷺ) ((أَلَا إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَكَبُّرَهَا بِآبَائِهَا، كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، وَأَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ))[٤٦] . وأول ما نلحظه هنا اقتداء التوجيه النبوي بالقرآن الكريم إذ قال الله تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم))[٤٧] ولا عجب فهما من مشكاة واحدة .ولإقناعهم بخلق التواضع الذي ينبؤ عن معدن أصيل للنفس البشرية من أي لون كانت وبأي لغة تحدثت جاءت هذه الطريقة في الخطاب ؛ ليستقيم المتلقون لها وفق مرادها الذي يُحقق الاتزان والعيش الكريم ، وكما قيل :

الناس في صورة التّشبيه أكفاءُ أبوهُمُ آدمٌ والأمّ حوّاءُ

فإن يكن لهُم في أصلها شَرَفٌ يفاخرون به فالطّين والماءُ

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ على الهُدَى لمن استهدَى أدلاّءُ

ووَزْنُ كل امرئ ما كان يُحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداءُ[٤٨]

ولأن جذور الجاهلية ممتدة في النفوس كان الاحتجاج النظري ضرورياً لإقناعهم بهذا الخلق العظيم .

وعن أبي سعيد الخدري قال : ((خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا))[٤٩] .

وأول ما يستوجب الوقوف عليه هنا مسألة النقصان والتي جاء المذهب الكلامي لتوضيحها وإزالة الإشكال حولها ، فهل نقصان العقل والدين سُبة عليهن ، أم هو من طبيعة الخلقة ، وعند التأمل لنهاية الحديث نلحظ أن النقص ((قَدْ يَقَعُ ضَرُورَةً لَا تُدْفَعُ أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ جَبَلَهُنَّ عَلَى مَا يَكُونُ نَقْصًا فِيهِنَّ))[٥٠]، ومن روائع التعبير ولطافته بين المتحاورين أن يستشكلن كونهن ناقصات عقل ودين ، ولا يكتمن ما استغربنه من طبيعة المقال ((وَمَا أَلْطَفَ مَا أَجَابَهُنَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَعْنِيفٍ وَلَا لَوْمٍ بَلْ خَاطَبَهُنَّ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِنَّ))[٥١] ، فشرح لهم صلى الله عليه وسلم شرحا عقلانياً على طريقة المذهب الكلامي تفاصيل إجابته الشافية ليكنّ على بينة من ذلك ، ففي مسألة الشهادة شهادة المرأة نصف شهادة الرجل وهذا من نقصان العقل ((لِأَنَّ الِاسْتِظْهَارَ بِأُخْرَى مُؤْذِنٌ بِقِلَّةِ ضَبْطِهَا وَهُوَ مشعر بِنَقص عقلهَا))[٥٢] .

قال الله تعالى ((واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى))[٥٣] ، وأما مسألة نقصان الدين فتركها الصلاة والصيام في أوقات معلومة محددة ، وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه المسائل (تحذيرا مِنَ الِافْتِتَانِ بِهِنَّ)[٥٤].

والخطاب في (أُرِيتُكُنَّ) ليس المقصود به ((سامعات الحديث، حتى يحكم عليهن بدخول النار، فقد يكن كلهن من أهل الجنة، وإنما المقصود خطاب المنادى (معشر النساء) فكأنه قال: فإني رأيت معشر النساء أكثر أهل النار والمرئي في النار من النساء من اتصف بالصفات الذميمة))[٥٥] . وإذا ما انتقلنا إلى حديث آخر نجد قوله (ﷺ): ((لَا عَدْوَى ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ الْإِبِلَ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ أَمْثَالَ الظِّبَاءِ ، فَيَأْتِيهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ ، فَتَجْرَبُ جَمِيعًا ؟ قَالَ : فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟))[٥٦] .

فعندما أخبرهم النبي (ﷺ)بعدم وجود العدوى ((يريد أن شيئاً لا يعدي شيئاً حتى يكون الضرر من قبله وإنما هو تقدير الله جل وعز وسابق قضائه فيه))[٥٧] هنا استفهم الأعرابي عن تفصيل هذا الموضوع فلم تتضح الصورة عنده ، فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله : (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ) وفي ذلك تظهر الحجة البالغة .

والجواب النبوي على طريقة المذهب الكلامي في غاية البلاغة وحاصله ((مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْجَرَبُ لِلَّذِي أَعْدَى بِزَعْمِهِمْ فَإِنْ أُجِيبَ مِنْ بَعِيرٍ آخَرَ لَزِمَ التَّسَلْسُلُ أَوْ سَبَبٌ آخَرُ فَلْيُفْصِحْ بِهِ فَإِنْ أُجِيبَ بِأَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ فِي الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي فَعَلَهُ فِي الثَّانِي ثَبَتَ الْمُدَّعَى وَهُوَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَ بِالْجَمِيعِ ذَلِكَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى))[٥٨] .

قَالَ الطِّيبِيُّ : ((وَإِنَّمَا أَتَى بِمَنْ، وَالظَّاهِرُ أَنْ يُقَالَ: فَمَا أَعْدَى الْأَوَّلَ ، لِيُجَابَ بِقَوْلِهِ: اللَّهُ تَعَالَى ،أَيِ :اللَّهُ أَعْدَى لَا غَيْرُهُ، وَذَكَرَ أَعْدَى لِلْمُشَاكَلَةِ وَالِازْدِوَاجِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: (كَمَا تَدِينُ تُدَانُ) يَعْنِي، وَكَانَ الظَّاهِرُ أَنْ يَقُولَ: فَمَنْ أَعْطَى تِلْكَ الْعِلَّةَ؟))[٥٩] .

ونلحظ هنا أن الاستفهام تقريري أريد منه حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه ليزول الإشكال ويتضح المراد عنده[٦٠] .

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَهُنَا غُلَامًا قَدِ احْتُضِرَ يُقَالُ لَهُ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَهَا، قَالَ: ((أَلَيْسَ قَدْ كَانَ يَقُولُهَا فِي حَيَاتِهِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَا مَنَعَهُ مِنْهَا عِنْدَ مَوْتِهِ؟ قَالَ: فَنَهَضَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)وَنَهَضْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى الْغُلَامَ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَهَا، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِعُقُوقِ وَالِدَتِي، قَالَ: أَحَيَّةٌ هِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهَا ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا فَجَاءَتْ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ): ابْنُكِ هُوَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: أَرَأَيْتِ لَوْ أَنَّ نَارًا أُجِّجَتْ فَقِيلَ لَكِ: إِنْ لَمْ تَشْفَعِي لَهُ قَذَفْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ، قَالَتْ: إِذًا كُنْتُ أَشْفَعُ لَهُ، قَالَ: فَأَشْهِدِي اللهَ، وَأَشْهِدِينَا مَعَكِ بِأَنَّكِ قَدْ رَضِيتِ ، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ عَنِ ابْنِي، قَالَ: يَا غُلَامُ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ))[٦١] .

ونقف هنا أمام قمة الرحمة الإنسانية فنبينا الكريم (ﷺ)يقنع أمه بالعفو عنه مستعملاً الإقناع العقلاني لينقذه من النار ، فقد صوّر لها النار وقد أُججت وابنها على وشك أن يُقذف فيها ، وهنا تأخذها الرحمة فيلين قلبها وتسامحه على ما بدر منه في سالف أيامه ، ونلمح هنا حراكاً مستعجلاً فقد ضاق الوقت بهم ، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحبة الصحب الكرام ويبدأ الحوار الذي ينتهي برضا الأم ووداع ابنها للحياة وهي راضية عنه أتم الرضا .

وقد كان للمذهب الكلامي حضور في جانب معاملات الناس فيما بينهم ، فنجد نبينا الكريم (ﷺ) ينهى عن بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى تُزْهِيَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا تُزْهِي؟، قَالَ: حَتَّى تَحْمَرَّ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ، فَبِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ))[٦٢] .

فالمعنى الذهني والخطاب العقلاني الذي أراد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إيصاله للمتلقي هو أنه ((لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ بَاطِلًا ، لِأَنَّهُ إِذَا تَلِفَتِ الثَّمَرَةُ لَا يَبْقَى لِلْمُشْتَرِي فِي مُقَابَلَةِ مَا دَفَعَهُ شَيْءٌ، وَفِيهِ إِجْرَاءُ الْحُكْمِ عَلَى الْغَالِبِ، لِأَنَّ تَطَرُّقَ التَّلَفِ إِلَى مَا بَدَا صَلَاحُهُ مُمْكِنٌ، وَعَدَمُ تَطَرُّقِهِ إِلَى مَا لَمْ يَبْدُ صَلَاحُهُ مُمْكِنٌ، فَأُنِيطَ الْحُكْمُ بِالْغَالِبِ فِي الْحَالَيْنِ))[٦٣] .

وبهذه الطريقة اقتنع المتلقون بهذا التوجيه النبوي الكريم ، حيث كانت الموازنة العقلانية واضحة بين الصورتين مما حدا بالمتلقي إلى الاقتناع بذلك دونما أي تردد يذكر ، وبهذا أكون قد ختمت هذا المحور .

المحور الثاني : استعمالات الصحابة الكرام للمذهب الكلامي :

لم يغب المذهب الكلامي عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين في حواراتهم وفي مختلف مواقفهم التي يمرون بها ، فقد استعانوا به على بيان الحجة للمقابل ، واستعملوه بالتزامن مع استعمال الحديث النبوي الشريف لبيان الرأي الأصوب في المسألة المعينة التي اختلفوا حولها ، ومن ذلك حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ(٦٤) لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ فِي الشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ فَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَاهُمْ لَهُ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَاهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ - وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ - نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عَدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تُقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ))(٦٥) .

وفي خضم حوار يتمسك طرفاه برأيهم وفق ما يرونه مناسباً يتأخر الدليل الذي يحسم هذه القضية ، مما حدا بعمر رضي الله عنه إلى استعمال المذهب الكلامي والاستدلال العقلاني ليقنعهم برأيه الذي يرى فيه السلامة للجميع ، فلا خوف ولا هلع وإنما المقدم هو المصلحة العامة للمسلمين ليس إلا. وأول ما يمكن ملاحظته في هذه القصة المناظرة عند الاختلاف واستعمال القياس والمشابهة بما يشبه المسألة ، فقد أوضح له ذلك بقوله (أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عَدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟) فَنَقْلُكَ إِيَّاهَا مِنَ الْجَدْبَةِ وَرَعْيُهَا فِي الْخِصْبَةِ فِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، فَكَذَلِكَ رُجُوعُنَا(٦٦) ، وقد جاء الحوار هنا موافقاً لما أقره الاستعمال الأمثل للمذهب الكلامي عبر إدخاله لمفردات الطبيعة والحيوان بصورة من الواقع المُشَاهد الذي يفهمه جميع الحضور في المناظرة التي بينت أحقية الرجوع وحماية البقية من الصحب الكرام من هذا الوباء ، وهنا تعانقت الموازنة وتوظيف الطبيعة مع المذهب الكلامي ليظهر الحوار بهذه الصورة الفريدة والتي اقتنع المتحاورون جميعاً بما صارت إليه النتيجة الختامية .

وفي حديث آخر قالت عائشة رضي الله عنها يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا فِيهِ شَجَرٌ كَثِيرٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرَةً لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تَرْتَعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: ((فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ فِيهَا))، تُرِيدُ أن رسول الله (ﷺ) لم يتزوج بكرا غيرها(٦٧) .

وهنا نقف أمام حوار مختلف ، فهو لم يكن بين الصحابة أنفسهم ، وإنما بين أم المؤمنين رضي الله عنها وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استعملت السيدة عائشة رضي الله عنها المذهب الكلامي بطريقة فريدة لتصل إلى النتيجة الموجودة أصلا ، والتي يزيدها إقرار النبي صلى الله عليه وسلم إبرازاً ونصاعة وظهوراً وحفاوة أكثر ، وجاء ذلك عبر التوظيف لمظاهر الرعي والطبيعة التي استعملت في الحديث السابق، ونلحظ هنا ((تشبيهُ البِكْر بالشَّجَرة التي لم يُؤكَل منها، والثَّيِّب بالتي أُكل منها))(٦٨) .

ونلمح في هذا التشبيه قمة الأدب والتلميح العفيف في التعبير عن المعنى المراد بأبهى حُلة ، وقد أجابها النبي صلى الله عليه وسلم بالأسلوب نفسه فقد فهم الإشارة لتكتمل بذلك لوحة رائعة من روائع البيان النبوي، وتم ذلك بفضل تعانق التشبيه مع المذهب الكلامي والذي أضاف بدوره معنى بديعاً للحوار هنا . ولا ننسى الدور الذي أحدثته الكناية البديعة في رسم صورة للتعبير الرمزي عن اختلافها رضي الله عنها عن بقية أزواجه (ﷺ). وعَنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ ابْنٌ، فَمَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ مِنْهُ، فَلَمَّا مَاتَ غَطَّتْهُ أُمُّهُ بِثَوْبٍ، فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: كَيْفَ أَمْسَى ابْنِي الْيَوْمَ؟ قَالَتْ: أَمْسَى هَادِئًا، فَتَعَشَّى، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَعَارَكَ عَارِيَةً ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْكَ، إِذًا جَزِعْتَ، قَالَ: لَا، قَالَتْ: فَإِنَّ اللَّهَ أَعَارَكَ عَارِيَةً فَأَخَذَهَا مِنْكَ، قَالَ: فَغَدَا إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهَا وَقَدْ كَانَ أَصَابَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): ((بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا)) قَالَ: فَوَلَدَتْ غُلَامًا كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، فَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ خَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ(٦٩) . والحديث هنا من نوع آخر فهو ذو شجون لا سيما إذا علمنا قصة الطفل قبل وفاته(٧٠) ، فهذا الطفل كان يلاطفه النبي (ﷺ)عند زيارته ، وفي يوم ما وجده مهموماً لوفاة طائره الصغير ، وعندما علم السبب قال له : يا أبا عُمير ما فعل النُغير ، فكاه ولاطفه وواساه ، وتشاء الأقدار أن يموت هذا الطفل بعد فترة(٧١) ، إنه الفرار من قدر الله إلى قدر الله ، وسبحان الحي الذي لا يموت .

فما أروعها من شخصية مباركة تلك التي تستقبل قدر الله بالرضا والقبول ، ولا يظهر شيء على ملامحها عند الحوار والسؤال . إنها فوق ما يتصوره العقل البشري ، ولكنه الإيمان المطلق المتجدد الذي يفعل الأعاجيب ، فما إن تُسأل عن ابنها المريض حتى تبادر بالإجابة (أمسى هادئاً) ، والمعنى ((أَنَّ النَّفْسَ كَانَتْ قَلِقَةً مُنْزَعِجَةً بِعَارِضِ الْمَرَضِ فَسَكَنَتْ بِالْمَوْتِ وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّ مُرَادَهَا أَنَّهَا سَكَنَتْ بِالنَّوْمِ لِوُجُودِ الْعَافِيَةِ ... وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ أَيْ بِالنِّسْبَةِ إلَى مَا فَهِمَهُ مِنْ كَلَامِهَا وَإِلَّا فَهِيَ صَادِقَةٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى مَا أَرَادَتْ قَوْلَهُ ... فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ صِدْقَ نِيَّتِهَا بَلَّغَهَا مُنَاهَا وَأَصْلَحَ لَهَا ذُرِّيَّتَهَا وَفِيهِ إجَابَةُ دَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))(٧٢) .

وما إن يصل السؤال إلى نقطة هادئة حتى تبادره بالسؤال مستعملة المذهب الكلامي بأبهى صوره وأوضحها لتُحرك فيه الاقتناع التام بقدر الله مع عِظم المصاب ، فتستعمل التشبيه ولله المثل الأعلى قائلة (أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ

رَجُلًا أَعَارَكَ عَارِيَةً ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْكَ، إِذًا جَزِعْتَ، قَالَ: لَا) وعندما أجابها بعدم الجزع لمثل ذلك أخبرته بفلذة كبدها ، وهنا انطلق الأب الحنون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليُخبره بما حدث ، فتأتي البشارة والدعاء النبوي لهما ((فحملت بعبد الله فولدته ليلًا وكرهت أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله (ﷺ)))[٧٣].

وقد كان للكناية أثر واضح في رسم صورة الحياء والعفة لتلك المرأة ذات الشخصية الصابرة القوية ويتجسد ذلك في (وَقَدْ كَانَ أَصَابَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ) فكان هذا التعبير رمزياً يُفهم منه المقصود ، ونلحظ فيه أن ((الكناية النبوية الجنسية تحقق كذلك إيحاءات فنية تنسجم مع السياق الذي تتشكل فيه لا نلمحها في التعبير الصريح الفاحش ، وذلك لأن الكناية وسيلة حيوية في التعبير ؛ لكونها من الأساليب الإيحائية ، فهي لا تدل على المعنى في صورة مباشرة ، وإنما يعمل الذهن فيها والخيال في الوقوف على المعنى المقصود))[٧٤]، وقد تعانقت مع ضرب المثل والمذهب الكلامي ليَظهر النص بهذا البهاء والرونق الذي يُعدّ خصيصة بارزةً من خصائص التعبير النبوي .

وعن نَافِعٍ قَالَ: رَآنِي ابْنُ عُمَرَ، وَأَنَا أُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ: أَلَمْ أَكُنْ أُكْسِكَ ثَوْبَيْنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَرْسَلْتُكَ فِي حَاجَةٍ أَكُنْتَ مُنْطَلِقًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَزَيَّنَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)يَقُولُ: ((إِذَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدِكُمْ إِلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَلْيَشُدَّ بِهِ حَقْوَهُ[٧٥]، وَلَا يَشْتَمِلْ بِهِ اشْتِمَالَ الْيَهُودِ))[٧٦] .

واشتمال اليهود المنهي عنه هو أن يجلل بدنه الثوب ويسبله من غير أن يشيل طرفه[٧٧] ، ونلاحظ هنا تقارب واضح في الاستعمال التعبيري للمذهب الكلامي بين النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي اله عنهم أجمعين ، ولا عجب في ذلك فقد استلهم الصحابة كل شيء من النبوة وتَخلقوا بها خَلقاً وخُلقاً وتعبيراً ، فهنا يقول ابن عمر رضي الله عنه (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَزَيَّنَ لَهُ) بعد أن يسأله عن تصرفه وقت ذهابه في حاجة ما ، وقبل ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال (فدين الله أحق بالقضاء) بعد سؤال أيضاً عن طبيعة الوفاء للدين ، ففي كل ذلك تأتي المقاربات الذهنية أولاً ثم يعقبها التوجيه لتصل الرسالة بوضوح تام وجمال أخّاذ ليكون تطبيقها والسير وفق مضامينها سهل على المتلقين ، وبهذه الأمثلة المختصرة أختم هذا المحور .

المحور الثالث : المذهب الكلامي بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

كثيرة هي الأمثلة القرآنية التي تضمنت هذا الفن البديعي وسأقتصر على بعضها ؛ لأرصد الآلية المتبعة في مجيء المذهب الكلامي في آي الذكر الحكيم ، ومن ثم نرى أوجه الشبه والاختلاف مع أمثلة هذا الفن في الحديث النبوي الشريف ، ومن ذلك قوله تعالى ((قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ))[٧٨] فلأجل إثبات وترسيخ الإيمان بالقضاء والقدر تضمن هذا الخطاب القرآني الاحتجاج النظري والاستدلال العقلاني لإقناعهم بأن المعارك والحروب لا تُقدم الآجال ، وإنما هو القدر السابق لبني البشر في كل زمان ومكان ((فالحذر لا يدفع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير ، فالذين قدّر الله عليهم القتل لا بُدّ وأن يُقتلوا على جميع التقديرات))[٧٩] ، ومثل هذا المعنى ورد كثيراً في الأحاديث النبوية الشريفة

لترسيخ مبدأ الإيمان بالقضاء والقدر كما مر معنا سابقاً في حديث (فمن أعدى الأول؟) و (نفر من قدر الله إلى قدر الله). ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى : ((أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً))[٨٠]، فخاطبهم الله تعالى خطاباً يُلزمهم الحجة القاطعة بأن يتيقنوا بأن هذا القرآن العظيم منه سبحانه بدليل خلوه من كل نقص واختلاف ((ووجه هَذَا الدَّلِيلِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ مُتَكَلِّمٍ كَلَامًا طَوِيلًا إِلَّا وُجِدَ فِي كَلَامِهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ، إِمَّا فِي الْوَصْفِ وَاللَّفْظِ، وَإِمَّا فِي الْمَعْنَى بِتَنَاقُضِ أَخْبَارِهِ، أَوِ الْوُقُوعِ عَلَى خِلَافِ الْمُخْبَرِ بِهِ، أَوِ اشْتِمَالِهِ عَلَى مَا لَا يَلْتَئِمُ، أَوْ كَوْنِهِ يُمْكِنُ مُعَارَضَتُهُ. وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ كَلَامُ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ مُنَاسِبٌ بَلَاغَةً مُعْجِزَةً فَائِتَةً لِقُوَى البلغاء، وتظافر صِدْقِ أَخْبَارِهِ، وَصِحَّةِ مَعَانِيهِ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْعَالِمُ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ سِوَاهُ))[٨١] . ومثل هذا الاستعمال للمذهب الكلامي لم يرد في الحديث النبوي الشريف . أما قوله تعالى : ((واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يُكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين))[٨٢] فهو خطاب متفرد في القرآن الكريم دون الحديث النبوي الشريف، فقد أنكر الله عليهم اتخاذهم آلهة سواه ((وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ حَيْثُ عَبَدُوا جَمَادًا أَوْ حَيَوَانًا عَاجِزًا عَلَيْهِ آثَارُ الصَّنْعَةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَلَا يَهْدِي وَقَدْ رَكَزَ فِي الْعُقُولِ أَنَّ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا وَهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ يُسَمَّى الِاحْتِجَاجَ النَّظَرِيَّ وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ الْمَذْهَبَ الْكَلَامِيَّ))[٨٣] ويروا بمعنى يعلموا وقد سلب الله تعالى عن آلهتهم المزعومة ((هذين الوصفين دون باقي أوصاف الإلهية لأن انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم ، وانتفاء الهداية إلى سبيل يستلزم انتفاء القدرة ، وانتفاء هذين الوصفين يستلزم انتفاء باقي الأوصاف))[٨٤] ، وبذلك يلزمهم الحجة البالغة بأن لا إله إلا الله .

وفي قوله تعالى : ((أولا يذكر الإنسانُ أنا خلقناه من قَبلُ ولم يكُ شيئاً))[٨٥] يأتي المذهب الكلامي والحوار الإقناعي ليثبت للإنسان القدرة المطلقة لله تعالى على الإعادة ؛ لأنها أهون من النشأة الأولى لهذا الإنسان الضعيف ((وهل تزيد النطفة حيوية أو قدرة أو قيمة على العظم الرميم المفتوت ؟ أو ليس من تلك النطفة كان الإنسان ؟ أو ليست هذه هي النشأة الأولى ؟ أو ليس الذي حول تلك النطفة إنساناً وجعله خصيماً مبيناً بقادر على أن يحول العظم الرميم مخلوقاً جديداً ؟ إن الأمر أيسر وأظهر من أن يدور حوله سؤال ، فما بالك بالجدل الطويل))[٨٦] ، وَهَذِهِ ((الْحُجَّةُ فِي غَايَةِ الِاخْتِصَارِ وَالْإِلْزَامِ لِلْخَصْمِ))[٨٧] ، وقد جاءت آيات قرآنية كثيرة بهذا المعنى وبالطريقة ذاتها من حيث توظيف المذهب الكلامي لإلزام الخصم الحجة .

أما الحديث النبوي الشريف فقد جاء فيه المذهب الكلامي في هذا الجانب الموضوعي تحديداً في بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تثبت القدرة المطلقة لله تعالى على كل شيء كما مرّ معنا في الحديث السابق (الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ) والذي استغرب منه أحدهم حتى جاءهم القياس العقلاني فاقتنع به . وفي جانب الترهيب للحث على الطاعة جاء قوله تعالى ((قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم))[٨٨] ، فالمقصود من هذا الخطاب القرآني إثبات المقابل لذلك ((كَأَنَّهُ قَالَ: أَرْجُو إِنْ أَطَعْتُهُ أَنْ يَرْحَمَنِي رَبِّي، لِأَنَّ مَنْ صُرِفَ عَنْهُ الْعَذَابُ ثَبَتَتْ لَهُ الرَّحْمَةُ. فَجَاءَ فِي إِفَادَةِ هَذَا الْمَعْنَى

بِطَرِيقَةِ الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ. وَهُوَ ذِكْرُ الدَّلِيلِ لِيُعْلَمَ الْمَدْلُولُ. وَهَذَا ضَرْبٌ مِنَ الْكِنَايَةِ وَأُسْلُوبٌ بَدِيعٌ بِحَيْثُ يَدْخُلُ الْمَحْكُومُ لَهُ فِي الْحُكْمِ بِعُنْوَانِ كَوْنِهِ فَرْدًا مِنْ أَفْرَادِ الْعُمُومِ الَّذِينَ ثَبَتَ لَهُمُ الْحُكْمُ))[٨٩] ، وقد جاء قريباً من هذا المعنى ولكنه في باب الترغيب استعمال المذهب الكلامي للتشويق كما في قوله (ﷺ):(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ) .

وفي موضوع آخر يتفرد به القرآن الكريم دون الحديث النبوي الشريف نقف مع قوله تعالى : ((قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون))[٩٠] ، فنلاحظ في هذا النص القرآني التدرج في إلجام الخصم الحجة ((وَالنُّكْتَةُ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْأَدَاةِ الصَّرِيحَةِ فِي الِامْتِنَاعِ هُنَا إِيهَامهم فِي بادئ الْأَمْرِ أَنَّ فَرْضَ الْوَلَدِ لِلَّهِ مَحَلُّ نَظَرٍ، وَلِيَتَأَتَّى أَنْ يَكُونَ نَظْمُ الْكَلَامِ مُوَجَّهًا حَتَّى إِذَا تَأَمَّلُوهُ وَجَدُوهُ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَلَدٌ بِطَرِيقِ الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ))[٩١] ، وبذلك تقوم الحجة عليهم ، فلا مناص من الإيمان بالله تعالى أو النكوص بخيبة بعد أن فنيت حججهم بهذا الخطاب القرآني المعجز .

وفي قوله تعالى : ((ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ))[٩٢] نجد إثبات النبوة والوحي على طريقة المذهب الكلامي ، وهو موضوع خلا منه الحديث النبوي الشريف ، فقد تفرد القرآن الكريم في الحديث عنه وإثباته في أكثر من موضع ، والمعنى هنا ((أن هذا النبأ غيب، لم تعرفه إلا بالوحي، لأنك لم تحضر أخوة يوسف عليه السلام حين عزموا على ما هموا به من أن يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به، ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك، أنك ما لقيت أحدا سمع ذلك فتعلمته منه. وقال بعض المحققين: إن هذا تهكم بمن كذبه، وذلك من حيث أنه تعالى جعل المشكوك فيه كونه عليه السلام حاضرا بين يدي أولاد يعقوب عليه السلام))[٩٣].

وبهذا يكون القرآن الكريم قد ألجمهم الحجة ، وبذلك أختم هذا المحور الذي رأينا من خلاله تفرد القرآن الكريم ببعض الموضوعات واشتراكه مع الحديث النبوي الشريف في موضوعات أخرى مع اختلاف واضح في أسلوب التعبير عن المعنى المراد ، ففي القرآن الكريم مثلاً لم يأتِ السؤال للسائل لتتأتى من ذلك الإجابة عما سأل كما في الحديث النبوي الشريف ، وإنما يأتي الخطاب مباشرة لإلزامهم الحجة ، وهذا يعود إلى أن القرآن الكريم ينزل وحياً من السماء ، أما الحديث النبوي الشريف فقد قاله صلى الله عليه وسلم مباشرة للمتلقين مما جعل في الموضوع فسحة للحوار المباشر المطول أحياناً، كما في حديث (أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ) ، وغيره من الأحاديث التي مرّ ذكرها .

الخاتمة :

في ختام بحثي هذا والذي تم بفضل الله وتوفيقه لا بد لي أن أشير إلى أبرز النتائج التي توصلت إليها ، والتي تمثلت بالنقاط الآتية :

من خلال الأمثلة التطبيقية لهذا الفن البديعي في الحديث النبوي الشريف تبين أنه لا يمكن أن نطلق عليه تسمية "إلجام الخصم الحجة" وإنما "المذهب الكلامي" أو "الاحتجاج النظري" استناداً إلى طريقة تعاطيه في الحديث النبوي الشريف والتي تختلف اختلافاً كلياً في كل شيء مع تعاطيه في القرآن الكريم إذ تصح تسميته فيه بـ"إلجام الخصم الحجة" ، فلم يكن هناك خصم في الحديث النبوي الشريف وإنما مستفهم أو مستغرب من حكم أو قضية ما وغير ذلك على العكس تماماً مما في القرآن الكريم فقد كثر فيه الخصم العنيد .

تنوعت الموضوعات التي جاء فيها المذهب الكلامي في الحديث النبوي الشريف فكانت عقائدية وعبادية وسلوكية ومعاملات .

تعانقت كثير من الفنون البلاغية مع المذهب الكلامي داخل النص الواحد كالإجمال والتفصيل والمقابلة وضرب المثل والحوار والتشبيه والكناية ، مما أضفى على النص جمال وبهاء ورونق بوصفه خصيصة بارزة من خصائص التعبير النبوي .

وفي كل ذلك كان للمذهب الكلامي الأثر الفعّال في إقناع المتلقي في كل زمان ومكان بضرورة الامتثال لما أرشد إليه الهدي النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام .

تنوعت طرق مجيء المذهب الكلامي داخل الحديث النبوي الشريف ، فقد جاء للتشويق والإثارة ، وجاء للإجابة عن سؤال ما ، وجاء لتقريب الصورة لذهن المخاطب خاصة في الأمور الغيبية ، وجاء بصيغة سؤال تتضمن إجابته إجابةً للسؤال المطروح .

أفاد الصحابة الكرام من المذهب الكلامي واستعملوه في حواراتهم متمثلين بالهدي النبوي ، فقد تشابهت طريقة استعماله من قبلهم مع الطريقة النبوية في الإفادة منه في خطاب المتلقين . اشترك هذا الفن البديعي من حيث الجانب الموضوعي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في بعض الموضوعات ، وانفردا في بعضها ، تبعاً لتنوع المخاطبين وطبيعة الموضوع الذي جرى الحوار حوله ، واختلفت الأساليب التي جاء فيها المذهب الكلامي فيهما فلكل خصائصه التعبيرية، ففي القرآن الكريم مثلاً لم يأتِ السؤال للسائل لتتأتى من ذلك الإجابة عما سأل كما في الحديث النبوي الشريف ، وإنما يأتي الخطاب مباشرة لإلزامهم الحجة ، وهذا يعود إلى أن القرآن الكريم ينزل وحياً من السماء ، أما الحديث النبوي الشريف فقد قاله صلى الله عليه وسلم مباشرة للمتلقين مما جعل في الموضوع فسحة للحوار المباشر المطول أحياناً، كما في حديث (أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ) ، وغيره من الأحاديث التي مرّ ذكرها .

لا زالت البلاغة النبوية بحاجة ماسة إلى دراسات تطبيقية أخرى تكشف النقاب عن روائع التعبير النبوي.

الهوامش

(١) المذهب الكلامي : هو أن يأتي البليغ على صحة دعواه، وإبطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها إلى علم الكلام ، إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة . خزانة الأدب ١/ ٣٦٤ . ولا يشترط أن يكون الطرف المقابل خصماً ، فقد يكون سائلاً عن أمر ما ، أو مستفهماً عن شيء غامض تم الحديث عنه . وهو أيضاً : إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، وذلك أن يكون بعد تسليم المقدمات مقدمة ملتزمة للمطلوب . التعريفات : ١٤٥ . ويسمى أيضاً "الاحتجاج النظري" وسماه بذلك أبو حيان الأندلسي وابن قيم الجوزية وابن النقيب ، أما الزركشي فقد سماه "إلجام الخصم الحجة" بينما علماء البلاغة يسمونه "المذهب الكلامي" . المعجم المفصل في علوم البلاغة : ٣٥ .

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٦٨٩) .

(٣) تحفة الأحوذي ٨/ ٤٦٠ .

(٤) سورة الفرقان : ٣٤ .

(٥) سورة الزمر : ٢٤ .

(٦) المفاتيح في شرح المصابيح ٥/ ٤٨٣ .

(٧) أخرجه الطيالسي (٢١٨٤) .

(٨) خزانة الأدب ١/ ٣٦٤ .

(٩) أخرجه مالك في "الموطأ" (٢٤) .

(١٠) الاستذكار ١/ ١٩٤ .

(١١) تطريز رياض الصالحين ١/ ٦٠٣ .

(١٢) شرح رياض الصالحين – حطيبة ١١/ ٩٦ .

(١٣) المصدر نفسه .

(١٤) سورة يس : ٣٠ .

(١٥) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٦٦ .

(١٦) أخرجه الحميدي في "مسنده" (٩٠٧) .

(١٧) سورة الزمر : ٢٩ .

(١٨) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٤٩ .

(١٩) سورة آل عمران : ١٣٣ .

(٢٠) أخرجه البزار في " البحر الزخار " (٩٣٨٠) .

(٢١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٢١٤٠) .

(٢٢) مرقاة المفاتيح ٥/ ٢١٢٩ .

(٢٣) أخرجه البخاري (١٩٥٣) ، ومسلم (١١٤٨) .

(٢٤) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ١/ ٣٣٤ .

(٢٥) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ١٣/ ١٠٠ .

(٢٦) أخرجه مسلم (١٠٠٦) .

(٢٧) شرح النووي على مسلم ٧/ ٩٢ .

(٢٨) شرح السيوطي على مسلم ٣/ ٧٨ .
(٢٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/ ١٣٣٨ .
(٣٠) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣/ ٥٢٧ .
(٣١) العدة في شرح العمدة ٣/ ١٣٧٧ .
(٣٢) شرح سنن أبي داود للعباد ٥٩٤/ ٢١ .
(٣٣) أخرجه أحمد (١٣٨) .
(٣٤) معالم السنن ٢/ ١١٤ .
(٣٥) شرح الموطأ لعبد الكريم الخضير١١/ ٦١ .
(٣٦) البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق – د. غالب محمد الشاويش – مكتبة الرشد– الرياض– ط١ – ٢٠٠٩ : ١٥٣
(٣٧) أخرجه مسلم (٢٨٣) .
(٣٨) إرشاد الساري ١/ ٤٨٣ .
(٣٩) عمدة القاري ٥/ ١٥-١٦ .
(٤٠) مرعاة المفاتيح ٢/ ٢٧٠ .
(٤١) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية : ٣٤ .
(٤٢) ينظر : المصدر نفسه : ٣٥ .
(٤٣) المصدر نفسه : ٣٥ .
(٤٤) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/ ١٩٩ .
(٤٥) كوثر المعاني الدراري ٧/ ٤٦٧ .
(٤٦) أخرجه الأزرقي في "أخبار مكة" ٢/ ١٢١ .
(٤٧) سورة الحجرات : ١٣ .
(٤٨) أسرار البلاغة ١/ ٢٦٤ ، والأبيات من البحر البسيط .
(٤٩) أخرجه البخاري (٣٠٤) .
(٥٠) التمهيد ٣/ ٣٢٥ .
(٥١) فتح الباري ١/ ٤٠٦ .
(٥٢) المصدر نفسه .
(٥٣) سورة البقرة :٢٨٢ .
(٥٤) المصدر نفسه .
(٥٥) فتح المنعم ١/ ٢٥٦ .
(٥٦) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٤٦١٤) .
(٥٧) معالم السنن ٤/ ٢٣٣ .
(٥٨) فتح الباري ١٠/ ٢٤٢ .
(٥٩) مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٨٩٥ .
(٦٠) ينظر : المنهل الحديث ٤/ ١٥١ .

(٦١) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٧٥٠٨) .
(٦٢) أخرجه النسائي (٤٥٢٦) .
(٦٣) شرح الزرقاني على الموطأ ٣/ ٣٩٤ .
(٦٤) بفتح أوله، وسكون ثانيه، ثم غين معجمة- والمهملة لغة فيه: أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك، من منازل الحاج الشامي. مراصد الاطلاع ٢/ ٧٠٧ .
(٦٥) أخرجه الشاشي في "مسنده" (٢٣٥) .
(٦٦) ينظر : شرح الزرقاني على الموطأ ٤/ ٣٧١ .
(٦٧) أخرجه ابن حبان (٤٣٣١) .
(٦٨) اللامع الصبيح ١٣/ ١٧٧ .
(٦٩) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (٢٠١٤٠) .
(٧٠) ينظر : شرح سنن أبي داود للعباد ٣/ ٥٦٦ .
(٧١) ينظر : شرح سنن ابن ماجه للسيوطي ١/ ٢٦٤ .
(٧٢) فتح الباري ٣/ ١٧١ .
(٧٣) الفتح الرباني ٢٢/ ٤٢٤ .
(٧٤) الكناية في القرآن الكريم – أطروحة دكتوراه – أحمد فتحي رمضان – كلية الآداب – جامعة الموصل – ١٩٩٥م : ٧٤
(٧٥) الأصل في الحقو معقد الإزار ، وجمعه أحْق وأحْقَاء، ثم سُمي به الإزار للمجاورة. النهاية في غريب الحديث(حقا) ١/ ٤١٧.
(٧٦) أخرجه ابن خزيمة (٧٦٦) .
(٧٧) معالم السنن ١/ ١٧٨ .
(٧٨) سورة آل عمران : ١٥٤ .
(٧٩) تفسير الرازي ٩/ ٣٩٧ .
(٨٠) سورة النساء : ٨٢ .
(٨١) البحر المحيط ٣/ ٧٢٥ .
(٨٢) سورة الأعراف : ١٤٨ .
(٨٣) البحر المحيط ٥/ ١٧٧ .
(٨٤) المصدر نفسه .
(٨٥) سورة مريم : ٦٧ .
(٨٦) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٧٧ .
(٨٧) البحر المحيط ٧/ ٢٨٦ .
(٨٨) سورة الأنعام : ١٥ .
(٨٩) التحرير والتنوير ٧/ ١٦٢ .
(٩٠) سورة الزخرف :٨١-٨٢ .
(٩١) التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٦٥ .

(٩٢) سورة يوسف :١٠٢-١٠٤ .

(٩٣) الجدول في إعراب القرآن ١٣/ ٧٤ .

المصادر

المصادر بعد القرآن الكريم هي :

-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان - محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (٣٥٤هـ) - ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي - (٧٣٩هـ) - حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة، بيروت – ط١ - ١٩٨٨.

-أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي - (٢٥٠هـ) - المحقق: رشدي الصالح ملحس - دار الأندلس للنشر – بيروت .

-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين - (٩٢٣هـ) - المطبعة الكبرى الأميرية - مصر – ط٧ - ١٣٢٣ هـ .

-الاستذكار- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي - (٤٦٣هـ) - تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض - دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ٢٠٠٠ .

-أسرار البلاغة - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار - (٤٧١هـ) - قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر - مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة .

-الإفصاح عن معاني الصحاح - يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين - (٥٦٠هـ) - المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد - دار الوطن - ١٤١٧هـ .

-البحر المحيط في التفسير - أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي - (٧٤٥هـ) - المحقق: صدقي محمد جميل - دار الفكر – بيروت - ١٤٢٠ هـ .

-التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي - (١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر – تونس - ١٩٨٤ هـ .

-تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري - (١٣٥٣هـ) - دار الكتب العلمية – بيروت .

-التعريفات – علي بن محمد الشريف الجرجاني – (٨٢٦هـ) – دار الفكر – بيروت – ط١ – ٢٠٠٥م .

-التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري - (٦٠٦هـ) - دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٣ - ١٤٢٠ هـ .

-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي - (٤٦٣هـ) - تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري - وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب- ١٣٨٧هـ

-الجدول في إعراب القرآن الكريم - محمود بن عبد الرحيم صافي - (١٣٧٦هـ) - دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت – ط٤ - ١٤١٨ هـ .

-خزانة الأدب وغاية الأرب - ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري - (٨٣٧هـ) - المحقق: عصام شقيو - دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت - ٢٠٠٤م .

-التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف - علي صبح - المكتبة الأزهرية للتراث – ط١ - ٢٠٠٢م .

-تطريز رياض الصالحين - فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي - (١٣٧٦هـ) - المحقق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد - دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض – ط١- ٢٠٠٢ م .
-تيسير العلام شرح عمدة الأحكام - أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام - (١٤٢٣هـ) - حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق - مكتبة الصحابة، الأمارات - مكتبة التابعين، القاهرة – ط١- ٢٠٠٦ م .
-الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) - حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري - دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية – الخبر- ط١ - ١٩٩٦ م .
-سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني - (٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .
-شرح رياض الصالحين - محمد بن صالح بن محمد العثيمين - (١٤٢١هـ) - دار الوطن للنشر، الرياض - ١٤٢٦ هـ .
-شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك - محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ط١- ٢٠٠٣م .
-شرح سنن ابن ماجه(مجموع من ٣ شروح) ١- (مصباح الزجاجة) للسيوطي - (ت ٩١١ هـ) ٢- (إنجاح الحاجة) لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي - (ت ١٢٩٦ هـ) ٣- (ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات) لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي – (ت١٣١٥ هـ) - قديمي كتب خانة – كراتشي .
-شرح سنن أبي داود - عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر - مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .
-شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمٍ للقاضي عِيَاض المُسَمَّى إِكْمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم - عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل - (٥٤٤هـ) - المحقق: الدكتور يحيَى إِسْمَاعِيل - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر – ط١- ١٩٩٨ م
-شرح الموطأ - مؤلف الأصل: مالك بن أنس الأصبحي المدني - (١٧٩هـ) - الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير - دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير على الشبكة الإسلامية .
-شعب الإيمان - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي - (٤٥٨هـ) - حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد - أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند - مكتبة الرشد للنشر بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند– ط١- ٢٠٠٣
-صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) – (٢٥٦هـ) - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – ط١ -١٤٢٢هـ .
-صحيحُ ابن خُزَيمة - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري - (٣١١هـ) - حَقَقهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي – ط٣ - ٢٠٠٣ م .
-صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري - (٢٦١هـ) - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي – بيروت .

-العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام - علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار - (٧٢٤ هـ) - وقف على طبعه والعناية به: نظام محمد صالح يعقوبي - دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – ط١ - ٢٠٠٦

-عمدة القاري شرح صحيح البخاري - أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني - (٨٥٥هـ) - دار إحياء التراث العربي – بيروت .

-فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي - قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب - دار المعرفة – بيروت- ١٣٧٩هـ .

-الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني - أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي - (١٣٧٨ هـ) - دار إحياء التراث العربي – ط٢ .

-فتح المنعم شرح صحيح مسلم - الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين - دار الشروق – ط١ - ٢٠٠٢ م .

-في ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق – ط ٣٤ – ٢٠٠٤م .

-كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايَا صَحِيْحِ البُخَارِي - محَمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي - (١٣٥٤هـ) - مؤسسة الرسالة، بيروت – ط١- ١٩٩٥ م .

-الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) - جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها - مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - دار المنهاج - دار طوق النجاة – ط١ - ٢٠٠٩

-اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح - شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي - (٨٣١هـ) - تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب - دار النوادر، سوريا – ط١- ٢٠١٢ م .

-المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي) - المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي - (٣٠٣هـ) - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ط٢ – ١٤٠٦.

-مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي،الحنبلي،صفيّ الدين - (٧٣٩هـ) - دار الجيل - بيروت – ط -١٤١٢هـ .

-مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري - (١٤١٤هـ)البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند–ط٣ – ١٩٨٤.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري - (١٠١٤هـ) - دار الفكر، بيروت – ط١- ٢٠٠٢م .

-مسند الإمام أحمد بن حنبل - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) - المحقق: أحمد محمد شاكر - دار الحديث – القاهرة - ط١ - ١٩٩٥ م .

-مسند أبي داود الطيالسي - أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (٢٠٤هـ) - المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي - دار هجر – مصر – ط١- ١٩٩٩ م .

-مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار - أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار - (٢٩٢هـ) - المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)

وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة – ط١ - (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م) .

-مسند الحميدي - أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي - (٢١٩هـ) - حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ - دار السقا، دمشق – سوريا – ط١ - ١٩٩٦ م .

-المصنف - أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني - (المتوفى: ٢١١هـ) - المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي - المجلس العلمي- الهند - المكتب الإسلامي – بيروت – ط٢ – ١٤٠٣ .

-معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود - أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي - (٣٨٨هـ) - المطبعة العلمية–حلب – ط١-١٩٣٢م .

-المعجم الأوسط - سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني - (٣٦٠هـ) - المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني - دار الحرمين – القاهرة .

-المعجم المفصل في علوم البلاغة – د. أنعام نوال عكاوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٣ – ٢٠٠٦م.

-المفاتيح في شرح المصابيح - الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري - (٧٢٧هـ) - تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب - دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية – ط١- ٢٠١٢ م .

-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - (٦٧٦هـ) - دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٢ .

-المنهل الحديث في شرح الحديث - الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين - دار المدار الإسلامي – ط١- ٢٠٠٢ م .

الموطأ - مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني - (١٧٩هـ) - المحقق: محمد مصطفى الأعظمي - مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات – ط١ - ٢٠٠٤ م .

-النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير - (٦٠٦هـ) - تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية – بيروت - ١٩٧٩م .

اللَبِنَةُ المُضِيَّة في الأفْعَالِ المُعْتَلَّة العَيْن الواويّة اليائِيّة

أ.م.د. أسامة محمد سويلم النعيمي
جامعة الأنبار- كلّية التربية للعلوم الإنسانية
Cxdrt66@gmail.com.

الملخص :

تناولت في بحثي الموسوم بـ (اللَبِنَة المُضِيَّة في الأفعال المعتلّة العين الواويّة اليائيّة) الأفعال المعتلة العين المسموعة عن العرب بالواو والياء معًا، مثل: جاء يجيء ويَجُوءُ، لغتان، فجمعت تلك الأفعال ورتّبتها على حروف المعجم، وبيّنت معاني ما يحتاج منها إلى بيان، من غير ادّعاء للحصر، فذلك مُحال، وحسبي أنّي حاولت، فتحصّل من ذلكم الجمع جملة من الأفعال سُمعت بالواو والياء، وكلّ ذلك ضربٌ من الاتساع في لغة العرب.

Abstract

The research studies Al-Mutala Al-Ain verbs heared from Arabs with O and I together like Jaa came yajea come and Yajoo they come as two languages. The researcher collected and arranged these verbs alphabetically and explained some of them without claiming that I collected aII off them due to the great difficulty of this mission. The study succeeded in collectiong some verbs that are heard with O and I which is a kind of elaborate in the language of Arabs.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير الأوّلين والآخرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمّا بعد :

فيقول ابن العربي المالكيّ:" لا ينبغي لحصيفٍ يتصدّى إلى تصنيف أن يعدل عن غرضين: إمّا أن يخترع معنى، أو يبتدع وضعًا ومبنى، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد للورق والتحلّي بحلية السَّرَق"[١].

ويقول ابن عرفة – معلّقًا على قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أو علم يُنتفع به)[٢]:"إنّما تدخل التواليف في ذلك إذا اشتملت على فائدة زائدة، وإلا فذلك تخسير للكاغد"[٣].

وأنا أقلّب في معجماتنا استوقفتني مجموعة من الأفعال المعتلّة العين، فأجدها مرة بالواو وأخرى بالياء! فمرّة: جاء يجيء، ومرّة يجوء، ومرّة: يموت وأخرى: يميتُ!، فشرعتُ أبحث عن جامع لتلك الأفعال في مصنّف مستقلّ – كما فعل ابن مالك في المنظومة المنسوبة إليه، إذ جمع فيها الأفعال المعتلّة اللام، الواويّة اليائيّة، مثل: نمى ينمو وينمي، وغيره- فلم أظفر بمن جمع تلك الأفعال المتناثرة في تراثنا هنا وهناك، فعقدت العزم على جمع تلك الأفعال ووضعها بين يدي المتلقي، مقرّبًا له ما ندَّ، وقد سمّيت جمعي هذا بـ (اللَبِنَة المُضِيّة في الأفعال المعتلّة العين الواويّة اليائيّة) فجمعت تلك الأفعال -المعتلّة العين، الواويّة اليائيّة- ورتّبتها على حروف المعجم، وبيّنت

معاني ما يحتاج منها إلى بيان، وقد نظرت في جملة ليست باليسيرة من المعجمات وكتب الأفعال، وتتبعت جذور تلك الأفعال في مظانّها، فتحصّل لي من ذاك النظر أكثر من مئتي فعل سمع عن العرب بالواو والياء معًا، وحسبي أنّي حاولت ليكون جمعي رافدًا يستقي منه أهل لساننا، وليُعلم سعة لغتنا، ولتجعل الناطق والكاتب بها في مهيع خصب يتخيّر ما شاء ومتى شاء على وَفْق قانونها الرَّحب، وكلّ ذلك ضربٌ من الاتساع في لغة العرب .

والله أسأل أن ينفع بجمعي هذا، وأن يُلبسه الرضا في الدارين، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

الهمزة

١. آدَك هذا الأمر يؤودُك أوْدًا وأيْدًا: إذا أبهظك وأثقلك[٤].
٢. آرَ الرجل حليلَته يؤُورُها ويئِيرُها أيْرًا : إذا جامعها[٥].
٣. الإِيامُ كـ : كِتاب: الدخان، آمَ يؤُوم ويَئِيم أَوْمًا، واويّة يائيّة[٦].

الباء

١. بابَ الرجلُ: حفر كُوَّة، والأفصح: باب يَبِيبُ[٧].
٢. باث الترابَ يبُوثه ويبيثه بَوثًا وبَيْثًا: استخرجه، يائيّة واويّة[٨].
٣. باث المكان يبيثه ويبوثه بَيْثًا وبَوْثًا: إذا حفر فيه وخلط ترابه[٩].
٤. باد الشيء بَيادًا وبَوادًا: انقطع وذهب[١٠].
٥. باض يبُوض بَوْضًا وبَيْضًا: أقام بالمكان ولزم[١١].
٦. باظ الرجل يَبِيظ ويبُوظ بَيْظًا وبَوْظًا : وضع ماءه في رحم المرأة[١٢].
٧. تبوَّغ الدم بصاحبه وتبيَّغ تبوّغًا وتبيّغًا: هاج به، وباغ بَوْغًا وبَيْغًا[١٣].
٨. بانه يبونه ويبينه: إذا طاله في الفضل والمزية[١٤].
٩. ما بُهْتُ له وما بِهْتُ له: ما فَطِنت، باه للشيء بَوْهًا وبَيْهًا[١٥].

التاء

١. تاح له الشيءُ يتوح تَوْحًا ويتيح تَيْحًا: إذا تهيّأ، واويّ العين ويائيّها[١٦].
٢. تازَ يتُوز ويتِيز تَوْزًا وتَيْزًا: إذا غلُظ[١٧].
٣. تاع القيء يتيع تَيْعًا وتَوْعًا: خرج[١٨].
٤. تاع الشيءُ، كالماء ونحوه، يتيع تَيْعًا وتَوْعًا: سال وانبسط على وجه الأرض، والأخيرة نادرة[١٩].
٥. تُعتَ اللبأَ[٢٠] والسَمْنَ وتِعْتَه تَوْعًا وتَيْعًا: إذا كسرته بقطعة خبز ترفعه بها[٢١].
٦. تاه يتيه ويتُوه تَيْهًا وتَوهًا، وتيّه نفسه وتوّهها، وما أتيهه وأتوَهه[٢٢].

الثاء

١. ثاخت قدمُه بالوحل، والشيء بالأرض، يثوخ ويثيخ: خاض وغاب فيه[٢٣].
٢. ثاخت الإصبَعُ تَثوخ وتثيخ: خاضت في وارمٍ أو رِخْوٍ[٢٤].
٣. ثاع الماء يثوع ويثيع: إذا سال[٢٥].

الجيم

١. جاء يجوء لغة في يجيء[٢٦].
٢. جُبتُ القميص أجوبه وأجيبه: إذا قوّرت[٢٧] جيبه[٢٨].
٣. جوَّبتُ القميص وجيَّبته: عملت له جيباً[٢٩].
٤. جُبت البلاد أجوبها وأجيبها[٣٠].
٥. جاحهم الدهرُ، وجاح الله مالَ العدوّ يجيحهم ويجوحهم جَيْحًا وجَوْحًا: أذهبه واستأصله[٣١].
٦. جاخ السيلُ الواديَ يَجيخه جَيْخًا ويَجوخه جَوْخًا: اقتلع جرفته[٣٢].
٧. جاظ يجوظ جَوْظًا ويجيظ جَيْظًا : إذا اختال في مشيته[٣٣].

الحاء

١. حُجت إليك حَوْجًا وحَيْجًا: احتجت[٣٤].
٢. حاد يحود، ويحيد لغة يمانية: مال وعدل[٣٥].
٣. حُزْتُ الشيءَ حَوْزًا وحَيْزًا: ضَمَمْته وجَمَعْتُه[٣٦].
٤. حاز الإبلَ يحوزها ويحيزها : ساقها بلِين[٣٧].
٥. تحوَّزَتْ الحيّة وتحيَّزت: تلوَّتْ[٣٨].
٦. تَحَوَّز عنه وتحيَّز: تنحَّى[٣٩].
٧. تحوَّز الرجلُ وتحيَّز: أراد القيام فأبطأ ذلك عليه، والواو أعلى[٤٠].
٨. الحَيس: ضرب من طعامهم، حاس يحيس حيسًا، وأحسب أنّهم قد قالوا: حاسه يحوسه[٤١].
٩. تحوَّفت الشيء وتَحَيَّفته: تنقَّصته من حافاته[٤٢].
١٠. حال الشيءُ يحيل حُيُولًا ويحول حَوْلًا وحُؤُولًا: تغيَّر[٤٣].
١١. حالت الناقة تحول وتحِيل حِيالًا : لم تحمل، والواو في ذلك أعرف[٤٤].
١٢. حاك الثوب يحيكه ويحوكه حَيْكًا وحَوْكًا: نسجه، واويّة يائيّة[٤٥].
١٣. أَحْوَت الأرض وأحيَت: كَثُرت حيَّاتها، والمكان كثرت فيه الأحوية، وهي جماعة الناس[٤٦].

قال ابن سيده: "حكى صَاحب العين حَيَّيتُ حاء. فإذا كان هذا فهو من باب عييت.
وهذا عندي من صاحب العين صَنْعَة لا عربيّة، وإنّما قضيت على الألف أنّها واوٌ... وإبدال الألف من الواو عيناً أكثر من إبدالها من الياء، هذا مذهب سيبويه"[٤٧].

وقال الخليل: "الذّالُ: تصغيرُها ذُوَيلة ، وكل حرف من حروف الهجاء يتبعه ألف بعد حرف صحيح فإنّها ترجع إلى الواو وإن كانت بعد الألف مَدّةٌ مثل الحاء والباء فإنّها ترجع إلى الياء، تقول في طاء: طُيَيَّة وفي حاء: حُيَيَّة"[٤٨].

الخاء

١. خاب يخِيب ويَخُوب : خسِر وحُرِم[٤٩].
٢. خات ماله يخوته ويخِيته : إذا تنقَّصه[٥٠].
٣. استخار الرجلَ: استعطفه، واويّة يائيّة[٥١].
٤. خاس به يخوس ويخيس: غدر به[٥٢].
٥. نلتُ منه خَيْصًا خائصًا، وخَوْصًا خائصًا، أي: شيئًا يسيرًا[٥٣].
٦. تَخَوَّفه وتخَيَّفه: تنقّصه[٥٤].
٧. تَخَيَّل وتخوَّل: ظنّ وتفرَّس[٥٥].
٨. أرض خامة، أي: وَخِمَة وبِيْئَة، وقد خامت الأرض تخيم خَيَمانًا وتخُوم خَوَمانًا[٥٦].

الدال

١. دَيَّخ مالَه ودوَّحه: فرَّقه[٥٧].
٢. داخ الرجلُ يدوخ ويديخ: ذَلّ، ودوَّخته أنا، قال الأصمعي: وديَّخه، بمعنى ذلَّله، والبعير كذلك[٥٨].
٣. دَوَّخ البلادَ تَدْويخًا ودَيَّخها تدْيِخًا : قهرها واستولى على أهلها، واويّة ويائيّة[٥٩].
٤. دَوَّد الطعام تَدْوِيْدًا ودَيَّد تَدْيِيْدًا: إذا وقع فيه السُّوس[٦٠].
٥. دافَ الشيءَ دَوْفًا، ودِفتُه أديفُه دَيْفًا: خلطتُه، والواو أكثر[٦١].

الذال

١. ذاج يذوج ذَوْجًا: أسرع، ويذيج ذَيْجًا: مرّ مرًّا سريعًا[٦٢].
٢. ذاحت الإبل ذَوْحًا وذَيْحًا: سارت سيرًا عنيفًا[٦٣].
٣. ذانَه يذينُه ويذُونُه: إذا عابَه[٦٤].

الراء

١. رَوَّأت في الأمر ورَيَّأْتُ : لم أعْجَل[٦٥].
٢. راح الشيءَ يراحه ويريحه، رَوْحًا ورَيْحًا: إذا وجد ريحه[٦٦].
٣. راس يَرِيس ويَرُوس رَيْسًا ورَوْسًا: إذا مشى متبخترًا، والياء أعلى[٦٧].

٤. راط الوحشيّ بالأكمة يَرُوط ويَرِيط: لاذ، والواو أعلى[٦٨].
٥. راع الشيءُ يريع ويروع: إذا رجع إلى موضعه الذي كان فيه[٦٩].
٦. روَّغْت اللقمةَ بالسَّمْن وريّغتها : دسَّمتُها[٧٠].
٧. راق الماءُ رَوَقانًا: انصَبَّ، وحكى الكسائي: راق الماءُ يَريق: انصَبَّ[٧١].

الزاي

١. زاح الشيءُ يزوح ويزيح زَوْحًا وزَيْحًا: إذا زال عن مكانه[٧٢].
٢. زاح الرجلُ زَيْحًا وزَوْحًا: تباعَد[٧٣].
٣. زاغ عن الطريق يزيغ ويزوغ، والياء أفصح[٧٤].
٤. زاف يزوف زَوْفًا ويزيف زَيْفًا: مشى مسترخي الأعضاء[٧٥].
٥. زافت الحمامة تزوف زَوْفًا، وتزيف زَيْفًا: نشرت جناحيها وذَنَبها وسحبتهما على الأرض[٧٦].
٦. زانَه الحُسنُ يَزِينه، وقالت أعرابيّة لابن الأعرابي: إنّك لتزونُنا إذا طَلَعْتَ، قال هو: تَزُوننا وتزِيننا واحد[٧٧].
٧. زَوَّيتُ زايًا في لغة من يقول: الزاي، ومن قال : الزاء، قال: زَيَّيت زاءً[٧٨].

السين

١. سوَّجَ عليه وسَيَّج: إذا عمل عليه سياجًا[٧٩].
٢. ساخ الشيءُ والأرضُ والقوائمُ في الأرض تسوخ وتسيخ سَوْخًا وسَيْخًا[٨٠].
٣. ساخ يسوخ ويسيخ: إذا بنى بالطين[٨١].
٤. ساع الشيء يَسِيع ويَسُوع: ضاع، والإبل تخلَّت بلا راعٍ، والتي تدع ولدها حتى تأكله
٥. السباع، واويّة يائيّة[٨٢].
٦. سغته أنا أُسوغه وأسِيغُه سَوْغًا وسَيْغًا، والطعام هَنُؤ[٨٣].
٧. أساف الخَرَزَ: خرمه، منهم من قال واويّ، ومنهم من قال يائيّ[٨٤].

الشين

١. شاءني الشيءُ يَشوؤُني ويَشِيئُني: سبقني، وشاءني فلانٌ: حزنني وأعجبني، ضدّ، يشُوء ويشِيءُ[٨٥].
٢. شَيَّط الشيءَ وشَوَّطَه: أحرقه[٨٦].
٣. تشايظا : إذا تسابّا كـ : تشاوظا[٨٧].
٤. شاق الطُّنُبَ إلى الوتد يشوقه شَوْقًا، وشاقه شَيْقًا: إذا ناطه به، أي: شدّه وأوثقه به[٨٨].
٥. شُلتُ بالجرّة أشول بها شَوْلًا: رفعتها، وشِلتُ به أشيله شَيْلًا، لغة رديئة[٨٩].
٦. شاه الرجلَ يَشِيه ويَشُوهُه: أصابه بعَين[٩٠].

الصاد

١. صاب السهم صَوْبًا وصَيْبًا: وقع بالرميّة، والسحابُ الموضعَ: أمطره، وأصابتهم شدّة ووباء، والشيء: نزل من عُلوٍ إلى سُفْلٍ، وكذلك قَصَد[٩١].

٢. تصيَّح البقلُ، لغة في تصوَّح: وذلك إذا هاج، والخشبُ والشَّعَرُ: تشقّق ويبس، وصاح الشيءُ صَوْحًا وصَيْحًا : تَشَقّق[٩٢].

٣. صيَّحَتْه الريحُ والحرُّ والشمسُ وصَوَّحته[٩٣].

٤. صاخ في الأرض يصوخ ويصيخ: دخل فيها[٩٤].

٥. صَوَّد الصاد تصْوِيدًا : كتبها، قال ابن سيده: ألفها منقلبة عن واو، لأنّ عينها ألف، وقال الزبيدي: ونقل شيخنا عن ابن جنّي أنّها منقلبة عن ياء[٩٥].

٦. صارَه يصُوره ويصيره: أمالَه[٩٦].

٧. صارَه يصوره ويصيره: قطعه[٩٧].

٨. صار وجهه يصُوره ويصِيره: أقبَلَ به[٩٨].

٩. انصاع القوم: إذا مرّو سراعًا، وهو من بنات الواو، وجعله رؤبة من بنات الياء حيث يقول[٩٩]:

فظلّ يكسوها الغبار الأصيعا

ولو ردّ إلى الواو لقال : أصوعا[١٠٠].

وقال الزَّبيدي: "انصاع : انفتل سريعًا، يائيّة واويّة"[١٠١].

١٠. تصوَّع النبات وتصيَّع: إذا هاج[١٠٢].

١١. صاعَ الغنم يصوعها، وصِعتها : فرَّقتها[١٠٣].

١٢. صِعتُ القوم صَيْعًا وصُعْتُ صَوْعًا: حملت بعضهم على بعض[١٠٤].

١٣. صاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف: عدل عنه[١٠٥].

١٤. صاك به الدم والزعفران والطِّيْب وغيرها، يَصُوك ويَصِيك صَوْكًا وصَيْكًا : جَفّ ولَزِق[١٠٦].

١٥. صال عليه يصول ويصيل: إذا جار عليه[١٠٧].

١٦. صال عليه صَوْلًا، وصال يصيل : إذا وَثَب[١٠٨].

الضاد

١. الضِّيوح[١٠٩]: اللبن الخاثر يُصبُّ فيه الماء ثم يُخلط، وقد ضيَّحْتُه وضَوَّحته: سقيته إيّاه[١١٠].

٢. ضاره الأمر يضُوره ضَوْرًا، ويضِيره ضَيْرًا: ضَرَّه[١١١].

٣. ضازَه حقّه ضَوْزًا وضَيْزًا: نقصه وبخسه ومنعه[١١٢].

٤. تضوَّع المسك وتضيَّع: تحرك وانتشر، والرائحة كذلك[١١٣].
٥. ضُمْتُه كـ: ضِمته: ظلمته وامتهنته[١١٤].

الطاء

١. طاح يطوح ويطيح: هلك، وسقط، واضطرب عقله، وتاه[١١٥].
٢. طَوَّح الشيءَ وطيَّحه: ضَيَّعه، وفلانًا: توَّهه[١١٦].
٣. طَيَّح بثوبه وطوَّح: رمى به[١١٧].
٤. طاخَ فلانٌ فلانًا، يطِيخه ويطُوخه: رماه بقبيح من قول أو فعل[١١٨].
٥. طاطَ الفحل يطاط طيوطًا ويطوط طُوُوطًا : هَدَر، يائيّة واويّة[١١٩].
٦. طاع لك طَوْعًا وطَيْعًا: انقاد، والنبات: أمكن من رعيه، والشجر: أمكن ثمره[١٢٠].
٧. طاف به الخيال طَوْفًا وطَيْفًا: ألَمَّ به في النوم، واويّة ويائيّة[١٢١].
٨. طاف بالشيء يطوف طَوْفًا: استدار به، وطاف يطيف، من باب باع[١٢٢].

العين

١. ما أعيج من كلامه بشيء، وبنو أسد يقولون: ما أعوج بكلامه[١٢٣].
٢. عاورَ المكاييل، لغة في عايَرها: قدَّرها[١٢٤].
٣. عارَه يعوره ويعيره: أخذه وذهب به[١٢٥].
٤. هم يتعيَّرون من جيرانهم الأمتعة والقماش، ويتعوَّرون: يستعيرون[١٢٦].
٥. تَعوَّطَت الناقة وتعيَّطتْ: إذا لم تَحمل سنوات، وعاطَت المرأة والناقة عَوْطًا وعَيْطًا كذلك[١٢٧].
٦. عاطَتْ المرأة تعوط وتعيط عَيطًا، وتعوَّطَت وتعيَّطت: طال عنقها في اعتدالِ قَوامٍ[١٢٨].
٧. عاطت المرأة والناقة عوطًا وعيطًا: لم تحملا، وتعوَّطتا وتعيَّطتا كذلك[١٢٩].
٨. عافت الطيرُ تعوف عَوْفًا وتعيف عَيْفًا: حامَتْ على الماء أو الجِيَف وغيرها[١٣٠].
٩. عَوعَى يُعوعِي عَوْعاةً وعَيْعى يُعَيْعِي عَيْعاةً وعَيْعاءً : زجر للضأن، وهذا فِعْلُه[١٣١].
١٠. أعال الرجل وأعْوَل وأعْيَل: حرص على الشيء[١٣٢].
١١. عال في الناس يعُول ويعِيل: سألهم[١٣٣].
١٢. عال يعول ويعيل: جار ومال عن الحق[١٣٤].
١٣. عاهه الله يعوهه عوهًا ويَعِيْهه أيضًا، من العاهة[١٣٥].
١٤. عاه الزرع يعوه ويعيه: أصابته العاهة، أي: الآفة[١٣٦].

الغين

١. غاره بخير يغوره ويغيره: نفعه[١٣٧].
٢. غار القومَ وأهلَه يغيرهم ويغورهم: مارَهم[١٣٨].
٣. غار الرجل أهلَه: تزوَّج عليها فغارت هي، واويّة ويائيّة[١٣٩].
٤. غارني الرجل يغيرني ويغورني: إذا وَدَاك، من الدِّيَة[١٤٠].
٥. غارهم الله بمطر يغيرهم ويغورهم: سقاهم[١٤١].
٦. غاط في الشيء والماء يغوط ويغيط غَوْطًا وغَيْطًا: دخل فيه[١٤٢].

الفاء

١. فاحت ريح المسك تفوح وتفيح[١٤٣].
٢. فاحت القِدْر تفيح وتفوح: غَلَت[١٤٤].
٣. فاح الحرُّ يفيح فَيْحًا: سطع وهاج، واويّة ويائيّة[١٤٥].
٤. أَفِخْ عنك من الظهيرة، أي: أقِمْ حتى يسكن عنك حرّ النهار ويبرد، يائيّة واويّة[١٤٦].
٥. أَنِخْ عنك من الظهيرة، أي: أقِمْ حتى يسكن عنك حرّ النهار ويبرد[١٤٧].
٦. فاخ الرجلُ يفوخ ويفيخ: إذا خرجت منه ريح[١٤٨].
٧. فاخت منه ريح طيّبة تفوخ وتفيخ[١٤٩].
٨. أَفَدته: أعطيته، يائيَّة واويَّة[١٥٠].
٩. فاد يفيد ويفود فَيْدًا وفَوْدًا: مات[١٥١].
١٠. الفائدة: ما استفدت من علم أو مال، تقول منه: فادت له فائدة، وهي واويّة يائيّة[١٥٢].
١١. فاد المالُ نفسُه يفيد ويفود فَيْدًا وفَوْدًا: ثبت لصاحبه[١٥٣].
١٢. فاظت نفسه تفيظ وتفوظ فَيْظًا وفَوْظًا : خرجت[١٥٤].
١٣. فاق يَفيق ويفوق: جاد بنفسه عند الموت[١٥٥].
١٤. فُهْتُ بالكلام أفوهُ به وأفِيهُ، واويّة يائيّة[١٥٦].

القاف

١. قاح الجرح يقيح قَيْحًا ويقوح قَوْحًا، وتقوَّح وتقيَّح[١٥٧].
٢. قِستُ الشيءَ، أقيسه وقُسته أقوسُه، وقاسَه بغيره وعلى غيره، كذلك[١٥٨].
٣. قاض البناء يقوضه قَوْضًا: هدمه، وقِضْتُ البناء، بالكسر لغة في قُضْت، بالضم، وتقيَّض الجدار تقيّضًا وتقوَّض تقوّضًا: سقط[١٥٩].
٤. قُضْتُ القارورة فانقاضت: انصدعت ولم تتفلّق، ذكره الهروي في (ق و ض)، وأعاد ذكره في (ق ي ض)[١٦٠].

٥. قاقَتْ الدَّجاجة قَوْقًا وقَيْقًا: صوَّتت[١٦١].

٦. قال ابن برّي: "قاهَ أَصلُه قَيَهَ، وهو مقلوبٌ من يَقَه، بدليل قولهم: اسْتَيْقَه الرَّجُلُ: إذا أَطاعَ، فكان صَوابُه أَنْ يقول في التَّرجمة: قَيَه، وَلَا يقولُ: قَوَه. قالَ: وحجَّةُ الجوهريِّ أَنَّه يقال: الوَقْهُ بمعنى القاه، وهو الطَّاعة، وَقد وَقِهْتُ، فَهَذَا يدلُّ على أَنَّه من الواو"[١٦٢].

الكاف

١. كاءَ عن الأمر يكيء كَيْئًا: نَكَل عنه، وكُؤت كَوْأً[١٦٣].

٢. أَكاحَ زيدًا: أهلكَه[١٦٤].

٣. كِدته كَيْدًا وكُدته كَوْدًا: همَّ وقارَب، كاد يكُود ويكِيد، لغتان[١٦٥].

٤. هو يكود بنفسه كَوْدًا ويكيد كَيْدًا: يجود بها ويسوق[١٦٦].

٥. كار الفرسُ يكير ويكور: إذا جرى[١٦٧].

٦. اكْتار الفرسُ: إذا رفع ذنبه في عَدْوِه[١٦٨].

٧. كَيَّفْتُ الأديم وكَوَّفْتُه: إذا قطعته[١٦٩].

٨. كُهْتَ الرجلَ وكِهتَه تكيهَه: استنكهتَه[١٧٠].

اللام

١. لاتَه عن وجهه يلوته ويليته: حبسه عن وجهه وصرفه[١٧١].

٢. لاتَه يلُوتُه لَوْتًا ولَيْتًا: نَقَصَه حقّه[١٧٢].

٣. لَوْتَ لغة في لَيْت[١٧٣].

٤. لاز منه يلُوز مَلازًا ويلِيز مَليزًا: إذا تخلّص منه[١٧٤].

٥. لاز إليه يلوز ويليز : لَجَأَ، لغة في لاذ[١٧٥].

٦. لاص عن الأمر لوصًا ويليص لَيْصًا : حاد[١٧٦].

٧. لاط الشيء والحُبّ بقلبي يلوط ويليط لَوْطًا ولَيْطًا: التصق[١٧٧].

٨. لاط الحوضَ لَوْطًا ولَيْطًا : أصلحه[١٧٨].

٩. لاع هو، وعن الشيء، يليع ويلوع: جَبُنَ، وساء خُلُقُه[١٧٩].

١٠. لاعه الجوعُ لَوْعَة ولَيْعةً : أحرقه[١٨٠].

١١. لاف الطعامَ يلوفه ويليفه: إذا أكلَه[١٨١].

الميم

١. مات يمُوت، ويَمِيت لغة مرجوحة أنكرها جماعة[١٨٢].

٢. ماثَ الشيءُ مَوْثًا ومَيْثًا: ذاب في الماء، والأرض: لانَت[١٨٣].

٣. مُثْتُ الشيءَ أموثه وأميثه مَوْثًا ومَيْثًا: إذا مرسته بيدي، والرجلُ الشيءَ والدواءَ في الماء: عركه ليذوب، وأيضًا خلطته[١٨٤].
٤. مار الشيءُ مَوْرًا ومَيْرًا: سال[١٨٥].
٥. المِيْرة: الطعام، مار عيالَه وأهله يميرهم مَيْرًا، وماره يميرُه: إذا أتاه بميرة، أي: بطعام[١٨٦].
٦. مِرْتُ الصوفَ مَوْرًا ومَيْرًا: نفشته[١٨٧].
٧. ماع الصُّفْر أو الفضة وغيرهما في النار يموع ويميع: إذا ذاب[١٨٨].
٨. مَيَّم ميمًا حَسَنًا وحسنةً وموَّمها: إذا كتبها[١٨٩].
٩. ماهت الركيّة تموه وتميه: إذا ظهر ماؤها وكثر، والأرض: ظهر فيها الندى[١٩٠].
١٠. مِهْتُ الرجلَ ومُهْتُه : سقيته ماءً، ومَهَوت الحديدَ ومَهَيته مَهْوًا ومَهْيًا كذلك[١٩١].
١١. مَهَيتُ الشيءَ ومهوته: موّهته، أي: طليته بذهب أو فضة[١٩٢].

النون

١. ناء اللحم ينيء وينوء نَيْئًا ونَوْأً : لم ينضج[١٩٣].
٢. نات الرجل ينيت وينوت نَيْتًا ونَوْتًا: إذا تمايل من ضعف[١٩٤].
٣. النَّيْص: الحركة الضعيفة، وقد ناص ينوص نَوْصًا وينيص نَيْصًا: إذا تحرَّك[١٩٥].
٤. ناع الغصنُ ينوع وينيع: إذا تمايل[١٩٦].
٥. تَنَوَّق فلان في مطعمه وملبسه وأموره وتَنَيَّق: بالَغ[١٩٧].
٦. نُلْتُه معروفًا ونِلتُه[١٩٨].
٧. نالني بالخير ينُولُني نَوْلًا ونَيْلًا[١٩٩].

الهاء

١. هاء يَهُوءُ ويَهِيءُ هيئة حسنة: إذا صار إليها[٢٠٠].
٢. هَيَّت به وهوَّت به: صاح به ودعاه[٢٠١].
٣. هاد يهود ويهيد: إذا تاب[٢٠٢].
٤. هَيَّرتُ الجرفَ لغة في هوَّرت، وتَهَيَّر الجرفُ والبناء وتَهَوَّر: تَهَدَّم[٢٠٣].
٥. هُسْته هَوْسًا وهِسْته هَيْسًا: وهو الكسر والدقّ[٢٠٤].
٦. هاش القوم يهوشون ويهيشون: إذا تحرّكوا وهاجوا[٢٠٥].
٧. هوَّك تَهْويكًا وهيَّك تَهْيِيكًا : إذا حفر[٢٠٦].
٨. هان يهون هَوْنًا ويهين هَيْنًا، كـ: لان يلينُ[٢٠٧].

نتائج البحث

بعد حمد الله وحسن توفيقه فرغت من بحثي هذا والموسوم بـ" اللَبِنَةُ المُضِيّة في الأفعال المعتلّة العين الواويّة اليائيّة" وقد توصّلت إلى جملة من النتائج، أهمّها ذاك الجمع المُسطّر من الأفعال المعتلّة العين المسموعة بالواو والياء معًا، ومنها:

-كون البحث نواة لضرب من التصنيف المعجمي، والذي لم أقف على من أفرده في مصنّف مستقلّ، كما فعل ابن مالك النحويّ في المنظومة المنسوبة إليه والتي جمع فيها ما سُمع من الأفعال المعتلّة اللام الواويّة اليائيّة، فجاء بحثي في المعتلّة العين؛ تكميلًا لهذا الضرب من التصنيف.

-الوقوف على أكثر من مائتي فعل بحمد الله وحسن توفيقه، ولا يعني ذلك الغاية من الجمع، فكم ترك السابق للّاحق.

-الحكم على بعض اللهجات بالأفصح، أو الأعلى، أو كونها رديئة، كان ذلك تسطيرًا لما نقلة المعجميّون في معجماتهم. ولم يتناول البحث علّة هذه الأحكام؛ كون الغاية منه إبراز كون الفعل واويًا يائيًّا. وكون الواو أو الياء أعلى لا ينفي صحّة اللغتين.

وفي الختام هذا ما تيسّر لي جمعه من الأفعال المعتلّة العين الواويّة اليائيّة، والله أسأل أن ينفعني به في الأولى والأخرى إنّه أكرم مسؤول.

---

١ المنثور في القواعد الفقهية: ٧٢/١.

٢ رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٦٣١)، ١٢٥٥/٣ .

٣ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: ٣٣/٣.

٤ ينظر: الجمهرة: ١٠٦٢/٢، والمخصص: ٤٦٩/٣.

٥ ينظر: اللسان: ٣٥/٤ (أور)، ٣٦ (أير)، والتاج: ٨٨/١٠ (أور)، و٩٢ (أير).

٦ ينظر: اللسان: ٣٨/١٢ (أوم)، و٤١ (أيم)، والتاج: ٢٥٤/٣١ (أوم) و ٢٥٩ (أيم).

٧ ينظر: التكملة والذيل والصلة: ٧٢/١ (بوب)، والتاج: ٥٣/٢ (بوب)، و(بيب).

٨ ينظر: التاج: ١٧٦/٥ (بوث) و١٧٨ (بيث).

٩ ينظر: الجمهرة: ١٠١٦/٢، والمحكم: ٢٠٣/١٠ (بيث)، و٢٢٠/١٠ (بوث)، والأفعال لابن القطاع: ٩٩/١، والتاج: ١٧٦/٥ (بوث) و١٧٨ (بيث).

١٠ ينظر: المحكم: ٤٠٦/٩ (بيد)، و٤٤٣ (بود)، واللسان: ٩٧/٣ (بود)، و(بيد).

١١ ينظر: تهذيب اللغة:٥٩/١٢ (بيض)،والأفعال لابن القطّاع:١٠٠/١، والتاج:٢٤٩/١٨ (بوض)، و٢٦٥ (بيض).

١٢ ينظر: الأفعال لابن القطاع: ١٠٤/١، واللسان: ٤٣٧/٧ (بيظ)، والتاج: ٢٠٣/٢٠ (بوظ)، و٢٠٥ (بيظ).

١٣ ينظر:الجمهرة:٣٧٠/١ (بوغ)، والصحاح:١٠٨٧/٣ (بوغ)، والمحكم:٦٧/٦ (بوغ)،والأفعال لابن القطاع:١٠٤/١.

[١٤] ينظر: الصحاح:١٦٨١/٥ (بين)، والأفعال لابن القطاع: ٩٩/١، والاقتطاف: ٩٠، والتاج: ٢٩٠/٣٤ (بون).

[١٥] ينظر: الصحاح: ١٧٨٤/٥ (بوه)، والمحكم: ٤٤١/٤ (بوه)، والأفعال لابن القطاع: ١٠٤/١، والتاج: ٣٥٠/٣٦ (بوه)، و٣٥٢ (بيه).

[١٦] ينظر: المحيط في اللغة: ١٨٥/٣ (تيح) و (توح)، والتاج: ٣٢٨/٦ (توح) و (تيح).

[١٧] ينظر: اللسان: ٣١٥/٥ (تيز)، والتاج: ٤٧/١٥-٤٨ (توز) و (تيز).

[١٨] ينظر: المخصص: ٤٨١/١، والتاج: ٤٠٣/٢٠ (تيع).

[١٩] ينظر: المحكم: ٢٢٧/٢ (تيع)، واللسان: ٣٨/٨ (تيع)، والتاج: ٤٠٣/٢٠ (تيع).

٢٠ اللِبأُ: أول اللبن عند الولادة. ينظر: المحكم: ٤٠٥/١٠ (لبأ)، واللسان: ١٥٠/١ (لبأ).

[٢١] ينظر: الفائق: ١٦/١، والتاج: ٤٠٢/٢٠-٤٠٣ (توع)، و٤٠٤ (تيع).

[٢٢] ينظر: العين: ٨٠/٤ (توه) و (تيه)، والجمهرة: ٤١٢/١ (توه)، والصحاح: ١٧٨٥/٥ (تيه)، والمحكم: ٣٧٨/٤ (تيه)، و ٤١٤/٤ (توه)، والأفعال لابن القطاع: ١٢٣/١.

[٢٣] ينظر: الصحاح: ٣٦٨/١ (ثوخ)، والمحكم: ٢٥٣/٥ (ثيخ)، و٢٩٢ (ثوخ)، والأفعال لابن القطاع: ١٤١/١.

[٢٤] ينظر: التاج: ٢٤٠/٧ (ثوخ).

[٢٥] ينظر: التاج: ٤١٠/٢٠ (ثوع) و(ثيع).

[٢٦] ينظر: المحكم: ٥٧٤/٧ (جيأ)، و٥٧٦ (جوأ)، والتاج: ١٨١/١ (جوأ)، و١٨٢ (جيأ).

٢٧ قارَ الشيء يقُورُه قَوْرًا: قطع من وسطه خرقًا مستديرًا، كـ: قَوَّره تقويرًا، وقَوَّر الجيب: فعل به مثل ذلك. ينظر: المحكم: ٥٤٨/٦ (قور)، واللسان: ١٢٣/٥ (قور).

[٢٨] ينظر: الصحاح: ٩٢/١ (جوب)، والأفعال لابن القطاع: ١٨٦/١-١٨٧، والاقتطاف: ١٠١، والتاج: ٢٠٨/٢ (جوب)، و٢١٠ (جيب).

[٢٩] ينظر: التاج: ٢٠٩/٢-٢١٠ (جوب)، و (جيب).

[٣٠] ينظر: الصحاح: ١٠٤/١ (جوب)، والاقتطاف: ١٠١، والتاج: ٢٠١/٢ (جوب).

[٣١] ينظر: الجمهرة: ٤٤٣/١ (جيح)، والأفعال لابن القطاع: ١٨٤/١، والمصباح: ١١٣/١ (جوح).

[٣٢] ينظر: الجمهرة: ٤٤٥/١ (جيخ)، والمحكم: ٢٤١/٥ (جيخ)، و٢٧٦ (جوخ)، والأفعال لابن القطاع: ١٩٠/١، واللسان: ١٣/٣ (جوخ)، و١٤ (جيخ).

[٣٣] ينظر: المحيط في اللغة: ١٦٣/٧ (جوظ) و (جيظ)، والتاج: ٢١٤/٢٠-٢١٥ (جوظ) و (جيظ).

[٣٤] ينظر: المحكم: ٤١٤/٣ (حيج)، و٤٦١ (حوج)، والأفعال لابن القطاع: ٢٥٣/١، واللسان: ٢٤٣/٢ (حوج)، و٢٤٦ (حيج).

[٣٥] ينظر: الجمهرة: ٦٨٠/٢ (كود)، والشوارد: ٢٠٥، والتاج: ٤٦/٨-٤٧ (حود)، و(حيد).

[٣٦] ينظر: المصباح: ١٥٦/١ (حوز).

[٣٧] ينظر: الصحاح: ٧٤٢/٢ (حوز)، والأفعال لابن القطاع: ٢٥٩/١، والمصباح: ١٥٦/١ (حوز)، والتاج: ١٢٠/١٥ (حوز)، و١٢٩ (حيز).

[٣٨] ينظر: الصحاح: ٦٥٥/٢ (حوز)، والمحكم: ٤٨٢/٣ (حوز)، والتاج: ١٢٥/١٥ (حوز)، و١٢٩ (حيز).

[٣٩] ينظر: المحكم: ٤٢٦/٣ (حيز)، و٤٨٢ (حوز)، والتاج: ١٢٥/١٥ (حوز).

[٤٠] ينظر: المحكم: ٤٢٦/٣ (حيز)، و٤٨٢ (حوز)، والتاج: ١٢٥/١٥ (حوز) و١٢٩ (حيز).
[٤١] ينظر: الجمهرة: ١٠٤٩/٢ (حيس).
[٤٢] ينظر: الأفعال لابن القطاع: ٢٦٢/١، واللسان: ٦٠/٩ (حيف)، والتاج: ١٧٦/٢٣ (حوف) و١٧٨ (حيف).
[٤٣] ينظر: الجمهرة: ٥٧٢/١ (حيل)، والتاج: ٣٦٨/٢٨ (حول)، و٣٨٦ (حيل).
[٤٤] ينظر: المحكم: ٤٤٤/٣ (حيل)، واللسان: ١٩٠/١١ (حول)، و١٩٦ (حيل).
[٤٥] ينظر: المحكم: ٤١٢/٣ (حيك)، و٤٥٨ (حوك)، واللسان: ٤١٨/١٠ (حوك)، والتاج: ١٣٠/٢٧ (حوك)، و١٣٢ (حيك).
[٤٦] ينظر: الأفعال لابن القطاع: ٢٦٣/١.
[٤٧] المحكم: ٣٦/٤ (حوى).
[٤٨] العين: ١٩٩/٨ (ذول). وينظر: سر الصناعة: ٤١٤/٢، والعين: ٣١٥/٣ (باب اللفيف من الحاء).
[٤٩] ينظر: اللسان: ٣٦٨/١ (خيب)، والاقتطاف: ١١٨، والتاج: ٣٨٨/٢ (خيب).
[٥٠] ينظر: الاقتطاف: ١١٨، والتاج: ٥١٤/٤ (خوت).
[٥١] ينظر: المحكم: ٢٥٤/٥ (خير)، و٢٩٢ (خور)، واللسان: ٢٦١/٤ (خور)، و٢٦٧ (خير).
[٥٢] ينظر: الصحاح: ٧٨٣/٢ (خيس)، والأفعال لابن القطاع: ٣٢٢/١، والاقتطاف: ١١٨، والتاج: ٤٢/١٦ (خوس)، و٤٥ (خيس).
٥٣ ينظر: تهذيب اللغة: ١٩٩/٧ (خوص)، والتاج: ١٧/ ٥٧٠ (خوص)، و٥٧٤ (خيص).
[٥٤] ينظر: اللسان: ١٠١/٩ (خوف)، والتاج: ٢٩٣/٢٣ (خوف)، و٢٩٨ (خيف).
[٥٥] ينظر: المحكم: ٢٥٨/٥ (خيل)، و٣٠٢ (خول)، والتاج: ٤٤٣/٢٨ (خول) و٤٥٠ (خيل).
[٥٦] ينظر: المحكم: ٢٧٣/٥ (خيم)، و٣١٠ (خوم)، واللسان: ١٩٢/١٢ (خوم)، و١٩٥ (خيم).
[٥٧] ينظر: المحكم: ٤٢٩/٣ (ديخ)، و٤٩٢ (دوح)، واللسان: ٤٣٦/٢ (دوح)، و(ديخ).
[٥٨] ينظر: المحيط في اللغة: ٣٩٤/٤ (دوخ)، والصحاح: ٣٦٩/١ (ديخ)، والمحكم: ٢٥٢/٥ (ديخ)، و٢٨٨ (دوخ)، والتاج: ٢٥٢/٧ (دوخ)، و(ديخ).
[٥٩] ينظر: التاج: ٢٥٢/٧ (دوخ).
[٦٠] ينظر: التاج: ٧٢/٨ (دود).
[٦١] ينظر: الأفعال لابن القطاع: ٣٧٢/١، واللسان: ١٠٨/٩ (دوف)، و(ديف)، والمصباح: ٢٠٣/١ (دوف)، والتاج: ٣١٠/٢٣ (دوف) و٣١٢ (ديف).
[٦٢] ينظر: اللسان: ٢٧٩/٢ (ذوج)، و(ذيج)، والتاج: ٥٨٦/٥ (ذوج)، و(ذيج).
[٦٣] ينظر: الأفعال لابن القطاع: ٣٩٣/١.
[٦٤] ينظر: الاقتطاف: ١٢٤.
[٦٥] ينظر: اللسان: ٩٠/١ (روأ)، والتاج: ٢٥٤/١ (روأ)، و٢٥٦ (ريأ)، و١٩٤/٣٨ (روي).
[٦٦] ينظر: الصحاح: ٣٢٥/١ (روح)، والأفعال لابن القطاع: ٦٠/٢.
[٦٧] ينظر: الجمهرة: ٧٢٢/٢ (روس)، والمحكم: ٥٧٧/٨ (ريس)، و٦٠٩ (روس)، والأفعال لابن القطاع: ٧٣/٢، واللسان: ١٠٣/٦ (روس)، و(ريس).

[٦٨] ينظر: المحكم: ٢١٦/٩ (ريط)، و ٢٣٣ (روط)، واللسان: ٣٠٧/٧ (روط)، و(ريط).
[٦٩] ينظر: الجمهرة: ٧٧٥/٢ (روع)، والتاج: ١٣٠/٢١ (روع)، و١٣٦ (ريع).
[٧٠] ينظر: المصباح: ٢٤٦/١ (روغ)، والتاج: ٤٩٠/٢٢ (روغ) و ٤٩٢ (ريغ).
[٧١] ينظر: المحكم: ٥٠٠/٦ (ريق)، و٥٥٤ (روق)، واللسان: ١٣٥/١٠ (راق)، و٣٦٥ (هرق)، والتاج: ٣٧٨/٢٥ (روق).
[٧٢] ينظر: الجمهرة: ٥٣١/١ (زوح)، والمحكم: ٤٢٦/٣ (زيح)، و٤٨٣ (زوح)، والأفعال لابن القطاع: ١٠٥/٢، والمصباح: ٢٥٩/١ (زوح).
[٧٣] ينظر: المحكم: ٤٢٦/٣ (زيح)، و٤٨٣ (زوح)، واللسان: ٤٧٠/٢ (زوح) و (زيح).
[٧٤] ينظر: الجمهرة: ٨٢٠/٢ (زوغ)، والمحكم: ٧/٦ (زيغ)، و٤٠ (زوغ)، والأفعال لابن القطاع: ١٠٥/٢، واللسان: ٤٣٢/٨ (زوغ)، و(زيغ).
[٧٥] ينظر: الجمهرة: ٨٢٢/٢ (زوف)، والمحيط في اللغة: ٩٧/٩ (زوف).
٧٦ ينظر: العين: ٣٩٠/٧ (زيف)، والجمهرة: ٨٢٢/٢ (زوف)، والتاج: ٤٠٥/٢٣ (زوف)، و٤١١ (زيف).
[٧٧] ينظر: تهذيب اللغة: ١٧٥/١٣ (زون)، واللسان: ٢٠١/١٣ (زون)، و(زين).
٧٨ ينظر: تهذيب اللغة: ١٩٥/١٣ (زوز)، وسر الصناعة: ٤٢٢/٢، والمحكم: ١١٩/٩ (زوي)، واللسان: ٣٦٦/١٤ (زاي).
[٧٩] ينظر: المصباح: ٢٩٣/١ (سوج)، والتاج: ٥٣/٦ (سيج).
[٨٠] ينظر: الجمهرة: ١٠٥٤/٢ (سوخ)، والصحاح: ٣٧١/١ (سوخ)، والأفعال لابن القطاع: ١٦٧/٢، والمصباح: ٢٩٤/١ (سوخ)، والتاج: ٢٧٥/٧-٢٧٦ (سوخ)، و(سيخ).
[٨١] ينظر: الاقتطاف: ١٣٧.
[٨٢] ينظر: المحكم: ٢٢٣/٢ (سيع)، و٣٠٥ (سوع)، والتاج: ٢٤٢/٢١ (سوع)، و٢٤٤ (سيع).
[٨٣] ينظر: الصحاح:١٠٩١/٣ (سوغ)، والمحكم:٣٧/٦ (سوغ)، والأفعال لابن القطاع:١٥٩/٢،والاقتطاف: ١٣٧.
[٨٤] ينظر: التاج: ٤٧٦/٢٣ (سوف)، و٤٨٢ (سيف).
[٨٥] ينظر: المحكم: ١٣٦/٨ (شوأ)، والتاج: ٢٩٢/١ (شوأ).
[٨٦] ينظر: المحكم: ٩٧/٨ (شيط)، و١١٣ (شوط)، واللسان: ٣٣٧/٧ (شوط)، و(شيط).
[٨٧] ينظر: المحيط في اللغة: ٣٦٦/٧ (شوظ)، والتاج: ٢٣٤/٢٠-٢٣٥ (شوظ) و(شيظ).
[٨٨] ينظر: اللسان: ١٩٢/١٠-١٩٣ (شوق) و (شيق)، والتاج: ٥٣٨/٢٥ (شوق)، و٥٤٤ (شيق).
[٨٩] ينظر: التاج: ٣٠٢/٢٩ (شول)، ٣١١ (شيل).
[٩٠] ينظر: تهذيب اللغة: ١٩٠/٦ (شوه)، واللسان: ٥٠٩/١٣ (شوه).
[٩١] ينظر: الأفعال للسرقسطي: ٣٨٢/٣، والأفعال لابن القطاع: ٢٥٢/٢، والمصباح: ٣٤٩/١ (صوب)، والتاج: ٢١٢/٣ (صوب)، و٢٢٥ (صيب).
[٩٢] ينظر: الصحاح: ٣٣٨/١ (صوح)، والمحكم: ٤٢٢/٣ (صيح)، و٤٧٦ (صوح)، والمخصص: ٢١٠/٤، واللسان: ٥٢٢/٢ (صيح).
[٩٣] ينظر: الصحاح: ٣٨٥/١ (صيح)، والتاج: ٥٥٧/٦ (صوح) و٥٦١ (صيح).
[٩٤] ينظر: التاج: ٢٩٦/٧ (صيخ).
[٩٥] ينظر: التاج: ٣٠١/٨ (صود).

[٩٦] ينظر: الصحاح: ٦١٦/٢ (صور)، والأفعال لابن القطاع: ٢٥٣/٢، والاقتطاف: ١٤٨، والتاج: ٣٦١/١٢ (صور)، و٣٧٤ (صير).

[٩٧] ينظر: الصحاح: ٦١٧/٢ (صير)، والاقتطاف: ١٤٨.

[٩٨] ينظر: المحكم: ٣٦٠/٨ (صير)، و٣٧٠ (صور)، والتاج: ٣٦٠/١٢ (صور)، و٣٧٦ (صير).

٩٩ ديوانه: ٩٠، وفيه: **فانصاع يكسوها الغبار الأصيعا.**

[١٠٠] ينظر: العين:١٩٩/٢ (صوع)، والمحكم: ٢١٩/٢ (صيع)، و٣٠١ (صوع)، وأساس البلاغة: ٥٦٣/١ (صوع).

[١٠١] التاج: ٣٨٤/٢١ (صيع).

[١٠٢] ينظر: الصحاح: ١٠٣٥/٣ (صوع)، والتاج: ٣٨٢/٢١-٣٨٣ (صوع) و (صيع).

[١٠٣] ينظر: المحكم: ٢١٩/٢ (صيع)، و٣٠١ (صوع)، والتاج: ٣٨١/٢١ (صوع)، و٣٨٤ (صيع).

[١٠٤] ينظر: تهذيب اللغة: ٥٤/٣ (صوع)، والتاج: ٣٨٣/٢١-٣٨٤ (صوع) و (صيع).

[١٠٥] ينظر: الصحاح: ١١٤٨/٣ (صوف)، والمحكم: ٣٦٥/٨-٣٦٦ (صيف)، و٣٨٣ (صوف)، والأفعال لابن القطاع: ٢٥٥/٢، والمصباح: ٣٥٢/١ (صوف).

[١٠٦] ينظر: الجمهرة: ١٠٧٧/٢ (صيك)، والمحكم: ١٠١/٧ (صيك)، و١٢٢ (صوك)، واللسان: ٤٥٨/١٠ (صوك)، و(صيك)، والتاج: ٢٤٧/٢٧-٢٤٨ (صوك) و (صيك).

[١٠٧] ينظر: الاقتطاف: ١٤٨.

[١٠٨] ينظر: المحيط في اللغة: ١٩٠/٨ (صيل)، والتاج: ٣٣٥/٢٩ (صول)، و٣٣٨ (صيل).

١٠٩ الذي وقفت عليه: الضِّياح والضَّيح. ينظر: الجمهرة: ١٠٥٠/٢ (ضيح)، والصحاح: ٣٨٦/١ (ضيح).

[١١٠] ينظر: التاج: ٥٧١/٦ (ضوح) و (ضيح).

[١١١] ينظر: الجمهرة: ٧٥٣/٢ و١٠٦٦ (ضور)، والصحاح: ٦٢١/٢ (ضور)، والمحكم: ٢٢٧/٨ (ضير)، و٢٤٢ (ضور)، والأفعال لابن القطاع: ٢٨٣/٢، والتاج: ٤٢٠/١٢ (ضير).

[١١٢] ينظر: الأفعال لابن القطاع: ٢٨٣/٢، والاقتطاف: ١٥٤، والتاج: ١٩٣/١٥ (ضوز) و (ضيز).

[١١٣] ينظر: الصحاح: ١٠٣٩/٣-١٠٤٠ (ضوع)، والمحكم: ٢١٨/٢ (ضيع)، و٢٩٣ (ضوع)، والتاج: ٤٢٩/٢١ (ضوع)، و٤٣٦ (ضيع).

[١١٤] ينظر: المحكم:٢٣٨/٨ (ضيم)، و٢٥٣ (ضوم)، واللسان: ٣٥٩/١٢ (ضوم)، و(ضيم)، والاقتطاف: ١٥٤.

[١١٥] ينظر: الصحاح: ٣٤١/١ (طوح)، والمحكم: ٤٢٦/٣ (طيح)، و٤٨٥ (طوح)، والأفعال لابن القطاع: ٣٠٨/٢، والاقتطاف: ١٥٧، والتاج: ٥٩٠/٦ (طوح)، و٥٩٢ (طيح).

[١١٦] ينظر: المحكم: ٤٢٦/٣ (طيح)، و٤٨٦ (طوح)، والتاج: ٥٩٢/٦ (طوح) و(طيح).

[١١٧] ينظر: المحكم: ٤٢٦/٣ (طيح)، و٤٨٦ (طوح)، والتاج: ٥٩٢/٦ (طوح) و(طيح).

[١١٨] ينظر: تهذيب اللغة: ٢١١/٧ (طيخ)، والمحكم: ٢٥١/٥ (طيخ)، والتاج: ٣٠٥/٧ (طوخ)، و(طيخ).

[١١٩] ينظر: الأفعال للسرقسطي: ٢٧٩/٣، والمحكم: ١٩٩/٩ (طيط)، و٢٠٠ (طوط)، والتاج: ٤٦٢/١٩ (طوط).

[١٢٠] ينظر: الأفعال لابن القطاع: ٣٠٦/٢، والمصباح: ٣٨٠/٢ (طوع)، والتاج: ٤٦١/٢١ (طوع) و٤٦٨ (طيع).

[١٢١] ينظر: المحكم: ٢٢٣/٩ (طيف)، و٢٤٢ (طوف)، واللسان: ٢٢٥/٩ (طوف)، و٢٢٨ (طيف)، والتاج: ١٠٦/٢٤ (طوف)، و١١٠ (طيف).

[١٢٢] ينظر: الزاهر: ٤٢٩/١، وديوان الأدب: ٤٠٨/٣، والمصباح: ٣٨٠/٢ (طوف).
[١٢٣] ينظر: الصحاح: ٢٩٢/١ (عيج)، والمحكم: ٢١٣/٢ (عيج)، و٢٨٣ (عوج)، والتاج: ١٣٠/٦ (عيج).
[١٢٤] ينظر: الصحاح: ٦٥٣/٢ (عور)، والمحكم: ٢٣٦/٢ (عير)، و٣٤٤ (عور)، والتاج: ١٦٥/١٣ (عور).
[١٢٥] ينظر: الصحاح: ٦٥٣/٢ (عور)، والمحكم: ٢٣٦/٢ (عير)، و٣٤٤ (عور)، والأفعال لابن القطاع: ٣٨٨/٢.
[١٢٦] ينظر: تهذيب اللغة: ١٠٥/٣ (عير) و (عور)، والتاج: ١٦٢/١٣ (عور)، و١٨٤ (عير).
[١٢٧] ينظر: الصحاح: ٩٥٩/٣ (عوط)، والمحكم: ٢٢٥/٢ (عيط)، و٣١٢ (عوط)، والأفعال لابن القطاع: ٣٩٩/٢، والتاج: ٤٩٦/١٩ (عيط).
[١٢٨] ينظر: التاج: ٤٩٦/١٩ (عيط).
١٢٩ ينظر: الأفعال لابن القطّاع: ٣٩٩/٢، واللسان: ٣٥٧/٧ (عوط)، والتاج: ٤٩٦/١٩-٤٩٧ (عيط).
[١٣٠] ينظر: اللسان: ٢٦٠/٩ (عيف)، والتاج: ١٩٤/٢٤ (عوف)، و١٩٧ (عيف).
[١٣١] ينظر: العين: ٢٧١/٢ (عوي)، والتاج: ١٣٢/٣٩ (عوي).
[١٣٢] ينظر: المحيط في اللغة: ١٥٦/٢ (عول)، والصحاح: ١٤٥٠/٤ (عيل).
[١٣٣] ينظر: المحيط في اللغة: ١٥٦/٢ (عول).
[١٣٤] ينظر: الجمهرة: ٥٩/١ (ألل)، والتاج: ٦٨/٣٠ (عول).
[١٣٥] ينظر: الجمهرة: ٩٥٦/٢ (عوه).
[١٣٦] ينظر: المخصص: ١٨٤/٣، والتاج: ٤٤٩/٣٦ (عوه)، و٤٥٢ (عيه).
[١٣٧] ينظر: الصحاح: ٦٦٤/٢ (غور)، والمخصص: ١٠٩/٣، والمصباح: ٤٥٨/٢ (غير)، والاقتطاف: ١٧٧.
[١٣٨] ينظر: المحيط في اللغة: ١٢٥/٥ (غير)، والأفعال لابن القطاع: ٤٣٦/٢، وشمس العلوم: ٥٠٤٦/٨.
[١٣٩] ينظر: التاج: ٢٨٩/١٣ (غير). قال: قد تقدّم في غور. وثَمَّة: أغار. ٢٨٣ (غور).
[١٤٠] ينظر: الصحاح: ٦٦٥/٢ (غير)، والاقتطاف: ١٧٧، والتاج: ٢٨١/١٣ (غور)، و٢٨٧ (غير).
[١٤١] ينظر: الصحاح: ٦٦٥/٢ (غير)، والأفعال لابن القطاع: ٤٣٦/٢، والاقتطاف: ١٧٧.
[١٤٢] ينظر: الصحاح: ٩٦١/٣ (غوط)، والأفعال لابن القطاع: ٤٤١/٢، والاقتطاف: ١٧٧، والتاج: ٥٢٠/١٩ (غوط)، و٥٢٤ (غيط).
[١٤٣] ينظر: الصحاح: ٣٤٤/١ (فوح)، والأفعال لابن القطاع: ٤٨٢/٢، والمصباح: ٤٨٢/٢ (فوح)، والاقتطاف: ١٨٤، والتاج: ٣١/٧ (فوح).
[١٤٤] ينظر: اللسان: ٥٥٠/٢ (فيح)، والتاج: ٣١/٧ (فوح).
[١٤٥] ينظر: التاج: ٣٤/٧ (فيح).
[١٤٦] ينظر: المحكم: ٤٥١/٣ (فيح)، و٢٥/٤ (فوح)، واللسان: ٥٥٠/٢ (فوح) و (فيح).
[١٤٧] ينظر: المحكم: ٢٧٠/٥ (فيخ)، و٣٠٩ (فوخ)، والتاج: ٣٢٤/٧ (فوخ).
[١٤٨] ينظر: الجمهرة: ٦١٧/١ (فوخ)، والمحكم: ٢٧٠/٥ (فيخ)، و٣٠٩ (فوخ)، والأفعال لابن القطاع: ٤٨٢/٢، والاقتطاف: ١٨٤.
[١٤٩] ينظر: الصحاح: ٣٧٧/١ (فوخ)، واللسان: ٤٦/٣-٤٧ (فوخ) و (فيخ).
[١٥٠] ينظر: المحكم: ٤٠٥/٩ (فيد)، و٤٤٠ (فود)، واللسان: ٣٤٠/٣ (فود)، و٣٤١ (فيد).

[١٥١] ينظر: الصحاح: ٤٥٣/٢ (فود)، والمحكم: ٤٠٥/٩ (فيد)، و٤٣٩ (فود)، والأفعال لابن القطاع: ٤٨٥/٢.
[١٥٢] ينظر: التاج: ٥١٧/٨ (فيد).
[١٥٣] ينظر: المحكم: ٤٠٥/٩ (فيد)، و٤٤٠ (فود)، والأفعال لابن القطاع: ٤٨٢/٢.
[١٥٤] ينظر: العين: ١٧٠/٨ (فيظ)، والصحاح: ٩٨٢/٣ (فيظ)، والمحكم: ٣٨/١٠ (فيظ)، و٤٢ (فوظ)، والاقتطاف: ١٨٥ بالضاد.
[١٥٥] ينظر: المحكم: ٥١١/٦ (فيق)، و٥٨١ (فوق)، واللسان: ٣١٦/١٠ (فوق)، و٣٢١ (فيق)، والتاج: ٣٢٠/٢٦ (فوق)، و٣٣٥ (فيق).
[١٥٦] ينظر: الجمهرة: ٩٧٣/٢ (فوه)، والمحكم: ٤٣٥/٤ (فوه)، والتاج: ٤٦٧/٣٦ (فوه)، و٤٧٥ (فيه).
[١٥٧] ينظر: الجمهرة: ٥٦٢/١ (قوح)، والمحكم: ٤١٢/٣ (قيح)، و٤٥٨ (قوح)، واللسان: ٥٦٨/٢ (قوح)، و(قيح)، والمصباح: ٥٢١/٢ (قيح)، والتاج: ٦٧/٧ (قوح)، و(قيح).
[١٥٨] ينظر: الصحاح: ٨١٥/٢ (قوس)، والمحكم: ٤٨٦/٦ (قيس)، و٥٢٢ (قوس)، والأفعال لابن القطاع: ٥٧/٣، والمصباح: ٥٢١/٢ (قيس)، والتاج: ٤١١/١٦ (قوس)، و٤١٦ (قيس).
[١٥٩] ينظر: تهذيب اللغة: ١٧٢/٩ (قوض)، والتاج: ٣٤/١٩-٣٥(قوض) و٣٧-٣٩ (قيض).
[١٦٠] ينظر: الغريبين للهروي: ١٥٩٢/٥ (قوض) ١٦٠١ (قيض)، والتاج: ٣٩/١٩ (قيض).
[١٦١] ينظر: التاج: ٣٤٣/٢٦ (قوق)، و٣٤٥ (قيق).
[١٦٢] اللسان: ٥٣٣/١٣ (قيه)، والتاج: ٤٧٩/٣٦ (قاه).
[١٦٣] ينظر: المحكم: ١٥٧/٧ (كيأ)، و(كوأ)، والتاج: ٤١١/١ (كوأ) و (كيأ).
[١٦٤] ينظر: تهذيب اللغة: ٨٤/٥ (كوح)، والتاج: ٨٤/٧-٨٥ (كوح) و(كيح).
[١٦٥] ينظر: الجمهرة: ٦٨٠/١ و ١٠٦٠/٢ (كود) و (كيد)، والمحكم: ١٠٤/٧ (كيد)، و١٢٨ (كود)، والأفعال لابن القطاع: ١٠٤/٣-١٠٥، واللسان: ٣٨٢/٣ (كود)، و٣٨٣ (كيد)، والاقتطاف: ١٩٨.
[١٦٦] ينظر: التكملة والذيل والصلة: ٣٣٤/٢ (كود)، والتاج: ١٢١/٩ (كود)، ١٢٣ (كيد).
[١٦٧] ينظر: التاج: ٨٤/١٤ (كير).
[١٦٨] ينظر: التاج: ٧٩/١٤ (كور)، و٨٤ (كير).
[١٦٩] ينظر:العين:٤١٤/٥ (كيف)، والمحكم:١١٥/٧ (كيف)، و١٤٨ (كوف)، والتاج:٣٤٦/٢٤(كوف)و٣٤٩(كيف).
[١٧٠] ينظر:المحكم:٣٦٦/٤(كيه)،و٣٩٤(كوه)،واللسان:٥٣٨/١٣ (كوه) و(كيه)، والتاج:٤٩٣/٣٦ (كوه) و (كيه).
[١٧١] ينظر: الصحاح:٢٣٥/١ (ليت)،والأفعال لابن القطاع: ١٤٨/٣، والاقتطاف: ٢٠١، والتاج: ٨٤/٥ (لوت).
[١٧٢] ينظر: المحكم: ٥١٩/٩ (ليت)، و٥٣٨ (لوت)، واللسان: ٨٦/٢ (لوت) و (ليت).
[١٧٣] ينظر: الجمهرة: ٤١٠/١ (لوت).
[١٧٤] ينظر: الاقتطاف: ٢٠٢.
[١٧٥] ينظر: التكملة والذيل والصلة: ٣٠٢/٣ (لوز)، والتاج: ٣٢٤/١٥ (لوز)، و٣٢٧ (ليز).
[١٧٦] ينظر: المحيط في اللغة: ١٨٨/٨-١٨٩ (لوص) و (ليص)، والتاج: ١٥١/١٨ (لوص)، و١٥٢ (ليص).
[١٧٧] ينظر: الصحاح: ٩٦٨/٣ (لوط)، والمحكم: ٢١٩/٩ (ليط)، و٢٣٨ (لوط)، والأفعال لابن القطاع: ١٥١/٣.
[١٧٨] ينظر: الأفعال لابن القطاع: ١٥٠/٣، والتاج: ٨٤/٢٠ (ليط).

[١٧٩] ينظر: الأفعال لابن القطاع: ١٥١/٣، والتاج: ١٧٥/٢٢ (لوع).
[١٨٠] ينظر: التكملة والذيل والصلة: ٣٥٦/٤ (ليع)، والتاج: ١٧٦/٢٢ (لوع) و١٧٨ (ليع).
[١٨١] ينظر: الاقتطاف: ٢٠٢، والتاج: ٣٨٠/٢٤ (لوف)، و٣٨٣ (ليف).
[١٨٢] ينظر: التاج: ٩٧/٥ (موت).
[١٨٣] ينظر: الأفعال للسرقسطي: ٢١١/٤، والأفعال لابن القطاع: ٢٠٤/٣، والمصباح: ٥٨٤/٢ (موث).
[١٨٤] ينظر: الجمهرة: ٤٣٣/١ (موث)، والمحكم: ٢٠٣/١٠ (ميث)، و٢٢١ (موث)، والأفعال لابن القطاع: ٢٠٤/٣، واللسان: ١٩٢/٢ (موث)، و(ميث)، والاقتطاف: ٢٠٤.
[١٨٥] ينظر: الأفعال للسرقسطي: ٢١١/٤، والأفعال لابن القطاع: ٢٠١/٣، والتاج: ١٥٥/١٤ (مور). وفيه: سار عن ابن القطاع، وهو تحريف.
[١٨٦] ينظر: اللسان: ١٨٨/٥ (مير)، والتاج: ١٦٢/١٤ (مير).
[١٨٧] ينظر: المحكم: ٣١٦/١٠ (مير)، و٣٣٧ (مور)، والتاج: ١٦٢/١٤ (مير).
[١٨٨] ينظر: الجمهرة: ٩٥٤/٢ (موع)، والمحكم: ٢٦٨/٢ (ميع)، و٣٨٢ (موع)، والأفعال لابن القطاع: ٢٠٥/٣، والمصباح: ٥٨٧/٢ (ميع).
[١٨٩] ينظر: التاج: ٤٧٢/٣٣ (ميم).
[١٩٠] ينظر:الصحاح:١٧٩٩/٥ (موه)، والمحكم: ٣٩١/٤ (ميه)، و٤٤٥ (موه)، والأفعال لابن القطاع: ١٩٩/٣.
[١٩١] ينظر: الأفعال للسرقسطي: ١٤٤/٤، والمحكم: ٣٩١/٤ (ميه)، و٤٤٦ (موه)، والأفعال لابن القطاع: ١٩٩/٣-٢٠٠.
[١٩٢] ينظر: الجمهرة: ٩٩٤/٢ (مهي)، والمخصص: ٣٨٦/٤.
[١٩٣] ينظر: تهذيب اللغة: ٣٨٨/١٥-٣٨٩ (نيأ)، واللسان: ١٧٨/١-١٧٩ (نيأ)، والتاج: ٤٧٧/١ (نيأ).
[١٩٤] ينظر: الجمهرة: ٤١٢/١ (نوت)، والمحكم: ٥٢٢/٩ (نيت)، و٥٣٩ (نوت)، والأفعال لابن القطاع: ٢٧٩/٣، واللسان: ١٠١/٢ (نوت) و (نيت).
[١٩٥] ينظر: التاج: ١٩٥/١٨ (نوص)، و١٩٧ (نيص).
[١٩٦] ينظر:الجمهرة:٩٥٦/٢(نيع)، واللسان:٣٦٤/٨-٣٦٥ (نوع) و (نيع)، والتاج: ٢٨٧/٢٢ (نوع)، و٢٩٠ (نيع).
[١٩٧] ينظر: العين: ٢٢٠/٥ (نوق) و (نيق)، والمحكم: ٥١١/٦ (نيق)، ٥٧١ (نوق)، والتاج: ٤٤٣/٢٦ (نوق).
[١٩٨] ينظر: تهذيب اللغة: ٢٦٧/١٥ (نول)، واللسان: ٦٨٣/١١ (نول) و ٦٨٥ (نيل).
[١٩٩] ينظر: تهذيب اللغة: ٢٦٧/١٥ (نول)، واللسان: ٦٨٣/١١ (نول).
[٢٠٠] ينظر: الأفعال للسرقسطي: ١٧٩/١، والأفعال لابن القطاع: ٣٥٧/٣، والمصباح: ٦٤٥/٢ (هيأ).
[٢٠١] ينظر: الصحاح: ٢٤٠/١ (هيت)، والتاج: ١٤٥/٥-١٤٦ (هوت)، و(هيت).
[٢٠٢] ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢١٤/٢، والاقتطاف: ٢١٩.
[٢٠٣] ينظر: الصحاح: ٧٢٩/٢ (هير)، والمحكم: ٣٨٠/٤ (هير)، و٤١٦ (هور).
[٢٠٤] ينظر: تهذيب اللغة: ١٩٥/٦ (هوس) و (هيس)، واللسان: ٢٥٢/٦-٢٥٣ (هوس) و (هيس)، والتاج: ٤٥/١٧ (هوس)، و٤٨ (هيس).
[٢٠٥] ينظر: الاقتطاف: ٢١٩، والتاج: ٤٦٧/١٧ (هوش)، و٤٧٠ (هيش).
[٢٠٦] ينظر: المحيط في اللغة: ٢٠/٤-٢١ (هوك) و(هيك)، والتاج: ٤١١/٢٧ (هوك) و (هيك).

[٢٠٧] ينظر: التاج: ٢٩٠/٣٦ (هون) و٢٩٤ (هين).

ثبت المصادر والمراجع

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للتلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر –القاهرة- ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
- أساس البلاغة، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.
- الأفعال، لأبي عثمان السرقسطيّ (ت بعد٤٠٠هـ)، تح: د. حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية –القاهرة-، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الأفعال لابن القطّاع(ت٥١٥هـ)، دائرة المعارف العثمانية –حيدر آباد-، ط١، ١٣٦٠هـ.
- اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر، لأبي جعفر الرعيني (ت٧٧٩هـ) رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى – السعودية- عبد الله حامد النمري، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التكملة والذيل والصلة، لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصغاني (ت٦٥٠هـ)، مجموعة من المحققين، مطبعة دار الكتب –القاهرة-، للمدة من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٩م.
- تهذيب اللغة، للأزهري (ت٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت-، ط١، ٢٠٠١م.
- جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تح: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين –بيروت-، ط١، ١٩٨٧م.
- ديوان الأدب، للفارابي (ت ٣٥٠هـ)، تح: د. أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، - القاهرة- ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت-، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- سر صناعة الإعراب، لابن جِنّي (ت٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت٥٧٣هـ)، تح: د حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ود. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر –بيروت-، ودار الفكر -دمشق-، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
- الشوارد، ما تفرد به بعض أئمة اللغة، للصغاني (ت ٦٥٠هـ)، تح: مصطفى حجازي، مراجعة: د. محمد مهدي علّام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة-، ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين –بيروت- ، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي –بيروت-.
- العين، للفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- الغريبين في القرآن والحديث، للهروي (ت٤٠١هـ)، تحقيق: أحمد فريد، مكتبة نزار مصطفى الباز -السعودية-، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة -لبنان-، ط٢.
- لسان العرب، لابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر -بيروت-، ط ٣ ، ١٤١٤هـ.
- مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجّاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد، دار ابن قتيبة -الكويت-.
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية -بيروت-، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- المحيط في اللغة، للصاحب إسماعيل بن عبّاد (ت٣٨٥هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب -بيروت-، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- المُخَصَّص، لابن سيده (ت٤٥٨هـ)، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي -بيروت-، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيّوميّ (ت٧٧٠هـ)المكتبة العلمية -بيروت-.
- المنثور في القواعد الفقهية، للزركشي (ت٧٩٤هـ)، وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

التّنازُعُ في فِكْرِ النُّحاةِ بَينَ التَّقْعِيدِ والتَّناقُضِ

أ.م.د. عبد الرزاق علي حسين
جامعة الأنبار/ كلية التربية للبنات
Dr.abdulrazag77@gmail.com.

الملخص :

تناول البحث (التّنازع) عند النّحاة، مبيّنًا أثر الافتراضات المنطقيّة والفلسفيّة في فكر النّحاة عند وضعهم قواعد التّنازع، والّذي أدى إلى إرباكٍ واضحٍ في القواعد، سواءً على مستوى التّقعيد، أو على مستوى الأحكام والتّعليل، ونتجت عن هذا الإرباك تناقضاتٍ كثيرةٍ أثَّرَتْ في صحّة القاعدة وعدم إحكامها -أحيانًا- الأمر الّذي جعل النّحاة يأتون ببعض الأمثلة الّتي لا علاقة لها بالتّنازع ويحللونها على عدّها من التّنازع، ويتناقلها النّحاة جيلًا بعد جيلٍ حتّى فطن لها بعض متأخري النّحاة ورفضوا دخولها في التّنازع، وهذا يدلّ على افتقار القاعدة إلى الإحكام، كما أثّرت هذه التّناقضات في مستوى العلّة الّتي بُنيت عليها أحكام التّنازع، فكلّ فريقٍ من النّحاة بنى حُكمه على علّةٍ نقض بها علّة الفريق الآخَر، وعند التّطبيق تنهار علل الفريقَينِ، ويقع كلٌّ منهما فيما عابَهُ على الآخَر. وجاء هذا البحث لبيان هذه التّناقضات بطريقةٍ علميّة تقوم على التّحليل والمقارَنة.

Abstract

The research dealt with (ALTANAZO'H) of the grammarians, indicating the impact of logical and philosophical assumptions in the thinking of the grammarians when they set rules of ALTANAZO'H or argument. This argument leads to a clear confusion in the rules, both at the level of escalation, or at the level of judgments and reasoning. many contradictions which affected the validity of the rules come out as a result. This matter made the grammarians to use some examples that have nothing to do with the argument and analyze it on the count of the argument and transmitted by the generation after a generation until some of the late grammarians have hesitated and refused to enter the argument. And this indicates the lack of the rules to tightly, and these contradictions have affected the level of reason which was built upon the rules of the argument. Each type of grammarians built their rules on reason to contradict the other type or team. And when the application collapses the reasons of the two teams, and each of them is signed with a drawback on the other. This research shows these contradictions in a scientific way based on analysis and comparison.

المقدّمة :

بسم الله، والحمد لله، والصّلاةُ والسّلام على سيّدنا محمّدٍ خيرِ خلق الله.

وبعد : فإنَّ محاولات تقعيد اللغة عند النّحاة تقوم على استقراء اللغة، وعلى أساس ما يُسمع عن العرب، ويُنقل عنهم توضع قواعد اللغة الّتي يفترض أنْ تتصف بصفة الشّمول والاطّراد، وعلى هذا المنوال قعّد أوائل النّحاة اللغةَ، حتّى بدأ المنطق وما يرافقه مِن افتراضاتٍ يدخل في عمل النّحاة، وبدأت تأثيرات المنطق والفلسفة تظهر جليّةً في مؤلّفات النّحاة كلّما تقدّم الزّمان، وسبب هذا ظهور فرضياتٍ في النّحو العربيّ تستند في أساسها على المنطق، كنظريّة العامِل ووجوب أنْ يكون لكلّ عملٍ معمولٌ، وما أوجبته هذه النّظريّة مِن تقديرات. ومِن الأبواب النّحويّة الّتي اعتمدت بشكلٍ كبيرٍ على الافتراضات المنطقيّة والعقليّة وكان للتّخيّل نصيبٌ كبيرٌ فيها هو باب التّنازع الّذي اعتراه التعقيد والتّخيّل حتّى وصفه المحدثون بالتعقيد، وهذا ما وجدته فيه، إذ المطالع باب التّنازع بتمعّنٍ يلمس فيه تناقضًا في التعليل والأحكام، فالنّحاة يحكم كلُّ فريقٍ منهم بحُكمٍ ويعلله مع ردّ الفريق الآخَر، وفي النهاية نجده يعلل بما نَقَدَه من علل الفريق الآخَر، بل يجيز ما أجازه الفريق الآخَر، ناهيك عن اختلاف النّحاة في كلّ ما قُرِرَ في باب التّنازع، ومع كلّ ذا نجد الأمثلة الّتي تناولها النّحاة تتناقض مع واقع اللغة تناقضًا كان ممكنًا تجنّبه، فالأمثلة على الرّغم من استعمالها في اللغة إلّا أنَّ النّحاة حين أخضعوها لقانون التّنازع جعلهم هذا يخرّجونها تخريجًا مليئًا بالتقديرات، ممّا جعلها تبدو مُتكَلَّفةً وبعيدةً عن الواقع الّذي قيلت فيه، كما جعلت هذه التقديرات المنطقيّة باب التّنازع يمثل صعوبةً لِمَن يريد تعلّم العربيّة، وهذا ينافي المبدأ الّذي وُضِع النّحو لأجله. وهذه الصعوبة الّتي اعتَرَت باب التّنازع هي ما دفعني إلى كتابة هذا البحث، وغايتي فيه بيان تناقضات هذا الباب، وإثر التّفكير المنطقيّ التّخيّليّ فيه، إذ كان بمقدور النّحاة تهذيب هذا الباب وحصره في بعض المسائل، كما كان ممكنًا تجنُّب كثيرٍ من التقديرات والتأويلات في الأمثلة، وحملها على وجوه واضحةٍ وأقلّ تكلّفًا.

وفي الختام فإنّي لا أبغي بحثي هذا مخالفة النّحاة أو التّقليل من شأنهم، وأعوذ بالله أنْ تكون النيّةُ هكذا، فكلُّ ما ذكرته يعتمد على ما ذكره النّحاة، وإنّما أردت بيان الأسباب الّتي أدّت إلى تعقيد باب التّنازع، وبيان تناقضات هذا الباب مُعتمدًا المقارنة والتّحليل لآراء النّحاة وعللهم، فإنْ أكن مُصيبًا فيما ذكرتُ ففضلٌ من الله ومِنّةٌ، وإنْ جانَبتُ الصّوابَ فزلّةُ نفسي، والله من وراء القصد، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه، والحمد لله ربّ العالَمِينَ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

التّنازُعُ في فِكْرِ النُّحاةِ بَينَ التَّقْعِيدِ والتَّناقُضِ:

شغل موضوع التّنازع حيّزًا كبيرًا من اهتمام النّحاة، فتناولوه بتفاصيله جميعها، ولتتضح لنا فكرة البحث لا بُدَّ من بيان سَردٍ مختَصَرٍ عن التّنازع عند النّحاة.

التّنازع لغةً: مصدر الفِعل (تَنازَعَ)، وهو: التّخاصُم والتّجاذب، فيقال: (تنازَعَ القومُ): إذا اختَصَموا[١].

واصطلاحًا: هو أنْ يتقدَّم في اللّفظ عاملانِ مِن فِعلٍ مُتصَرِّفٍ، أو شبهه، أو أكثر مِن عاملَينِ، كثلاثة عوامل، ويكون العاملانِ مُتَّفِقينِ في العملِ، أو مُختلفينِ فيه، ويليهما معمولٌ واحِدٌ مطلوبٌ لكلٍّ منهما، أو أكثر من معمولٍ(٢).

ولا نريد الخوض في مراحل تطوّر مصطلح (التّنازع)؛ إذ أوّل مَن ذكره كمصطلحٍ صريحٍ هو ابن مالكٍ بقوله: "بابُ تنازعِ العاملَينِ فصاعدًا معمولًا واحدًا"(٣)، وقال: "... إنَّما قلتُ: (عاملانِ)، ولَمْ أقُلْ: (فعلانِ)؛ ليدخل في قولي تنازعُ فعلَينِ ... وتنازع اسمٍ وفعلٍ، ... وتنازع اسمين"(٤)، وليس ابن هشام الأنصاريّ أول مَن ذكره كما توهم بعض الباحثين(٥)، إلّا إنْ كانوا ينظرون إلى كلام ابن مالكٍ على أنَّه وصفٌ للحالة لا تحديد مصطلحٍ، وأنَّ ابن هشام حدد المصطلح بقوله: "هذا بابُ التّنازع في العَمل، ويُسمّى أيضًا: بابُ الإعمال"(٦). واستقرَّ المصطلح عند مَن جاء بعدهما مِن النّحاة، أمّا سابقوهما فَلَمْ يُصرّحوا به كمصطلحٍ، فسيبويه ذكره بعنوان: "هذا بابُ الفاعِلَينِ والمفعولَينِ اللّذَينِ كلُّ واحدٍ منهما يَفْعَلُ بفاعِلِهِ مثل الّذي يَفْعَلُ به، وما كان نحو ذلك"(٧)، بل إنَّه لَمْ يجمع تحت هذا العنوان كلَّ مسائل التّنازع، وإنّما اقتصر على بعضها -بحسب ما ذكر أبو حيّان الأندلسي(٨)-.

وعلى أيّة حالٍ فالنّحاة ذكروا التّنازع بمضمونه الاصطلاحي وأمثلته بصرف النظر عن استعمال المصطلح مِن عدمه؛ إذ ما يهمّنا هو أنَّ التّنازع -كمضمونٍ- موجودٌ عند النّحاة الأوائل، ومَن تلاهم، وخلاصة ما ذكره النّحاة: أنَّ التّنازع يكون بين عاملَينِ أو أكثر، وهذه العوامل قد تكون أفعالًا، أو أسماء عاملةً عمل الفِعل، كاسم الفاعل، واسم المفعول، وغيرهما، وقد يكون بعضها أفعالًا وبعضها الآخر أسماء، وتتنازع هذه العوامل معمولًا واحدًا أو أكثر، وهذا المعمول قد يكون مرفوعًا أو منصوبًا، وهو مطلوبٌ لكلّ العوامل مِن جهة المعنى، ويصلح ليكون معمولًا لكلّ العوامل المتقدّمة عليه(٩)، ومِن أمثلته قولنا: (قامَ وقعدَ زيدٌ)، و(ضربتُ وأكرمتُ زيدًا)، و(قامَ وضربتُ زيدًا) عند البصريين، و(زيدٌ) عند الكوفيين، و(ضربتُ وقامَ زيدٌ) عند البصريين، و(زيدًا) عند الكوفيين، و(أقائمٌ وقاعدٌ الزّيدانِ)، و(زيدٌ ضاربٌ وقائمٌ عمرٌو) عند البصريين، و(عمرًا) عند الكوفيين، و(زيدٌ قائمٌ وضاربٌ أبويه) عند البصريين، و(أبواه) عند الكوفيين، و(زيدٌ ضاربٌ وقائمٌ أبواه) عند البصريين، و(أبويه) عند الكوفيين، و(أقائمٌ وقعدَ زيدٌ)، و(زيدٌ ضاربٌ ويُكرمُ عمرًا)، و(أقائمٌ ويضربُ عمرًا) عند البصريين، و(عمرٌو) عند الكوفيين، و(ضربتُ وأقائمٌ زيدٌ) عند البصريين، و(زيدًا) عند الكوفيين. واشترط النّحاة للتّنازع شروطًا، وهي(١٠):

١. أنْ تكون العوامل متصرّفةً وليست جامِدةً، كما لا يجوز كون أحدها جامِدًا.
٢. أنْ لا تكون العوامل حروفًا، أو أحدها حرفًا.
٣. أنْ تكون العوامل متقدّمةً على المعمول، ولا يصحُّ التّنازعُ عند تقدّم المعمول.
٤. أنْ لا يتوسط المعمول بين العوامل المتنازعة، بل يجب تأخيره.
٥. أنْ يكون المعمول مطلوبًا لكلّ العوامل من جهة المعنى مِن غير فساد اللفظ.

٦. أنْ لا يكون المعمول المتنازع عليه سببيًّا، نحو: (زيدٌ قامَ وقعدَ أخوه)؛ لأنّه عند إعمال أحدهما يُسند الآخر إلى ضمير السّببيّ؛ ممّا يمنع ارتباط رافع الضّمير بالمبتدأ؛ لأنّه لَمْ يرفع ضميره(١١)، كما سيؤدي إلى إعمال أحدهما إلى إضمار ضميرٍ في الثّاني، وهذا الضّمير سيكون مُقدَّمًا على السّببيّ وهو راجعٌ إليه، سواءٌ أُضمِرَ في الأوّل، أو الثّاني، ولا يجوز عند النّحاة تقديم ضمير السّببيّ عليه(١٢).

٧. أنْ لا يكون التّنازع بين عاملَينِ الثّاني منهما مؤكّدٌ للأول.

٨. لا بُدَّ من ارتباط العاملَينِ المُتنازِعينِ إمّا بالعطف بينهما، كقولنا: (قامَ وقعدَ زيدٌ)، أو بكون الأول عاملًا في الثّاني، كقوله تعالى(آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) (الكهف: ٩٦) ؛ فالفعل (أُفرِغ) معمولٌ لـ(آتوني)، وكلاهما تنازعا العمل في (قِطر)، أو يكون الثّاني جوابًا للأول ،كقوله تعالى:(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ): (النساء : ١٧٦) ، فقوله: (يفتيكم) جوابٌ لقوله: (يستفتونك)، وكلاهما يتنازعان على قوله: (في الكلالة).

أمّا سبب ذهاب النّحاة إلى القول بالتّنازع فهو أنَّ العاملَينِ إذا تنازعا بطلب منصوبٍ، أو مرفوعٍ، أو أحدهما طلب مرفوعًا والآخَر طلب منصوبًا فإنّه لا يجوز أنْ يعملا في الاسم كلاهما؛ لأنّهما إنْ طلبا مرفوعًا فلا بُدَّ أنْ يكون لكلّ فِعلٍ فاعلٌ، فلا يجوز كون الفاعل للفِعلَينِ معًا، وإنْ طلبا منصوبًا فالمعمول عند النّحاة لا يعملُ فيه عامِلانِ، وإنْ طلب أحدهما مرفوعًا والآخَر منصوبًا فلا يجوز عند النّحاة أنْ يكون الاسم معمولًا لهما؛ لأنَّ الاسم لا يكون مرفوعًا ومنصوبًا في حالٍ واحدة(١٣).

والنّحاة على اختلاف مذاهبهم متّفقون على إعمال أحد المتنازعين، ولكنّهم اختلفوا في أيّهم أوْلى بالعمل، فيرى البصريّون إعمال الثّاني؛ لأنّه الأقرب إلى المعمول، كما أنَّ إعمال الأول يلزم الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، وهو العامل الثّاني، وهذا خلاف الأصل، كما يلزم إعمال الأول أنْ يُعطَفَ على الجملة قبل تمامها، وهذا خلاف الأصل -أيضًا-. أمّا الكوفيّون فيرون إعمال الأول؛ لأنّه الأسبق، فهو أوْلى بالعمل، كما أنَّ إعمال الثّاني يترتب عليه الإضمار في الأول، وهذا يعني: الإضمار قبل الذّكر، وهو خلاف الأصل(١٤)، بل هو خلاف الأصل حتّى عند البصريين أنفسهم(١٥).

والخوض في باب التّنازع يؤدي إلى التعقيد كلما أَطَلْنا الحديث عليه، فالباب كلّه مبنيٌّ على افتراضات منطقيّة فلسفيّة أَدَّتْ إلى كثرة التّقديرات فيه إلى حدّ جعلَ باب التّنازع من الأبواب المعقّدة في النّحو، حتّى وصفه عبّاس حسن بقوله: "يُعدُّ باب التّنازع من أكثر الأبواب النّحويّة اضطرابًا، وتعقيدًا، وخضوعًا لفلسفة عقليّة خياليّة، ليست قويّةَ السَّنَدِ بالكلام المأثور الفصيح، بل رُبَّما كانت مناقضةً له"(١٦). وأُوافقه الرأي بأنَّ هذا الباب خاضِعٌ لفلسفة عقليّة خياليّة، وكلّ الباب مبنيٌّ على افتراضات فلسفيّة يمكن الاستغناء عنها؛ إذ اهتمَّ النّحاة بالصّور التي ذكروها في باب التّنازع مع كون أكثرها لا يؤثّر في المعنى، فقولنا: (قامَ وقعدَ زيدٌ) تعني: أنَّ زيدًا قامَ وقعدَ، سواءٌ أعملنا الفعل الأول أو الثّاني، في حين تجاهل النّحاة أمورًا أُخرى يُعدُّ التّنازع فيها أمرًا جوهريًّا؛ إذ بناءً عليه يتغيّر المعنى، بل حتّى الأحكام الشّرعيّة، والفقهيّة منها على وجه الخصوص؛ لذا نرى اهتمام علماء الأصول بها أكثر من النّحاة، وهذه الأمور يطول المقام بذكرها، وقد أفردتها ببحثٍ

مُستقِلٍّ. وكان الدكتور شوقي ضيف يرى عدم الإبقاء على باب التّنازع في الدرس النّحويّ، والاكتفاء فيه بما ورد من صيغ مستعملة عند العرب(١٧)، وهذا ما أقرّه مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة؛ إذ أقرَّ حذف باب التّنازع والاكتفاء بما ورد منه في استعمال فصحاء العرب(١٨).

وعند الرجوع إلى ما ذكره النّحاة في باب التّنازع من أحكامٍ لا نكاد نجد ما هو ثابتٌ منها؛ إذ الخلاف دائرٌ فيها كلّها، ففي تنازع أكثر مِن عامِلَينِ أو ثلاثةٍ خلافٌ(١٩)، وفي التّنازع على أكثر مِن معمولٍ خلافٌ(٢٠)، وفي شروط التّنازع خلافٌ، فمِن النّحاة مَن يُجيز التّنازع في الحروف(٢١)، ومنهم مَن يجيزه في بعض الأفعال الجامِدة(٢٢)، ومنهم مَن جوّزه في عددٍ مِن المنصوبات غير المفعول به، ومنها: المفعول لأجله، والظروف، والمفعول المطلق غير المؤكّد للفعل(٢٣)، وغيرها من الآراء في هذا الباب.

والمتصفّح لكتب النّحو يلمس تناقضاتٍ وآراءٍ تجعله يخلص إلى نتيجةٍ مفادها: أنَّ هذا الباب قائمٌ على التّعقيد والافتراض، ولا يكاد يستقرُّ على قاعدةٍ ثابتةٍ، وكان ممكنًا أنْ يتجاوز النّحاة كلّ هذه الأمور، ويلغوا فكرة التّنازع وبخاصّةٍ فيما ذكروه من صور التّنازع، وحصر التّنازع في الصور التي يتغيّر فيها المعنى والأحكام، وفي صورٍ ميسَّرةٍ بعيدةٍ عن الافتراضات، ولو فعلوا هذا لكان أنفع وأجدى من الخوض في تقديراتٍ كلّها قابلة للنّقض، بل حتّى ما احتجّوا به مِن أمثلةٍ قابلة للنّقض كلّها، ناهيكَ عن أنَّ باب التّنازع في الصورة التي ذكرها النّحاة يفتقر إلى شواهد من القرآن الكريم -كما يقول الدكتور شوقي المعرّيّ(٢٤)-، وما ذكره النّحاة من آياتٍ قرآنيّةٍ يمكن -في رأيي- حملها على غير التّنازع؛ إذ التّنازع ما هو إلّا تسمية لا واقع لأكثر ما أُدرجَ تحتها لغويًّا، وإنّما كلّ ما في الأمر أنَّ العامل الثّاني يعمل في الاسم الظّاهر، والعامل الأول يُضمَر فيه ضمير، أو العكس، وهذا في حال كان يطلب مرفوعًا، أمّا إنْ طلب منصوبًا فلا حاجة لإضمار شيءٍ فيه، فقولنا: (قامَ وقعدَ زيدٌ) يمكننا بأيسر طريقٍ القول: إنَّ (زيد) فاعل (قعدَ)، وفي (قامَ) ضمير فاعلٍ مستترٍ يفسّره (زيد)، وفي قولنا: (جاءَ وضربتُ زيدًا) يكون (زيد) مفعولًا لـ(ضربتُ)، وفي (جاء) ضميرٌ مستترٌ هو الفاعل، وفي قولنا: (ضربتُ وأكرمتُ زيدًا)، أو (ضربتُ وجاء زيدٌ)، يكون (زيد) معمولًا للثّاني، ولا تقدير في الأول لفظًا؛ لأنّه فضلة، ومن جهة المعنى يُفهم أنَّ المقصود بالضّرب هو (زيد)، مع أنَّ عددًا من علماء الأصول يرجعون الاسم في هذا وأمثاله إلى جميع ما قبله(٢٥)، أي: يكون راجعًا من جهة المعنى إلى الفعلين. وبهذا فلا تنازع في الأمر، ولا يمثل الإضمار قبل الذّكر -هنا- عيبًا؛ لأنَّ النّحاة أجازوا الإضمار قبل الذّكر في مواطن عديدة إذا كان ما بعد الضّمير يفسّره(٢٦)، وله نظائر في كلام العرب، وبُنيت قواعدُ نحويّةٌ على أساسه، كالإضمار في باب (نِعمَ) و(بِئْسَ)، كقولنا: (نِعْمَ رجلًا زيدٌ)، والتّقدير: (نِعْمَ الرّجلُ رجلًا زيدٌ) فأضمر قبل الذّكر؛ لأنَّ ما بعده فسَّره، وكذا ضميرُ الأمر والشّأن، كقوله: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) الإخلاص: ١ ، فجاء بالضّمير (هو) قبل الذّكر؛ لتفسير ما بعده له، وكذا الأمر في باب (رُبَّ)، نحو: (رُبَّهُ رجلًا)؛ إذ الهاء في (رُبَّ) جاء قبل ذكر الرّجل؛ لتفسير (رجلًا) له(٢٧)، وفي باب البدل -أيضًا- عند إبدال الظّاهر من المُضمَر(٢٨)، كقولنا: (ضربتُهُ زيدًا)، فجيءَ بالضّمير (الهاء) مُفسَّرًا بما بعده. وجعل الشّريف الجرجانيّ

المواطن التي يجوز فيها الإضمار قبل الذّكر خمسةً، وهي ما ذكرناه آنفًا مضافًا إليها: الإضمار في الأول في باب التّنازع(٢٩).

وعلل ابن الورّاق جواز الإضمار قبل الذّكر على شريطة التّفسير بعده بقوله: "لأنَّ المُضمَر قبل الذّكر على شريطة التّفسير فيه شُبْهَةٌ من النّكرة؛ إذ كانَ لا يُفهَم إلى مَن يرجع حتّى تُفسّره"(٣٠).

وهناك أمورٌ كثيرةٌ يمكن أنْ تناقض ما ذكره النّحاة في باب التّنازع، وتدعم كون الباب كله إنّما هو إعمال الثّاني عملًا طبيعيًّا، وعمل الأول في الضمير المستتر المرفوع في حالة الرّفع عملًا طبيعيًّا أيضًا، أمّا إنْ كان العامل ممّا يطلب منصوبًا، فلا إضمار فيه؛ لأن الإضمار يكون في العُمَد. ومن هذه الأمور:

أولًا: إنَّ النّحويينَ متّفقون على تنازع العوامِل على المعمول المذكور، ولا يضرُّ اختلافهم في أولوية العمل في ذلك المعمول. كما أنّهم متّفقون في الوقت نفسه على أنَّ العامل المذكور هو أحدها، والآخَر قد عمل في ضميره، وفي هذا تناقض بيّنٌ ورفضٌ لمسألة التّنازع في اللّغة؛ لأنَّ عمل الثّاني في المذكور لقربه منه يوجب أنْ يعمل الأول في ضميره، وعمل الأول فيه لسبقه يوجب أنْ يعمل الثّاني في ضميره، ثُمَّ يقولون بحذف الضّمير، ويسوّغون ذلك بأنَّه على نِيّة الذّكر، وبما أننا نعلم بأنَّه المُضمَر على نِيّة الذّكر هو في درجة المُظهَر فلا تنازع؛ إذ أنَّ أحد العامِلَينِ قد عمل في الضّمير، والعامِل الآخَر قد عمل في الظّاهر المذكور، سواءٌ أحُذِفَ معمول الأول وبقي معمول الثاني أو العكس.

ثانيًا: هناك مسألة في التّنازع يصرف كثيرٌ من النّحاة النظر عنها ولا يولونها عناية كبيرة مع أنَّ لها أثرًا كبيرًا في آراء البصريين والكوفيين وحججهم، وهي: أنَّ البصريين والكوفيين يجوّزون بلا خِلافٍ إعمال أيّ العوامل المتنازِعة في المعمول المتنازَع عليه، ولكنّ البصريين يجعلون الأولوية للعامل الأقرب للمعمول مع تجويزهم إعمال غيره، أمّا الكوفيّون فيرون أنَّ العامل الأول أولى بالعمل في المعمول، مع جواز أنْ يعمل فيه غيره(٣١). وهذا يقودنا إلى التّساؤل عن أهمية الخِلاف بينهما، ومدى نفع احتجاج كلّ فريقٍ بالرّدّ على الآخَر وهما في النّتيجة قد وقع كلٌّ منهما فيما أعاب به الآخَر، فإجازة البصريين إعمال الأول توقعهم فيما عابوه على الكوفيين مِن الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، وإجازة إعمال الأقرب عند الكوفيين توقعهم في الإضمار قبل الذّكر الذي عابوه على البصريين، وبالنّتيجة فلا قيمة للخلاف، ولا وجود لتنازعٍ، وإنّما يجوز إعمال أيّ العوامل وإضمار ضميرٍ في العوامل الأخرى.

ثالثًا: ممّا يؤكّد أنَّ باب التّنازع مبنيٌّ على تقديراتٍ وافتراضاتٍ فلسفيّةٍ خياليةٍ ما ذكره النّحاة من تعدد العوامل إلى أكثر من عاملين، وكذلك تعدد المعمولات المتنازع عليها ويمثلون بالحديث النّبويّ الشّريف: " تُسَبِّحُونَ، وتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً"(٣٢)، ويقولون بالتّنازع على (دُبرَ)، و(ثلاثًا)؛ لأنَّ تلك العوامل نصبت (دُبر) على الظّرفيّة، (وثلاثًا) على أنَّه نائبٌ عن المفعول المطلق، فتنازع ثلاثة عوامل في معمولَينِ(٣٣).

وتمثيلهم هذا عليه مآخذ كثيرة تُخرج الأمر من باب التّنازع، فاحتجاج النّحاة بالحديث على مجيء أكثر من عاملَينِ متنازِعة على أكثر من معمولٍ أمرٌ ممتنعٌ عند جمهور النّحاة؛ لأنَّ الحديث لا يحتجّ بشيءٍ منه في اللغة إلّا ما قُصد لفظه(٣٤)، ومع أنَّ النّحاة احتجّوا ببعض الأبيات مع هذا الحديث، كقول الشّاعر:

سُئِلْتَ فلم تَبخَلْ ولم تُعْطِ طائلًا فسيّانَ لا ذمٌّ عليك ولا حَمْد(٣٥)

حيث تنازعت العوامل الثلاثة: (سئلت، فلم تبخل، ولم تعط) معمولَا واحدًا هو (نائلًا).

إلّا أنَّ كثيرًا من النّحاة أوجبوا فيما تنازع فيه ثلاثة عوامل إعمالَ الثّالث منها وإلغاء العامِلَينِ الآخَرينِ(٣٦)، ونقل الشّيخ خالد الأزهريّ عن ابن خروف قوله: "استقرأتُ كلام العرب، فوجدتُ إعمال الثّالث، وإلغاء ما عداه"(٣٧)، ولم أقف على كلام ابن خروف هذا، ولكنَّ كلامه في شرح الجمل يفيد معنى ما نُقل عنه(٣٨)، بل ذهب ابن مالك إلى أبعد من هذا، إذ قال في حديثه على عددٍ من الأبيات الشّعريّة: "فهذه الأبيات الثلاثة قد تنازع في كلّ واحد منها ثلاثة عوامل أُعمِل آخِرها وأُلغي أوّلها وثانيها، وعلى هذا استقرَّ الاستعمال، ومَن أجاز إعمال غير الثّالث فَمُسْتَنَدُهُ الرأيُ؛ إذ لا سماع في ذلك"(٣٩)، وهذا يعني أنَّه لا وجود للتّنازع فيما عُدَّ ممّا تنازع فيه ثلاثة عوامل معمولًا واحدًا، وكلّ ما قيل فيه مجرد آراء لا تستند إلى كلام العرب.

رابعًا: من التّناقض الملموس في باب التّنازع: أنَّ النّحاة البصريين حين حكموا بإعمال العامل القريب في المعمول المتنازع عليه وجدوا أنفسهم أمام خرقٍ للأصول النّحوية وهو: الإضمار في العامل الأول قبل الذّكر، فراحوا يلتمسون عذرًا لجوازه في باب التّنازع -على ما بيّنّاه آنفًا- محتجين بورود الإضمار قبل الذّكر في كلام العرب في مواضع كثيرة لا نريد إعادتها هنا فقد مرّ ذكرها آنفًا، وهذا الأمر لا يقتصر على البصريين، بل الكوفيّون يقعون فيه أيضًا؛ لأنَّ الفريقَين يجيزان إعمال أيّ العوامل المتنازِعة -كما مرَّ آنفًا- مع اختلافهم في أولويّة الإعمال، ولكنَّ الغريب في الأمر أنَّ النّحاة حين يجدون في الشّعر إظهار الضّمير في العامل الأول يحكمون بشذوذ الشّعر، ويحملونه على الضّرورة، معلّلين هذا بمخالفة الأصل بالإضمار قبل الذّكر! وأنَّهم أضمروا ضمير الفاعل في نحو: (قامَ وقعدَ زيدٌ)؛ لكونه عُمدة، أمّا إن كان فضلةً ولا يلتبس حذفه، فيجب حذفه ولا حاجة للإضمار قبل الذّكر(٤٠)، وما ظهر منه فحملوه على الضّرورة كما فعلوا في مثل قول الشّاعر:

إذْ كنتَ تَرْضيه ويُرْضِيك صاحِبٌ جِهاراً، فكُنْ في الغَيْبِ أَحفَظَ للعَهْدِ(٤١)

فحمل النّحاة البيت على الضّرورة، بل جعله ابن الناظم من الضرورة النّادرة التي لا يُعتَدُّ بمثلها(٤٢)، وكان الحكم بحمله على الضّرورة مجمعًا عليه عند جمهور النحاة(٤٣).

والبيت في حقيقة أمره ليس من التّنازع، ولكنّ النّحاة جعلوه من التّنازع، وخاضوا في تضعيفه ورفضه، وهو لا يحوي إلّا عوامل عمل كلٌّ منها عملًا طبيعيًّا، فـ(ترضيه) جملةٌ مستقلّةٌ من الفعل وفاعله ومفعوله، و(يرضيك صاحب) كذلك، ولا مبرر لحملها على التّنازع سوى أنَّ فيه الإضمار قبل الذّكر، وهو هنا مُفَسَّرٌ بما بعده، وسبق أنْ وقع فيه نحاة البصرة ونحاة الكوفة معًا، وبرروا جوازه إذا فُسِّر بما بعده، وجعلوه من كلام

العرب، وضربوا الأمثلة الكثيرة له، وهنا رفضوه لا لشيءٍ إلّا لحمله على التّنازع وهو ليس منه، وهذا تناقضٌ بيّنٌ. ويظهر التّناقض جليًّا حين يتناول النّحاة قول الشّاعر:

جَفَوني ولم أَجفُ الأخِلّاءَ إنّني لِغَيرِ جَميلٍ مِن خَليلَيَ مُهمِلُ(٤٤)

إذ جعل النّحاة هذا البيت من التّنازع، على أساس أنَّ (جفوني)، و(لم أجفُ) تنازعا العمل في (الأخلّاء) فأُعمل الثّاني، وعمل الأول في ضميره الظّاهر.

وهذا البيت كسابقه فيه الإضمار قبل الذّكر، غير أنَّ نحاة البصرة لَمْ يوجبوا حذف الضّمير هنا؛ لكونه عُمدة، كما أجازوا فيه الإضمار قبل الذّكر واحتجّوا له بكلام العرب، وفي جوازه قال سيبويه: " وكذلك تقولُ: (ضربوني وضربتُ قومَك)، إذا أَعْمَلْتَ الآخِر فلا بدَّ في الأوّل من ضمير الفاعلِ؛ لِئلاَّ يَخْلُوَ من فاعلٍ"(٤٥). وهذا تناقضٌ بيّنٌ -من جهة-، ومن جهة أُخرى لنا أنْ نسأل: إنْ كان الإضمار قبل الذّكر في مثل هذا جائزًا ومحجوجًا بكلام العرب، فلِمَ يتناول النّحاة هذا البيت وأمثاله في باب التّنازع محاولين إخضاعه لقوانين التّنازع، وهو كلامٌ طبيعيٌّ لا تنازع فيه، وكلُّ ما فيه هو: الإضمار قبل الذّكر، وهم هنا يقرّون بجوازه؟

والأكثر تكلّفًا وتناقضًا رأي الكسائيّ، وهِشام الضّرير، والسّهيلي -بحسب ما يُنقل عنهم-، إذا يمنعون مثل هذا ولا يجيزونه، وإنّما يوجبون هنا حذف ضمير الفاعل؛ لأجل الإضمار قبل الذّكر -أيضًا-(٤٦)، وأيّدهم في هذا ابن مضاء(٤٧). ومعلومٌ أنَّ الإظهار أَوْلى من الإضمار ولا سيّما في العُمد، ناهيك عن حذف ما هو ظاهر، ولا سيّما إن كان عُمدة؛ فالعُمد تُضمرُ ولا تُحذف، وعلى هذا الأساس بُنيت نظريّة العامل والمعمول عند النّحاة.

واحتجَّ الكسائيّ ومَن تابعه بقول علقمة الفحل:

تعفَّقَ بالأرطي لها وأرادها رجالٌ فبذَّت نَبْلَهُم وكَلِيبُ(٤٨)

وحجّتهم أنّه لو جاز إظهار الضّمير لقال: (تعفّقوا) إذا أعمل الثّاني، و(أرادوها) إذا أعمل الأول. وهذا غير ملزمٍ؛ إذ يجوز هنا إفراد الضّمير اعتمادًا على لفظه، كما يجوز جمعه، وبهذا ردَّ ابن مالك رأي الكسائيّ بقوله: " أي: (تعفّقَ بالأرطى رجالٌ، وأرادها جمعهم)، فبهذا التوحيد يصعب الانتصار للكسائيّ بهذا البيت في حذف الفاعل"(٤٩).

أمّا الفرّاء فموقفه أكثر تكلّفًا -بحسب ما يُنقل عنه-، فهو لا يمنع مثل هذا ويوجب حذفه فحسب، بل يوجب حذفه وتقديره في الآخِر بعد الاسم المُتنازع عليه، وما جاء خلاف هذا مقصورٌ عنده على السّماع(٥٠)، ففي مثل قولنا: (ضربوني وضربت قومك) يوجب حذف ضمير الواو من (ضربوني)، وتقدير الضّمير بعد (قومك)، فيكون التّقدير عنده: (ضربني وضربتُ قومك هم)، وعلى هذا يجب أنْ يكون تقدير الكلام عنده في قول الشّاعر آنف الذّكر: (جفوني ولم أجفُ الأخلّاء): (جفاني ولمْ أجفُ الأخلّاء هم)، ولا يخفى ما في هذا من تكلّفٍ، وكلُّ هذا لأجل عدم الإضمار قبل الذّكر على الرغم من أنَّ النّحاة أجازوه في التّنازع محجوجًا بكلام العرب. يضاف إلى هذا أنَّ الفرّاء حين نظر في العامِلينِ اللذين يطلب كلُّ واحدٍ

منهما مرفوعًا، وجاء بعدهما اسمٌ صالحٌ للارتفاع بهما، نحو: (صعدَ وذهبَ زيدٌ)، ووجدَ أنَّ إعمال الأول في الاسم الظاهر يؤدّي إلى الفصل بأجنبيٍّ بينه وبين فاعله، وإعمال الثّاني ينتج عنه الإضمار في الأول قبل الذّكر، قرَّرَ أنْ يجعل الاسم الظّاهر فاعلًا للفِعلَينِ معًا(٥١)، أي أنَّه يجعل (زيد) في المثال السّابق فاعلًا لـ(صعدَ)، وفاعلًا لـ(ذهبَ) في الوقت نفسه، وهذا يتنافى مع إقرار النّحاة بمَنْع اجتماع عاملَينِ على معمولٍ واحدٍ(٥٢).

خامسًا: من تناقضات باب التّنازع: أنَّ النّحاة منعوا وقوع التّنازع في الحال؛ لكونها فَضْلَةً لا تُضمر(٥٣)، وهذا يناقض إجازتهم التّنازعَ في المفعول به؛ لأنَّ الحال مشبهة للمفعول به، وشبهها هذا هو ما جَعَلَ حُكمها النّصب(٥٤)، وهو ما عبّر عنه سيبويه بقوله: " هذا باب ما يَعْمَلُ فيه الفعلُ فينتصبُ وهو حالٌ وقع فيه الفعلُ وليس بمفعولٍ"(٥٥)، والنّحاة أجازوا التّنازع في المفعول مع كونه فَضْلَةً، وإقرارهم بأنَّ كونه فضلةً جعل حذفه غير مُلبس؛ لذا أوجبوا حذفه من دون الحاجة إلى إضماره(٥٦). وهذا يؤدّي بنا إلى أحد أمرَينِ: أحدهما: أنْ نجوّز التّنازع في الحال حَمْلًا على جوازه في المفعول؛ لكون الحالِ تشبه المفعولَ، وهذا يؤدي إلى إجازة التّنازع في الصّفة؛ لأنّ الحال وصفٌ في المعنى(٥٧)، ويقودنا هذا إلى جواز التّنازع في الخبر أيضًا؛ لأنَّ الخبر وصفٌ في المعنى، وفي الحال شبهٌ منه؛ لذا حَمَلَ النّحاة جواز تعدد الحال على جواز تعدد الخبر وجواز تعدد الصّفة، وفي هذا يقول ناظر الجيش: "قد تقدّم أنّ للحال شبهًا بالخبر، وشبهًا بالنّعت، فكما جاز أنْ يكون للمبتدإ الواحد والمنعوت الواحد خبرَانِ فصاعدًا، ونعتانِ فصاعدًا، فكذلك يجوز أنْ يكون للاسمِ الواحد حالانِ فصاعدًا"(٥٨)، بل إنَّ جواز التّنازع في الخبر أوْلى من جوازه في المفعول؛ لكون الخبر عُمدةً يجوز إضماره، فإنْ منعنا التّنازع في كلّ هذه المسائل المتشابهة والمحمول بعضها على بعضٍ فلا يبقى لنا إلّا الإقرار بالأمر الآخَر، وهو: أنَّ باب التّنازع يشوبه الإرباك في الحُكم والقياس، وأنَّ ما قُعِّد فيه من أحكامٍ يعتريها النّقص، ونتّصفُ بعدم الاطّراد.

سادسًا: من مسائل التّنازع التي تكدُّ الأذهان، وتُعيي الأفكار، ولا تكاد تلمس لها وجهًا منطقيًّا، وإنّما كلُّها قائمةٌ على الافتراض والخيال: ما ذكره النّحاة من مسألة العامل المهمل في باب (ظنَّ) وأخواتها إذا احتاج إلى ضميرٍ(٥٩)، وملخّص ما ذكره النّحاة: أنَّ العامل المهمل إذا احتاج إلى ضميرٍ، وكان ذلك الضّمير المُحتاج إليه خبرًا عن اسمٍ، وكان ذلك الاسم المُخبَر عنه مخالفًا في الإفراد والتّذكير، أو غيرهما مِن التّأنيث والتّثنية والجمع للاسم المُفسّر له، وهو: الاسم المتنازَع فيه، وَجَبَ العُدول مِن الإضمار إلى الإظهار، نحو: (أظنُّ ويظنّاني أخًا الزّيدَينِ أخوينِ)، وذلك أنَّ الأصل قبل الإعمال: (أظنُّ ويظنُّني الزّيدَينِ أخوَينِ)، "فـ(أظنّ) يطلب (الزّيدَينِ أخوَينِ) مفعولين، و(يظنّني) يطلب (الزّيدَينِ) فاعلًا، و(أخوَينِ) مفعولًا ثانيًا؛ لأنَّه أخذ مفعوله الأول، وهو ياء المتكلم المتّصلة به، فأُعمِل العامل الأول وهو (أظنُّ)، فنصب الاسمَينِ، وهما (الزّيدَينِ أخوَينِ) على أنّهما مفعولا (أظنُّ)، وأُضمِر في الثّاني -وهو (يظنّني)- ضمير (الزّيدَينِ)، وهو الألف في (يظنّاني)، فاستوفى فاعله ومفعوله الأول، وبقي المفعول الثّاني لـ(يظنّاني) يحتاج إلى إضماره، وهو خبرٌ في الأصل عن ياء المتكلم المتّصلة به التي هي الآن المفعول الأول بعد دخول (يظنُّ)، والياء مخالفة لـ(أخوَينِ) الذي هو مُفسّر الضّمير الذي

سيؤتى به، فإنَّ الياء مفردٌ، و(الأخوَين) تثنيةٌ، فدار الأمر بين إضماره مفردًا؛ ليوافق المُخبَر عنه -وهو الياء-، وبين إضماره مثنًى؛ ليوافق المُفسِّر -وهو (الأخوَين)-، وفي كلّ منهما محذورٌ لا مفرَّ منه؛ لأنَّ بإضماره مفردًا سيخالف مُفسِّره، وبإضماره مثنًى سيخالف المُخبَر عنه، فوجب العدول إلى الإظهار، فقالوا: يُقدَّر: (أخًا)، فوافق المُخبَر عنه -وهو الياء- في الإفراد، ولم يضرّه مخالفته لـ(أخوَين)؛ لأنَّ (أخًا) اسمٌ ظاهرٌ لا يحتاج إلى ما يفسّره. وخلاصة ما جرى أنّنا أضمرنا في (يظنّني) ضمير (الزّيدين)، وهو الألف، فصار: (يظنّاني)، ثُمَّ أظهرنا المفعول الثّاني لـ(يظنّاني)، وقلنا: (أخًا)، ولم نضمره؛ لأنّنا لو أضمرناه مفردًا؛ لطابق المفعول الأول، وهو ياء المتكلم في الإفراد، وخالف ما يعود عليه، وهو (أخوَين)؛ فلا يطابق المُفسِّرُ المُفسَّرَ في التّثنية. ولو أضمرناه مثنًى؛ لطابق ما يعود إليه وخالف المفعول الأول مع أنَّه خبرٌ عنه في الأصل، ولا بُدَّ من المطابقة بين المبتدأ والخبر، والتّقديرَانِ كلاهما ممنوعانِ عند البصريين. فلمّا تعذَّر الإضمار أظهرنا ولَمْ نحتج إلى مُفسِّرٍ، وكذلك الحُكمُ لو أعملنا الثّاني، فيكون تقديره: (يظنّاني وأظنُّ الزَّيدَينِ أخوَينِ أخًا).

والمسألة كما نلاحظ غايةٌ في التعقيد والتّخيل، فكلها قائمةٌ على الافتراض، فما ذكروه من القول: (أظنُّ ويظنّاني أخًا الزَّيدَينِ أخوَينِ) إنّما هو افتراضٌ مبنيٌّ على افتراضِ قولِ أحدٍ: (أظنُّ ويظنّني الزَّيدَينِ أخوَينِ)، ثُمَّ ظهرت كلّ هذه التعقيدات من التقدير والتّأويل في مسألةٍ افتُرِضَ وجودها، وافتُرِضَ أنَّ فيها تنازعٌ، وهي في حقيقتها ليست من التّنازع بشيءٍ، فابن هشام حين تحدث عليها أعقبها بقوله: "والذي يظهر لي فسادُ دعوى التّنازع في (الأخوَينِ)؛ لأنَّ (يظنّني) لا يطلبه؛ لكونه مثنًى، والمفعول الأول مفرد"(٦٠)، وكذا فعل الشّاطبيّ، فقال بعد ذكر المسألة: " وهذه الأشياء إذا حققتها ليست من باب الإعمال، وإنَّما هي شبيهةٌ بمسائل الإعمال؛ إذ لَمْ يتنازع العامِلانِ معمولًا واحدًا"(٦١).

نتائج البحث :

اعتَرَتْ باب التّنازع أمورٌ كثيرةٌ أحالته مِن بابٍ لِتَعلّم قاعدةٍ من قواعد العربيّة إلى بابٍ يعجُّ بالتعقيد، حتّى لا يكاد القارئ يخرج منه بنتيجةٍ مقنعةٍ، وسبب هذا يرجع إلى أمورٍ خلص إليها هذا البحث، وهي:

١. يستند باب التّنازع على كثيرٍ من التّخيّلات العقليّة، والافتراضات المنطقيّة الّتي جعلت بعض أحْكامه وما ذُكِرَ معها مِن أمثلةٍ مُعقَّدةً إلى حدٍّ يُعاني معه المختَصّون باللغة ناهيكَ عن المبتدئينَ، ومِن أمثلة هذه التّخيّلات: ما تناوله النّحاة مِن مسائل العامل المُهمل إذا احتاج إلى ضميرٍ(*)، فهي كفيلةٌ ببيان أثر التّخيّل والافتراض في بناء بعض أحْكام التّنازع.

٢. يحوي باب التّنازع على تناقضاتٍ كثيرةٍ في الأحْكام، كمَنْع النّحاةِ التّنازعَ في الحال؛ لعلّةِ كونه فَضْلةً، والفضلة لا تُضمَر، وإجازتهم التّنازع في المفعول به مع كونه فضلةً، إضافةً إلى أنَّ الحال تشبه المفعول، ونُصِبتْ تشبيهًا لها بالمفعول عند كثيرٍ من النّحاة.

(*) يُنظر: الفقرة (سادسًا) من هذا البحث: ص ١١-١٢.

٣. كثيرٌ مِن التعليلات والآراء في هذا الباب متناقضةٌ، كاعتراض البصريينَ على إعمال الكوفيينّ العاملَ الأول في الاسم المُتنازَع عليه؛ معللين هذا بأنّه يؤدّي إلى الفصل بين العامِل والمعمول بأجنبيٍّ، وهو العامِل الثّاني، مع إقرار البصريين بجواز إعمال الأول مُتناسينَ بهذا ما عابوه على الكوفيين، ثُمَّ يمنعون عود الضّمير على متأخّرٍ لفظًا ورتبةً في أكثر مِن موضعٍ، وفي باب التّنازع يُقرّونه ويحتجّون له بكلام العرب. والكوفيّون يُعيبون على البصريين إعمال العامِل الثّاني؛ لِمَا ينتج عنه مِن الإضمار قبل الذّكر، وحين يُقِرّون بأوْلويّة إعمال الأول مع جواز إعمال الثّاني يتجاهلون أنَّ إعمال الثّاني يؤدّي إلى ما عابوه على البصريين مِن الإضمار قبل الذّكر.

٤. يشوبُ باب التّنازع غموضٌ وعدمُ وضوح حدوده، فلا نكاد نجزم بأيّ العوامل يقع، وبأيّ المعمولات يجوز، فَمِن النّحاة مَن يمنعه في الأفعال الجامدة، ومنهم من يجيزه، ومنهم من يمنعه في نواسخ الابتداء، وآخَرون يجيزونه، وغيرها من العوامل، وكذا الحال مع المعمول، كالمصدر، والظّرف، والمفعول لأجله، وغيرها، هذا فضلًا عن اختلافهم في عدد العوامل المسموح بتنازعها، وكذا عدد المعمولات.

٥. يلمس المُطالِـع في باب التّنازع أثرًا بيّنًا للخِلاف بين البصريين والكوفيين، فهذا الفريقُ يُعمِل العامل الأول، وذاك يُعمِل الثّاني، وفي الخِتام نجدهم متّفقينَ بلا خِلافٍ على جوازِ إعمالِ أيّ عاملٍ من العوامل المُتنازعة، وأنَّ خلافهم على الأوْلويّة في العمل مع جواز إعمال أيٍّ منها، وهذا الأمر يجعل الخلاف الدائر بلا جدوى؛ فالنّتيجةُ واحدةٌ في المُحصّلة.

٦. هناك مسائل كثيرةٌ عدَّها النّحاة مِن التّنازع وهي ليست منه، وإضافتها إلى باب التّنازع أفضت إلى التّعقيد والتّكلّف، كالتّنازع على المرفوع إذا استوى العامِلانِ في طلبه، نحو: (قامَ وقَعَدَ زيدٌ)، فهذه الصّورة لا حاجة إلى إدخالها في التّنازع، فالفعل الثّاني فيها عمل في الفاعل (زيد) عملًا طبيعيًّا وأُضمِرَ في الأول فاعله، أو العكس من هذا، وهذا جائزٌ عند البصريين والكوفيين كما أسلفنا، ولكنَّ إدخالها في التّنازع جعل بعض النّحاة يخوضون في تقديراتٍ بعيدةٍ، ويتكلّفون في تخريجها، كالفرّاء الّذي يرى أنَّ الفعلَينِ عملا في (زيد) معًا، أي: أنَّ زيدًا فاعلٌ للفعلَينِ معًا، وكلُّ هذا لأجل أنْ لا يقول عند إعمال الفعل الثّاني في (زيد): إنَّ في (قامَ) ضميرًا أُضمِر قبل الذّكر، أو: فُصِلَ بأجنبيّ بين (قامَ) وفاعله (زيد) إذا أعمل الفعل الأول، فسلَّطَ عامِلَينِ على معمولٍ واحدٍ، ولا يخفى امتناع هذا عند النّحاة، حتّى إذا وصَلَ إلى اختلاف العامِلَينِ، نحو: (ضربني وضربتُ زيدًا) أعمَلَ الثّاني، وأوجب تقدير ضميرٍ للأول، ولكنَّه اشترط أنْ يكون هذا الضّمير متأخّرًا، وتقديره: (ضربني وضربتُ زيدًا هو)، وكلّ هذا التّكلّف والفصل بأجنبيّ بين الفِعل (ضربني) وفاعله المُقدّر (هو)؛ لأجل أنْ لا يُضمر في الأول ضميرًا قبل الذّكر؛ على اعتبار أنَّ هذا الضّمير يعود على (زيد) المُتأخّر لفظًا ورتبةً، وقد مرّ بنا إجازة النّحاة للإضمار قبل الذّكر في التّنازع(٦٢).

٧. باب التّنازع لا تدعمه شواهد كثيرةٌ من القرآن الكريم، أو كلام العرب، وكلُّ ما ذكره النّحاة من شواهد إنّما حُمِلَ أكثرها بتكلّفٍ على التّنازع، ويمكن تخريجها على غير التّنازع(٦٣).

٨. ينبغي تهذيب باب التّنازع من كلّ ما تقدّم، وصياغته صياغةً ميسّرةً تقتصرُ على ما يدخل في التّنازع حقيقةً، مع الاعتماد على ما اتّفق عليه البصريّون والكوفيّون من جواز إعمال أيّ العوامل المتنازعة في الاسم المُتنازع عليه، وإعمال الآخَر في ضميره إنْ كان عُمدةً توجب الإضمار، وتجنّب كلّ الخلافات الواقعة في التّنازع، والاقتصار في مسائله على المسموع من كلام العرب فقط من دون اللجوء إلى أمثلةٍ قائمةٍ على الافتراض.

هوامش البحث

(١) يُنظر: لسان العرب (مادة: نزع): ٣٥٢/٨.
(٢) يُنظر: شرح كتاب الحدود في النّحو: ٢٠٣-٢٠٤.
(٣) شرح التّسهيل لابن مالك: ١٦٤/٢.
(٤) شرح الكافية الشّافية: ٦٤١/١-٦٤٢.
(٥) يُنظر: التّنازع أو الإعمال في النّحو العربي قراءة معاصرة: بحث في مجلة التّراث العربيّ: العدد: ١٦٦/٨٩، والاشتغال والتّنازع في ضوء القرآن الكريم وقراءاته، دراسة تطبيقيّة دلاليّة: بحث ماجستير تكميلي: ٣١.
(٦) أوضح المسالك: ١٦٧/٢.
(٧) كتاب سيبويه (تحقيق: عبد السّلام محمد هارون): ٧٣/١.
(٨) يُنظر: تذكرة النّحاة: ٣٣٧.
(٩) يُنظر: التذييل والتكميل: ٦٦/٧، وتوضيح المقاصد والمسالك: ٦٣١/٢، وأوضح المسالك: ١٦٧/٢-١٦٩، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ١٧٧٥/٤، وشرح ألفية ابن مالك للشّاطبيّ: ١٦٧/٣، وهمع الهوامع: ١١٨/٣.
(١٠) يُنظر: شرح التّصريح: ٤٧٧/١-٤٨٢.
(١١) يُنظر: شرح التّسهيل لابن مالك: ١٦٦/٢، وتوضيح المقاصد والمسالك: ٦٣٥/٢.
(١٢) يُنظر: شرح التّصريح: ٤٨٢/١.
(١٣) يُنظر: شرح المفصّل (تحقيق: إميل بديع): ٢٠٥/١، ومعاني النّحو: ١٤٢/٢.
(١٤) يُنظر في مذاهب النّحاة وحججهم: الإنصاف في مسائل الخلاف: (مسألة: ١٣): ٧١/١- ٨٠، والتّبيين عن مذاهب النّحويين: (مسألة:٣٤):٢٥٢- ٢٥٨، وشرح الرّضي على الكافية: ٢٠٥/١.
(١٥) يُنظر: المسائل الحلبيات: ٢٣٧، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٤٦/١، وشرح ألفية ابن مالك للشّاطبيّ: ١٨٤/٣.
(١٦) النّحو الوافي: ٢٠١/٢.
(١٧) يُنظر: تيسير النّحو التّعليمي: ١١٣.
(١٨) يُنظر: في أصول اللغة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٢٣٩/٣-٢٤٣.
(١٩) يُنظر: شرح شذور الذّهب للجوجريّ: ٧٣٨/٢.
(٢٠) يُنظر: ارتشاف الضّرب: ٢١٤٦/٤.
(٢١) يُنظر: شرح التّصريح: ٤٧٨/١، وحاشية الصّبّان: ١٤٦/٢.
(٢٢) يُنظر: الرّدّ على النّحاة: ٩١، وشرح التّصريح: ٤٧٨/١.
(٢٣) يُنظر: الرّدّ على النّحاة: ٩٢-٩٣.

(٢٤) يُنظر: التّنازع أو الإعمال في النّحو العربي قراءة معاصرة: بحث في مجلة التّراث العربيّ: العدد: ٨٩/١٦٧.

(٢٥) يُنظر: اللمع في أصول الفقه: ٤٠، والتبصرة في أصول الفقه: ١٧٢، والمستصفى: ٢٦٠.

(٢٦) يُنظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ١/١٨٤، وشرح الرّضي على الكافية: ١/٢٠٦، والكّاش في فنّي النّحو والصّرف: ١/٢٤٢.

(٢٧) يُنظر في كلّ ما تقدَّم: شرح المفصّل: ١/٢٠٦، وأمالي ابن الحاجب: ٢/٤٩٨، وأوضح المسالك: ٢/١٧٥، وشرح ألفية ابن مالك للشّاطبيّ: ٣/١٩٥، وشرح الأشمونيّ: ١/٤٥٧.

(٢٨) يُنظر: التّذييل والتّكميل: ٧/٣١٨.

(٢٩) يُنظر: التّعريفات: ٢٩.

(٣٠) علل النّحو لابن الورّاق: ٢٩٣.

(٣١) يُنظر: شرح الرّضي على الكافية: ١/٢٠٤، وارتشاف الضّرب: ٤/٢١٤٢، وأوضح المسالك: ٢/١٧٤، وشرح ابن عقيل: ٢/١٦٠، وشرح الأشموني: ١/٤٥٥.

(٣٢) الحديث في: صحيح البخاريّ: ١/١٦٨ (رقم الحديث: ٨٤٣) بلفظ: (خَلْفَ) بدل (دبر)، وصحيح مسلم: ١/٤١٦ (رقم الحديث: ١٤٢) بلفظه.

(٣٣) يُنظر: أوضح المسالك: ٢/١٦٩، وشرح شذور الذّهب للجوجريّ: ٢/٧٣٧.

(٣٤) يُنظر: الاقتراح في أصول النّحو: ٤٤.

(٣٥) نسب البيت إلى الحطيئة، وهو في ديوانه: ٣٢٩، ونُسب إلى الكميت، وهو في ديوانه: ١/١٥٥. ونسبه الشّاطبي إلى الحطيئة. يُنظر: شرح ألفية ابن مالك للشّاطبيّ: ٣/١٧٥.

(٣٦) يُنظر: شرح التّسهيل لابن مالك: ٢/١٧٦، وشرح التّصريح: ١/٤٧٧، وحاشية الخضري على ابن عقيل: ١/١٨٣.

(٣٧) شرح التّصريح: ١/٤٧٧.

(٣٨) يُنظر: شرح جمل الزّجاجي لابن خروف: ٢/٦٠٨.

(٣٩) شرح التّسهيل لابن مالك: ٢/١٧٦-١٧٧. ويُنظر: التّذييل والتّكميل: ٧/١١٠، وتمهيد القواعد: ٤/١٨٠٦.

(٤٠) يُنظر: أوضح المسالك: ٢/١٧٨، وشرح الأشمونيّ: ١/٤٦٠، وهمع الهوامع: ٣/١٢١.

(٤١) البيت مجهول القائل، وهو من شواهد: شرح الكافية الشّافية: ١/١٢٦، وشرح ألفية ابن مالك لابن الناظم: ١/١٨٦، وارتشاف الضّرب: ٥/٢٤٠٢، وتوضيح المقاصد والمسالك: ٢/٦٤٠، وشرح ابن عقيل: ٢/١٦٣.

(٤٢) يُنظر: شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم: ١/١٨٦.

(٤٣) يُنظر: أوضح المسالك: ٢/١٧٨، وشرح التّصريح: ١/٤٨٧.

(٤٤) البيت مجهول القائل، وهو من شواهد: شرح التّسهيل لابن مالك: ٢/١٧١، وارتشاف الضّرب: ٢/٩٤٥، ومغني اللبيب: ١/٦٣٥، وتمهيد القواعد: ١/٥٥٥، ٤/١٧٩١، وشرح التّصريح: ١/٤٨٤، وهمع الهوامع: ٣/١٢٠.

(٤٥) كتاب لسيبويه (تحقيق: عبد السّلام هارون): ١/٧٩.

(٤٦) يُنظر: أوضح المسالك: ٢/١٧٦، وشرح التّصريح: ١/٤٨٥.

(٤٧) يُنظر: الرّد على النّحاة: ٨٧.

(٤٨) البيت في ديوان علقمة: ٣٨. وهو من شواهد: الرّد على النّحاة: ٨٧، وشرح التّسهيل لابن مالك: ١/١٢٧، والتّذييل والتّكميل: ٧/١٠٢.

(٤٩) شرح التّسهيل لابن مالك: ١/١٢٧.

(٥٠) يُنظر: شرح التّسهيل لابن مالك: ١٧٤/١، وأوضح المسالك: ١٧٧/٢، وشرح الأشمونيّ: ٤٥٧/١، وشرح التّصريح: ٤٨٥/١، وهمع الهوامع: ١٢١/٣.

(٥١) يُنظر: أوضح المسالك: ١٧٨/٢.

(٥٢) يُنظر: نتائج الفكر: ٢٦٦، وتمهيد القواعد: ٣٢٩٧/٧، وهمع الهوامع: ١٦٩/٣.

(٥٣) يُنظر: ارتشاف الضّرب: ٢١٥٣/٤.

(٥٤) يُنظر: التّذييل والتّكميل: ٦/٩.

(٥٥) كتاب سيبويه (تحقيق: عبد السّلام محمد هارون): ٤٤/١.

(٥٦) يُنظر: أوضح المسالك: ١٧٨/٢، وشرح الأشمونيّ: ٤٦٠/١، وهمع الهوامع: ١٢١/٣.

(٥٧) يُنظر: أسرار العربيّة: ١٥٢، والكوكب الدّرّيّ: ٤٠٣، وتمهيد القواعد: ٢٣١٣/٥.

(٥٨) تمهيد القواعد: ٢٣١٣/٥.

(٥٩) يُنظر في تفصيل المسألة: شرح جمل الزّجاجي لابن خروف: ٦٠٧/٢-٦٠٨، وشرح الكافية الشّافية: ٦٤٨/٢-٦٥٢، وشرح ألفية ابن مالك لابن النّاظم: ١٨٨/١-١٨٩، وأوضح المسالك: ١٧٩/٢، وشرح ابن عقيل: ١٦٧/٢-١٦٨، وشرح ألفية ابن مالك للشّاطبيّ: ٢١٠/٣-٢١١، وشرح التّصريح: ٤٨٨/١.

(٦٠) أوضح المسالك: ١٨٠/٢. ويُنظر: شرح التّصريح: ٤٨٩/١.

(٦١) شرح ألفية ابن مالك للشّاطبيّ: ٢١١/٣.

(٦٢) يُنظر في مذهب الفرّاء: أوضح المسالك: ١٧٨/٢.

(٦٣) يُنظر: النّحو الوافي: ٢٠١/٢.

المصادر والمراجع

•القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

-ارتشاف الضَّرَب مِن لسان العرب: أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

-أسرار العربيّة: كمال الدّين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاريّ، الأنباريّ (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: بركات يوسف هبّود، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

-الاقتراح في علم أصول النّحو: جلال الدّين السّيوطيّ (ت٩١١هـ)، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدّم له: علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

-الأمالي النّحوية: أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف: بابن الحاجِب (ت٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، ودار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويّينَ البصريينَ والكوفيينَ: كمال الدّين أبو البركات عبد الرّحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاريّ، الأنباريّ (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

-أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ابن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشّيخ محمد البقاعيّ، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، د.ت.

-التبصرة في أصول الفقه: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشّيرازيّ (ت٤٧٦هـ)، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ.
-التبيين عن مذاهب النّحويين البصريينَ والكوفيينَ: أبو البقاء العُكبَريّ (ت٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرّحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
-تذكرة النّحاة: أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط١، د.ت.
-التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: أبو حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، تواريخ مختلفة.
-التّعريفات: الشّريف علي بن محمد بن علي الجرجانيّ (ت٨١٦هـ)، حقّقه، وضبطه، وصحّحه جماعة مِن العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
-تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: محب الدّين محمد بن يوسف بن أحمد الحلبيّ، ثمّ المصريّ، المعروف بناظر الجيش (ت٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٨هـ.
-توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: بدر الدّين أبو محمد حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المُراديّ، المصريّ، المالكيّ (ت٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرّحمن علي سليمان، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
-تيسير النّحو التّعليميّ قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.
-الجامع الصّحيح المختصر المشهور بـ(صحيح البخاريّ): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ، الجعفيّ (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر النّاصر، شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار طوق النّجاة، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
-حاشية الخضريّ على شرح ابن عقيل: الشّيخ محمد الخضريّ (ت١٢٨٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
-حاشية الصّبّان على شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصّبّان (ت١٢٠٦هـ)، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
-ديوان الحطيئة بشرح ابن السّكيت، والسّكريّ، والسّجستانيّ، تحقيق: نعمان أمين طه، مطبعة الحلبي، والمؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٣٧٨هـ.
-ديوان علقمة بن عبدة الفحل: تحقيق: لطفي الصّقّال، ودرية الخطيب، راجعه: د. فخر الدّين قباوة، دار الكتاب العربي، حلب، ط١، ١٩٦٩م.
-ديوان الكميت بن زيد الأسديّ، تقديم: داود سلوم، مطبعة النّعمان، بغداد، ١٩٦٩م.
-الرّد على النّحاة: أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبيّ (ت٥٩٢هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
-شرح ابن عقيل شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: بهاء الدّين عبد الله بن عقيل العقيليّ (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار التّراث، القاهرة، ودار مصر للطّباعة، سعيد جودة السّحّار وشركاؤه، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
-شرح الأشمونيّ على ألفيّه ابن مالك، والمُسمّى: (منهج السّالك إلى ألفيّة ابن مالك): أبو الحسن علي بن محمد الأشمونيّ (ت٩١٨هـ)، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
-شرح ألفيّة ابن مالك لابن النّاظم: بدر الدّين أبو عبد الله محمد بن جمال الدّين محمد بن مالك (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد باسل -عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

-شرح التسهيل: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطّائيّ الجيانيّ (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
-شرح التّصريح على التّوضيح: الشّيخ خالد بن عبد الله الأزهريّ (ت٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
-شرح جمل الزّجاجي: أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن خروف الإشبيليّ (ت٦٠٩هـ)، تحقيق ودراسة: د. سلوى محمد عمر، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلاميّ، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.
-شرح الرّضي على الكافية: رضيّ الدّين محمد بن الحسن الأستراباديّ (ت٦٨٨هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
-شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب: شمس الدّين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوْجَريّ، القاهريّ، الشّافعيّ (ت٨٨٩هـ)، تحقيق: نوّاف بن جزاء الحارثيّ، نشر: عمادة البحث العلميّ بالجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوَّرة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.
-شرح الكافية الشّافية: ابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلميّ وإحياء التّراث الإسلاميّ، كلية الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة، مكّة المُكرَّمة، ط١، د.ت.
-شرح كتاب الحدود في النّحو: عبد الله بن أحمد الفاكهيّ النّحويّ المكّيّ (ت٩٧٢هـ)، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
-شرح المفصّل: موفق الدّين يعيش بن علي بن يعيش النّحويّ (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
-علل النّحو: أبو الحسن محمد بن عبد الله، المعروف: بابن الورّاق (ت٣٨١هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرّشد، الرّياض، السّعوديّة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
-في أصول اللغة: مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميريّة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
-كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
-الكشّاش في فني النحو والصرف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت٧٣٢هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوّام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
-اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العُكبَريّ (ت٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النّبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
-لسان العرب: جمال الدّين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاريّ، الرُّويفعيّ، الأفريقيّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
-اللمع في أصول الفقه: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشّيرازيّ (ت٤٧٦هـ)، دار الكتب العلميّة، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
-المسائل الحلبيات: أبو علي الفارسيّ (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ودار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

-المُسْتَصْفَى: أبو حامد محمد بن محمد الغزاليّ، الطّوسيّ (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السّلام عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
-المَسْنَد الصّحيح المُختَصَر المعروف: بـ(صحيح مُسْلِم): أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشيريّ، النّيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، د.ت.
-معاني النّحو: د. فاضل صالح السّامرائيّ، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عَمّان، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
-المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك): أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشّاطبيّ (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
-نتائج الفكر في النّحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهَيليّ (ت٥٨١هـ)، حققه وعلّق عليه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
-النحو الوافي: عباس حسن (ت١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط١٥، د.ت.
-همع الهوامع: شرح جمع الجوامع في عِلم العربيّة: جلال الدّين السّيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التّوفيقيّة، مصر، د.ت.

المجلات والبحوث:

- الاشتغال والتّنازع في ضوء القرآن الكريم وقراءاته (دراسة تطبيقيّة دلاليّة): بحث تكميلي لنيل الماجستير، جامعة المدينة العالميّة، كلية اللغات، دولة ماليزيا.
-التّنازع أو الإعمال في النّحو العربي، قراءة معاصرة: بحث في مجلة التّراث العربي، العدد: ٨٩، لسنة ٢٠٠٣.

ردودُ الدماميني النَّحويّةُ في كِتَابِهِ مصابيح الجامع في الأفعالِ

أ.م.د.عمر علي محمد شهاب الدليمي
جامعة الفلوجة / كلية العلوم الإسلامية/ قسم اللغة العربية

الملخص :

بحثي الموسوم (ردودُ الدماميني النَّحويّةُ في كِتَابِهِ مصابيح الجامع في الأفعالِ) جمعت فيه ردود العلامة الدماميني – رحمه الله - النَّحويّة على النُّحاة وعلماء التفسير والحديث وغيرهم في كتابه مصابيح الجامع الذي شرح فيه أصحّ الكتب بعد كتاب الله ، إنّه صحيح البخاري ، ويقع في عشر مجلداتٍ ، وقد جاء شرحه هذا مشتملًا على علوم شتى فقد طرق فيه السيرة ، والفقه ، والنحو ، واللغة ، والبلاغة ، ناقلًا أحيانا ومجتهدًا أحيانا أخرى ، ورادًا ومعترضًا في مواضع كثيرة ، فجمعت ردوده النَّحوية فقط ، فوجدتها ردودًا متميزةً تستحق الدراسة ، واقتصرت على ردوده في الأفعال ، وأفردت ردوده في الأسماء والحروف بحثين مستقلين لكثرتهما. وهذا البحث يغوص في دقائق لغة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهو الحديث النبوي الشريف ، ومن خلال مناقشة الردود والتوسع فيها نستطيع أنْ نزيل الإشكال والإبهام والغموض عن كثير من الأحاديث التي أشكل فهمها على كثير من العلماء؛ لذلك اختلفوا فيها وعلى أساس هذا الاختلاف اختلفوا في استنباط الأحكام الشرعية.

Abstract

Research Summary In his book, the lamps of the mosque in which he explained the most correct books after the book of God, it is true Bukhari, and is located in the tenth This has been explained in various ways, including the ways of biography, jurisprudence, grammar, language, eloquence, sometimes conveying, and sometimes refuting, and in many places rejecting and rejecting it, so I gathered its grammatical responses only. His replies to names and deeds, and his responses in the letters with independent research for many. This research digs in minutes the language of the second source of Islamic legislation is the Prophet's Hadith, and through the discussion of responses and expansion, we can remove the confusion and ambiguity and many of the ahaadeeth that I understand on many scientists; so they differed and on the basis of this difference differed The

المقدمة :

الحمدُ للهِ الذي نصرَ عبادَهُ الصادقين، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنا محمدٍ - صلَّى الله عليه وسلَّم - سَيِّدِ الأولين والآخرين. أمّا بعد :

فإنّ من عظيم فضل الله - تعالى - أن يصلَ الإنسانُ إلى غاية سامية في هذه الحياة ، ومن أسمى الغايات أن يتعلمَ الإنسانُ مسألةً من العلمِ أو يعلمَها غيرَهُ.

وممّا كانت تتوق إليه نفسي وتشتهيه ، أنْ أختصَّ بدراسة تربط بين النَّحو والحديث الشريف ، فمددت خيط رجائي لنحويٍّ جمع بين العلمين وتفوق فيهما إنَّه العلامة بدر الدين الدماميني – رحمه الله - الذي علّلَ كثيرًا من المسائل النحوية واجتهد فيها ، وردّ على كبار النحويين ممن سبقوه وعاصروه.

وقد وقفت على ردوده في كتابه مصابيح الجامع الذي شرح فيه أصحّ الكتب بعد كتاب الله ، إنّه صحيح البخاري ، ويقع في عشر مجلداتٍ ، وقد جاء شرحه هذا مشتملًا على علوم شتى فقد طرق فيه السيرة ، والفقه ، والنحو، واللغة ، والبلاغة ، ناقلًا أحيانا ومجتهدًا أحيانا أخرى ، ورادًا ومعترضًا في مواضع كثيرة ، فجمعت ردوده النَّحوية فوجدتها ردودًا متميزةً تستحق الدراسة واقتصرت على ردوده في هذا البحث على الأفعال ، وأفردت ردوده في الأسماء والحروف ببحوث مستقلة لكثرتها.

ولم أُسَمِ البحثَ ردوده على النُّحاة ؛ لأنَّ كثيرا من ردوده النحوية لم تكن على علماء النحو، وإنّما كانت على علماء الحديث أو شراحه أو علماء القرآن وتفسيره ، وجديرٌ بالإشارة أن أبين أنّ العلماء السابقين كانوا موسوعات علمية في الفقه والأُصول والحديث والقرآن والنحو واللغة وغيرها من علوم الشريعة ، لكن بعضًا منهم اشتهر أو برز في بعض العلوم ونسبه من جاء بعده إلى العلم الذي اشتهر به ، ولم يكن العَالِمُ متخصصًا بعلمٍ واحدٍ أو بجزءٍ من العلم ، كما في زماننا ، لكن مراعاةً لهذه النظرة سميته (ردودُ الدماميني النَّحويّةُ في كِتَابِهِ مصابيح الجامع في الأفعالِ) فقد جمعت فيه ردوده النحوية في كتابه مصابيح الجامع على كلِّ عالم ردَّ عليه في مسألة نحوية تختص بالأفعال ، وكانت ردوده في الأفعال أقلَّ الردود ، فأكثرها في الحروف ثم في الأسماء ، وقد أفردت بحثًا مستقلًا لكل قسمٍ ، أمّا ردوده في الأفعال مع قلتها لكنّها تبين شخصية الدماميني النّحوية وطريقة تعامله مع المسائل ومع العلماء المردود عليهم ، فهي أُنموذج تعكس لنا أسلوبه وعلميته في هذه المسائل وغيرها مما لم يسعها البحث . وجعلت البحث من مقدمةٍ وتمهيدٍ اختصرت فيه حياته ، وثلاثة مباحث وخاتمةٍ ، فالمبحث الأول يتضمن: ردوده في الفعل الماضي ، والمبحث الثاني: ردوده في الفعل المضارع ، والمبحث الثالث: ردوده في فعل الأمر. وقد قمت بدراسة تلك الردود بالطريقة الآتية:

١-أذكر عنوانًا لكلِّ مسألة يناسب الموضوع.

٢-أذكر الحديث أو إذا كان الحديث طويلًا أذكر منه الجزء الذي وردت فيه المسألة المردود فيها واخرجه من كتب الحديث.

٣-أذكر رأي المردود عليه بعد العودة إلى مصادره الأصلية والتوثق من صحة قوله ، ثم أعقبه بذكر ردِّ الدماميني عليه.

٤-أعرض المسألة على مَظَانِّها وأبين بإيجاز أقوال النُّحاة السابقين واللاحقين ومذاهبهم فيها، حتى يتبين لي وجه الحق في كلِّ موطن بالاحتكام إلى آراء النُّحاة وحججهم ، فالحق أحق أنْ يتبع.

٥-أذكر الرأي الراجح عندي بعد مناقشة أدلة الدماميني والمردود عليهم وآراء النُّحاة الآخرين معتمدًا الدليل وصحة المعنى وفق السياق دون تعصب لعالم أو تحيز لمذهب.

وختامًا فهذا جهدي الذي بذلته في هذا البحث ، فإنْ كنْتُ أصبْتُ فذلك بفضل الله- تعالى- ولا أدّعي أنّي قد أدركْتُ ما قصدْتُ إليه ، ولكن هذا ما وصل إليهِ علمي ووقف عنده جهدي، وإنْ كنت قصَّرْتُ في شيء فإنَّما ضعفٌ ساقهُ العَجْزُ إليّ ، وإنْ قاربت فمن فضل الله – تعالى- علي؛ ولأنَّ الكمال لله- تعالى - ولكتابه العظيم دون غيره من الكتب فليس هناك عمل الّا يعتريه النقصُ الذي هو من طبيعة البشر، كما أيّدَ العمادُ الأصبهاني ذلك بقوله: (إنّي رأيت أنَّه لا يكتبُ انسانٌ كتابًا في يومه الّا قال في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسنَ، ولو زِيدَ لكان يُستحسَنُ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجملَ، وهذا من أعظم العِبَرِ، وهو دليل استيلاء النَّقصِ على جملة البشر) [١].

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ على سيِّدِنا محمدٍ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

اسمه ونسبه:

هو العلامة بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر بن يحيى بن حسن بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن علي بن ابراهيم[٢] القرشي المخزومي الإسكندراني المعروف بابن الدماميني المالكي النحوي الأديب[٣] .

ولادته ونشأته:

ولد العلامة بدر الدين الدماميني في الإسكندرية سنة (٧٦٣هـ)، وأخذ عن أئمة العلم فيها ثم رحل إلى القاهرة لمزيد من التحصيل العلمي، ففاق في النحو والنظم والنثر والخط، وشارك في الفقه وغيره، وناب في الحكم ودرّس بعدة مدارس، واشتهر ذكره، وقد كان له رغبة دافعة وذاكرة حافظة مكنته الأخيرة هذه من استيعاب أكثر العلوم التي واظب على دروسها أو انقطع إليها خاصة علوم العربية، ثم رحل سنة (٨٠٠هـ) إلى دمشق ورجع منها وعاد إلى بلده، وتولى خطابة الجامع، وترك نيابة الحكم، وأقبل على الاشتغال بالتجارة، ودخل اليمن سنة (٨٢٠هـ) ودرّس بجامع (زبيد) نحو سنة فلم يرجَ له بها أمرٌ، فركب البحر إلى الهند، فحصل له فيها إقبالٌ كبيرٌ وأخذوا عنه وعظموه[٤] .

وفاته :

توفي الإمام بدر الدين الدماميني – رحمه الله تعالى – بمدينه (كلبرجا) او(كلبركا) في الهند في شعبان عن نحو سبعين عامًا، وقد اختلف العلماء في سنة وفاته على ثلاثة أقوال:

الأول: وهو المعتمد سنة (٨٢٧ه): ذكره السخاوي وتبعه الزركلي[٥] .

الثاني: سنة (٨٢٨ه) ذكره المقريزي[٦] .

الثالث: سنة (٨٣٧ ه) أو(٨٣٨ه) ذكره السيوطي، وقال: قُتِلَ مسمومًا[٧]

المبحث الأول: ردودهُ في الفعل الماضي :

ـ أوجه الإعراب في (قيلَ وقالَ)

عن المُغيرة – رضي الله عنه - ، عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ ، وَمَنْعًا وَهَاتِ ، وَوَأْدَ البَنَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وقَالَ ، وَكَثرةَ السُّؤَالِ ، وإِضَاعةَ المَالِ)) [٨].

قال ابن حجر في فتح الباري: ((كَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وقَالَ ، كذا للأكثر بغير تنوين))[٩]، وقد ثبتت هذه الرواية عند السيوطي أيضًا، حيثُ قال: ((هما فعلان ذُكِرَا على الحكاية ، وللكشميهني [١٠] في (قيل وقال) بالتنوين: أي: قيلًا وقالًا)) [١١].

قال الزركشي: ((المشهور عند أهل اللغة في هاتين الكلمتين أنّهما اسمانِ معربانِ ، ويدخلهما الألف واللام ، فالمشهور في الحديث بناؤهما على الفتح على أنّه فعلان ماضيان ، فعلى هذا يكون التقدير: نهى عن قول: قيلَ وقالَ ، وفيهما ضَميرٌ فاعلٌ مستترٌ)) [١٢].

وردّهُ الدماميني بقولهِ: ((لا حاجة إلى ادعاء استتار ضمير فيهما ، بل هما فعلان ماضيان على رأي ابن مالك في جواز جريان الإسناد إلى الكلمة في أنواعها الثلاثة ، نحو: زيدٌ ثلاثيٌّ ، وضربَ فعلٌ ماضٍ ، ومِنْ حرفُ جرٍّ، ولا شك أنّهما مسندٌ اليهما في التقدير؛ إذ المعنى: قيلٌ وقالٌ كرهتُهما – عليه الصلاة والسلام - ، أو اسمان عند الجمهور ، والفتح على الحكاية ، وينكرون أن يكون غير الاسم مسندًا إليه ، كما هو مقرر في محلّهِ ، وعبارته: إنّ الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال ، بالفتح بدل من : ثلاثًا))[١٣] ؛ لذلك فإنّ الدماميني أنكر الفعلية في (قيل وقال) ، وردّ على الزركشي بقوله: ((لا نُسَلِمُ أنّ كلّ واحدٍ منهما فعلٌ ، بل كلُّ واحدٍ منهما مسمّاه الفعلُ الذي هو فعل ، أو قال: اسمٌ فُتِحَ آخره على الحكاية)) [١٤].

كما أجاز الزركشي أنْ يكونا أسمين لو رُويا بالتنوين بقوله: ((لو رُوِيَ بالتنوين لجازَ))[١٥] ، ولم يخالفه الدماميني في ذلك الافتراض ، فلو رُوي لكان مسلمًا به لكنه لم يُروَ؛ لذا أمتنع أن يكونا اسمين ، بل هما فعلان ؛ لذا ردَّه بقولهِ: ((لو رُوِيَ بالتنوين على تقدير كونهما اسمين فمسلمٌ ، وإلّا فممنوعٌ))[١٦].

قالَ ابن دقيق العيد: ((لو كانا اسمين بمعنى واحد ، كالقول لم يكن لعطف أحدهما على الآخر فائدة)) [١٧].

أمَّا كلام الدماميني فظاهرهُ أنَّهُ لم يقل بفعليةِ (قيل وقال) في هذا التركيب غيرُ ابنِ مالكٍ ، وهو كلامٌ ينقصهُ الاستقراءُ ، فالقول بالفعلية في هذهِ المسألةِ هو قولُ الكوفيين [١٨].

جاءَ في مرقاة المفاتيح قولُهُ: ((قيل وقال ، إمّا مصدرانِ أُتِيَ بهما للتأكيد، وحُذِفَ التنوينُ لإرادة المضاف اليه المحذوف، أي: كَرِهَ لكم قيل وقال ما لا فائدة فيه، أو ماضيان))[١٩].

وأرى أنّ الراجح هو ما قالهُ الزركشي من أنّهما فعلان مبنيان على الفتح ، ذُكِرَا على الحكاية ، والمراد النهي عن القيل والقال.

- (ليس) بين الفعلية والحرفية

عن عَبَايَةَ بنِ رِفَاعَةَ بنِ رافعِ بنِ خَدِيجٍ ، عن جَدِّهِ ، قال: إنّا نرجو أو نخافُ العدوَّ غَدًا، وليست معنا مُدًى ، أفنذبحُ بالقَصَبِ ؟ قال - صلى الله عليه وسلم -: ((ما أَنْهَرَ الدَّمَ ، وذُكِرَ اسمُ الله عليه فكلُوهُ ، ليسَ السِّنَّ والظُّفُرَ، وسأُحَدِّثُكُمْ عن ذلكَ ، أمّا السِّنّ فعظمٌ ، وأمّا الظُّفُرَ فَمُدَى الحَبَشَةِ))[٢٠].

يرى الزركشي أنّ (ليس) بمعنى (إلّا) وذلك بقوله: ((إنّ (ليس) هنا للاستثناء بمعنى (إلّا) وما بعدها بالنصب على الاستثناء))[٢١].

وردّهُ الدماميني بقوله: ((الصحيح أنّها ناسخةٌ ، وأنّ اسمَها ضميرٌ راجعٌ للبعضِ المفهومِ مما تقدمَ ، واستتارُهُ واجبٌ ، فلا يليها في اللفظ إلّا المنصوبُ))[٢٢].

(ليس) من أخوات كان في العمل إلّا أنّها جامدةُ التصرفِ لا يأتي منها مضارعٌ ، ولا أمرٌ، ولا اسمُ فاعلٍ ، ولا مصدرٌ، ولعدم تصرفها قال سيبويه: ((فأمّا ليس فإنّهُ لا يكون فيها ذلك ؛ لأنّها وضعت موضعًا واحدًا ، من ثم لم تصرف الفعل الآخر))[٢٣].

ويرى بعضهم أنّ (ليس) هي موضوعة للنفي بمنزلة (ما) تنفي الجملة التي تدخل عليها ، فكما أنّ (ما) لا يصح أن يقال فيها: إنّها فعلٌ ، فكذلك (ليس).

قال سيبويه عن ذلك: ((وقد زعم بعضهم أنّ (ليس) تجعل كـ (ما) وذلك قليلٌ لا يكاد يعرف فهذا إن يكون منه: ليسَ خلقَ اللهُ أشعرَ منه ، و ليس قالَها زيدٌ))[٢٤].

وأمّا أهل الحجاز فيشبهون (ما) بـ (ليس) إذا كان معناها ، كما شبهوا بها (لات) في بعض المواضع ، وذلك مع (الحين) خاصة[٢٥]. ونظرًا لهذهِ الصلةِ الحميمةِ والشَّبهِ القويّ بين (ما وليس) قيل عنها إنّ (ليس) ليست محضة في الحرفية ولا محضة في الفعلية [٢٦]؛ لذلك وقع الخلاف فيها بين النُّحاة ، ولهم فيها مذهبان :

المذهب الأول : ذهب جمهور النُّحاة إلى أنّ (ليس) فعلٌ ، لكنَّهُ غيرُ متصرفٍ ، واستدلوا على فعليتها بأمور منها :

١-اتصال الضمير المرفوع بها ، كقولك: لسْتُ ، ولسْنا ، ولسْتَ ، ولسْتِ ، ولسْتُما ، فهو كقولك: ضربْتُ ، وضربْنا، وضربْتَ ، وضربْتِ ، وضربْتُما ، فلو كانت حرفًا لم يتصلْ بها ضميرُ الرفعِ.

٢- أنّها تلحقُها علامةُ التأنيثِ ، أعني: أنّها تثبتُ معها تاءُ التأنيثِ مع المؤنثِ ، وتسقط مع المذكر، نحو: ليس زيدٌ قائمًا، وليست هندُ قائمةً ، فلمّا وُجِدَ مع (ليس) ما لا يكون إلّا مع الأفعال دلَّ على أنّها فعلٌ.

٣- أنّ آخرَ (ليس) مفتوحٌ ، كما فُتِحَ آخرُ الأفعالِ الماضيةِ [٢٧].

المذهب الثاني: ذهبَ ابنُ السرّاجِ، وأبو علي الفارسي في أحد قوليه إلى أنّها حرفٌ، واستدلوا بأمورٍ منها :

١-أنَّها على وزن شيءٍ من الأفعال.

٢-لم يأتِ منها اسمُ فاعلٍ ، ولا اسمُ مفعولٍ ، ولا لفظٌ مستقلٌ.

٣- أنّ الفعلَ موضوعٌ لإثبات الحدثِ والزمانِ ، و(ليس) لا تدلُّ على واحدٍ منها.

٤- لو كانت فعلًا لصح أنْ تكونَ صلةً لـ (ما) المصدريةِ ، نحو: ما أحسن ما ليس زيد قائمًا، فلمَّا لم يصح ذلك منها خرجتْ عن حيز الأفعال(٢٨).

وقد رُدَّتْ هذهِ الأمورُ بما يأتي :

أولًا: أمَّا إنَّها لم يأتِ منها اسمُ فاعلٍ ، ولا مفعولٌ ، ولا مضارعٌ ، فهذا لا يدلُّ على أنَّها حرفٌ ، فقد وُجِدَ عدمُ التصرف في أفعال التعجب (نعم و بئس) ، وهذهِ أفعالٌ ، ولم تكن حروفًا.

ثانيًا: وأمَّا امتناع مجيئها صلة (ما) المصدرية ؛ فلأنّها وضعت على النفي كالحرف ، فلا يكون منها مصدرٌ.

ثالثاً: وأمَّا إنَّ الفعلَ موضوعٌ لإثباتِ الحدثِ والزمانِ ، فهذا ليس على إطلاقة ، فإنَّ من الأفعال ما يدلُّ على النفي ، نحو: تركَ ، وصامَ ، وكفَّ عن الفعل ، وهذه أفعالٌ بلا خلافٍ(٢٩).

بعد إيجاز رأي المذهبين أرجح مذهب الجمهور أنّ (ليس) فعلٌ ناقصٌ ، لكنَّه يفيد الاستثناءَ؛ لذا أرى أنّ من الأولى حملَ كلامِ الزركشي على المعنى ؛ لأنَّ (ليس) أداة من أدوات الاستثناء ، وهي هنا تفيدُ ما تفيدُهُ إلّا ، والمستثنى بها واجبٌ ، والنصب بمقتضى الخبرية(٣٠)، والمستثنى منه فاعل (أَنْهَرَ) ، وحملُ كلام الزركشي على المعنى أولى من التصحيح عليه بما يُوهمُ الخطأ في كلامه.

المطلب الثاني: ردودهُ في الفعل المضارع :

ـ إعراب جملة (يُدْعَى)

عن أبي هُرَيرَةَ - رضي الله عنه - أنّه كان يقولُ: ((شَرُّ الطّعامِ طَعامُ الوَليمَةِ، يُدْعَى لها الأغنياءُ، ويُترَكُ الفقراءُ، ومَنْ تركَ الدَّعوةَ فقد عصى اللهَ ورسولَهُ - صلى الله عليه وسلم-))(٣١).

قال الزركشي: ((جملة (يُدْعَى) في موضع الحال لطعام الوليمة))(٣٢).

وردّهُ الدماميني بقوله: ((إنَّها الظاهرُ صفةٌ للوليمةِ على أنْ يُجعَلَ اللام الجنسية مثلها في قول الشاعر(٣٣):

ولقد أمرُّ على اللَّئيمِ يَسُبُّني ....

ويستغنى حينئذ عن تأويل تأنيث الضمير على تقدير كونها صفة لـ(طعام)))(٣٤).

قال ابن مالك في الألفية (٣٥):

ونعتوا بجملةٍ مُنْكرًا ... فأعطيت ما أعطيته خبرًا

ففي قوله (ونعتوا بجملةٍ) ثلاثة شروط :

شرط في المنعوت ، وهو أنْ يكون (منكرًا) إمّا لفظًا ومعنًى ، نحو قوله – تعالى-: ((وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ)) (٣٦) ، أو معنًى لا لفظًا ، وهو المعرَّفُ بـ (أل) الجنسية ، كقول الشاعر: (٣٧)

ولقد أمرُّ على اللّئيم يَسُبُّني .....

وشرطان في الجملة : أحدهما: أنْ تكونَ مشتملةَ على ضمير يربطهما بالموصوف ، إمَّا ملفوظٌ ، كما تقدم ، أو مقدّرٌ، كقوله: ((وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا))[٣٨]، أي: لا تَجزي فيه ، أو بدلٌ منه.

والثاني: أنْ تكون خبريةً ، أي: محتملة للصدق أو الكذب ، وإليه أشارَ بقولِهِ: [٣٩]((وامنع هنا إيقاع ذات الطلب)) ، فلا يجوز أن تقول (مررْتُ برجلٍ اضربْهُ ، أو لا تَهنْهُ ، ولا بعبدٍ بعتكَهُ) قاصدًا إنشاء البيع ، فلا يجوز النعت بالجملة الطلبية والإنشائية[٤٠].

وقد ذكر الأشموني: ((أنّه استثنى من المعارف المعرّفَةِ بـ (لام) الجنس ، وقال: فإنّه لقرب مسافته من النكرة يجوز نعته بالنكرة المخصوصة ؛ ولذلك تسمع النحويين يقولون في قوله: (ولقد أمرُّ على اللّئيم يَسُبُّني): إنَّ جملة (يَسُبُّني) صفة لا حال ؛ لأنّ المعنى: ولقد أمرُّ على لئيمٍ من اللِّئام ، ومنه قوله – تعالى -: ((وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ))[٤١]))[٤٢].

الراجح عندي ما ذهب إليه الدماميني ، فجملة (يُدْعَى) صفةٌ لـ (الوليمة) ولا يصحُ أن تكون حالًا؛ لأنّ (أل) في (الوليمة) هي الجنسية ، فتكون بحكم النكرة: لأنّ المقصود: شَرُّ الطّعامِ طَعامُ وَلِيمَةٍ يُدْعَى لها الأغنياءُ ، ويُترَكُ الفقراءُ ، ومعروفٌ أنّ الجمل بعد النكرات صفاتٌ وبعد المعارف أحوالٌ ، فالوليمة هنا أحوج للوصف من بيان حالها.

- إعراب (يصيبك)

عَنْ أَنَسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: ((لَمَّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ ، وَكانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا راميًا شَدِيدَ القِدِّ يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أو ثلاثًا ، وَكانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ ، فيقولُ : ((انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ)) ، فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَنْظُرُ إلى القَوْمِ ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ ، بأبي أَنْتَ وَأُمِّي لا تُشْرِفْ ؛ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ))[٤٣]. قال الزركشي: ((بالرفع ، وهو الصواب ، وعند الأصيلي[٤٤] : (يصبْك) بالجزم))[٤٥]. وردّهُ القاضي بقوله: ((الأول هو الصوابُ ، والثاني خطأٌ، وقلبٌ للمعنى))[٤٦]. وردّ الدماميني القاضي بقولِهِ: ((بل الثاني هو الصوابُ ، على رأي الكسائي[٤٧] المشهور))[٤٨].

ورفض السيوطي هذا التخريج بقوله: ((إذ لايستقيم أنْ تقول: إنْ تشرفْ يصبْك ، ولكن جوزهُ الكوفيون))[٤٩].

لقد ثبُتَتْ هاتانِ الروايتانِ عند الكرماني[٥٠]، والقسطلاني [٥١] لكنَّ ابن مالك قال في الألفية[٥٢]:

وشرطُ جزمٍ بعدَ نهيٍ أنْ تضع إنْ قبلَ لا دونَ تخالفٍ يقع.

يعني: إنّ شرطَ جزمِ الجوابِ بعد النهي أنْ يصحَ إقامةُ شرطٍ منفي مقامَهُ ، وعلامة ذلك أنْ يصحَ المعنى بتقدير (إنْ) قبلَ (لا) النافية ، نحو: لا تدنُ من الأسد تسلمْ ، فهذا يصح جزمه ؛ لأنّ المعنى: إنْ لا تدنُ من

الأسد تسلمْ ، بخلاف: لا تدنُ من الأسد يأكلْكَ ، فإنّ هذا لا يصحُ جزمُهُ ؛ لعدم صحة المعنى بتقدير: إنْ لا تدنُ من الأسد يأكلْكَ...، هذا مذهب الجمهور (٥٣).

أجاز الكسائي جزم جواب النهي مطلقًا، ولا يشترط الشرط المتقدم بل يقدر: إنْ تدنُ من الأسد يأكلْكَ.

واحتج الكسائي بهذا الحديث ، أي: (لا تُشْرِفْ؛ يُصِيبْكَ سَهْمٌ) على مسألة جزم جواب النهي إذا سقطت الفاء (٥٤). ورجح الدماميني رأي الكسائي لوجاهته ولموافقته رواية الجزم الصحيحة ، وعلّل ترجيحه رأي الكسائي وتصويبه بقوله: ((أجاز: لا تكفرْ تدخلِ النّارَ، ولا تدنُ من الأسد يأكلْكَ ، بالجزم ، إذ من الواضح البين أنّ معنى الأول: لا تكفرْ؛ فإنك إن تكفرْ تدخلِ النّارَ، وأنّ معنى الثاني: لا تدنُ من الأسد ؛ فإنّك إنْ تدنُ منه يأكلْك ، أي بتقدير: إن تكفرْ وإن تَدنُ ، والجماعة إنّما يقدرون فعل الشرط منفيًا ، فلذلك لا يصح عندهم التركيب المذكور) (٥٥). ثُمّ اعقب بكلامٍ يكتب بماء الذهبِ ، وعلى طلبة العلم أن يكون كلامُه لهم دستورًا ومنهاجًا، وذلك بقوله: ((لم يصلِ الأمرُ فيه إلى حدّ إذا وجدْنا روايةً صحيحةً تتخرجُ على رأي إمامٍ من أئمةِ العربية ، جليلِ المكانةِ ، نطرحُ الروايةَ ، ونقطعُ بخطئها ، اعتمادًا على مذهب المخالفين ، هذا أمرٌ لايقتضيه الإنصافُ) (٥٦).

لذا يترجح عندي ما ذهب إليه الكسائي وأيَّدَهُ به الدماميني؛ لوجاهتهِ ؛ ولعدم تكلفهِ ؛ وإمكانية تطبيقه في جميع الشواهد الأخرى المماثلة ؛ ولعدم تعصبه ؛ ولعلميته ؛ وحياديته.

المطلب الثالث: ردودهُ في فعل الأمر:

- إعراب (هاتِ)

قالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَدَخَلْتُ على عبد اللهِ بنِ عبَّاسٍ – رضي الله عنهما - فَقُلْتُ لَهُ: ((أَلَا أَعْرِضُ عليكَ ما حَدَّثْتني عائشةُ عن مرض النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال: (هاتِ). فعَرَضْتُ عليه حَدِيثَها فما أنْكَرَ منه شيئًا، غيرَ أنَّه قالَ: أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الّذي كانَ مع العَبَّاسِ ؟ قُلْتُ: لا، قال: هو عليٌّ)) (٥٧).

قال الزركشي في إعراب (هاتِ): ((وبه يُرَدُّ على ابن عصفور في قوله: إنّها اسمُ فعلٍ ، وإنّما هي فعلُ أمرٍ؛ لأنّ الضمائرَ المرفوعةَ البارزةَ لا تتصلُ إلّا بالأفعال)) (٥٨).

وردّهُ الدماميني بقوله: ((له أنْ يمنعَ هذا الحصرَ، ففي كلام الفارسي ما يدفعه ، فقد صرّحَ بأنّ (ليس) حرفٌ ، وإنّ لحاقَ الضميرِ لها ، نحو: لسْتَ ولسْتُما؛ لشبهها بالفعل ؛ لكونها على ثلاثةِ أحرفٍ ، وبمعنى: ما كانَ ، وكونه رافعًا وناصبًا ؛ كما ألحق الضمير هاتي ، هاتيا ، هاتوا ، هاتينَ ، مع كونه اسمَ فعلٍ لقوة مشابهته للأفعال لفظًا ، وإذا كان كذلك ، فابنُ عصفورٍ ليس مبتدعًا للقول بأنّ (هاتِ) اسمُ فعلٍ ، وليس ثَمّ إجماعٌ على أنّ الضميرَ البارزَ لا يلحقُ إلّا الفعل ، فلا ينقدح ردُّه) (٥٩).

اختلف العلماء في إعراب (هاتِ) على ثلاثة أقوال:

الأول: أنّها فعلُ أمرٍ من الإيتاء ، وبه قالَ ابنُ حجرٍ (٦٠).

وذهب الخليل إلى أنّ أصلَ (هاتِ) (آتِ) من آتى – يؤُتي- إيتاءً ، فقلبت الهمزة هاءً (٦١).

فجمهور النحاة ذهبوا إلى أنَّ (هاتِ) فعلُ أمرٍ جامدٍ ، لم يسمع عنه الماضي أو المضارع ، استدلوا على فعليتهِ بأنّ ضمائر الرفع تلحق به ، وهي لا تلحق بغير الأفعال [٦٢].

الثاني: إنّه اسمُ صوتٍ بمعنى (هاء) التي بمعنى احضر، وزعم ذلك الزمخشري [٦٣].

الثالث: إنّها اسمُ فعلٍ ، بمعنى (أعطِ) ، قال الرضي:- (((هاتِ) من أسماء الأفعال ، بمعنى: أعطِ ، وتتصرف بحسب المأمور، افرادًا وتثنيةً وجمعًا، وتُذكر أو تؤنث ، فتقول: هات ، هاتيًا ، هاتوا ، هاتي ، هاتين ، وتصرفه دليل فعليته...)) [٦٤] .

لذلك أرى أنّ الراجح هو ما ذهب إليه الجمهور؛ لأنّ قولهم : إنّ هاتِ فعلُ أمرٍ جامد يشهد له الاستعمال اللغوي ، فهو مكسور الآخر أبدًا إلّا إذا أسند إلى (واو) الجماعة فينضم [٦٥]، قال – تعالى- : ((قلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ)) [٦٦] ، لذلك يكون الصحيح أنّها فعلُ أمرٍ جامدٍ [٦٧].

الخاتمة :

في أدناه أهم النتائج التي خلص إليها البحث :

١-اتضحت شخصية الدماميني المميزة من خلال عرضه ومناقشاته لآراء النحاة ، ولم يكتفِ بمجرد النقل بل كان يناقش ، أو يؤيد و يستحسن، أو يعترض ويرد ، أو يدلي برأيه المستند إلى الدليل والحجة مع الآراء ، ويخطئ مَن يراه على خطأ ، وأحيانًا لا يصرح بخطأ من سبقه لكنّ القارئ اللبيب يستطيع أنْ يفهم أنَّ الآراء الأخرى ضعيفة أو مرجوحة وانّ الرأي الراجح ما ذكره الدماميني.

٢- يعدُّ كتابه مصابيح الجامع جامعًا لخلاصة من سبقوه ممن تناولوا الحديث الشريف بالإعراب وبيان دقائقه اللغوية والنحوية ؛ لذا هو موسوعة في بابه ويحتاج الكتاب إلى عناية الدارسين ممن يبحثون في العلمين ، ففيه من المسائل الكثير مما يمكن أن يخدم المكتبة العربية ، وينفع أهل الحديث والفقه في استنباط الكثير من الأحكام الشرعية.

٣-في أكثر المسائل كان رأي الدماميني هو الراجح فيما ذهب إليه ، وفي مواضع قليلة جدًا كان رأيه مرجوحًا مما يدلل على سعة علمة وقوة حجته وحسن اختياراته ، حيث كان يستعرض جميع الآراء ويناقشها بطريقة علمية ومهنية ثم يردُّ أو يختار أقواها حجة ودليلًا وقبولًا للسياق والمعنى.

٤-اعتمد الدماميني في أكثر ردوده ونقوله وآرائه وشرحه على كتاب شواهد التوضيح لابن مالك وكتاب التنقيح للزركشي ، وعلى أساسهما بنى ردوده ، وآراءه وتعقيباته ، وأستطيع أن أجزم أن كتابه مصابيح الجامع قد تضمن خلاصة الكتابين إنْ لم يكن جميع ما فيهما.

٥-تنوعت أساليبه في الرد حسب المردود عليهم ، وعلى أهمية الرأي ، وقوة خطئه فتجده يقول : هذا خطأ، أو هذا وهم ، أو لا يصح المعنى معه ، أو هذا مما يأباه أهل العربية ، أو فيه نظر.

٦-تنوعت ردوده على علماء الحديث والنحو والتفسير، كالزركشي ، وابن مالك ، وغيرهم ، لكنّ أكثر ردوده كانت على الزركشي، وكأنّه كان شارحًا ومعلقًا على كتابه التنقيح الذي ضَمَّنَ خلاصتَهُ في كتابه مصابيح الجامع، حيث يذكر في شرحِ كلِّ حديث ما ذكره الزركشي ثم يؤيده أو يعارضه.

٧-لم يكن الدماميني متصيدًا لهفوات من يرد عليهم بل على العكس كان يحترم العلماء الذين سبقوه، وإذا ذكر ما يراه خطأً من بعضهم يعتذر لهم ويترحم عليهم أو يقول ربما هذا من خطأِ النساخ ، كما كان يعتذر دائمًا للزركشي، وإنّي أحسبه محبًا للحق وباحثًا عن الصواب وفق الدليل ، وما يقتضيه صحة المعنى ، وموافقة السياق ، وليست غايته إبراز علميته ، ومقارعة كبار العلماء ، وبيان خطأ من سبقوه والتشهير بهم.

٨-في دراسة الردود نتضح لدينا آراء العلماء في إعراب الحديث بما يبين سعة المعاني ودلالاتها، وكلُّ ذلك يصب في خدمة فهم المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بما يغني مساحة استنباط الأحكام الشرعية ، ويثري موارد الفقهاء.

٩-لم يتبنَ الدماميني مذهبًا أو يتعصب لأيِّ رأيٍ أو عالمٍ ، بل كان يتناول المسائل بعلمية ومنهجية ويرجح الرأي وفق الدليل ، أو يدلو بدلوه دون أن يرفض الآراء الأخرى مستندًا إلى صحة المعنى وفق السياق الحديثي عندما لا يجد دليلًا واضحًا يفصل في المسألة.

١٠-كتب الحديث وشروحه وإعرابه مازالت أرضًا خصبة للدراسات النحوية واللغوية ، وفيها كنوز معرفية تخدم الدارسين وتثري المكتبة العربية والشرعية ؛ لذا أدعو الباحثين إلى التوجه إلى دراستها والاستفادة من دقائق كنوزها.

وأسال الله – تعالى - أنْ يجعل عملي هذا خالصًا لوجهة الكريم ، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.[٦٨]

الهوامش

[١] - أبجد العلوم: ٥٢، العماد: هو عماد الدين الكاتب محمد بن محمد الأصبهاني، مؤرخ، عالم بالأدب، من أكابر الكتّاب في عهد صلاح الدين، توفي سنة ٥٩٧هـ - ١٢٠١م.الأعلام:٢٦/٧.

[٢] - الضوء اللامع: ١٨٤/٧.

[٣] - ينظر: بغية الوعاة : ٦٦/١، وحسن المحاضرة: ٥٣٨/١.

[٤] - ينظر: بغية الوعاة: ٦٦/١، والنجوم الزاهرة: ١٢٨/١٥-١٢٩، وشذرات الذهب: ٢٦٣/٩.

[٥] - ينظر: الضوء اللامع: ١٨٥/٧، والأعلام للزركلي: ٣٤١/٢.

[٦] - ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي: ١٢٥/٧.

[٧] - ينظر: بغية الوعاة: ٦٧/١، وشذرات الذهب: ٢٦٣/٩.

[٨] - صحيح البخاري: ٤/٨ رقم الحديث ٥٩٧٥، وينظر: مسند أحمد، ط الرسالة: ٣٦٣/١٤، رقم الحديث: ٨٧١٩، وصحيح مسلم: ١٣٤٠/٣، رقم الحديث: ١٧١٥.

[٩] - فتح الباري: ٤٠٧/١٠.

[١٠] - الكشميهني: هو محمد بن مكي بن محمد بن مكي بن زراع بن هارون المروزي الكشميهني المحدث الثقة مات في يوم عرفه سنة (٣٨٩ هـ) ، ينظر: سير أعلام النبلاء ط١ الحديث: ٤٤٠/١٢.

[١١] - التوشيح: ٣٦٣٤/٨.

[١٢] - التنقيح: ١١٥٢/٣.

[١٣] - مصابيح الجامع: ٢٩٨/٩- ٢٩٩.

[١٤] - المصدر نفسه.

[١٥] - التنقيح: ١١٥٢/٣.

[١٦] – مصابيح الجامع: ٢٩٩/٩.

[١٧] - فتح الباري: ٤٠٧/١٠.

[١٨] - ينظر: معاني القرآن للفرّاء:٤٦٨/١، الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة: ٧١، شرح المفصل: ١٠٢/٢.

[١٩] - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣٠٨٢/٧.

[٢٠] - صحيح البخاري: ١٣٨/٣، رقم الحديث: ٢٤٨٨، وينظر: مسند أحمد: ١١١/٢٥، رقم الحديث: ١٥٨٠٦،، وصحيح مسلم:١٥٥٨/٣، رقم الحديث: ١٩٦٨.

[٢١] - التنقيح: ٢ /٥٥٥.

[٢٢] - مصابيح الجامع: ٣٩٨/٥.

[٢٣] - الكتاب: ١/ ٤٦.

[٢٤]- الكتاب: ١/ ١٤٧، وينظر : المقتضب:٤/ ٨٢٤، والإنصاف في مسائل الخلاف:١٣٠/١، المسألة ١٨، والأزهية في علم الحروف : ١٩٥ ، ومغني اللبيب: ٢٨٤.

[٢٥]- ينظر: الكتاب : ٥٧/١ ، والمقتضب:٤/ ٨٢٤ ، والإنصاف في مسائل الخلاف:١٣٠/١، المسألة ١٨، ومغني اللبيب: ٢٨٤.

[٢٦]- ينظر: الأزهية في علم الحروف : ١٩٥ ، ورصف المباني: ٣٠٠.

[٢٧]- ينظر الكتاب: ٣٧/٢-٤٠، والمقتضب:٤/ ٨٢٤، والإنصاف في مسائل الخلاف:١٣٠/١، المسألة ١٨، والجنى الداني : ٤٥٩ ، ومغني اللبيب: ٢٨٤.

[٢٨] - ينظر: الأصول في النحو:١/ ٢٧، ورصف المباني: ٣٠٠-٣٠١، والجنى الداني: ٤٥٩.

[٢٩] - ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف:١٣٠/١، المسألة ١٨، ورصف المباني: ٣٠٠-٣٠١، والجنى الداني: ٤٥٩، ومغني اللبيب: ٢٨٤.

[٣٠]- ينظر: شرح الكافية الشافية:٧٢١/٢.

[٣١] - صحيح البخاري: ٢٥١٧، رقم الحديث: ٥١٧٧، وصحيح مسلم: ١٠٥٤/٢، رقم الحديث:١٤٣٢ بلفظ (بئس الطعام طعام الوليمة).

[٣٢] - التنقيح: ١٠٤٣/٣.

[٣٣] - هذا صدر بيت وعجزه: فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنيني، وهو للشمر بن عمر الحنفي في الأصمعيات: ١٢٦/١، ولرجل من سلول في الخصائص: ٣٣٠/٣، ودلائل الاعجاز: ١٥٩، ونسبه البحتري في حماسته: ٢٧١، الى عميرة بن جابر الحنفي برواية:

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت عنه وقلت لا يعنيني

[٣٤] - مصابيح الجامع: ٣٨/٩.

[٣٥] - ألفية ابن مالك:٤٥.

[٣٦] - سورة البقرة، الآية:٢٨١.

[٣٧] - قد تقدم ذكره

[٣٨] - سورة البقرة، الآية: ٤٨.

[٣٩] - ألفية ابن مالك:٤٥.

[٤٠] - ينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك:٣٢٠/٢-٣٢١، وشرح التصريح على التوضيح:١١٤/٢-١١٥.

[٤١] - سورة يس، الآية:٣٧.

[٤٢] - شرح الأشموني لألفية ابن مالك:٣١٨/٢.

[٤٣] - صحيح البخاري: ٣٧/٥، رقم الحديث: ٣٨١١، وصحيح مسلم: ١٤٤٣/٣، رقم الحديث: ١٨١١، برواية: لا تشرف لا يصيبك سهمٌ.

[٤٤] - الأصيلي: وهو الامام الفقيه المحدث ، أبو عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي نسبة إلى أصيلا المعروفة بالمغرب من كتبه ، الدلائل على أمهات المسائل ، ومن أعماله العلمية رواتبه لصحيح البخاري ، توفي سنة (٣٩٢ هـ) ، ينظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض: ١٣٥/٧-١٤٤.

[٤٥] - التنقيح: ٧٩٥/٢.

[٤٦] - مشارق الأنوار: ٣٦٢/٢، وينظر: مصابيح الجامع:٣٢١/٧.

[٤٧] - ينظر: شرح التسهيل: ٤٣/٤-٤٤، وتوضيح المقاصد: ١٢٥٧/٣-١٢٥٨.

[٤٨] - مصابيح الجامع:٣٢١/٧.

[٤٩] - عقود الزبرجد: ١٧٥/١.

[٥٠] - ينظر: الكواكب الدراري: ٥٢/١٥.

[٥١] - ينظر: إرشاد الساري: ١٦٣/٦.

[٥٢] - ألفية ابن مالك: ٨٥.

[٥٣] - ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ١٢٥٧/٣.

[٥٤] - ينظر: شرح التسهيل: ٤٣/٤-٤٤، وتوضيح المقاصد: ١٢٥٧/٣-١٢٥٨.

[٥٥] - مصابيح الجامع: ٣٢١/٧.

[٥٦] - المصدر نفسه.

[٥٧] - صحيح البخاري: ١٣٨/١، رقم الحديث ٦٨٧، وينظر: مسند أحمد: ١٤٢/٩، رقم الحديث ٥١٤٢.

[٥٨] - التنقيح: ١/ ٢٠٥

[٥٩] - مصابيح الجامع: ٣٢١/٢-٣٢٢

[٦٠] - ينظر: فتح الباري: ٤٠٦/١٠.

[٦١] - ينظر: شرح الكافية للرضي: ٩٣/٣

[٦٢] ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ١٢٩/١، واللّباب في علل البناء والإعراب: ٩١/٢، وشرح الكافية الشافية: ١٣٨٩/٣.

[٦٣] - ينظر: الكشاف: ١٧٨/١.

[٦٤] - شرح الكافية للرضي: ٩٣/٣.

[٦٥] - ينظر: شرح قطر الندى: ٣٢.

[٦٦] سوره البقرة، الآية: ١١١.

[٦٧] - ينظر: أصول النحو: ٩١/٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أبجد العلوم، لأبي الطيب محمد صديق القنوجي(ت: ٣٧٠)، الناشر دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان محمد الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق د. رجب عثمان محمد، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- إرشاد الساري، لشرح صحيح البخاري للعلامة شهاب الدين أحمد القسطلاني(ت:٩٢٣هـ)، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ.
- الأزهية في علم الحروف ، علي بن محمد الهروي ، تحقيق عبدالمعين الملوحي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك الأصمعي (ت٢١٦هـ)، تحقيق أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٩٣م.
- الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج (ت:٣١٦هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- إعراب الحديث النبوي، لأبي البقاء العكبري (ت:٦١٦هـ)، تحقيق عبد الإله نبهان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي (ت :١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- ألفية ابن مالك ، لمحمد بن عبدالله جمال الدين (٦٧٢هـ) ، الناشر دار التعاون ، بدون تاريخ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، لأبي البركات الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة ، د-ت.
- البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيّان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح عبد الغني بن محمد القاضي (ت: ١٤٠٣هـ).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د-ت.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، لأبي الفضل القاضي عياض (ت:٥٤٤ه)، تحقيق ابن تاويت الطنجي وعبد القادر الصحراوي ومحمد بن شريفة وسعيد أحمد إعراب، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٦٥-١٩٨٣م.
- التنقيح، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، تحقيق يحيى بن محمد علي الحكمي، مكتبة الرشد، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤ م.
- التوشيح شرح الجامع الصحيح، للإمام الحافظ أبي الفضل جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لأبي محمد بدر الدين المرادي (ت:٧٤٩هـ)، تحقيق عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
- الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٥هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٥م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي(ت:٧٤٩ه)، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر أبو محمد محيي الدين الحنفي (ت٧٧٥هـ)، الناشر مير محمد كتب خانة ، كراتشي د-ت.

- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان (ت:١٢٠٦هـ)، الكتب العلمية، بيروت ،ط١، ١٩٩٧م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (ت:٩١١ه)، تحقيق الدكتور محمد أبو الفضل ابراهيم، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
- خزانة الأدب ولباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق نبيل طرفي وأميل يعقوب، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- حماسة البحتري رواية أبي العباس الأحول، تحقيق: الأب لويس شيخو اليسوعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.
-الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ه)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٤، بدون تاريخ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت:٧٦٥ه)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، الطبعة الأولى،١٩٩١م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبن حجر (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق: محمد عبد المعيد، الهند – الطبعة الثانية: ١٩٧٢م.
- رصف المباني شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي (ت:٧٠٢ه)،
تحقيق أحمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥م.
- سر صناعة الاعراب، لابن جنى (ت:٣٩٢ه)، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- السلوك في طبقات العلماء والملوك، محمد بن يوسف يعقوب ،تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ١٩٩٥م.
- سير أعلام النُّبلاء، للذهبي (ت:٧٤٨ه)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالةط٣، ١٩٨٥م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي :(١٠٨٩ ه ، دار ابن كثير، دمشق ، ط١، ١٩٨٦م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل (ت:٧٦٨ه)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة العشرون، ١٩٨٠م.
- شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد الأشموني (ت:٩٠٠ه) ، دار الكتب العلمية، بيروتط١، ١٩٩٨م.
- شرح التسهيل، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبدالله (ت:٦٧٢ه) ، تحقيق الدكتور عبدالرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون، مطبعة هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- شرح التصريح على التوضيح، لخالد بن عبدالله الأزهري (ت:٩٠٥هـ) بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- شرح الكافية الشافية، لابن مالك (ت:J٦٧٢ه) ، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، د-ت.
- شرح الكافية في النحو، لرضي الدين الأستراباذي (ت:٦٨٦هـ)، تحقيق يوسف حسن عمر، بنغازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
-شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي النحوي (ت:٦٤٣هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، بدون تاريخ.
- شرح جمل الزجاجي ، أبو الحسن بن عصفور(ت:٦٦٩هـ)، بدون تاريخ.
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الانصاري(ت:٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ، ط١١، ١٣٨١هـ.
- شواهد التوضيح والتصحيح المشكلات الجامع الصحيح ، ابن مالك)، تحقيق د. طه محسن، مكتبة ابن تيميةط١ ، ط٢، ١٤١٣هـ.
- الصاحبي في الفقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥ه)، تحقيق مصطفى الشويمي، د-ت.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤ ، ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري ، أبو عبدالله البخاري (ت:٢٥٦ه)، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج (ت:٢٦١ه) ، تحقيق محمد فواد عبد الباقي ، بيروت، بدون تاريخ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي (ت:٩٠٢ه)، بيروت، بدون تاريخ.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- عقود الزبرجد على مسند الأمام أحمد، للسيوطي (ت:٩١١هـ) ، تحقيق الدكتور سلمان القضاة ، بيروت – ١٩٩٤م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢ه) ، تحقيق عبد العزيز بن عبدالله بن باز، و محمد فؤاد ، ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت، بدون تاريخ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- الكتاب لسيبويه (ت:١٨٠هـ)، تحقيق الدكتور عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري (ت:٥٣٨ هـ)، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله المشهور باسم الحاج خليفة ، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.
- الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري ، للكرماني (ت:٧٧٨ه) ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٣٧ م ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين الدمشقي(ت٧٧٥ ه) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- اللمع في العربية ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت:٣٩٢ه)، تحقيق حامد المؤمن، دار الكتب الثقافية، الكويت، بدون تاريخ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان أبو الحسن الهروي (ت: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- مسند أحمد ، الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١ه) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠١م.
- مشارق الأنوار، للقاضي عياض (ت:٥٤٤ه) ، المكتبة العتيقة ، ودار التراث ، القاهرة، بدون تاريخ.
- المشكل النحوي في لغة الحديث النبوي الشريف في كتاب شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ، رساله ماجستير للطالب ، خالد علي حمو المتيوتي ، كلية التربية- جامعة الموصل، بإشراف أ.م د. خزعل فتحي زيدان البدراني، ٢٠٠٥م.
- مصابيح الجامع لشرح الجامع الصحيح للإمام البخاري، تأليف الإمام القاضي بدر الدين الدماميني (ت :٨٢٧ه)، تحقيق الدكتور نورالدين طالب، دار النوادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا الفرّاء (:٢٠٧ه)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح الشلبي، مصر، ط١، د- ت .
- معاني القرآن، للأخفش (ت:٢٥١ه)، تحقيق فائز فارس، دار البشير، ١٩٨١م.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (ت٣١١ه)، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري(ت:٦٧١ه) ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٥م.
- المفصل في صناعة الإعراب، جار الله الزمخشري (ت:٥٣٨ه)، تحقيق الدكتور علي أبو ملحم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- المقتضب، للمبرد(ت:٢٨٥ه) ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، ١٩٦٣م.
- المقرب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تح: أحمد عبد الستار الجواري، عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١،١٩٧٢م.
- النجوم الزاهرة، يوسف بن تغري بردي (ت:٨٧٤ه)، مصر، ١٩٦٣م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي، مصر، بدون تاريخ.

مصطلح التهجير في العهد القديم والقرآن الكريم
دراسة لغوية مقارنة

د. عماد خضير سلمان المحمدي
جامعة الأنبار- رئاسة الجامعة
Emad_kh8@yahoo.com.

الملخص :

يلقي هذا البحث الضوء على مصطلح التهجي ، وما في حكمه من مفردات لُغوية ، في كل من كتاب العهد القديم (الكتاب المقدس لليهود) والقرآن الكريم، من خلال عملية التهجير. وهي العملية التي سماها العهد القديم السبي أي التغريب وتنبأ قبل مائة عام من وقوعه بتوقيت حدوثه وبمدته(٧٠ عاما) وبمكانه(بابل) . كما تناول القرآن الكريم مصطلح التهجير ولكن بشكل غير مباشر، فلم ترد فيه الكلمتان هجرة وتهجير صراحة، بل استخدم الفعل هاجر، واسم الفاعل منه، مهاجر للإشارة إلى الهجرة واستخدم للإشارة إلى التهجير مفردات لغوية مثل أخرج ، إخراج ، جلاء، ولتحقيق أهداف البحث تم تقسيمه إلى مقدمة ومحورين وخاتمة المحور الأول، يتناول مصطلح التهجير في كتاب العهد القديم والمحور الثاني يتناول مصطلح التهجير في القرآن الكريم.

Abstract

This research sheds light on the term displacement and its similarities in the vocabulary of the Old Testament and the Holy Qur'an through the process of displacement, which the Old Testament called the Westernization and predicted its occurrence 100 years ago. And set his place in Babylon, and that its duration is seventy years. In the Holy Quran, the verb Hajar, and the name of the actor, is mentioned as an emigrant. The term migration and displacement is not directly mentioned, but includes linguistic signs, such as out, out, out, and out. In order to achieve the objectives of the research, it was divided into two stages, two axes and a conclusion. The first is the term displacement in the book of the Old Testament. The second axis deals with the term of displacement in the Holy Quran.

المقدّمة

عرفت البشرية منذ نشأتها الأولي طريقها للهجرة والانتقال من مكان لآخر بحثا عن الكلأ ومصادر المياه وبحثا عن الرزق في أرض الله الواسعة، وهي سنة كونية فطر الله الناس عليها، وهو ما يفسر الانتقال الطبيعي للأفراد والجماعات من مكان لآخر، سواء داخل القطر الواحد أو خارج حدوده الدولية، تحقيقا لمكاسب اقتصادية أو علمية أو حتى سياسية .

غير أن البشرية نفسها عرفت أنواعا أخرى من الهجرة القسرية، التي أجبر فيها بعض بني البشر على التهجير من أوطانهم، إما نتيجة كوارث طبيعية، مثل الفيضانات و الأعاصير والزلازل والبراكين وغيرها، أو

نتيجة جرائم بشرية، كالحروب والاضطهاد الديني والسياسي والعرقي ونحوه وقد يكون للتهجير القسري أثر بالغ على تاريخ الشعوب، ففي التهجير البابلي ليهود فلسطين ، على سبيل المثال انتهى تاريخ إسرائيل، وبدأ تاريخ اليهود.

ويشكل مصطلح التهجير أو المنفى، إحدى النقاط المحورية في الرؤية اليهودية للتاريخ، وهو يرتبط مثل كل العقائد الدينية اليهودية بعقائد أخرى، مثل عقيدة المسيح المخلص و "الشعب المختار".

وتؤكد الأدبيات اليهودية على أن التهجير هو النفي الذي وقع على اليهود من مكان المولد إلى الأرض الغريبة، وأنه وقع قسرا، لأن اليهود أجبروا على هذا النفي أو التهجير، وبشكل عام فالمنفيون على مدى تاريخ "شعب إسرائيل" يمثلون حالة من قطع شعب من مكان مولده وتشتته بين الأغراب كنزوح يعقوب وأبنائه إلى مصر، وسبي الأسباط العشرة، وسبي بابل ليهوذا وبنيامين في عهد الملك صدقياهو، والسبي الأحمر (سبي روما)، الذي وقع بعد خراب الهيكل الثاني وفشل ثورة بركوخبا.

والتهجير أو المنفى أو الشتات وفق المفهوم اليهودي يقصد به المنفى القهري، خاصة خارج فلسطين أي أن المنفى هو سمة مقصورة على التاريخ اليهودي وإحساس مقصود على اليهود حينما يبتعدون عن أرض فلسطين، وتسعى الأدبيات الصهيونية إلى الإشارة الدائمة إلى مصطلح الشتات اليهودي، لتثبيت فلسطين في ذاكرة كل يهودي، استنادا إلى ما أورده العهد القديم ومن هنا فقد رأيت البحث في مصطلح التهجير ودلالاته في كتاب العهد القديم، والبحث في مدى صحة الرواية الصهيونية مقارنة بالقرآن الكريم .

أهداف البحث :

- إلقاء الضوء على مصطلح التهجير وما في مفهومه من مفردات لُغوية في كل من العهد القديم والقرآن الكريم.
- إلقاء الضوء على أسلوب كل من القرآن الكريم والعهد القديم في تناول قضية التهجير الآشوري البابلي لليهود فلسطين .

منهج البحث

يعتمد البحث في المقام الأول على استخدام المنهج المقارن، حيث إنه المنهج المناسب للبحث، لأنه يصف دلالات الألفاظ التي ينطوي عليها مفهوم السبي أو التهجير في كل من القرآن الكريم والعهد القديم ، بالنسبة لليهود من منطقة إلى أخرى وما وراء ذلك من دوافع وعلل.

المحور الأول : مصطلح التهجير في العهد القديم

عبر كتاب العهد القديم عن المصطلحات الدالة على السبي أو الهجرة والتهجير، وما في حكمها في كثير من آياته، منها على سبيل المثال لا الحصر : ورد في سفر التكوين:"**فقامَ يَعْقوبُ مِن بِئْرَ سَبْعٍ، وحَمَلَ بَنو اسْرائيلَ يَعْقوبَ أَباهم وأَطْفالَهم ونساءَهم على العَجَلاتِ الَّتي بَعَثَ بِها فِرعَون لِتَحمِلَه .وأَخَذوا ماشِيَتَهم ومُقْتَنَياتِهِم الَّتي اقتَنَوها في أَرضِ كَنْعان، وقَدِموا إِلى مِصْر، يَعْقوبُ وكُلُّ ذُرِّيَّتِه...**"[1]،وفي سفر الخروج،

ورد قول يهوه لموسى، مفسرًا الأمر بخروج بني إسرائيل: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ.. فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ" (٢)، وفي سفر الملوك الثاني : "وَبَقِيَّةُ الشَّعْبِ الَّذِينَ بَقُوا فِي الْمَدِينَةِ، وَالْهَارِبُونَ الَّذِينَ هَرَبُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ، وَبَقِيَّةُ الْجُمْهُورِ سَبَاهُمْ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرَطِ" (٣). وحول تهجير اليهود وشتاتهم ورد في سفر اللاويين "وَأُذَرِّيكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ، وَأُجَرِّدُ وَرَاءَكُمُ السَّيْفَ فَتَصِيرُ أَرْضُكُمْ مُوحَشَةً، وَمُدُنُكُمْ تَصِيرُ خَرِبَةً". وفي سفر التثنية "فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا"..."وَيُبَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا" (٤).

ومن المصطلحات الدالة على التهجير والإبعاد في العهد القديم، الفعل سبى שבה ومشتقاته (المصدر سبي שבי، שביה ،שבות ، واسم فاعل שובה سابٍ، واسم مفعول שבוי مسبي) وهو بمعنى أسَرَ(٥) ، وهجَّر ونفى وكذلك الفعل طَرَدَ גרש (ومشتقاته طَرْد גירוש واسم المفعول مطرود מגורש)، وأيضا الفعل جلا أو نفى גלה (ومشتقاته المصدر גלות منفى أو شتات واسم المفعول מגלה גלוי)، وكل هذه المفردات تحمل في طياتها معنى واحدا هو الإبعاد من مكان إلى مكان آخر، سواء كان ذلك المكان بعيدا أو قريبا من المكان الأول، وقد أولى العهد القديم مصطلح السبي (שבי) اهتماما شديد، لارتباطه بوقائع السبي الآشوري والبابلي، التي حلت بيهود مملكتي إسرائيل ويهودا وعلله بأنه عقاب أوقعه الرب على اليهود عقابا لهم على انحرافهم عن سواء السبيل. يلي اقتفاء آثار تلك الأفعال ومشتقاتها في كتاب العهد القديم بأقسامه الثلاثة: التوراة والأنبياء والمكتوبات:

الفعل سبى שבה ومشتقاته في أسفار المكتوبات:

الفعل سبى שבה: فعل ثلاثي على وزن فعل متعد لمفعول واحد(٦).

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة إلى العربية	حالة الكلمة
١	וַיהוָה, שָׁב אֶת שבית (שבות) אִיּוֹב	أيوب ٤٢ / ١٠	وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ	مصدر
٢	עוֹלֲלֶיהָ הָלְכוּ שְׁבִי, לִפְנֵי–צָר	مراثي إرميا ١/٥	ذَهَبَ أَوْلاَدُهَا إِلَى السَّبْيِ قُدَّامَ الْعَدُوِّ	اسم
٣	בְּתוּלֹתַי וּבַחוּרָי, הָלְכוּ בַּשֶּׁבִי	مراثي إرميا ١/١٨	عَذَارَايَ وَشُبَّانِي ذَهَبُوا إِلَى السَّبْيِ	اسم
٤	וְלֹא–גָלוּ עַל–עֲוֹנֵךְ، לְהָשִׁיב שביתך (שְׁבוּתֵךְ)	مراثي إرميا ٢/١٤	وَلَمْ يُعْلِنُوا إِثْمَكِ لِيَرُدُّوا سَبْيَكِ	اسم
٥	וְשָׁבוּם שׁוֹבִיהֶם אֶל–אֶרֶץ רְחוֹקָה، אוֹ קְרוֹבָה	أخبار الأيام ٢ ٦/٣٦	وَسَبَاهُمْ، سَابُوهُمْ إِلَى أَرْض بَعِيدَةٍ أَوْ قَرِيبَةٍ	فعل +اسم فاعل
٦	בָּאָרֶץ، אֲשֶׁר נִשְׁבּוּ–שָׁם؛ וְשָׁבוּ וְהִתְחַנְּנוּ אֵלֶיךָ، בְּאֶרֶץ שׁבְיָם.	أخبار الأيام ٢ ٦/٣٧	فِي الأَرْض الَّتِي يُسْبَوْنَ إِلَيْهَا، وَرَجَعُوا وَتَضَرَّعُوا	فعل
٧	בְּאֶרֶץ שׁבְיָם، אֲשֶׁר–שָׁבוּ אֹתָם	أخبار الأيام ٢ ٦/٣٨	فِي أَرْضِ سَبْيِهِمِ الَّتِي سَبَوْهُمْ إِلَيْهَا	اسم +فعل

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة إلى العربية	حالة الكلمة
٨	וַיִּשְׁבּוּ מִמֶּנּוּ שִׁבְיָה גְּדוֹלָה	أخبار الأيام٢ ٢٨/٥	وَسَبَوْا مِنْهُ سَبْيًا عَظِيمًا	فعل+اسم
٩	וְהָשִׁיבוּ הַשִּׁבְיָה، אֲשֶׁר שָׁבִיתֶם מֵאֲחֵיכֶם	أخبار الأيام٢ ٢٨/٢	وَرُدُّوا السَّبْيَ الَّذِي سَبَيْتُمُوهُ مِنْ إِخْوَتِكُمْ	اسم +فعل
١٠	לֹא–תָבִיאוּ אֶת–הַשִּׁבְיָה הֵנָּה	أخبار الأيام٢ ٢٨/١٣	لاَ تَدْخُلُونَ بِالسَّبْيِ إِلَى هُنَا	اسم
١١	וַיַּעֲזֹב הֶחָלוּץ، אֶת–הַשִּׁבְיָה	أخبار الأيام٢ ٢٨/١٤	فَتَرَكَ الْمُتَجَرِّدُونَ السَّبْيَ	اسم
١٢	וַיַּחֲזִיקוּ בַּשִּׁבְיָה	أخبار الأيام٢ ٢٨/١٥	وَأَخَذُوا الْمَسْبِيِّينَ	اسم
١٣	וְעוֹד אֲדוֹמִים، בָּאוּ; וַיַּכּוּ בִיהוּדָה، וַיִּשְׁבּוּ–שֶׁבִי	أخبار الأيام٢ ٢٨/١٧	فَإِنَّ الأُدُومِيِّينَ أَتَوْا أَيْضًا وَضَرَبُوا يَهُوذَا وَسَبَوْا سَبْيًا.	فعل+ مصدر
١٤	וּבָנֵינוּ וּבְנוֹתֵינוּ וְנָשֵׁינוּ בַּשִּׁבְי، עַל–זֹאת	أخبار الأيام٢ ٢٩/٩	وَبَنُونَا وَبَنَاتُنَا وَنِسَاؤُنَا فِي السَّبْيِ لأَجْلِ هذَا	اسم
١٥	בַּשִּׁבְי–יָבֹא מִצְרָיִם	دانيال ١١/٨	وَيَسْبِي إِلَى مِصْرَ	اسم
١٦	בְּשִׁבְי וּבְבִזָּה–יָמִים	دانيال ١١/٣٣	بِالسَّبْيِ وَبِالنَّهْبِ أَيَّامًا	اسم
١٧	שְׁבִיתָ שֶׁבִי	مزمور ٦٨/١٩	سَبَيْتَ سَبْيًا	فعل+ اسم
١٨	וַיִּתֵּן לַשִּׁבְי עֻזּוֹ	مزمور٧٨/٦١	وَسَلَمَ لِلسَّبْيِ عِزَّهُ	اسم

الفعل **שבה** ومشتقاته في أسفار الأنبياء:

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة الى العربية	حالة الكلمة
١	וַיֶּאֱסֹף כַּחוֹל، שֶׁבִי	حبقوق ١/٩	وَيَجْمَعُونَ سَبْيًا كَالرَّمْلِ	اسم
٢	בַּגּוֹלָה בַּשִּׁבְי، יֵלֵכוּ	حزقيال ١٢/١١	إِلَى الْجَلاَءِ إِلَى السَّبْيِ	اسم
٣	וְהֵנָּה، בַּשִּׁבְי תֵּלַכְנָה	حزقيال ٣٠/١٧	وَهُمَا تَذْهَبَانِ إِلَى سبي	اسم
٤	וּבְנוֹתֶיהָ בַּשִּׁבְי תֵּלַכְנָה	حزقيال ٣٠/١٨	تَذْهَبُ بَنَاتُهَا إِلَى سبي	اسم
٥	וַאֲשֶׁר לַשִּׁבְי לַשִּׁבְי	إرميا ١٥/٢	الَّذِينَ لِلسَّبْيِ فَإِلَى السَّبْيِ	مصدر+مصدر
٦	תֵּלְכוּ، בַּשִּׁבְי	إرميا ٢٠/٦	تَذْهَبُونَ فِي السَّبْيِ	اسم
٧	וּמְאַהֲבַיִךְ בַּשִּׁבְי יֵלֵכוּ	إرميا ٢٢/٢٢	مُحِبُّوكِ يَذْهَبُونَ إِلَى السَّبْيِ	اسم
٨	וְכָל–צָרַיִךְ כֻּלָּם، בַּשִּׁבְי יֵלֵכוּ	إرميا ٣٠/١٦	وَيَذْهَبُ كُلُّ أَعْدَائِكِ قَاطِبَةً إِلَى السَّبْيِ	اسم
٩	וַאֲשֶׁר לַשִּׁבְי לַשִּׁבְי	إرميا٤٣/١١	وَالَّذِي لِلسَّبْيِ فَلِلسَّبْيِ	اسم + اسم
١٠	כִּי–לֻקְחוּ בָנַיִךְ בַּשִּׁבְי	إرميا ٤٨/٤٦	لأَنَّ بَنِيكَ قَدْ أُخِذُوا إِلَى السَّبْيِ	اسم
١١	וְכָל–שֹׁבֵיהֶם הֶחֱזִיקוּ	إرميا ٥٠/٣٣	وَكُلُّ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ	اسم فاعل فعلى

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة الى العربية	حالة الكلمة
١٢	כִּי נִשְׁבָּה، עַדְר יְהוָה.	إرميا١٣/١٧	لأَنَّهُ سُبِيَ قَطِيعُ الرَّبِّ	فعل
١٣	כָּל–הָעָם،אֲשֶׁר–שָׁבָה יִשְׁמָעֵאל	إرميا ٤١/١٤	كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي سَبَاهُ إِسْمَاعِيلُ	فعل
١٤	וְהָיוּ שֹׁבִים לְשֹׁבֵיהֶם	إشعياء ١٤/٢	وَيَسْبُونَ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ	اسم فاعل+ اسم فاعل
١٥	מֶלֶךְ–אַשּׁוּר אֶת–שְׁבִי מִצְרַיִם	إشعياء ٢٠/٤	مَلِكُ أَشُّورَ سَبْيَ مِصْرَ	اسم
١٦	וְנַפְשָׁם، בַּשְּׁבִי הָלָכָה	إشعياء ٤٦/٢	وَهِيَ نَفْسُهَا قَدْ مَضَتْ فِي السَّبْيِ	اسم
١٧	וְאֵם–שְׁבִי צַדִּיק، יִמָּלֵט	إشعياء ٤٩/٢٤	وَهَلْ يُفْلِتُ سَبْيُ الْمَنْصُورِ	اسم
١٨	שְׁבִי גִבּוֹר יֻקָּח	إشعياء ٤٩/٢٥	حَتَّى سَبْيُ الْجَبَّارِ يُسْلَبُ	اسم
١٩	שְׁבִיָּה בַּת–צִיּוֹן	إشعياء ٥٢/٢	الْمَسْبِيَّةُ ابْنَةُ صِهْيَوْنَ.	اسم مفعول
٢٠	וְשָׁבוּם שֹׁבֵיהֶם אֶל–אֶרֶץ הָאוֹיֵב	الملوك الأول ٨/٤٦	وَسَبَاهُمْ، سَابُوهُمْ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ	فعل +اسم فاعل
٢١	בָּאָרֶץאֲשֶׁר נִשְׁבּוּ–שָׁם	الملوك الأول ٨/٤٧	فِي الأَرْضِ الَّتِي يُسْبَوْنَ إِلَيْهَا	فعل
٢٢	בְּאֶרֶץ שֹׁבֵיהֶם	الملوك الأول ٨/٤٧	فِي أَرْضِ سَبْيِهِمْ	اسم فاعل
٢٣	בְּאֶרֶץ אֹיְבֵיהֶם، אֲשֶׁר–שָׁבוּ אֹתָם	الملوك الأول٨/٤٨	فِي أَرْضِ أَعْدَائِهِمُ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ	فعل
٢٤	וּנְתַתָּם לְרַחֲמִים לִפְנֵי שֹׁבֵיהֶם، וְרִחֲמוּם	الملوك الأول ٨/٥٠	وَأَعْطِهِمْ رَحْمَةً أَمَامَ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ فَيَرْحَمُوهُمْ	اسم فاعل
٢٥	וַיֹּאמֶר לֹא תַכֶּה، הַאֲשֶׁר שָׁבִיתָ בְּחַרְבְּךָ וּבְקַשְׁתְּךָ אַתָּה מַכֶּה	الملوك ٢ ٦/٢٢	فَقَالَ: لاَ تَضْرِبْ. تَضْرِبُ الَّذِي سَبَيْتَهُ بِسَيْفِكَ وَبِقَوْسِكَ	فعل
٢٦	הָרַגְתִּי בַחֶרֶב בַּחוּרֵיכֶם، עִם שְׁבִי סוּסֵיכֶם	عاموس ٤/١٠	قَتَلْتُ بِالسَّيْفِ فِتْيَانَكُمْ مَعَ سَبْيِ خَيْلِكُمْ	اسم
٢٧	וְאֵם–יֵלְכוּ בַשְּׁבִי לִפְנֵי אֹיְבֵיהֶם	عاموس ٤/٩	وَإِنْ مَضَوْا فِي السَّبْيِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ	اسم
٢٨	קוּם בָּרָק וּשְׁבֵה שִׁבְיְךָ	القضاة ٥/١٢	قُمْ يَا بَارَاقُ وَاسْبِ سَبْيَكَ	فعل+ اسم

الفعل שבה ومشتقاته في أسفار التوراة:

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة إلى العربية	حالة الكلمة
١	וַיִּלָּחֶם, בְּיִשְׂרָאֵל, וַיִּשְׁבְּ מִמֶּנּוּ, שְׁבִי	العدد ١/٢١	حَارَبَ إِسْرَائِيلَ وَسَبَى مِنْهُمْ سَبْيًا	فعل+ اسم
٢	בַּשְּׁבִית, לְמֶלֶךְ אֱמֹרִי סִיחוֹן	العدد ٢٩/١٢	فِي السَّبْيِ لِمَلِكِ اَمُوريّى سِيحُونَ	اسم
٣	וְאֶל-עֲדַת בְּנֵי-יִשְׂרָאֵל, אֶת-הַשְּׁבִי וְאֶת-הַמַּלְקוֹחַ וְאֶת-הַשָּׁלָל-אֶל-הַמַּחֲנֶה	العدد ١٢/٣١	وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ	اسم
٤	בַּיּוֹם הַשְּׁלִישִׁי וּבַיּוֹם הַשְּׁבִיעִי-אַתֶּם, וּשְׁבִיכֶם	العدد ١٩/٣١	فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَفِي السَّابِعِ، أَنْتُمْ وَسَبْيُكُمْ	اسم
٥	הַשְּׁבִי, בָּאָדָם, וּבַבְּהֵמָה	العدد ٢٦/٣١	الْمَسْبِيِّ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ	اسم
٦	כִּי נִשְׁבָּה אָחִיו; וַיָּרָק אֶת-חֲנִיכָיו	التكوين ١٤/١٤	أَنَّ أَخَاهُ سُبِيَ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّنِينَ	فعل
٧	וְשָׁבִיתָ שִׁבְיוֹ	التثنية ١٠/٢١	وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبْيًا	فعل+ اسم
٨	וְרָאִיתָ, בַּשִּׁבְיָה, אֵשֶׁת	التثنية ١١/٢١	وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً	اسم
٩	וְהֵסִירָה אֶת-שִׂמְלַת שִׁבְיָהּ מֵעָלֶיהָ	التثنية ١٣/٢١	وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا	اسم
١٠	כִּי יֵלְכוּ בַּשֶּׁבִי	التثنية ٤١/٢٨	لأَنَّهُمْ إِلَى السَّبْيِ يَذْهَبُونَ	اسم
١١	מִדַּם חָלָל וְשִׁבְיָה	التثنية ٤٢/٣٢	بِدَمِ الْقَتْلَى وَالسَّبَايَا	اسم مفعول

يتبين من الجداول السابقة أن الفعل سبى (שבה) ومشتقاته : المصدر سبيٌ(שבי-שביה -שבות) واسم المفعول (שבוי) مسبيٌ جاء في أسفار العهد القديم في (٧٠) موضعا على النحو التالي :(١٧) موضعا بصيغة الفعل، و(٤٠) موضعا بصيغة الاسم ،و(٤) موضعا بصيغة المصدر، و(٢) مواضع بصيغة اسم المفعول، و(٧) مواضع بصيغة اسم الفاعل، والطريف أنه نظرا لأهمية الرقم (٧٠) نجده يذكر في العهد القديم (٧٠) مرة وهو على سبيل المثال يرمز في اليهودية إلى كثير من الأمور، منها عدد السنوات التي قضاها اليهود في السبي، وهي عدد شيوخ بني إسرائيل الذين اصطحبهم النبي موسى معه، للمثول أمام الحضرة الإلهية على الجبل المقدس في سيناء، كما ورد في العهد القديم: " וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה, אֱסֹף-לִי שִׁבְעִים אִישׁ מִזִּקְנֵי יִשְׂרָאֵל, אֲשֶׁר יָדַעְתָּ, כִּי-הֵם זִקְנֵי הָעָם וְשֹׁטְרָיו; וְלָקַחְתָּ אֹתָם אֶל-אֹהֶל מוֹעֵד, וְהִתְיַצְּבוּ שָׁם עִמָּךְ " [(٧)]، كما أن العدد(٧٠) ينتج من مضاعفات العدد(٧) الذي هو من الأعداد المقدسة في جميع الأديان السماوية والوضعية فهو في اليهودية، على سبيل المثال يرمز إلى عدد أيام الخلق الستة واليوم السابع هو يوم السبت وهو

عيد أسبوعي في اليهودية ،كما أن المينوراة التي كانت تضيء خيمة الاجتماع التي أقامها اليهود للتعبد فيها ،وهم في سيناء، كان لها (٧) فروع، كما جاء في العهد القديم: " וְעָשִׂיתָ מְנֹרַת, זָהָב טָהוֹר; מִקְשָׁה תֵּעָשֶׂה הַמְּנוֹרָה, יְרֵכָהּ וְקָנָהּ, גְּבִיעֶיהָ כַּפְתֹּרֶיהָ וּפְרָחֶיהָ, מִמֶּנָּה יִהְיוּ . [٨] ، ويرمز إلى أشياء أخرى لا يتسع المجال هنا لذكرها.

الفعل طرد גרש ومشتقاته في أسفار المكتوبات:

الفعل طرد גרש : فعل ثلاثي متعدي لمفعول واحد على وزن فعل ومشتقاته، كما أن الفعل גרש يعني أيضا أبعد، نفى، رحل، وقد ذُكر في العهد القديم في مواضع عدة على النحو التالي:

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة إلى العربية	حالة الكلمة
١	מִן-גַּו יִגָּרְשׁוּ; יָרִיעוּ עָלֶימוֹ, כַּגָּנָב	أيوب ٣٠/٥	مِنَ الوَسَطِ يُطرَدُونَ. يَصِيحُونَ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَى لِصٍّ.	فعل
٢	גָּרֵשׁ לֵץ, וְיֵצֵא מָדוֹן;	أمثال ٢٢/ ١٠	طُرِدَ المُسْتَهْزِئُ....	فعل
٣	וַיְגָרֶשׁ מִפְּנֵיהֶם, גּוֹיִם	مزمور ٧٨/ ٥٥	وَطَرَدَ الأُمَمَ مِنْ قُدَّامِهِمْ	فعل
٤	תְּגָרֵשׁ גּוֹיִם, וַתִּטָּעֶהָ	مزمور ٨٠/٩	طَرَدْتَ أُمَمًا وَغَرَسْتَهَا	فعل
٥	לְגָרֵשׁ מִפְּנֵי עַמְּךָ	أخبار الأيام ١ ١٧/٢١	بِطَرْدِكَ مِنْ أَمَامِ شَعْبِكَ	مصدر
٦	לְגָרְשֵׁנוּ, מִיְּרֻשָּׁתֶךָ, אֲשֶׁר הוֹרַשְׁתָּנוּ	أخبار الأيام ٢ ٢٠/١١	لِطَرْدِنَا مِنْ مُلْكِكَ الَّذِي مَلَّكْتَنَا إِيَّاهُ	مصدر

الفعل طرد גרש ومشتقاته في أسفار الأنبياء:

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة إلى العربية	حالة الكلمة
١	וַתְּגָרֵשׁ אוֹתָם מִפְּנֵיכֶם	يوشع ٢٤/١٢	وَطَرَدْتُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ	فعل
٢	וַיְגָרֶשׁ יְהוָה אֶת-כָּל-הָעַמִּים	يوشع ٢٤/ ١٨	وَطَرَدَ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِنَا جَمِيعَ	فعل
٣	וַאֲנִי אָמַרְתִּי, נִגְרַשְׁתִּי	يونان ٢/٥	فَقُلتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ	فعل
٤	נְשֵׁי עַמִּי תְּגָרְשׁוּן,	ميخا ٢/٩	تطرُدُونَ نِسَاءَ شَعْبِي	فعل
٥	וַיְגָרֶשׁ שְׁלֹמֹה אֶת-אֲבִיָתָר,	ملوك ٢ ٢/٢٧	وَطَرَدَ سُلَيْمَانُ أَبِيَاثَارَ	فعل
٦	אַשְׁדּוֹד, בַּצָּהֳרַיִם יְגָרְשׁוּהָ	صفنيا ٢/ ٤	أَشْدُودُ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ يَطْرُدُونَهَا	فعل
٧	לֹא-אֲגָרֵשׁ אוֹתָם מִפְּנֵיכֶם	قضاة ٢/ ٣	لاَ أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ	فعل

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة إلى العربية	حالة الكلمة
٨	וְאֶגָּרֵשׁ אוֹתָם מִפְּנֵיכֶם،	قضاة٦/٩	وَطَرَدْتُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ	فعل
٩	וַיְגָרֵשׁ זְבֻל אֶת-גַּעַל	قضاة٩/٤١	وَطَرَدَ زَبُول جَعَلاً	فعل
١٠	בְּנֵי-הָאִשָּׁה וַיְגָרְשׁוּ אֶת-יִפְתָּח	قضاة١١/٢	بَنُو المَرْأَةِ طَرَدُوا يَفْتَاحَ	فعل
١١	הֲלֹא אַתֶּם שְׂנֵאתֶם אוֹתִי، וַתְּגָרְשׁוּנִי מִבֵּית אָבִי	قضاة ١١/٧	أَمَا أَبْغَضْتُمُونِي أَنْتُمْ وَطَرَدْتُمُونِي مِنْ بَيْتِ أَبِي	فعل
١٢	כִּי-גֵרְשׁוּנִי הַיּוֹם מֵהִסְתַּפֵּחַ בְּנַחֲלַת יְהוָה	صموئيل الأول٢٦/١٩	لأَنَّهُمْ قَدْ طَرَدُونِي اليَوْمَ مِنَ الانْضِمَامِ إِلَى نَصِيبِ الرَّبِّ	فعل

الفعل طرد גרש ومشتقاته في أسفار التوراة:

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة إلى العربية	حالة الكلمة
١	וַאֲגָרְשֶׁנּוּ מִן-הָאָרֶץ	العدد٢٢/ ٦	فَأَطْرُدَهُ مِنَ الأَرْضِ	فعل
٢	לְהַלָּחֶם בּוֹ، וְגֵרַשְׁתִּיו	العدد٢٢/١١	أَنْ أَحَارِبَهُ وَأَطْرُدَهُ	فعل
٣	וַיְגָרֶשׁ، אֶת-הָאָדָם	التكوين٣/ ٢٤	فطَرَدَ الإِنْسَانَ	فعل
٤	הֵן גֵּרַשְׁתָּ אֹתִי הַיּוֹם	التكوين٤/ ١٤	إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي اليَوْمَ	فعل
٥	גָּרֵשׁ הָאָמָה הַזֹּאת، וְאֶת-בְּנָהּ	التكوين٢١/١	اطْرُدْ هذِهِ الجَارِيَةَ وَابْنَهَا	فعل
٦	וַיְגָרֶשׁ מִפָּנֶיךָ אוֹיֵב	التثنية٢٣/ ٢٧	فَطَرَدَ مِنْ قُدَّامِكَ العَدُوَّ	فعل
٧	וַיָּבֹאוּ הָרֹעִים،וַיְגָרְשׁוּם	الخروج٢/١٧	فأَتَى الرُّعَاةُ وَطَرَدُوهُنَّ	فعل
٨	וּבְיָד חֲזָקָה، יְגָרְשֵׁם	الخروج٦/١	وَبِيَدٍ قَوِيَّةٍ يَطْرُدُهُمْ	فعل
٩	וַיְגָרֶשׁ אֹתָם، מֵאֵת פְּנֵי פַרְעֹה.	الخروج١٠/١١	فَطُرِدَا مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ	فعل
١٠	כְּשֶׁלְּחוֹ--כֻּלָּה، גָּרֵשׁ יְגָרֵשׁ אֶתְכֶם מִזֶּה	الخروج١١/١	وَعِنْدَمَا يُطْلِقُكُمْ يَطْرُدُكُمْ طَرْدًا مِنْ هُنَا بِالتَّمَامِ	فعل+ مصدر
١١	כִּי-גֹרְשׁוּ מִמִּצְרַיִם	الخروج١٢/ ٣٩	لأَنَّهُمْ طُرِدُوا مِنْ مِصْرَ	فعل
١٢	וְגֵרַשְׁתִּי، אֶת-הַחִוִּי אֶת-הַכְּנַעֲנִי וְאֶת-הַחִתִּי-מִלְּפָנֶיךָ	الخروج ٢٣/٢٨	فَتَطْرُدُ الْحِوِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ	فعل
١٣	לֹא אֲגָרְשֶׁנּוּ מִפָּנֶיךָ، בְּשָׁנָה אֶחָת	الخروج٢٣/٢٩	لاَ أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ	فعل

م	الآية	موقعها في العهد القديم	الترجمة إلى العربية	حالة الكلمة
١٤	מְעַט מְעַט אֲגָרְשֶׁנּוּ, מִפָּנֶיךָ	الخروج٢٣/٣٠	قَلِيلاً قَلِيلاً أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ	فعل
١٥	וְגֵרַשְׁתָּמוֹ, מִפָּנֶיךָ	الخروج٢٣/٣١	فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ	فعل
١٦	וְגֵרַשְׁתִּי, אֶת-הַכְּנַעֲנִי הָאֱמֹרִי,	الخروج٢٣/٢	وَأَطْرُدُ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالأَمُورِيِّين	فعل

يتبين من الجداول أعلاه أن الفعل גרש ومشتقاته ورد في أسفار العهد القديم في (٣٥) موضعا منها (٣٢) موضعا بصيغة الفعل، و(٣) مواضع بصيغة المصدر ويُذكر أنه بتحليل العدد (٣٥) إلى عوامله الأولية ينتج الرقمان (٥) و (٧) الأول يرمز إلى أسفار التوراة الخمسة، والثاني هو من الأعداد المقدسة في الديانة اليهودية، كما ذكرنا من قبل.

الفعل גלה ومشتقاته في أسفارالمكتوبات :

م	الآية	موقعها في العهد القديم	المعنى	حالة الكلمة
١	לֹא יוֹסִיף, לְהַגְלוֹתֵךְ	مراثي إرميا٤/٢٢	لاَ يَعُودُ يَسْبِيكِ	مصدر
٢	בְּהַגְלוֹת יְהוָה	أخبار الأيام ١ ٥/٤١	فِي سَبْيِ الرَّبِّ	مصدر
٣	אֲשֶׁר הָגְלָה, תִּלְגַּת פִּלְנְאֶסֶר	أخبار الأيام ١ ٥/٦	الَّذِي سَبَاهُ تَغْلَثُ فَلْنَاسَرَ	فعل
٤	עַד-הַגֹּלָה	أخبار الأيام ١ ٥/٢٢	إِلَى السَّبْيِ	اسم
٥	אֲשֶׁר הָגְלָה, מִירוּשָׁלַיִם, עִם-הַגּוֹלָה אֲשֶׁר הָגְלְתָה, עִם יְכָנְיָה מֶלֶךְ-יְהוּדָה--אֲשֶׁר הָגְלָה, נְבוּכַדְנֶצַּר	أستير ٢/٦	قَدْ سُبِيَ مِنْ أُورُشَلِيمَ مَعَ السَّبْيِ الَّذِي سُبِيَ مَعَ يَكُنْيَا مَلِكِ يَهُوذَا الَّذِي سَبَاهُ نَبُوخَذْنَصَّرُ	فعل+ اسم+ فعل+ فعل

٦	הָעֹלִים מִשְּׁבִי הַגּוֹלָה، אֲשֶׁר הֶגְלָה נבוכדנצור (נְבוּכַדְנֶצַּר) מֶלֶךְ-בָּבֶל، לְבָבֶל	عزرا ١/٢	الصَّاعِدُونَ مِنْ سَبْيِ الْمَسْبِيِّينَ، الَّذِينَ سَبَاهُمْ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى بَابِلَ	اسم+ فعل
٧	וּשְׁאָר בְּנֵי-הַגּוֹלָה، חֲנֻכַּת בֵּית-הָאֱלֹהָא דְנָה—בְּחֶדְוָה	عزرا ١٦/٦	وَبَاقِي بَنِي السَّبْيِ دَشَّنُوا بَيْتَ اللهِ هذَا بِفَرَحٍ.	اسم

الفعل **גלה** ومشتقاته جاء بمعنى الفعل سبي ومشتقاته في هذه المجموعة من أسفار الأنبياء :

م	الكلمـــة	موقعها في العهد القديم	المعنى	حالة الكلمة
١	לְגָלוּת הַמֶּלֶךְ יוֹיָכִין	حزقيال ١/ ٢	مِنْ سَبْيِ يُويَاكِينَ الْمَلِكِ	اسم
٢	וַיְהִי בִּשְׁתֵּי עֶשְׂרֵה שָׁנָה، בֶּעָשׂרִי בַּחֲמִשָּׁה לַחֹדֶשׁ-לְגָלוּתֵנוּ	حزقيال ٢١/٣٣	وَكَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشَرَةَ مِنْ سَبْيِنَا، فِي الشَّهْرِ الْعَاشِرِ، فِي الْخَامِسِ مِنَ الشَّهْرِ	اسم
٣	בְּעֶשְׂרִים וְחָמֵשׁ שָׁנָה לְגָלוּתֵנוּ	حزقيال ١/٤٠	فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ سَبْيِنَا	اسم
٤	עַד-גְּלוֹת יְרוּשָׁלִַם	إرميا١/٣	إِلَى سَبْيِ أُورُشَلِيمَ	مصدر
٥	אַחֲרֵי הַגְלוֹת נְבוּכַדְרֶאצַּר	إرميا ١/٢٤	بَعْدَ السبي نَبُوخَذْرَاصَّرُ	اسم
٦	כֵּן-אַכִּיר אֶת-גָּלוּת יְהוּדָה	إرميا ٥/٢٤	هكَذَا أَنْظُرُ إِلَى سَبْيِ يَهُوذَا	اسم
٧	בַּגְלוֹתוֹ אֶת-יכוניה (יְכָנְיָה) בֶּן-יְהוֹיָקִים מֶלֶךְ-יְהוּדָה	إرميا ٢٠/٢٧	عِنْدَ سَبْيِهِ يَكُنْيَا بْنَ يَهُويَاقِيمَ مَلِكَ يَهُوذَا	مصدر
٨	כָּל-גָּלוּת יְהוּדָה הַבָּאִים בָּבֶלָה	إرميا ٤/٢٨	وَكُلَّ سَبْيِ يَهُوذَا الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى بَابِلَ	اسم
٩	וְאֶל-כָּל-הָעָם، אֲשֶׁר הֶגְלָה נְבוּכַדְנֶאצַּר	إرميا٢٩/ ١	وَإِلَى كُلّ الشَّعْبِ الَّذِينَ سَبَاهُمْ نَبُوخَذْنَاصَّرُ	فعل
١٠	לְכֹל גָּלוּת יְהוּדָה، אֲשֶׁר בְּבָבֶל	إرميا٢٩/٢٢	وتُؤْخَذُ مِنْهُمَا لَعْنَةٌ لِكُلّ سَبْيِ يَهُوذَا الَّذِينَ فِي بَابِلَ	اسم

م	الكلمــة	موقعها في العهد القديم	المعنى	حالة الكلمة
١١	הַגְלָה נְבוּזַרְאֲדָן רַב-טַבָּחִים, בָּבֶל	إرميا٣٩/٩	سَبَاهُمْ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرَطِ إِلَى بَابِلَ	فعل
١٢	כָּל-גָּלוּת יְרוּשָׁלַם וִיהוּדָה، הַמֻּגְלִים، בָּבֶלָה.	إرميا ١/٤٠	كُلّ سَبْيِ أُورُشَلِيمَ وَيَهُوذَا الَّذِينَ سُبُوا إِلَى بَابِلَ	اسم+ اسم مفعول
١٣	וּלְהַגְלוֹת אֹתָנוּ בָּבֶל	إرميا٤٣/٣	وَلِيَسْبُونَا إِلَى بَابِلَ	مصدر
١٤	הַגְלָה، נְבוּזַרְאֲדָן	إرميا٥٢/ ١٥	وَسَبَى نَبُوزَرَادَانُ	فعل
١٥	זֶה הָעָם، אֲשֶׁר הֶגְלָה נְבוּכַדְרֶאצַּר	إرميا ٢٨/٥٢	هذَا هُوَ الشَّعْبُ الَّذِي سَبَاهُ نَبُوخَذْرَاصَّرُ	فعل
١٦	הַגְלָה נְבוּזַרְאֲדָן רַב-טַבָּחִים	إرميا ٥٢ /٣٠	سَبَى نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرَطِ	فعل
١٧	וַיְהִי בִּשְׁלֹשִׁים וָשֶׁבַע שָׁנָה، לְגָלוּת	إرميا ٣١/٥٢	وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِسَبْيِ يَهُويَاكِينَ	اسم
١٨	לָכֵן גָּלָה עַמִּי،	إشعياء٥/١٣	لِذلِكَ سُبِيَ شَعْبِي	فعل
١٩	וַיְהִי בִּשְׁנִים-עָשָׂר שָׁנָה וָשֶׁבַע שָׁנָה، לְגָלוּת יְהוֹיָכִין מֶלֶךְ-יְהוּדָה	الملوك٢ ٢٧/٢٥	وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِسَبْيِ يَهُويَاكِينَ مَلِكِ يَهُوذَا	مصدر
٢٠	וַיִּתְפְּשֵׂהָ،וַיַּגְלֶהָ קִירָה	الملوك٢ ٩/١٦	وَأَخَذَهَا وَسَبَاهَا إِلَى قِيرَ	فعل
٢١	וְהַגְלָה אֶת-כָּל-יְרוּשָׁלַם וְאֶת-כָּל-הַשָּׂרִים וְאֵת כָּל-גִּבּוֹרֵי הַחַיִל، עשרה (עֲשֶׂרֶת) אֲלָפִים גּוֹלֶה	الملوك٢ ١٤/٢٤	وَسَبَى كُلَّ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ الرُّؤَسَاءِ وَجَمِيعَ جَبَابِرَةِ الْبَأْسِ، عَشَرَةَ آلاَفِ مَسْبِيٍّ	فعل +اسم فاعل
٢٢	וְאֵת، יֶתֶר הֶהָמוֹן-- הֶגְלָה، נְבוּזַרְאֲדָן	الملوك ٢ ١١/٢٥	وَبَقِيَّةُ الْجُمْهُورِ سَبَاهُمْ نَبُوزَرَادَانُ	فعل
٢٣	הַגְלוֹתָם גָּלוּת שְׁלֵמָה	عاموس١/ ٦	سَبَوْا سَبْيًا كَامِلاً	فعل +اسم

م	الكلمــة	موقعها في العهد القديم	المعنى	حالة الكلمة
٢٤	הַסְגִּירָם גָּלוּת שְׁלֵמָה	عاموس ١/٩	سَلَّمُوا سَبْيًا كَامِلاً	اسم
٢٤	כִּי הַגִּלְגָּל גָּלֹה יִגְלֶה	عاموس٥/٥	لأَنَّ الْجِلْجَالَ تُسْبَى سَبْيًا	مصدر+ فعل
٢٥	גָּלֹה יִגְלֶה، מֵעַל אַדְמָתוֹ	عاموس٧/١١	وَيُسْبَى إِسْرَائِيلُ عَنْ أَرْضِهِ	مصدر+ فعل
٢٦	וְיִשְׂרָאֵל، גָּלֹה יִגְלֶה	عاموس٧/١٧	وَإِسْرَائِيلُ يُسْبَى سَبْيًا	فعل+ مصدر
٢٧	עַד-יוֹם، גְּלוֹת הָאָרֶץ	القضاة١٨/٣٠	إِلَى يَوْمِ سَبْيِ الأَرْضِ	اسم

يتبين من الجداول السابقة أن الفعل **גלה** جاء في أسفار العهد القديم بمعان مترادفة عديدة (سبى ،جلا، ارتحل، انتقل)، وقد ورد الفعل ومشتقاته في العهد القديم في (٤٣) موضعا منها (١٧) موضعا بصيغة الفعل، وفي (٩) موضعا بصيغة المصدر، وفي (١) مواضع بصيغة اسم المفعول، وفي (١٥) مواضع بصيغة اسم، وفي (١) مواضع بصيغة اسم افاعل .

يتضح من الجداول السابقة، أنه لم يرد في العهد القديم بنسختيه العبرية والعربية، ما يفيد التعبير صراحة عن مصطلح التهجير الذي يمكن أن يشتق من مادة (ה – ג – ר). كما أنه بالبحث في قواميس عبرية لم أعثر على فعل عبري ثلاثي يتألف من تلك الحروف، بل يوجد الفعل היגר وهو فعل لازم بمعني انتقال الفرد للعيش في دولة أخرى، ويتضح من هذا أن كلمة الفرد لا تشمل الفرد اليهودي فهو بوصفه من " الشعب المختار"! وضع له مصطلح خاص، ففي قاموس اللغة العبرية المعاصرة لمؤلفه دافيد سجيف على سبيل المثال نجد أنه أضيف ل עלה - עליה (صعد- صعودا. وما في حكمهما) معان اصطلاحية : "هاجر إلى إسرائيل"- "الهجرة إلى إسرائيل"، وأما الهجرة من إسرائيل فقد أضيفت اصطلاحيا لمعاني اللفظتين: ירד- ירידה (نزل – نزولا ،وما في معناهما). وأعتقد أن هذه المصطلحات الوضعية تحمل في طياتها معان رمزية صهيونية مفادها تشجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين(أرض اللبن والعسل !)، أي أن اليهودي الذي يهاجر إلى إسرائيل نجمه في الصعود والعكس بالعكس.

المحور الثاني: مصطلح التهجير في القرآن الكريم

المدلول اللغوي لكلمة تهجير :

حفلت كتب اللغة العربية ومعاجمها اللغوية بالمعاني والكلمات التي تعني النقل من مكان إلى آخر، فهنالك أكثر من تعبير يدل على التهجير مثل : نفي، سير، غرب، طرد، هجر، نقل، جلا[٩].

فالنفي: هو الطرد والدفع يقال نفيت الحصى من وجه الأرض فانتفى، ثم قيل لكل كلام تدفعه ولا تثبته: نفيته، ومنه النفي إلى بلد آخر أي الدفع إليها[١٠].

وعن ابن الأثير[١١] النفي: هو الإبعاد عن البلد، وقيل إن أصل النفي: هو الإهلاك بالإعدام ومنه النفاية لرديء المتاع، ومنه النفي وهو ما تطاير من الماء عن الدلو والنفي: الطرد[١٢].

ومن الكلمات الدالة على التهجير كلمة سَيرَ وعن ابن منظور السير: الذهاب "وسَيَّره من بلده: أخرجه وأجلاه". والسيارة: "القوم يسيرون أتت على معنى الرفقة والجماعة"[١٣]. (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه)[١٤]. ومن الكلمات الدالة على التهجير، كلمة غرَّب. ففي الحديث أمر الرسول "(صلى الله عليه وسلم)" بتغريب الزاني أي نفيه عن بلده[١٥].

وفيما يخص كلمة تهجير فإنها مشتقة من هجَّر يهجِّر تهجيرًا فهو مهجَّر. وذكر ابن منظور[١٦] الهَجْر: ضد الوصل وبابه نصر، هجر، يهجره، هجرًا وهجرانًا : حرَّمه. وعن "أبي بكر الرازي"[١٧]: تهجر فلان: "أي تشبه بالمهاجرين"، وأن التهجير والتهجر هو السير في الهاجرة وفي الحديث "(هاجروا ولا تَهجَّروا)". والمهاجرة هي: الانتقال من أرض إلى أرض أخرى، ومن الكلمات الدالة على التهجير كلمة نقل ويذهب الزبيدي إلى أن النقل هو تحويل الشيء من موضع إلى موضع آخر[١٨].

المدلول الاصطلاحي للتهجير :

يعرف التهجير في الاصطلاح: هو السياسة المدبرة أو التدخل المباشر أو غير المباشر لحكومة دولة ما أو سلطة ما لإقصاء السكان المدنيين الخاضعين لسلطتها قسرا خارج حدود وطنهم سواء تم ذلك بصورة فردية أو جماعية أو زرع مستوطنين أجانب بهدف تشكيل بنية ديموغرافية أو فرض واقع سياسي جديد على ذلك الإقليم)[١٩]. فالعنصر الأساسي في هذا التعريف هو الدور الذي تلعبه الحكومات في المشاركة المباشرة باتخاذ تدابير عمدية وقسرية تؤدي بالنتيجة إلى تهجير سكان الإقليم الأصليين[٢٠] .

كما وقد يكون الدور غير مباشر، ويتجلى ذلك في اللجوء إلى اتباع سياسات يكون لها الأثر نفسه على السكان المعنيين . هذا ويعرف ايضًا بأنه "قيام المتهم بتهجير أو ترحيل أو نقل شخص أو أكثر من مكان إقامته المعتاد إلى أي مكان قسرا ويشمل مفهوم القسر هنا"، "فضلا عن استعمال القوة البدنية التهديد باستخدام القوة والذي ينجم عنه خوف المجني عليه من العنف أو الحبس أو الاضطهاد النفسي"، "على أن يتم ذلك كجزء من

هجوم واسع النطاق أو منهجي بعلم وإرادة الفاعل بفعله ونتائجه هذه" [٢١]. كما عُرِف التهجير بأنه : " كل عملية نقل لمجموعة من السكان المدنيين قسرا من مكان إلى آخر"[٢٢] .

اما الهجرة ظاهرة قديمة، فقد كانت الجماعات البدائية القديمة تنتقل من مكان إلى آخر سعياً وراء الرزق والعيش وحتى عندما بدأت هذه الجماعات في الاستقرار المكاني، كان هذا الاستقرار مؤقتاً ونسبياً وكانت الدوافع إلى الانتقال من مكان إلى آخر متعددة ومختلفة. وتعنى عملية الهجرة انتقال الإنسان من موطنه الأصلي وبيئته المحلية إلى وطن آخر سعياً وراء الرزق أو لتحقيق أهداف أخرى، كما أجمعت الكتابات المتخصصة على أن عملية الهجرة هي عملية التغير الدائم أو شبه الدائم لمحل الإقامة هذا، وقد جاء تعريف الهجرة في القاموس الجغرافي للأمم المتحدة بأنها نوع من الحراك بين وحدة جغرافية و أخرى وهو حراك يتضمن التغير الدائم لمحل الإقامة.

ويحدد علماء الاجتماع دوافع الهجرة بقسمين هما العوامل الدافعة والعوامل الجاذبة، ويقصد بالعوامل الدافعة تلك الظروف التي نشأت ونمت في الوطن الأم، التي دفعت الى الهجرة، أما العوامل الجاذبة فهي الظروف التي نشأت ونمت خارج الوطن الأم، المتمثلة بمجموعة من المغريات التي تشجع على الهجرة[٢٣] .

ومن الهجرات الساحقة في القدم هجرة بني إسرائيل من مصر فرارا من اضطهاد فرعون لهم ذات الدلائل المذكورة في القران الكريم.

إذ قال تعالى في محكم كتابه العزيز ((وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ))[٢٤] . وكذلك إخراج اليهود من فلسطين بسبب عصيانهم وقتلهم الأنبياء بغير حق وذلك في قوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۞قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ))[٢٥] .

وفي العصور التي سبقت الإسلام فان العرب مارسوا سياسة النفي والتهجير ضد بعضهم البعض فقد كانت البيئة التي نزلت فيها القبائل العربية غير متساوية في خصبها وغناها بل كانت متباينة تباينا واضحا وزاد في هذا التباين إن الثروة لم تكن موزعة توزيعا عادلا على القبائل في المدن والقرى مما أفضى إلى وجود طبقتين مختلفتين، طبقة الأغنياء من أصحاب الأموال الكبيرة وطبقة الفقراء المعدمين الذين كانوا لا يجدون ما يقيمون به حياتهم مما جعل بعض الفقراء يحترفون الغزو لاكتساب قوتهم وتهجير القبائل الأخرى ونفيها من

اجل السيطرة على المناطق الغنية والاستراتيجية التي كانوا يسكنونها. كما إن العرب قديماً اعتمدوا سياسة النفي والتهجير ضد القتلة وغيرهم ممن استحقوا النفي ومعلوم إن العرب قبل الإسلام لم يكن لديهم قانون منظم ومدون ولم يكونوا يحكمون بشريعة مكتوبة وإنما كانوا يرجعون إلى أعرافهم وتجاربهم وفراستهم والفكرة الأساسية لديهم في معاقبة الجناة هي القصاص والانتقام وإذا قتل شخصٌ شخصاً آخر من قبيلته فإنها تخلعه أو تقصيه عنها فيغادرها ويصبح خليعا أو طريدا وقد يخلع الفرد لسوء سلوكه وبعد خلعه فانه يضطر إلى أن يصبح صعلوكا سارقا قاطع طريق وقد يلجأ إلى الأماكن المقدسة ليعيش في امن حرمها أو إلى قبيلة يحالف رجلا منها[٢٦] . وعند الانتقال إلى الإسلام يلاحظ إن المسلمين قد عاشوا أعواما عانوا فيها سوء العذاب واضطهدوا في عقيدتهم حتى اكرهوا على الهجرة إلى الحبشة في بادئ الأمر ثم إلى المدينة المنورة واستمر المسلمون على هذا الحال ثلاثة عشر عاما يتعرضون للإيذاء ويضطهدون في نفوسهم وعقيدتهم وأموالهم وديارهم وعلى ذلك نزلت أول آية تأذن بالقتال للمسلمين إذ قال تعالى ((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ))[٢٧] .

وفي العصور الحديثة ترافقت حملات التهجير القسري مع فترات سادت فيها العالم سيطرة دول معينة على الاستثمار والتجارة لأراضي جديدة ومنابع مواد أولية وموانئ ونقاط اتجار مربحة.

كلمة التهجير في القران الكريم :

المصطلحان تهجير وهجرة، لم يردا في القرآن الكريم بصورة صريحة بل ورد فيه الفعل هاجر بصيغتي الماضي والمضارع واسم الفاعل مهاجر بصيغة المفرد وصيغتي الجمع: المذكر والمؤنث، ولكن ورد فيه مصطلحات يفيد معناها الهجرة والتهجير، وهي خَرَج ، أي برز من مقره[٢٨]. وهاجر هجرة، وأخرج إخراج. وقَطّع والجلاء .وهذا بيانه في الآيات التالية:

*(إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ)آية (٤٠) سورة التوبة .

* (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...) آية (٣٠) من سورة الأنفال .

*(لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ..) آية (٨) من سورة الممتحنة.

*(إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . آية (٩) من سورة الممتحنة .

*(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ...) .آية (١٩٥) من سورة آل عمران .

*(وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ....) . آية (١٠٠) من سورة النساء.

*(وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ...) آية (١٩)من سورة الحشر.
*(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ...) ،آية (١٠) من سورة الممتحنة.
*(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ...)،آية(١٠٠) من سورة التوبة.
*(وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا .....)، الآية (١٦٨) من سورة الأعراف.
*(وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا...) الآية (٣) من سورة الحشر.

كما أشار القرآن الكريم إلى السبي البابلي لليهود في قوله تعالى، في سورة الإسراء(الآيات ٤-٧) : "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧)" .

وتؤكد هذه الآيات من سورة الإسراء، على أن اليهود سيحكمون الأرض المقدسة (فلسطين) مرتين المرة الأولى التي بدأت بدخولهم فيها مع يوشع بن نون عليه السلام وإقامتهم لدولتهم الأولى فيها، ومن ثم قتلهم وسبيهم منها على يد الأشوريين والبابليين واليونانيين والرومان، وقد أكد القرآن الكريم على أن المرة الأولى قد تمت في الماضي في قوله سبحانه وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا.(٢٩)

أما المرة الثانية أو ما سماها القرآن بالآخرة، فقد تحدثت الآيات عنها بصيغة المستقبل كما هو واضح من كلمات فإذا جاء، ومن لام الاستقبال الموجودة في كلمات ليسوءوا وليدخلوا وليتبروا وكذلك من كلمة عسى، التي تفيد الاستقبال، ويستدل من الآية أن من سيفعل ذلك هم العراقيون، كما فعله أسلافهم البابليون.

والعلو الثاني لليهود، المشار إليه في الآية، هو الوضع الراهن الذي بدأ بإقامة دولتهم في عام ١٩٤٨م، ومن ثم احتلال بقية فلسطين في عام ١٩٦٧م (٣٠).

الخاتمة

- تتطلب ضروريات حياة البشر التنقل أو الانتقال من مكان إلى آخر. غير أنه كان التنقل بمحض الإرادة فهو هجرة. وأما إن كان نتيجة إكراه ، فهو تهجير.
- تناول كل من القرآن الكريم ،وكتاب العهد القديم، مصطلح التهجير، وما يدل على معناه ،من مفردات لُغوية. وقد تلاحظ أن الفعل سبى، ومشتقاته ورد في العهد القديم مرات عديدة، ،ولم يرد من ذلك شيء في القرآن الكريم.
- ورد في القرآن الكريم الفعل هاجر ،واسم الفاعل منه، مهاجر. ولم يرد فيه مصطلحا الهجرة والتهجير، بشكل مباشر، بل تضمن ما يدل عليهما من مفردات لغوية، مثل أخرج ،يخرج، إخراج، جلاء.

- تناول العهد القديم قضية السبي البابلي والآشوري لليهود من فلسطين بصورة مباشرة وصريحة. بينما أشار إليها القرآن الكريم بصورة غير مباشرة.
- تطابق كل من العهد القديم والقرآن الكريم حول أسباب التهجير اليهودي. وهي إصرارهم على المعاندة ومخالفة أوامر الله ، والتحول إلى عبادة آلهة وثنية.
- لم يتضمن كتاب العهد القديم ،بنسختيه العبرية والعربية، ما يفيد التعبير صراحة عن مادة(ה- ג-ב- هـ-ج-ر).

الهوامش

(١) سفر التكوين ٤٦ : ٥-٧ .

(٢) سفر الخروج ٣ : ٧ .

(٣) سفر الملوك ثان ٢٥ :١١ .

(٤) سفر الاويين ٢٦ :٣٣ و٦٤ .

(٥) אבן שושן, אברהם ,קונקורדנציה חדשה, לתורה נביאים וכתובים, כרך ראשון, ירושלים 1977), עמ'236.

(٦) שגיב, דוד,מילון עברי ערבי לשפה העברית בת זמננו, כרך שני, תל אביב 1990، עמ'1725.

(٧) سفر العدد ١١ : ١٦

(٨) سفر الخروج ٢٥ : ٣١

(٩) جابر، رزاق غازي، سياسة النفي والتهجير في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي ، رسالة دكتوراة ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٥ ، ص ٧ .

(١٠) الجوهري ،إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٦ هـ) ، صحاح اللغة ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ٢٥١٣ .

(١١) المبارك ، بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث ، (ب ، ت) ص ١٠١، نقلا عن جابر رازق غازي، مصدر سابق، ص ٧ .

(١٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، ١٤١٥ هـ ، ص ١٨٧ .

(١٣) جابر، رزاق غازي ، سياسة النفي والتهجير في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي ، ص ٨ .

(١٤) سورة يوسف، الآية ١٩.

(١٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص٦٣٨ .

(١٦) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(١٧) الرازي ،محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ، دار الرضوان ، حلب، ٢٠٠٦م ، ص ٤٦٤ .

(١٨) جابر، رزاق غازي، سياسة النفي والتهجير في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي ، ص ٨ .

(١٩) السيد، رشاد، الإبعاد أو الترحيل القسري للمدنيين، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد ٥١، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٢٣٨- ٢٣٩ .

(٢٠) صبري، جرجيس، العرب في إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٧٣م، ص ١٢٥ وما بعدها .

(٢١) ضاري، خليل محمود و يوسف باسل ، المحكمة الجنائية الدولية، هيمنة القانون أم قانون الهيمنة، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣ ، ص ٨٦.

(٢٢) هنيدي محمود إحسان، حقوق السكان المدنيين في المناطق المحتلة وحمايتها، أطروحة دكتوراة، كلية الحقوق، جامعة دمشق ، (ب ، ت) ، ص ١٣٣ .

(٢٣) عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧١ ، ص٣١٨.

(٢٤) سورة البقرة الآيتين (٤٩ و ٥٠) .

(٢٥) سورة المائدة الآيات ((من ٢٠ - ٢٦)) . ولمزيد من الاطلاع ينظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، المجلد الأول ج١ ، دار الحديث ، القاهرة (ب ت) ، ص ٣٢٤ .

(٢٦) جابر رازق غازي ، مصدر سابق ، ص ١١ .

(٢٧) سورة الحج :- الآية (٣٩) .

(٢٨) www.almaany.com/quran-

(٢٩) دروزة (محمد عزة)، اليهود في القرآن الكريم، الناشر المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٤٩ ،ص٤٥ .

(٣٠) المصدر نفسه.

المراجع والمصادر

المراجع

(١)- القرآن الكريم .

(٢)- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، القاهرة،١٩٦٩ .

(٣)- תורה נביאים וכתובים ، לונדון ، 1966 .

المصادر العربية :

١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣.

٢) جابر، رزاق غازي، سياسة النفي والتهجير في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي ، رسالة دكتوراه، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٥.

٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٦ هـ) ، صحاح اللغة ، بيروت ١٩٧٦.

٤) الصابوني، محمد علي ، صفوة التفاسير ، المجلد الأول ج١ ، دار الحديث ، القاهرة (ب ت).

٥) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ، دار الرضوان ، حلب، ٢٠٠٦م.

٦) السيد، رشاد، الإبعاد أو الترحيل القسري للمدنيين، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد ٥١، القاهرة ١٩٩٥م.

٧) صبري، جرجيس، العرب في إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٧٣م.

٨) ضاري، خليل محمود و يوسف باسل ، المحكمة الجنائية الدولية، هيمنة القانون أم قانون الهيمنة، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣.

٩) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، ١٤١٥ هـ.

١٠) عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧١

١١) المبارك ، بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث ، (ب ، ت).

١٠) دروزة ،محمد عزة، اليهود في القرآن الكريم، الناشر المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٤٩ .
١١) هنيدي، محمود إحسان، حقوق السكان المدنيين في المناطق المحتلة وحمايتها، أطروحة دكتوراة ، كلية الحقوق، جامعة دمشق ، (ب ، ت).

المصادر العبرية :

١) אבן שושן، אברהם ،קונקורדנציה חדשה، לתורה נביאים וכתובים، כרך ראשון، ירושלים 1977.
٢) שגיב، (דוד)،מילון עברי ערבי לשפה העברית בת זמננו، כרך שני، תל אביב 1990 .

مواقع الانترنيت

1. http://quran-m.com/quran/printarticles
2. www.almaany.com/quran

مجازية الكناية ومراتبها في البلاغة العربية

أ.م.د. عبد الناصر هاشم محمد
جامعة الأنبار / كلية التربية للعلوم الإنسانية
Alheetynaser@gmail.com

الملخص :

التساؤل الذي يحاول البحث الإجابة عليه يتعلق بالفنون البيانية. لقد وجدنا أن البلاغيين يتفقون على أن ثمة أفضلية وأبلغية بين الفنون البيانية، فالمجاز أبلغ من الحقيقة، والاستعارة أبلغ من التشبيه، وهكذا، وإذا سحبنا هذا الكلام على القرآن الكريم نصبح أمام مشكلة خطيرة، وهي مفاضلة بعض الكلام الإلهي على بعض، ترى لماذا تمت مفاضلة بعض الاستعمالات اللغوية على بعض لتقودنا نحو هذا الإشكال؟ ألا يمكن إعادة النظر بهذه التفضيلات؟ لماذا تم الاهتمام عموما بفكرة المجاز والتصوير البياني بوصفها أساسا للجمال القرآني؟ وهذا المأزق لا يمكن حلّه إلا بتجاوز الترتيب في مراتب، والسماح لمبدأ: مطابقة الكلام المقتضى الحال، سواء أكان حال السامع أم حال المتكلم لأن يعمل عمله، فنقول: إن استعمال نوع ما من هذه الأنواع معتمد في تقرير أبلغيته وأفضليته على موضعه في النص وفي سياق تخاطبي معين، وبهذا نتخلص من كل مشكلات الترتيب والتفضيل، ونصل إلى أبلغية المطابقة.

الكلمات المفتاحية : المجاز، مجازية الكناية، بلاغة، أبلغية، مقتضى الحال

Abstract

The question that the research tries to answer is related to rhetorical arts. We have found that scholars of rhetoric agree that there is a preference and informality between rhetorical arts. The imagery is more eloquent than the truth; the metaphor is more eloquent than the analogy, and so on. If we withdraw this talk to the Holy Quran we are facing a serious problem. It is a comparison of some divine words. Do you see why some linguistic uses have been compared to some to lead us towards this problem? Cannot these preferences be reconsidered? Why was the idea of metaphor and rhetorical photography generally taken as a basis for Qur'anic beauty? This impasse can only be solved by going beyond rankings. Let the principle: Match speech to the appropriate case, whether it is the case of the hearer or the speaker, because his work is done. We say that the use of one of these types is supported by the report of its communication and its preference for its position in the text and in a particular context. In this way we get rid of all the problems of order and preference, and get to the match.

Key words : Metaphor, metaphorical metaphor, eloquence, informational, as appropriate

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين... وبعد:

فإن البحث البلاغي لا يمكنه أن يتوقف يوما، وذلك أنَّ الكثير من الأمور التي تم اعتمادها بوصفها مسلمات لا يمكن الخوض فيها وأصبحت تقبع في داخل الباحثين بحيث أنهم لم يعودوا يلتفتون إليها لأنها تشكل قاعدة وأساسا للتفكير البلاغي الذي لا يتوقفون عنده بسبب التسليم المطلق بها، هذه المسلمات بحاجة اليوم إلى مراجعة حقيقية من أجل تجاوزها.

وأحد هذه المسلمات البحث في قضية المراتب البلاغية التي يقف عليها علم البيان، ودراسة هذه المراتب سوف تنير لنا الدرب في مشكلة الإعجاز، فقد اتفق البلاغيون على أن القرآن الكريم يقع في أعلى مراتب البلاغة العربية وأن بين هذه المرتبة العليا والمرتبة الدنيا التي تقترب من كلام الحيوانات مراتب عديدة يتفاضل على أساسها الكتّاب والبلغاء، وسوف نقوم بدراسة هذه المراتب في الكناية وفق ما وجدناه من ترتيب لدى البلاغيين في فقرات متسلسلة.

والتساؤل الذي يحاول البحثُ الإجابةَ عليه يتعلق بالفنون البيانية. لقد وجدنا أن البلاغيين يتفقون على أن ثمة أفضلية وأبلغية بين الفنون البيانية، فالمجاز أبلغ من الحقيقة، والاستعارة أبلغ من التشبيه وهكذا، وإذا سحبنا هذا الكلام على القرآن الكريم نصبح أمام مشكلة خطيرة وهي مفاضلة بعض الكلام الإلهي على بعض، ترى لماذا تمت مفاضلة بعض الاستعمالات اللغوية على بعض لتقودنا نحو هذا الإشكال؟ ألا يمكن إعادة النظر بهذه التفضيلات؟ لماذا تم الاهتمام عموما بفكرة المجاز والتصوير البياني بوصفها أساسا للجمال القرآني؟.

٠١. مراتب البيان

عد البلاغيون الحقيقة كالأصل في الكلام وهي المرتبة الأدنى، وهي مرتبة خارجة عن البحث البياني إلا بوصفها أساسا لفهم المجاز، والثانية مرتبة المجاز بكل أشكاله على خلاف بين البلاغيين حول تفصيلات كثيرة فيه، ولكن فكرة ترتيب البيان في مراتب لم تكن تقود التفكير البلاغي منذ بدايته ، فالبلاغيون قبل عام ٣٠٠هـ تقريبا كانوا موقنين أن الكلام يحتوي على مراتب ولكنها مراتب يقتضيها الترتيب الصوتي لا الدلالي، فالجاحظ يقول: (كلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع)[١] وهذه التمييزات للأفضل والأفصح والأنفع منطلقة من وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل، وهي تمييزات تختص باللفظ وطريقة إيصاله للمعنى ودلالة النصوص بشكل عام، وفي موضع آخر يتحدث عن الألفاظ والمعاني سويا فيقول: (وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه.... فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدًا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة القديمة)[٢]، فقلة عدد الألفاظ أو الإيجاز مع الوضوح أساسان لتمييز الكلام ذي المرتبة العالية فضلا عن التمييزات المتعلقة بالمعنى.

كما نقل الجاحظ عن بشر بن المعتمر تقسيمه للكلام على ثلاث مراتب وهي اللفظ الرشيق العذب الفخم السهل الواضح المعنى واللفظ العامي السوقي واللفظ الغريب الوحشي ويقرر رؤيته: (فالقصد في ذلك أن تجتنب السوقيَّ والوحشيّ، ولا تجعَلَ همَّك في تهذيب الألفاظ، وشغلَكَ في التخلُّص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصاد بلاغٌ، وفي التوسُّط مجانبةٌ للوُعورة، وخروجٌ مِن سبيلِ مَن لا يحاسب نفسَه)[٣] والتوسط عنده هو المرتبة العليا في البلاغة التي لا تذهب نحو التقعر والتكلف ولا نحو السهولة والبساطة والوضوح التام بل لكل من هاتين المنزلتين مقام وخيرها كلها في التوسط والاعتدال.

ويبدو أن الجاحظ لا يقف وحيدًا في ميدان التفضيل بحسب الفصاحة بل يسانده معاصروه من مثل ابن قتيبة الذي وضع كتابه أدب الكاتب بأبوابه تقويم اللسان والخط والمعرفة والأبنية، وهي أبواب تتعلق بصحة اختيار الألفاظ وفصاحتها[٤] فهو يحث على تهذيب الألفاظ ومجانبة اللحن مع مجانبة المزح، والأمر نفسه ينطبق على بعض التابعين للجاحظ كأبي هلال العسكري الذي يقول: (إنّ مدار البلاغة على تحسين اللفظ... وإنما يدلُّ حسن الكلام وإحكام صنعته ورونق ألفاظه وجودة مطالعه وحسن مقاطعه وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشئه)[٥] فهو يزيح المعاني من المعادلة ليثبت أن الفضل مقصور على الألفاظ وتحسينها ورونقها وجودة مطالعها وحسن مقاطعها وهي صفات تتعلق باللفظ والصوت والفصاحة فقط.

استمر هذا التفضيل حاضرا حتى صار المؤيدون لجمالية الأصوات والألفاظ يرتبون الكلام في مراتب صوتية ولفظية فهذا ابن سنان الخفاجي يجعل الفصاحة نعتا للألفاظ إذا وجدت على شروط معينة ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد عنده على فصاحتها وبحسب مقدار تلك الأوصاف تأخذ القسط من الوصف[٦] وقسم هذه الشروط على قسمين يهتم الأول منها بالألفاظ المفردة وهي ثمانية شروط والثاني منها بالألفاظ المركبة وهي ثمانية أيضا، وبالتسلسل مع هذه الشروط وباكتمالها في الألفاظ تحوز على قمة الفصاحة.

كما ينظر السابقون إلى المجاز والحقيقة على أن لكل منهما موضعا يحسن فيه فالجاحظ يقول: (من البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر)[٧] وهو يضع معيار الوعورة والملاءمة لقياس مدى ضرورة الكناية أو الإفصاح في موقع ما، وهذا يعني أن الجاحظ كان يجعل استعمال الحقيقة مفيدًا في مواضع معينة كما أن استعمال الكناية مفيد في مواضع أخرى، بل إنّ ابن المقفع يفضل الحقيقة والإفصاح على الكناية المجازية فيقول: (أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف)[٨].

حاز المجاز على الاهتمام البالغ مع عبد القاهر الجرجاني وبعده حتى (صار المجاز في تعارف الناس بمنزلة الحقيقة بل هو أقرب إلى التعريف من الحقيقة وأولى بالاستعمال منها وأحق بالإفهام)[٩] وهذا مبرر في حمى الاهتمام بالمجاز والاتجاه صوبه مع الشعراء المولدين والجدد منذ زمن بشار وأبي نواس وأبي العتاهية ومسلم وصولا إلى أبي تمام والمتنبي، وهو ما سبق أن أشار إليه الجاحظ[١٠]، وهو ما يبرزه لنا ابن المعتز بوضوح حينما يتحدث عن فنون البديع التي قال عنها: إنّ هؤلاء الشعراء لم يسبقوا غيرهم إليها ولكنه كثر في أشعارهم

وأن الشعراء الأقدمين كانوا يقولون من هذا الفنّ البيت والبيتين[١١] فالشاعر الجاهلي والإسلامي لم يكن يعبأ بالمجاز ولم يكن يفتعله افتعالًا بل يتركه يجيء عفوًا، وأما الشعراء المحدثون فقد صار المجاز صناعة يتعمدونها، ومنطلقا يفهم منه النقاد والبلاغيون جمال الكلام، بل صارت الحقيقة نفسها مجازًا على رأي ابن جني الفريد في الخصائص[١٢].

لقد عرض الرماني في نكته تمييزا بين المجاز والحقيقة فقال عن قوله عز وجل: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)[١٣]: (حقيقته: فبلِّـغْ ما تؤمر به والاستعارة أبلغ من الحقيقة لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع والمعنى الذي يجمعهما الإيصال إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ)[١٤] وهو يجعل سبب اختيار لفظة الصدع بدلا من لفظة التبليغ يكمن في أن هناك معنى يوجد في لفظة الصدع ولا يوجد في لفظة التبليغ قاد إلى تفضيل الأولى، فهو يرى إذن أن الفائدة من المجاز والحاجة إليه هي التي تدعو إلى استعماله، ومثله فعل ابن جني فقد جعل العدول من الحقيقة إلى المجاز لأسباب ثلاثة وهي التشبيه والاتساع والتوكيد وإلا فإن الحقيقة أولى في الاستعمال[١٥].

ولم نجد عند أبي هلال العسكري سوى إشارة واحدة إلى الغرض من الاستعارة فهو عنده: (إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو يحسن المعرض الذي يبرز فيه)[١٦] وإذا أردنا تلخيص هذه الأسس التي تتناول فائدة الاستعارة –وهي بالتأكيد تنطبق على المجاز عموما– فإننا نرى أنه يتحدث عن الشرح والتأكيد أو الإبانة الزائدة والمبالغة والإيجاز والتحسين وهي أمور تتحدث عن سر جمال المجاز لا عن سبب الاستعمال من قبل المؤلف، وهذا خلط قد يقع أحيانا في علوم العربية بين العلة والحكمة من الاستعمال.

وأما الجرجاني فقد تناول قضية المجاز مقدما كلاما عن مرتبتي الحقيقة والمجاز بهذا التفصيل: (اعلم أن الذي يوجبه ظاهر الأمر... أن يُبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز ويُتبع ذلك القول في التشبيه والتمثيل ثم يُنسق ذكر الاستعارة عليهما ويؤتى بها في أثرهما وذلك أن المجاز أعم من الاستعارة والواجب في قضايا المراتب أن يُبدأ بالعام قبل الخاص)[١٧] ففكرة المراتب واضحة عنده بل يمكن القول بأنه أول من رتب المراتب بهذا الشكل، فهو يجعل أشكال المجاز تمثل مراتب يتلو بعضها بعضا أو يتراتب بعضها فوق بعض.

كما يبدو أن البلاغيين اتفقوا بعد الجرجاني - متأثرين برأيه هذا - على أن للكلام مراتب متعددة أعلاها درجة ما لا يمكن أن يزاد عليها وحينئذ تكون تلك الصورة في الطبقة العليا من الحسن وأما المرتبة السفلى فهي التي إن انتُقِص منها شيء أصبحت خارجة عن حد البلاغة وبيْن الطرفين مراتب مختلفة، وهذا فحوى كلام السكاكي في مفتاح العلوم[١٨] والرازي في نهاية الإيجاز[١٩] والعلوي في الطراز[٢٠] والتفتازاني في مختصر المعاني[٢١] وغيرهم.

لقد نقل الجرجاني إلينا إجماعا قاطعا بقوله: (إنَّ المجازَ أَبداً أَبلَغُ منَ الحقيقة)[٢٢] مظهرا وقاطعا بأهمية المجاز ومحتفيا به على حساب التعبير الحقيقي، وقد انتقلت حمّى هذا التفضيل إلى غيره من البلاغيين حتى يمكننا القول بأنها عمت جميع البلاغيين وأصبحت كأنها حقيقة لا يمكن الجدل فيها[٢٣].

٢- الكناية بين الحقيقة والمجاز

وقبل أن نلج إلى حضرة المجاز يحق لنا أن نثير تساؤلا أوليا: ما الفرق بين التصريح والحقيقة والإفصاح وغيرها من اصطلاحات الحقيقة؟ وربما أعاننا السكاكي في الإجابة فقد صرح بقوله: (إن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر)[٢٤] فقابل بين المجاز والحقيقة، والاستعارة والتصريح بالتشبيه، والكناية والإفصاح، وتابعه القزويني قائلا: (أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر)[٢٥] فقابل بين الأنواع على الشاكلة نفسها، مضيفا إليها التمثيل الذي سبق أن ندَّ عن تفكير السكاكي، وذلك يعني عندهم أن الكلام إما أن يكون حقيقة أو مجازا، والمجاز إما أن يكون استعارة أو تشبيها، والحقيقة إما أن تكون كناية أو تصريحا، وهذا يعني أنه لا يوجد تقارب بين التصريح والحقيقة لأن التصريح عندهم يختص بالتصريح بالتشبيه فقط، كما يعني أن الكناية تعبير حقيقي لا مجازي.

لقد نقل لنا الحلبي اختلاف البلاغيين في الكناية (فمنهم من قال إنها من باب الحقيقة ومنهم من قال إنها من باب المجاز ومنهم من قال إنّها لفظة يتجاذبها جانبا الحقيقة والمجاز ومنهم من لم يحكم فيها بحقيقة ولا مجاز)[٢٦] والجرجاني يقرر تابعية التمثيل والتشبيه فقط للاستعارة[٢٧] أي إنَّهما من باب المجاز وليست الكناية كذلك، وفي موضع آخر يقرر أن الكلامَ الفصيحَ ينقسمُ قسمين قسمٌ تُعزى المزيةُ فيه إلى اللفظِ وقسمٌ تُعزى فيه إلى النظم، والقسم الأول يشمل الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حَدِّ الاستعارة أي (كلُّ ما كان فيه على الجملةِ مَجازٌ واتساعٌ وعُدُولٌ باللفظ عن الظاهر)[٢٨] وهو هنا يجعل الكناية من باب المجاز.

ومن جهة أخرى يرى العلوي أن (الكناية والتمثيل... نوعان من أنواع الاستعارة والاستعارة أعم فيهما)[٢٩] أي إنّ هناك علاقة خصوص بعموم بين الاستعارة والكناية والتمثيل، فالاستعارة هي الأعم ويتبعها بشكل أخص كل من الكناية والتمثيل، فجعل الكناية قسيم التمثيل في أنهما نوعان من جنس الاستعارة، ويدعم العلوي رأيه هذا بأغلبية البلاغيين الذين قالوا بمجازية الكناية، فيما ينقل عن ابن الخطيب الرازي أنه (أنكر كونها مجازا وزعم أن الكناية عبارة عن أن تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود)[٣٠] ونقل في موضع آخر أنها (يتجاذبها أصلان حقيقة ومجاز وتكون دالة عليهما معا عند الإطلاق)[٣١] ويبدو أن دلالتها على المجاز والحقيقة لديه هي مجرد دلالة وأما حقيقتها فهو يقف فيها مع اتفاق البلاغيين في كونها مجازا، لأنه يصرح بما يختاره في النهاية بالتالي: (على الجملة فإن الاستعارة والتمثيل والكناية كله معدود من أودية المجاز بخلاف التشبيه)[٣٢].

لسنا نريد باستعراض هذا الخلاف الواسع بين البلاغيين أن نقف عنده أو أن نضيف إليه رأيا جديدا ولا أن نحاز لجانب منها دون آخر، بقدر ما نريد أن نفهم مستويات الكلام وكيفية تراكبها وخصوصا الحقيقة والكناية. إن هذه الخلافات السابقة أوضحت لنا أن هناك مستوى يمكن أن يضم الحقيقة والتصريح والإفصاح والتصريح بالتشبيه والتمثيل لا على سبيل الاستعارة -على رأي من يستبعدها من المجاز- يقابله مستوى آخر يضم المجاز والاستعارة والكناية والتمثيل على سبيل الاستعارة، وقد أمكننا التمييز بين هذين المستويين بناء على تمييزات البلاغيين المتكاملة أي بجمع جميع الآراء وتوحيدها على الرغم من وجود اعتراضات على هذا التوزيع قد تصدر من هذا البلاغي أو ذاك، ويمكننا أن نستنتج أن المقابل الضدي للحقيقة هو المجاز والمقابل الضدي للكناية هو الإفصاح بشكل عام ولا يمكننا المقابلة بين المجاز والإفصاح أو بين الحقيقة والكناية لأنه ليس بينهما تضاد.

ولنعد الآن إلى القضية الأساس: إذا كان أغلب البلاغيين يتفقون على مجازية الكناية، فما الذي دعاهم إلى القول بمجازيتها؟ يرى الجرجاني أن (في المجاز والكناية دعوى الشيء ببينة وهو ذكر ما لا ينفك عنه بخلاف الحقيقة والتصريح وفرق بين دعوى الشيء ببينة ودعواه بدونها)[٣٣] وهو التبرير الذي ينقله لنا بعد نقله للإجماع حول تفضيل المجاز والكناية على الحقيقة، والبينة التي يقصدها هي القرينة التي يؤتى بها لتوكيد المجاز والكناية وإبعاد شبهة الحقيقة، وفي موضع آخر يرى أن علاقة المشابهة أو علاقة الصلة والملابسة بين الأصل الذي كانت عليه اللفظة والمعنى المنقولة إليه تتيح لنا استعمال المجاز بدلا من الحقيقة[٣٤] مما يعني أن علاقة الصلة والملابسة تدعو إلى استعمال المجاز أو تتيح إمكانية استعماله.

وحينما تحدث عن المعنى ومعنى المعنى أفاد أن الحقيقة تقودنا نحو المعنى وأن المجاز يقودنا نحو معنى أول وهذا المعنى يقودنا إلى معنى المعنى[٣٥] والجرجاني يرى أن هذا الطريق الطويل والاستدلال بأمارة المعنى الأول نحو المعنى الثاني يمنح النص جمالا أكثر مما لو وصل السامع إلى المعنى مباشرة، وهو بذلك يجتاز المشكلة المتعلقة بالفرق بين المجاز والكناية من جهة والحقيقة والإفصاح من جهة أخرى بوضعه لأساس معنى المعنى، والكناية تقودنا نحو معنى المعنى أيضا مما يبرر القول بمجازيتها.

ثم يفصّل الجرجاني المسألة فيجعل سبب استعمال المجاز في إثباتِ الشاهدِ والدليلِ والعَلَم ما دامت دعوى تُدَّعَى كما يرى أن المجاز أشد من الحقيقة في منح الصفة للمشبه[٣٦]، فالمجاز عنده يزيد في إثبات معنى معين للمثبت له أو المعار له بشكل أبلغ من إثباته بلا مبالغة، وهذا الوجه من الإثبات هو آكد وأشد إيجابا، كما يضيف بابا آخر لتفضيل المجاز على الحقيقة يعده الباب الأهم في حديثه عن فنون البيان فيقول عن الاستعارة مثلا إنّها: (إنَّما تَمَّ لها الحسْنُ ... بما تُوخِّيَ في وضْعِ الكلامِ من التقديمِ والتأخيرِ، وتَجِدُها قد مَلُحَتْ ولَطُفتْ بمعاونةِ ذلك ومؤازرتِه لها)[٣٧] وهذا ما يعم كل مجاز، فالجمال الفائق إذن والمزية العالية تكمن في نظم الكلام فعلى الرغم من أنه يقر أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأجمل إلا أنه لا يريد أن يكل أمر المزية والتفضيل إلى اللفظ بانفراده بل يريد أن يجعل للموضع والموقع أهمية في جعله جميلا يضاف إلى جماله الأول بل لا جمال له بدون النظم.

وأما ابن الأثير فيورد كلاما مشابها لكلام الجرجاني فيرى أن المزية في قولنا رأيت أسدًا: (أنك أثبت للمستعار له الشجاعة الزائدة والشدة الوافرة من وجه هو أبلغ وآكد وأوجبتها له إيجابا هو أشد وأقوى لأنك أثبتها بالدلائل والشواهد)[٣٨] فنقل اللفظ من معنى إلى آخر يتم من أجل التوكيد والمبالغة ومجازية اللفظة تكمن في إثبات شاهد عليها.

وفي موضع آخر جعل المجاز أو ما يسميه النقل قائما على نوعين هما النقل على المشاركة بين المنقول منه والمنقول إليه والنقل لا على المشاركة، ثم خص النوع الثاني منهما بفائدة التوسع في الكلام[٣٩] والتوسع يعني أن استعمال لفظ الأسد لوصف الشجاعة يجعل من اللفظ الواحد قادرا على التعبير عن أكثر من معنى، ومن فوائد الاستعارة (أنها تحدث للكلام مزية على ما لو استعمل على حقيقته ومثال ذلك أنك إذا قلت رأيت أسدا تعني به رجلا شجاعا فقد أثبت لهذا الرجل شجاعة الأسد بقوة في الكلام لم توجد فيما إذا قلت رجلا شجاعا)[٤٠] ومسألة القوة في الكلام هذه مهمة جدا لأن المجاز باتفاق البلاغيين لا يغير من الحقيقة شيئا بل هو دعوى، واستعماله يعطي الكلام قوة لم تكن متوفرة له مع الحقيقة وهو ما اصطلح عليه البلاغيون بالتأكيد. ولم يكتف ابن الأثير بذلك بل راح يبحث عن فائدة أخرى مترافقة مع السابقة تتعلق بالمتلقي أو المستمع وهي التخييل إذ قال: (اعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة... لأنه قد ثبت وتحقَّقَ أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر إليه عيانًا)[٤١] ولنركز على اصطلاح أولى الذي استعمله فقد جعل المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة والسبب هو أن المجاز يقوم على التخييل والتصوير فإذا قلنا زيد شجاع يتصور في أذهاننا معنى الشجاعة فقط وأما إذا قلنا زيد كالأسد فإن الذهن سيتصور صورة الأسد وما عنده من فنون الشجاعة كلها وهذا التصوير تفتقر إليه الحقيقة ولهذا ما كانت في درجة أدنى من المجاز عندهم.

وقد ركز القرطاجني على ذلك كثيرا فقد تحدث عن علاقة المجاز بتحريك النفس ومسألة عشقها للغرابة فقال: (وللنفوس تحرك شديد للمحاكيات المستغربة لأن النفس إذا خيل لها في الشيء ما لم يكن معهودا من أمر معجب في مثله وجدت من استغراب ما خيل لها مما لم تعهده في الشيء ما يجده المستطرف لرؤية ما لم يكن أبصره قبل وقوع ما لم يعهده في نفسه.... وفنون الإغراب والتعجيب في المحاكاة كثيرة وبعضها أقوى من بعض وأشد استيلاء على النفوس وتمكنا من القلوب)[٤٢] لدينا إذن مراتب للتخييل يكون بعضها أكثر قوة من بعض في رسم صورة تخييلية في نفس السامع، وكلما كانت تلك الصورة أغرب كانت أجمل فالقرطاجني يجعل ولوع النفس بالغرابة وبالتصوير والتخييل مما يجعل المجاز أفضل من الحقيقة.

ومن المحاولات الأخرى لفهم جمالية المجاز نجد العلوي الذي يجعله يلطف الكلام ويكسبه حلاوة[٤٣] وهو يوضح ذلك عند حديثه عن فنون المجاز بشكل عام قائلا: (لأن دلالة هذه الأمور على ما تدل عليه إنما كانت دلالة باللازم والتابع ولا شك أن الدلالة على الشيء بلازمه أكشف لحاله وأبين لظهوره وأقوى تمكنا في النفس من غيره مما ليس بهذه الصفة)[٤٤] وهو يتفق مع البلاغيين السابقين ولكنه يضيف مسألة التمكن في

النفس أي إنّ القارئ يعجب بالمجاز أكثر من إعجابه بالحقيقة، واستعمال المجاز ألطف من استعمال الحقيقة وأبين للمعنى.

كما يضيف في موضع آخر بعض الأمور التي تتعلق باللفظ وبنيته الصوتية والتي تتعلق بالمعنى التي تتعلق بكليهما، فأما الأمور المتعلقة باللفظ فهي تعود على خفة اللفظ المجازي أو لمناسبته للقافية والسجع أو للغرابة والوحشية في اللفظ الحقيقي أو لجريانها على الأقيسة الصحيحة بخلاف الحقيقة، وأما ما يرجع إلى المعنى فقد يكون للتعظيم أو للتحقير أو لتقوية حال المذكور أي التوكيد والمبالغة، وأما ما يرجع إلى اللفظ والمعنى سويا فهي تلطيف الكلام وحسن الرشاقة(٤٥) ولم نجد بلاغيا سابقا ولا لاحقا بالعلوي قد فصل القول بهذا التفصيل، وهو بكل الأحوال تفصيل يخرج المسألة من الخلاف والتعدد نحو تقرير شاف.

ويبدو أن فكرة التأثير في المستمع ابتدأت بالانتشار بعد القرن الخامس كثيرا فهذا ابن قيم الجوزية يقول: (إن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام وكثرة معاني الألفاظ ليكثر الالتذاذ بها... وكلما دق المعنى رق مشربه عندها وراق في الكلام انخراطه ولذ للقلب ارتشافه وعظم به اغتباطه... ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالا من الحقائق... وصارت الحقائق دثارهم وصار شعارهم)(٤٦)، ويمكن القول إنّه يجعل الاتساع والالتذاذ أهم سببين يقودان نحو اعتماد المجاز بدلا من الحقيقة، وكأني به يلخص الجانبين الكبيرين اللذين تحدث عنهما البلاغيون بصورة عامة.

ومثله فعل السيوطي إذ نقل تعددا في الآراء ملخصا إياها في الحكمة من استعمال المجاز والتي يراها كامنة في المبالغة وإظهار الخفي وإيضاح الظاهر أو المجموع فتحصل لنا بذلك أربع فوائد أو أسباب لاستعمال المجاز وقال عن إظهار الخفي بأنه أبلغ في البيان وعن إيضاح الظاهر غير الجلي بأنه لأجل حسن البيان(٤٧) ومن الواضح أن فائدة المبالغة تمكّننا من القول عن المجاز بأنه أكثر مبالغة ولكن السيوطي يجعل المجاز في الوقت نفسه أحسن بيانًا، وأبلغ أي أكثر بلوغًا أو بلاغة لأنّ المبالغة في المجاز قد أفردها في باب خاص بها.

وهو في موضع آخر يقدم لنا تأييدا وتوضيحا لرأي الجرجاني فهو يرى أن المجاز أبلغ من الحقيقة لأنه يتم الانتقال فيه من اللازم إلى الملزوم(٤٨)، أي إنّ صفة الكرم الموجودة في زيد من الناس تنقلنا إلى ملزومه وهو الطبخ في قولنا كثير رماد القدر، إلا أنه يفصل فكرة الأبلغية بقوله: (والمراد بالأبلغية إفادة زيادة تأكيد للإثبات ومبالغة في الكمال... لا زيادة في المعنى لا توجد في الحقيقة والتصريح والتشبيه)(٤٩) فيجعل امتياز المجاز على الحقيقة في تأكيد الإثبات والمبالغة به وهي لا تعني زيادة في المعنى بل زيادة في التوكيد والمبالغة، أي إنّنا عندما نكنّي بلفظ ما لصفة ما لا نقصد بذلك أن نركز على المعنى الحقيقي بل نقصد أننا نريد المبالغة في قوة المعنى ونريد تأكيد دعوى الكرم باستعمالنا لكثرة الرماد، ومن هنا نفهم أن عبارة أبلغ التي يستعملها بعض البلاغيين تعني الأكثر مبالغة وأما الألفاظ الأخرى التي تتراوح بين الأولى والأحسن والمزية والفضل فهي تتعلق بتفضيل المجاز على الحقيقة، على الرغم من أنه في النص نفسه يقول: (التشبيه من أعلى أنواع

البلاغة وأشرفها واتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغ منه لأنها مجاز وهو حقيقة والمجاز أبلغ فإذاً الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة)[٥٠] فتتداخل عنده الأبلغية العائدة إلى المبالغة وتلك العائدة إلى البلاغة والجمال.

تلك هي الأسباب والفوائد التي وضعها البلاغيون لكي توضح لنا أسباب توجه المتكلم نحو المجاز وتركه للحقيقة، ويمكن القول إنّها تمثل علل التعبير المجازي وتفضله على الحقيقة عموما وهي علل تنطبق بالتأكيد على الكناية أيضا، وإذا حاولنا جمعها كلها فهي تصل إلى ما يزيد على ثلاثين فائدة وهي الملاءمة والحاجة والشرح والإبانة الزائدة والمبالغة والإيجاز والتحسين والاتساع والتشبيه والعُدُولُ باللفظ عن الظاهر والاستدلال والنظم والخفاء والتخييل وعشق الغرابة والتأويل واللطف والتمكن في النفس وخفة المفردات وحسن تعديل تركيب اللفظ وخفة وزن اللفظ وسلاسته وصلوحه للقافية والتشاكل في السجع والألفة في الاستعمال والجريان على الأقيسة الصحيحة في تصريفها والتعظيم والتحقير وتقوية حال المذكور والتشوق إلى تحصيل الكمال ودقة المعنى وجعل ما ليس بمرئي مرئياً، ومن المؤكد أن هناك بعض التداخل بين هذه الفوائد ولكن تنويعها بهذا الشكل هو خلاصة جهود البلاغيين القدماء أردنا أن نجمعها هنا لكي نصل إلى استقرار بشأن مجازية الكناية، وبالتأكيد فإن هناك الكثير من هذه العلل تنطبق على الكناية وتبيح لنا ثمة أن نقرر مجازيتها لتلحق بركب المخالفة للحقيقة.

٣- المراتب والتفضيل

يبدو أن البلاغيين بعد عبد القاهر أجمعوا على ما يمكن تسميته بعض الأصول البلاغية، أولها الأصل الكبير الذي مر معنا وهو أن الكلام ينتظم في مراتب وأن أعلى مرتبة فيه تسمى مرتبة الإعجاز وأدنى مرتبة فيه هي المرتبة التي إن انتقص منها شيء أصبحت ككلام الحيوانات وأن بين المرتبتين مراتب كثيرة[٥١] على الرغم من اختلاف البلاغيين حول هذه المراتب، ونحن نقتصر في بحثنا على من يرتبون المراتب استنادا إلى الكناية فقط . ومن خلال دراستنا هذه وجدنا أن هذا الأصل يقوم على أصل أكبر منه وهو كون الحقيقة هي الأصل والمجاز فرع عليها إذ يقول الرماني: (وكل استعارة فلا بد لها من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة)[٥٢] ويقول ابن الأثير: (إنّ المجاز فرع عن الحقيقة وإنّ الحقيقة هي الأصل وإنما يعدل عن الأصل إلى الفرع لسبب اقتضاه)[٥٣]، ويزيد العلوي المسألة بيانا فيقول: (المجاز... نقل اللفظ من شيء إلى شيء آخر... وذلك يستدعي أمورًا ثلاثة، وضعه الأصلي ثم نقله إلى الفرع ثم العلاقة التي بينهما وأما الحقيقة فإنه يكفي فيها أمر واحد وهو وضعها الأصلي والمعلوم أن كل ما كان توقفه على شيء واحد فهو سابق على ما يكون توقفه على ذلك الشيء مع أمرين آخرين)[٥٤] وهي قضية جاءت هنا من علم الكلام والمنطق فكل ما يفتقر إلى غيره فهو تابع وكل ما لا يفتقر إلى غيره فهو الأصل، ويضيف العلوي: (إن المجازات واردة على خلاف الأصل والاستعمال)[٥٥].

ومع ذلك فالبلاغيون قبل عبد القاهر الجرجاني كانوا يرون أن لكل من الحقيقة والمجاز موضعا يليق به فالمجاز لا يمكن أن تنوب منابه الحقيقة والعكس صحيح أيضا وهذا هو ما قاله الرماني: (كل استعارة حسنة فهي

توجب بيانا لا تنوب منابه الحقيقة وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة كانت أولى به ولم تجز الاستعارة)[٥٦] إذن فالكاتب أمامه خيار أن يستعمل الحقيقة أو المجاز ولكل منهما موضع يختص به ولا يجوز العدول عن أحدهما إلى الآخر بلا زيادة بيان حسب رأي الرماني، وهو ما يتفق معه العسكري فيه تماما إذ يقول: (ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى استعمالا)[٥٧] هذا ملخص رأي البلاغيين المتقدمين السابقين على الجرجاني: الفائدة الكامنة في المجاز تبيح لنا استعماله وترك الحقيقة وإلا - أي فإن عدمت الفائدة - فلا يجوز ذلك.

ولم نجد من البلاغيين المتأخرين من يتفق معهما سوى الحلبي الذي يقول: (ينبغي أن لا يعدل عن الحقيقة لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة ولا تؤول بالمجاز إلا لضرورة تدعو إلى ذلك)[٥٨] على الرغم من أن كلامه هذا ينطلق من تحديد مجازية أو حقيقية اللفظة، أي إنّه يتحدث عن الأسباب التي تدعونا إلى حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز بالنسبة إلى القارئ، ولا يتحدث عن استعمال الكاتب لهما، ومع ذلك فهو يختلف عن نظرائه من البلاغيين الذين يرون أن (المجازَ يكونُ أبداً أبلغَ من الحقيقة)[٥٩] على حد تعبير الجرجاني، والذي سايره فيه ابن الأثير بقوله: (المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة)[٦٠]، و ما صرح به التفتازاني بقوله: (الاستعارة أبلغ من الحقيقة إذ لا مبالغة في إطلاق الاسم المجرد عاريًا من معناه)[٦١] والعلوي: (أن استعمال المجازات يكون أبلغ في تأدية المعاني من استعمال الحقائق)[٦٢] ومن المتأخرين السيوطي الذي قال: (اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة)[٦٣] وقد حصل لهم هذا الإجماع بعد أن رأوا أفضلية المجاز وتنوع فوائده وارتفاع مرتبته على الحقيقة.

ويستند هذا الأصل إلى أصل أكبر منه أيضا يقول أن الألفاظ تعبر عن المعاني فإذا كان لدينا معنى الشجاعة فيمكننا أن نعبر عنه بالحقيقة فنقول إنه شجاع وهي المرتبة الأدنى من المراتب ويمكننا استعمال المجاز فنقول في التشبيه إنه كالأسد ونقول في الاستعارة جاء الأسد وهكذا، وهذا هو لب ما قاله الجرجاني: (أنَّ مِن شأنِ المعاني أن تَختلِفَ عليها الصورُ وتَحدُثَ فيها خواص ومزايا من بعد أن لا تكون)[٦٤]، وما قاله العلوي: (صح تأدية المعنى بطرق كثيرة وجاز في تلك الطرق أن يكون بعضها أكمل من بعض فلا جرم جاز تطرق الزيادة والنقصان والكمال إليها)[٦٥] وقوله: (إذا أردت أن تحكي عن زيد بأنه شجاع فبالطريق اللغوية أن تقول زيد شجاع يشبه الأسد في شجاعته وإذا أردت الاتيان بهذا المعنى على طريق البلاغة فإنك تقول فيه رأيت الأسد وكأن زيدًا الأسد، فالأول هو الاستعارة والثاني على طريق التشبيه)[٦٦]، وقد نقل السيوطي عن الطيبي قوله: (إذا أردنا إيراد معنى قولنا زيد جواد مثلا في الأصول الثلاثة نقول في طرق التشبيه زيد كالبحر في السخاء زيد كالبحر زيد بحر وفي طرق الاستعارة رأيت بحرا في الدار ثم لجة زيد كثرت ثم لجة زيد متلاطم أمواجها)[٦٧]، وكأني بالبلاغيين يريدون منا أن نفهم أن هناك طبقة أعلى للتعبير عن كل معنى من المعاني وهناك طبقة أدنى ومراتب بينهما، ويمكن للمتكلم أن يختار إحدى هذه الطرق على الرغم من خلاف البلاغيين فيما بينهم حول ترتيب هذه المراتب.

ولنا هنا أن نسأل: أفي كل موضع يكون استعمال المجاز أولى من الحقيقة؟ فلماذا إذن نستعمل الحقيقة؟ ولماذا استعملها القرآن الكريم؟ وما دام المجاز أبلغ من الحقيقة فلم استعمل القران الحقيقة أكثر من المجاز؟ وما دمتم تقولون بأن القران الكريم معجز وهو في الطبقة العليا من البلاغة فكيف يكثر فيه استعمال الحقيقة على ما هو أبلغ منها وهو المجاز؟ .

ومع أن الجرجاني يقر وينقل لنا الإجماع بأن المجاز أبلغ من الحقيقة إلا أنه نسب الإعجاز إلى النظم وتخلص من هذه التساؤلات العديدة فقال: (إعلمْ أَنَّ الكلامَ الفصيحَ ينقسمُ قسمين: قسمٌ تُعزى المزيةُ والحسْنُ فيه إلى اللفظِ وقسمٌ يعزى ذلك فيه إلى النظم فالقسم الأول.... كلُّ ما كان فيه، على الجملةِ، مَجازٌ واتساعٌ وعُدُولٌ باللفظ عن الظاهر)[٦٨] ونسب إلى المجاز أنه يوجب الفضل والمزية والحسن والحظ من القبول والتأثير في النفس وأنه يأخذ القلب، وفي الوقت نفسه فإن الجرجاني أقر لنا بقاعدة الاستعمال المحدد للألفاظ في مواضع محددة وفقا للغرض والقصد، فقد قال: (إنَّا لا نَعلم شيئاً يبتغيهِ الناظمُ بنَظْمه غيرَ أن... يتصرَّفَ في التّعريفِ والتَّنكيرِ، والتّقديمِ والتأخير في الكلام كلِّه،... فيصيب بكل من ذلك مكانَه ويستعملَه على الصِّحة وعَلَى ما ينبغي له)[٦٩] فهو يريد أن يركز على أن لكل جملة ولكل كلمة ولكل حرف موضعًا مخصوصًا لا يجوز استعمال غيره فيه، ومن هنا يمكننا الاستناد إلى روح النظرية لنقرر أن لكل من الحقيقة والمجاز موضعا مخصوصا ولا يمكننا استعمال أحدهما بدلا من الآخر فيه.

ومع ذلك لم يقل الجرجاني بذلك في مضمار المجاز والحقيقة بل راح على العكس يؤكد مسألة المراتب بقوله: (يَفْضُلُ هناك النظْمُ النظمَ، والتأليفُ التأليفَ،... ثم يَعْظُمُ الفضلُ، وتكْثُرُ المَزِيَّةُ، حتى يَفوقَ الشيءُ نظيرَه والمجانِسَ له درجاتٍ كثيرة، وحتى تَتفاوتَ القِيمُ التَّفاوُتَ الشديدَ)[٧٠] إن أشكال النظم تتفاوت في الأفضلية والأبلغية وذلك استنادا إلى الأصلين السابقين حول أفضلية المجاز وحول تعدد العبارات الممكنة للتعبير عن المعنى الواحد، وأما حديث الجرجاني عن النظم فقد كان على ما يبدو متعلقا بطريقة التعبير والتركيب العامة داخل الجملة، كما أن لها دخلا في موضوع تفضيل التعبير المجازي في موضع معين، ولم يقل الجرجاني أبدا عند حديثه عن النظم بضرورة الحقيقة أو بلاغتها اللهم إلا ببلاغة معاني النحو.

لقد وصلت مسألة التفضيل حدا أصبحنا نجد فيه بعض التجاوز على بلاغة القران الكريم فقد قال العلوي: (قال تعالى ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾[٧١] فهذه أبلغ من الآية التي قبلها لأن إبهامها أكثر فلهذا كان أبلغ وأوقع ولهذا فإنه قال في الأولى ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[٧٢] واليم هو البحر فصار الذي أصابهم من الألم والتعب إنما هو من البحر خاصة لا من غيره بخلاف الثانية فإنه أبهم الأمر الذي غشيها ولم يخصه بجهة دون جهة وهذا لا محالة يكون أبلغ لأن الإنسان يرمي به خاطره فيه كل مرمى ويذهب به كل مذهب)[٧٣] ومن الواضح أن فهمه للأبلغية ينطلق من الأكثر بلاغة لا من الأكثر مبالغة لأنه يوضح أن الأبلغية عنده تتعلق بالإبهام الناتج عن الإخفاء المتعمد في قوله تعالى ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

ومثله قوله: (﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أبلغ من «قائم»، وقوله تعالى: ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٧٤] فإنه أبلغ من «عالم» وقوله تعالى ﴿مُقْتَدِرٍ﴾[٧٥] فإنه أبلغ من «قادر»)[٧٦] ومن المعلوم أن لدينا في القرآن كل ما نفى الحسن عنه فقد وردت لدينا صيغة ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[٧٧] كما ورد اسم الفاعل قادر في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ﴾ الآية[٧٨] فهل يمكننا الحديث عن تفضيل بعض الألفاظ على بعض وخصوصا في القرآن الكريم على هذه الشاكلة؟ وأما إذا كان مفهوم الأبلغية منطلقا عنده هنا من المبالغة لا من البلاغة فإن الحديث عن كون لفظة أبلغ من أختها يصبح ممكنا لأن المقصود منها سيكون أكثر مبالغة لا أكثر بلاغة. وقد وجدنا أنه يقضي باشتقاق الأبلغية من البلاغة حينما قال عن علم البيان إن (كل من لا حظ له في هذا العلم لا يمكنه معرفة الفصيح من الكلام والأفصح ولا يدرك التفرقة بين البليغ والأبلغ)[٧٩] وقوله: (قال المحققون من أهل هذه الصناعة إن الاستعارة أبلغ من التشبيه... لأن الاستعارات في القران الكريم أكثر من التشبيهات ومن أجل هذا عظمت بلاغته وارتفعت فصاحته)[٨٠] فقد جعل القرآن الكريم عظيم البلاغة وفي الدرجة العليا منها لأنه يتضمن الاستعارة التي يراها أبلغ من التشبيه أو أكثر بلاغة، ومثله وقوله في موضع آخر: (اعلم أن أرباب البلاغة... مطبقون على أن المجاز في الاستعمال أبلغ من الحقيقة وأنه يلطف الكلام ويكسبه حلاوة ويكسوه رشاقة والعَلَمُ فيه قوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[٨١] وقوله ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[٨٢] فلو استعمل الحقائق في هذه المواضع لم تعط ما أعطى المجاز من البلاغة)[٨٣] إذ يصرح هنا أن المجاز أبلغ من الحقيقة لأنه يمنح النص بلاغة لا تمنحها إياه الحقيقة، ولكنه يقضي باشتقاقها من المبالغة في موضع آخر فيقول: (إذا قلت زيد أسد فقد نفيت عنه ما يدل على أنه ليس بأسد لأن الذاتين لا يكونان ذاتا واحدة فلا جرم لا تحصل المبالغة المقصودة من الاستعارة فلا تكون الإعارة حاصلة)[٨٤] وبالنسبة إلينا فإن المشكلة تكمن في تفضيل المجاز على الحقيقة لدى البلاغيين لأن ذلك يقود إلى ما وقع فيه العلوي نفسه من تفضيل بعض القرآن على بعض.

٤- مرتبة الكناية

يرى بعض البلاغيين إذن أن (الاستعارة والتمثيل والكناية كله معدود من أودية المجاز بخلاف التشبيه)[٨٥] وذلك أن التشبيه يفتقر إلى إرادة معنى ثان غير المعنى المذكور ولذا فإن هذا الفن لا يقوم على ثنائية الحضور والغياب بل يقوم على الحضور الكلي لعناصر القول من مشبه ومشبه به.

ولو نظرنا إلى غرابة المورد وهي علة في تفضيل المجاز عموما فسنجد أنها علة رئيسة في عد الكناية من المجاز إذ يقول القزويني إن: (مبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به أكثر وكان الشغف به أجدر... والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب)[٨٦] ومن المعلوم أن الكناية هذا موردها فهي ترد إلينا بتركيزها على ألفاظ مطابقة للحقيقة ولكنها لا تلتزم بهذه الحقيقة وتفارقها نحو معنى آخر غائبٍ يمثل معناها المركزي.

نحن أمام المشكلة نفسها التي مرت معنا في الفرق بين المجاز والحقيقة، فقد جعل البلاغيون نمطا مجازيا معينا أبلغ من نمط آخر ولم يتحدث أحد منهم عن دور السياق في تحديد الأبلغ، فمن المؤكد أن نمطا معينا سيكون أبلغ في موضع معين وفي مقام معين وأن نمطا آخر سيكون أبلغ في موضع آخر وهكذا فالموقف أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال هو ما يجعل من نمط ما أبلغ من آخر، والمشكلة أن هذه القاعدة يضعها البلاغيون عند تعريفهم للبلاغة ولكنهم مع ذلك يذهبون باتجاه التقعيد للفنون البلاغية والأبلغ منها والأسوأ والمراتب بينهما، يقول العسكري مبتدئا بالمعنى اللغوي: (البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلّغتها غيرك ومبلغ الشيء منتهاه ... سمّيت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه ... ويقال: بلغ الرجلُ بلاغة، إذا صار بليغاً ... والبلاغة كلّ ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن)[٨٧] ومن خلال النصوص نجد أن البلاغيين قبل الجرجاني لم يخرطوا في ترتيب المراتب البيانية إلا بشكل محدد كالعسكري، وهو ترتيب معنوي لا شكلي، وأما البلاغيون بعد الجرجاني فقد جعلوا المراتب متوقفة على الشكل أي أن تكون المراتب شكلية لا تتعلق بالمعنى أو الموضوع، ومن ذلك نستنتج أن البلاغيين بعد الجرجاني هم الذين أدخلوا هذه المراتب الشكلية العامة إلى البلاغة العربية على الرغم من اتفاقهم على أن مطابقة مقتضى الحال مهم في البلاغة عموما.

فالسكاكي عرف البلاغة بأنها: (بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها)[٨٨] ومن هذا التعريف يقرر السكاكي أن على المتكلم أن يورد الفنون البيانية على وجهها أي على الوجه الذي يقتضيه المقام فيها وعلى الوجه الذي تقتضيه الدلالة، وهذا ما يؤيده جميع البلاغيين مع أننا نلحظ توجها يركز على مطابقة مقتضى الحال وتوجها آخر يركز على توصيل المعنى بتمامه فهذا الرازي يقول: (البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه)[٨٩] ومن المعلوم أن ما في القلب هو المعنى المراد إيصاله إلى السامع، وأما علاقة الفنون البيانية بالمعنى فإن الأشكال التي وردت للفنون البيانية توفر للمتكلم إمكانات تقترب من المعنى الذي يريد إيصاله ولهذا فإن المعنى يفرض على المتكلم استعمال أنماط معينة تكون أبلغ من غيرها من الأنماط في موقعها وموضوعها ذاك.

ولما كان التشبيه المرتبة الأولى الأدنى من مراتب المجاز كما مر معنا، لذلك اختلف حوله بعض البلاغيين في جعله من الحقيقة أو من المجاز، فإن البلاغيين يجعلون الكناية على الضد من التصريح أيضا أي إنّنا يمكن أن نجعلها المرتبة الأولى بعد الحقيقة كما أن البلاغيين يشتبهون في كونها مجازا أم حقيقة فمنهم من قال إنها حقيقة، ومنهم من قال إنها مجاز، ومنهم من قال إنّها يتجاذبها الجانبان، ومنهم من لم يحكم فيها بحقيقة ولا مجاز[٩٠]؛ لأنها مسألة خلافية بنظرهم ولا يجدي الجدل فيها نفعا.

وقبل أن نتطرق إلى هذه المشكلات نود أن نشير إلى أن البلاغيين الأوائل لم يكونوا يرون للكناية مزية تفضلها على الحقيقة أو الإفصاح وأن الحسن في كل منهما يرتبط بالسياق والمعنى والحاجة والمقام فالجاحظ نقل عن أحدهم قوله : (أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف)[٩١]

مفضلا هكذا التصريح والإفصاح على الكناية، وقال عن بيت شعري: (فذكر المبسوط في موضعه والمحذوف في موضعه والموجز والكناية والوحي باللحظ ودلالة الإشارة)[٩٢] مما يدلنا على أن لكل من الكناية والتصريح موضعا عنده، وأن التصريح يعمل في العقول عملا أقوى من الكناية في مواضع معينة وخصوصا إذا كان الحديث في صلح أو ما شابه، وهذا ما يقوله نصا عند نقله لتعريف الهند للبلاغة: (ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر)[٩٣] فالاعتماد إذن يكون على المعنى وطريقة إيصاله والموقف العام المرافق للكلام ومقتضى حال المتكلم والسامع، بالتوافق مع أصل البلاغة في مطابقة مقتضى الحال، فقد تكون الكناية متوعرة وقد يكون الكشف والإفصاح متوعرا، وإنما الشأن في إدراك الحاجة والظفر بها، وأما ابن المعتز فلم يجعل الكناية ضمن البديع بل جعلها ضمن أبواب المحسنات التي لا تنتهي والتحسين ليس جوهريا أو مهماً كما هو الحال في أبواب البديع الخمسة التي ذكرها في كتابه[٩٤].

وأما البلاغيون بعد عبد القاهر الجرجاني فقد أصبحوا أكثر عناية بالكناية بوصفها فنا من فنون المجاز الذي ابتدأوا بالاهتمام به بعد القرن الرابع الهجري، ولكن ذلك لم يمنع بروز بعض الآراء التي تجعل من الكناية حقيقة لا مجازا، فقد نقل العلوي أن ابن الخطيب الرازي زعم أن الكناية حقيقة لأنها عبارة عن أن تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود[٩٥] ونقل الزركشي عن الشيخ عز الدين أنها حقيقة أيضا لأنك استعملت اللفظ فيما وضع له وأردت به الدلالة على غيره ولم تخرجه عن أن يكون مستعملا فيما وضع له[٩٦] وصرح السيوطي بأنها حقيقة[٩٧] ونقل ذلك عن ابن عبد السلام أيضا فهي عنده استعملت فيما وضعت له وأريد بها الدلالة على غيره وهو رأي تقي الدين السبكي المشروط باستعمال اللفظ في معناه مراداً منه لازم المعنى أيضاً، لأن رأي السبكي أن الكناية تنقسم على حقيقة ومجاز[٩٨] وهناك رأي متوسط قال به صاحب التلخيص مفاده أن الكناية لا حقيقة ولا مجاز وذلك لأنه يمنع في المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجازي وتجويزه ذلك في الكناية[٩٩].

وأما القائلون بمجازيتها فهم أغلب البلاغيين فالجرجاني صرح في أكثر من موضع بمجازيتها[١٠٠] وابن الأثير جعلها جزءًا من الاستعارة[١٠١] والعلوي أعلن في موضع ترجحها بين الحقيقة والمجاز فقال: (الكناية يتجاذبها أصلان حقيقة ومجاز وتكون دالة عليهما معا عند الإطلاق)[١٠٢] ويبدو أنه يتحدث هنا عن كيفية عملها ولا عن ماهيتها فقد قال في موضع آخر: (إن الاستعارة والتمثيل والكناية كله معدود من أودية المجاز بخلاف التشبيه)[١٠٣]، والسبكي برأيه المشروط يعد الكناية مجازا في حال لم يرد المعنى بل عبّر بالملزوم عن اللازم وذلك أنك تستعمل اللفظ في غير ما وُضع له[١٠٤].

وفي الوقت نفسه نقل البلاغيون إجماعا حول كون الكناية أبلغ من التصريح[١٠٥] وإذا جعلنا التصريح مساويا للحقيقة يتبين لنا إجماعهم على مجازيتها لأن المجاز هو بمقابلة الحقيقة والتصريح لديهم، أو أن هذا ما يُفهَم من كلامهم، وهم متفقون على ذلك لأن هناك العديد من الأمور المتوافرة في الكناية تقربها من المجاز وتبعدها عن

الحقيقة، فحسب كلام الجرجاني تندرج الكناية ضمن المجاز لأنها قائمة على معنى المعنى في الوقت الذي تعتمد فيه الحقيقة على المعنى الظاهر والمباشر والصريح إذ تحدث عن ضربي الحقيقة والمجاز القائم على المعنى وقال عن الثاني (لا تصِلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغُة، ثُمَّ تَجِدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةً تَصِلُ بها إلى الغَرَض ومَدارُ هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل)[١٠٦] أي إنّ طريق الوصول إلى المعنى في المجاز وفنونه الاستدلال لا المباشرة وهي أن نتخذ الألفاظ ومعانيها الأولى دليلا لنصل إلى المعنى المطلوب.

ولكن الجرجاني يصور لنا أن استعمال الكناية أَبْهى لِلمَعْنى وأَنْبل من التصريح[١٠٧] كما أنها تفخم المعنى وتلطف مكانه بحسن ورونق[١٠٨] بشكل دائم دون تمييز بين مواقف ومقامات ومقتضى أحوال، لأن الكناية عنده تزيد في إثبات الصفة فتجعلها آكد وأبلغ وأشد إيجابا وهو يعد الكناية دعوى موثوق بصحتها[١٠٩] لأنها مثبتة بالدليل والشاهد ألا وهو كثرة الرماد وطول النجاد وذلك أفضل -على حد تعبيره- من التعبير عن المعنى ساذجا غفلا[١١٠] أي إنّ الكناية أشد إثباتا للمعنى أو أنها توصل المعنى بطريق هو آكد وأشد إثباتا من الطريق المباشر، وفي ذلك توسع في المعنى وانتقال من ظاهر ما وضعت له الألفاظ في اللغة إلى معان أخرى بالإشارة والرمز[١١١] وهذا ما يقود الجرجاني إلى التقرير في النهاية بأن طريق العلم بالمعنى في الكناية المعقولُ[١١٢] ما دمنا ننتقل من معنى إلى آخر، من معنى ظاهر غير مراد إلى معنى آخر باطن هو المراد في التعبير، وما دام طريق العلم بها العقل فإنها سيكون لها موقِعٌ وحظٌّ من القَبول وتأثيرٌ في النفس[١١٣] وهذا ما يجعل من متلقي الكناية مستمتعا أكثر بصيغتها مما لو كانت تصريحا.

وأما ابن الأثير فيتناول فوائد الكناية وهي تكمن عنده في عدم صراحة اللفظ المستعمل في الكناية وحملها على جانبي الحقيقة والمجاز[١١٤]، وهذا الترجح المرافق لعدم الصراحة في الكناية ممتع للقارئ أو المستمع، لأن القارئ يحار في أمر اللفظ أيريد إيصال المعنى الأول فقط أم أنه يقصد معنى ثانيا خلفه؟.

وأضاف العلوي كثرة الوسائط في الكناية عن صفة خصوصا إذ يتم الانتقال في كثير رماد القدر من كثرة الرماد إلى كثرة الجمر ثم إلى كثرة الاحراق تحت القدر ثم إلى كثرة الطبائخ ثم إلى كثرة الآكلين ثم إلى كثرة الأضياف ثم كونه مضيافا[١١٥] مما يؤيد كونها مسألة عقلية لأن على القارئ أو السامع أن ينتقل عبر كل هذه الوسائط بتفكيره ليصل إلى المعنى الأخير المراد منها وهذا ما سيزيد من كشف المعنى وإبانة ظهوره وتمكينه بشكل أقوى في النفس[١١٦].

وبمراجعتنا لكل هذه الفوائد للكناية نكتشف أنها الفوائد نفسها في المجاز فلم هذا الخلاف إذن حول كونها مجازا أم حقيقة؟

وفي الوقت نفسه نلحظ اختلافا في تبويب الكناية فالقزويني يقول: (اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز وإلا فهو كناية... وقُدِّم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل)[١١٧] فالمجاز مقدم على الكناية لأنه كالجزء من الكناية على أساس أن الكناية لفظ يراد به

لازم ما وضع له ولكنه من غير قرينة تمنع إرادة هذا المعنى، بينما يجعل العلوي (الاستعارة عامة والكناية خاصة ولهذا فإن كل استعارة هي كناية وليس كل كناية استعارة)[١١٨] ويوضح رأيه في موضع آخر بقوله: (فأما الكناية والتمثيل فهما نوعان من أنواع الاستعارة والاستعارة أعم فيهما... لكن الكناية مؤدية للحقيقة والمجاز بخلاف الاستعارة والتمثيل من حقه أن يرد في المركبات فلأجل هذا كانا جميعا أعني الكناية والتمثيل أخص من الاستعارة)[١١٩].

وأما السكاكي فيرى انصباب علم البيان على التعرض للمجاز والكناية فإن المجاز ينتقل فيه من الملزوم إلى اللازم والكناية ينتقل فيها من اللازم إلى الملزوم ويجب عنده تأخير الكناية لكونها نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد[١٢٠] فالمجاز يتحقق في الألفاظ المفردة كما في قولنا رأيت أسدا وأما الكناية فهي مركبة من مجموعة ألفاظ، كما أن الكناية مركبة من حقيقة ومجاز بينما المجاز لا يحتمل سوى مجازيته أي إنّنا في الكناية نفهم المعنى الأصلي ونبقي عليه ولكننا لا نريده بل نريد منه معنى ثانيا نحن به أكثر اهتماما، وأما في المجاز فلا يمكن سوى أن نحمل اللفظ على المجاز ولا يمكننا أن نفهم من قولنا رأيت أسدا أننا من الممكن أن نكون قد رأينا أسدا على الحقيقة.

وأما ابن الأثير فيسرد ثلاثة فروق بين الاستعارة والكناية فيجعل الكناية جزءً من الاستعارة فهي استعارة خاصة لأن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له، وكذلك الكناية فإنها لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه ولذا فنسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام فكل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية، كما أن الاستعارة لفظها صريح والكناية ضد الصريح لأنها عدول عن ظاهر اللفظ، وهذه ثلاثة فروق الخصوص والعموم، والصريح، والحمل على جانبي الحقيقة والمجاز، كما لخص أن الاستعارة جزء من المجاز، وعلى ذلك تكون نسبة الكناية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص[١٢١].

وأما ابن الناظم فيفهم من كلامه أن هناك فرقا بين المجاز والكناية من جهة والحقيقة والتصريح من جهة أخرى فيقول: (إن المجاز أبلغ من الحقيقة والكناية أوقع في النفس من التصريح... وفي المجاز والكناية دعوى الشيء ببينة وهو ذكر ما لا ينفك عنه بخلاف الحقيقة والتصريح وفرق بين دعوى الشيء ببينة ودعواه بدونها)[١٢٢] فنلاحظ أنه يجمع في حديثه بين المجاز والكناية من جهة وبين الحقيقة والتصريح من جهة أخرى، ولكنه لم يميز بين المجاز والكناية.

ولو انتبهنا إلى تعليق السكاكي لوجدناه يقترب منه فهو يقول: إنّ الكلمة تستعمل إما في معناها وحده وهي الحقيقة، أو في غير معناها وحده وهي المجاز وهي تفتقر إلى نصب قرينة مانعة من إرادة معناها، أو في معناها وغير معناها معا وهي الكناية ولا بد فيها من دلالة حال والحقيقة في المفرد والكناية تشتركان في كونهما حقيقتين ويفترقان في التصريح وعدم التصريح، كما يضيف أن الكلمة إذا أسندت فإسنادها إما أن يكون على وفق عقلك وعلمك وهو الحقيقة في الجملة أو لا يكون وهو المجاز في الجملة، ثم إن الحقيقة في الجملة إما أن تكون

مقرونة بإفادة مستلزم وهي الكناية أو لا تكون وهي التصريح[١٢٣] فهذان أصلان يحددان علاقة الكناية بالمجاز عموما هما الاستعمال والإسناد وهو تفصيل شاف ومغن.

ولعل في نصّ بهاء الدين السبكي ما يشير إلى ما ذهبنا إليه، قال: (قولنا: الكناية والمجاز أبلغ، هو بالمعنى اللغوي كقولنا: فعيل أبلغ من فاعل، وليس من البلاغة المصطلح عليها في هذا العلم، لأمرين: أحدهما: أن تلك لا تكون في المفرد، ولا شك أن المجاز، والكناية يكونان مفردين غالبًا، نعم ما ذهب إليه عبد القاهر من أن الأبلغية في الإثبات يمشي معه في تسمية ذلك بلاغة بالاصطلاح.

الثاني: أن أبلغ، أفعل تفضيل، فإذا حَمَلْتهُ على المعنى اللغوي كان على بابه من التفضيل؛ لأنّ الحقيقة بالغة للمقصود بكل حال، فالمجاز أبلغ منها، فإذا حملناه على الاصطلاحي كان من بَلُغ بالضم، وهو دليل على حصول البلاغة في الحقيقية، وليس كذلك؛ لأنّ الحقيقة المجردة لا بلاغة فيها، فلا يكون من بلغ بالضم بل من بلغ بالفتح)[١٢٤].

٥- مسألة الأبلغية

لكي نفهم التفضيل البلاغي والتوزيع على مراتب في الكناية علينا أن نعنى الآن بمصطلح الأبلغية والذي يشير ضمنا إلى العديد من أشكال التفضيل التي تتضمنها الأبلغية، ولذا فإننا مضطرون هنا إلى النظر في المفهوم والمصطلح بشكل عام أينما ورد في التفضيل بين الفنون البيانية، وكأننا نقدم هذا البحث لأننا نتخيل معترضا يقول: إن الأبلغية لا تعني ترتيبا لمراتب ما للكناية، ولهذا الاعتراض يمكننا القول إن السيوطي فصّل في المسألة بقوله: (إن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها واتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغ منه، لأنها مجاز وهو حقيقة، والمجاز أبلغ، فإذاً الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة، وكذا الكناية أبلغ من التصريح والاستعارة أبلغ من الكناية كما قال في عروس الأفراح: إنه الظاهر، لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة، ولأنها مجاز قطعاً وفي الكناية خلاف)[١٢٥] وبتصريحه هذا تتداخل تقويمات الأعلى والأشرف والأبلغ وكأننا أمام مصطلح واحد يحدد الأفضلية بين الفنون البيانية وهو نفسه المصطلح الذي سنلفيه في ترتيب أنواع الكناية.

وأما السكاكي فقد جعل الكناية والمجاز أصلين ففي الكناية ينتقل من اللازم إلى الملزوم وفي المجاز –والاستعارة من ضمنها- يتم الانتقال من الملزوم إلى اللازم، ولما كان طريق الانتقال من الملزوم إلى اللازم في الكناية بالغير وهو العلم بكون اللازم مساويا للملزوم أو أخص منه، أمكن تأخير الكناية لكونها بالنظر إلى هذه الجهة نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد[١٢٦] ويضيف السكاكي هنا التأخير متحدثا عن مرتبة الكناية التي تتأخر عن مرتبة المجاز.

وأما ابن الأثير فقد جعل الكناية جزءً من الاستعارة وهي بحكم استعارة خاصة ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام فكل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية، ومن جهة أخرى فالاستعارة جزء من المجاز[١٢٧] وكون الفن جزءً من فن آخر أوسع وأكبر منه يعني أنه نوع بالنسبة إلى الجنس الأعم، ومثله فعل العلوي الذي يرى أن التمثيل نوع من أنواع الاستعارة[١٢٨] وجمعهما في موضع آخر قائلا: (فأما الكناية

والتمثيل فهما نوعان من أنواع الاستعارة والاستعارة أعم فيهما)[١٢٩] متفقا مع ابن الأثير في كون المراتب قائمة على تصنيف الأجناس والأنواع المنخرطة تحتها.

فالرماني وردت عنده عبارة أبلغ وأردفها بعبارة أحسن بتعليقه على تقييد امرئ القيس للأوابد: (في صفة الفرس قيد الأوابد والحقيقة فيه مانع الأوابد، وقيد الأوابد أبلغ وأحسن)[١٣٠] مما يشير إلى أن الأبلغ والأحسن مترادفة عنده.

وأما العسكري فإنه كما مرّ معنا يجعل غرض الاستعارة كامنا في شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو يحسن المعرض الذي يبرز فيه[١٣١] فهو لم يقصر الاستعارة على مفهوم المبالغة ولهذا فهي أبلغ عنده لأنها أكثر مبالغة ولأنها أكثر شرحا للمعنى ولأنها أوجز ولأنها أكثر تزيينا وتحسينا من الحقيقة.

والجرجاني وردت عدة اصطلاحات تشير إلى الأبلغية بشكل عام دون أن تحصر معناها في حد معين فيقول: (رأيتَ العقلاءَ كلَّهم يُثْبِتون القولَ بأنَّ مِن شأْنِ الاستعارةِ أن تكونَ أبداً أَبلغَ من الحقيقة)[١٣٢] ولكنه في مواضع أخرى يبين أن المقصود بالأبلغية المبالغة فهو يقول: (التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه خاص وهو المبالغة... وكما أن التشبيه الكائن على وجه المبالغة غرض فيها وعلة كذلك الاختصار والإيجاز غرض من أغراضها)[١٣٣] وهذا يعني أن الاستعارة أكثر مبالغة من التشبيه وأنها أكثر اختصارا وأوجز منه، وقد تواتر مفهوم المبالغة عنده في مواضع عديدة أخرى[١٣٤] وهذه النصوص تؤكد أن المراد بالأبلغية المبالغة لا البلاغة فليست ثمة عبارة أكثر بلاغة من عبارة أخرى على الإطلاق وإنما المطابقة لمقتضى الحال هي التي تجعل النص بليغا.

ولكنه في مواضع أخرى يستعمل ألفاظ القوة والضعف والفضيلة والنقص فيدرج أنماط الاستعارة بحسبها ويقول: (أريد أن أدرِّجها من الضعف إلى القوة وأبدأ في تنزيلها بالأدنى ثم بما يزيد في الارتفاع... فالذي يستحق... أن يكون أولا من ضروب الاستعارة أن يُرى معنى الكلمة المستعارة موجودا في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة إلا أن لذلك الجنس خصائص ومراتب في الفضيلة والنقص والقوة والضعف)[١٣٥] ويضيف إلى القوة والضعف والفضيلة والنقص كلا من الزيادة والنقص[١٣٦] وإذا كان المقصود بالقوة والضعف قوة المبالغة وضعفها فهذا ممكن ومثله الفضيلة والنقص والتي يمكن ترجمتها بالزيادة والنقصان في وضوح الدلالة وهو أساس في علم البيان لأن المقصود المزيد من الإيضاح عبر المزيد من المبالغة بما يتفق والغرض المقصود.

كما يضيف الجرجاني المزية والحسن وغيرها من الألفاظ التي تدل على التفضيل الجمالي وكأن الاستعارة عنده أجمل عموما من التشبيه والحقيقة فهو يقول عن النمط الثالث من الاستعارة: (أن يكون الشبه مأخوذا من الصور العقلية... وهذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفننها وتصرفها)[١٣٧] فعبارة غاية شرفها لا تعني المبالغة بل تعني غاية جمالها، وقوله : (قد أَجمعَ الجميعُ

على أن... للاستعارةِ مزيةً وفَضلاً... إذا قلْتَ:... "رأيتُ أسداً"، كان لِكلامِكَ مزيةٌ لا تكونُ إذا قلتَ: رأيتُ رجلاً هو والأسدُ سواءٌ، في معنى الشجاعةِ)[١٣٨] ومن المعلوم أن المبالغة لا تكسب الكلام مزية وفضلا، ومثله قوله: (تجدُ في الاستعارةِ العاميَّ المبتذَلَ كقولنا: "رأيتُ أسداً، ووردتُ بحراً، ولقيتُ بَدراً" والخاصيُّ النادرُ الذي لا تَجِدُه إلاَّ في كلامِ الفُحول، ولا يَقْوى عليه إلا أفرادُ الرِّجال)[١٣٩] والمقصود بالعامي المبتذل المعروف المتداول وهذا ما يؤكد طبقات حسن الاستعارة، ومنها أيضا قوله: (إن أردت أن تظهر لك عزيمتهم على إخفاء التشبيه ومحو صورته من الوهم فأبرز صفحة التشبيه واكشف عن وجهه.... ثم انظر هل ترى إلا كلاما فاترا ومعنى نازلا واخبر نفسك هل تجد ما كنت تجده من الأريحية)[١٤٠] وكذا قوله: (واعلمْ أنَّ مِن شأنِ "الاستعارةِ" أنك كلما زدْتَ إرادتَكَ التشبيهَ إخفاءَ، ازدادتِ الاستعارةُ حُسْناً، حتى إنَّك تَراها أغْرَبَ ما تكونُ إذا كان الكلامُ قد أُلِّف تأليفاً إن أردتَ أن تُفْصح فيه بالتشبيه، خرجْتَ إلى شيءٍ تعافه النفس ويلفظه السمع)[١٤١] فكلما أظهرنا شيئا من أركان الاستعارة قلت قيمتها وجماليتها حتى نصل التشبيه الذي تعافه النفس، وقوله : (ما بيَّنَّاهُ في الكناية والاستعارة والتمثيل وشرحناه، من أَنْ من شأن هذه الأجناسِ أن توجِبَ الحسْنَ والمزيَّةَ، وأنَّ المعاني تُتصوَّرُ مِنْ أجْلها بالصوَرِ المختلفة، وأن العلمَ بإيجابها ذلك ثابتٌ في العقولِ، ومركوزٌ في غَرائز النفوسِ)[١٤٢] ففنون البيان كلها توجب الحسن والمزية على الحقيقة وهي أفضل منها وأجمل لدى الجرجاني.

وأما السكاكي فيجعل الاستعارة متضمنة للمبالغة في التشبيه[١٤٣] بل إنّ ذلك هو السبب في أن كانت عنده أقوى من التصريح[١٤٤] ولكنه في موضع آخر يتحدث عن شروط لتكون الاستعارة حسنة وتبتعد عن القبح وهي رعاية جهات حسن التشبيه وأن لا تشمها من جانب اللفظ رائحة من التشبيه[١٤٥] ومن الواضح أن جهات حسن الاستعارة لا تتعلق بالمبالغة بل بكيفية صياغتها بشكل عام، كما أن المقابلة تتم عنده بين فنين مجازيين لا بين المجاز والحقيقة.

ويصرح القزويني كما فعل السابقون بأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه[١٤٦] ويشير في موضع إلى أن الترشيح أبلغ من التجريد لاشتماله على المبالغة[١٤٧] ولكنه في موضع آخر يصرح أيضا أن: (الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه)[١٤٨] وقوله لا بلاغة يعني أنه ليس هناك جمال في إيراد الحقيقة في مقابل جمال الاستعارة، ويتفق معه التفتازاني في ذلك[١٤٩] فجعل الأبلغية مشتقة من البلاغة لا من المبالغة.

ويجعل العلوي المبالغة مقصودة في استعمال الاستعارة فيقول: (إذا قلت زيد أسد فقد نفيت عنه ما يدل على أنه ليس بأسد لأن الذاتين لا يكونان ذاتا واحدة فلا جرم لا تحصل المبالغة المقصودة من الاستعارة فلا تكون الإعارة حاصلة)[١٥٠] كما ينقل في موضع آخر اتفاق البلاغيين على كون الاستعارة أقوى من التشبيه وقد مر معنا أنّ مصطلح القوة قد يصلح للدلالة على قوة المبالغة[١٥١] كما يتناول التأكيد والقوة وشدة الوقع في نفس السامع وهي كلها مرادفات ممكنة للمبالغة[١٥٢] ولكنه في مواضع أخرى يصرح بأن المجاز في مثل

قولنا أحياني اكتحالي بطلعتك مما (يحسن موقعه ويقع في البلاغة أحسن هيئة ويكسب الكلام رونقا وطلاوة)[١٥٣] ولم يقل يكسب الكلام مبالغة ولا يحسن في المبالغة بل جعل استعمال الاستعارة من البلاغة، بل أنه يصرح بذلك عند حديثه عن الاستعارة قائلا: (إذا أردت أن تحكي عن زيد بأنه شجاع فبالطريق اللغوية أن تقول زيد شجاع يشبه الأسد في شجاعته وإذا أردت الاتيان بهذا المعنى على طريق البلاغة فإنك تقول فيه رأيت الأسد)[١٥٤] ومثله حديثه عن التشوق النفسي فالعبارة الحقيقية عنده مكتملة لا تدعو النفس إلى التشوق نحو الكمال وأما العبارة المجازية ومنها الاستعارة فهي لا تدع السامع يعرف المعنى على جهة الكمال فيحصل معها تشوق نحوه[١٥٥] وحديثه عن أن الاستعارة كلما ازدادت خفاء ازدادت حسنا ورونقا[١٥٦] ومن المعلوم أن ازديادها في الخفاء يعني تغير مراتبها.

كما يتحدث الحلبي عن المزية التي تمنحها الاستعارة للكلام والحسن والفائدة ومع ذلك يقرر أن الاستعارة تمنح الكلام قوة تزيد على التعبير الحقيقي[١٥٧] كما يقرر أن الاستعارة أبلغ من التشبيه بشكل عام[١٥٨] مما يشير لنا إلى أن الحلبي يتفق مع البلاغيين السابقين في كونها أبلغ ولكنه مع ذلك يراها أجمل.

ومثلهم السيوطي الذي جعل الاستعارة أبلغ من التشبيه لأننا ننتقل فيها من اللازم إلى الملزوم ولكنه يوضح المراد بالأبلغية نصا فيقول: (والمراد بالأبلغية إفادة زيادة تأكيد للإثبات ومبالغة في الكمال في التشبيه لا زيادة في المعنى لا توجد في الحقيقة)[١٥٩] ولكنه في موضع آخر يخلط بين البلاغة والمبالغة فيقول: (إن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها واتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغ منه، لأنها مجاز وهو حقيقة، والمجاز أبلغ، فإذاً الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة)[١٦٠] فقوله من أعلى أنواع البلاغة وكون الاستعارة أبلغ منه يعني أن الأبلغية متعلقة بالبلاغة لا بالمبالغة، كما أنه جمع عدة أمور في موضع آخر لجعل الحكمة من استعمال الاستعارة إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلّي، أو حصول المبالغة، أو المجموع[١٦١] أي المبالغة والإيضاح والإظهار، كما أنه يتحدث عن كون: (الترشيح من شرائط حسن الاستعارة... والغريبة أحسن من القريبة والتفصيلية أحسن من الإجمالية)[١٦٢] واستعمال اصطلاح الأحسن يوهم بأن المراد به الأجمل لا الأكثر مبالغة.

وعلى وفق هذه المصطلحات المتعددة التي ألفيناها تنطبق على الأبلغية يمكننا أن نقرر أنَّ هناك أبلغية تتعلق بالشكل وهي أبلغية إما أن تنطلق من المبالغة أو من البلاغة، وأبلغية أخرى تنطلق من الحسن وهي أبلغية تفضيلية جمالية تتعلق بها مصطلحات المزية والقوة والضعف وغيرها، وبهذا يمكننا القول: إنَّ البلاغيين بعد الجرجاني اهتموا بالمجاز عمومًا، ولهذا رأوا فيه أبلغية من جهة وأفضلية من جهة اخرى وفيهما يتداخل ما هو تقويمي مع ما هو شعوري يتعلق بالبلاغي وعصره وتفضيلاته.

٦- مراتب الكناية

لم يبق لدينا سوى التعرف على مراتب الكناية، وترتيب أبلغيتها بحسب أنواعها وفروعها الناتجة من اختلاف جهات النظر إليها، وتقسيمها بحسب ذلك النظر.

* **فقد قسمها البلاغيون من حيث أركانها** ؛ المكنى عنه والمكنى به والمكنى، إلى: كناية عن صفة، وعن موصوف، وعن نسبة(١٦٣).

وقد نقل لسيوطي عن بهاء الدين السبكي قوله: (وأبلغ أنواع الكناية ما يطلب فيه نسبة، ثم صفة، ثم ما لم يكن فيه واحد منهما)(١٦٤)، وما لم يكن فيه واحد منهما هو النوع الثالث من الكناية، وهو الكناية عن الموصوف، وقد جعله السبكي في المرتبة الدنيا بالنسبة لجميع الأنواع، وجعل الكناية عن نسبة أعلاها؛ لأنّ الكناية عن نسبة أطول طريقًا وأكثر غموضًا وإمتاعا من الكناية عن صفة، فحينما نقول: إنّ المجد والمروءة والسؤدد في قبة مضروبة على فلان، يصبح انتقالنا إلى المعنى المراد يتخذ طريقا طويلا يبتدئ بفهم القبة، وفهم المجد والمروءة والسؤدد، ثم الانتقال إلى فهم العلاقة بينهما، من معنى الاشتمال واختصاصه بالقبة المضروبة عليه، فيفهم منه اختصاصه بالمجد والمروءة والسؤدد، وهو قريب من المجاز الإسنادي.

أما الكناية عن صفة، فإننا نفهم من طول النجاد طول قامته مباشرة، بطريق أكثر اختصارا من طريق الكناية عن نسبة.

على أننا نجد في تفصيلات البلاغيين في كل نوع من هذه الأنواع، أن النوع الواحد – كالكناية عن الصفة- تختلف درجاتها من حيث طول الطريق الموصلة إلى لمح المراد وقصره، وبه تختلف أبلغيتها بحسبه، فقد ذكرها السكاكي بقوله: (والثانية: المطلوب بها صفة، فإن لم يكن الانتقال بواسطة فقريبة واضحة، كقولهم كناية عن طول القامة «طويل نجاده، وطويل النجاد»، والأولى ساذجة، وفي الثانية تصريح ما... وإن كان بواسطة فبعيدة)(١٦٥).

فنعلم من ذلك أن بعد الكناية الآتي من طريق الوصول إليها معيار في تحديد الأبلغ منها عن غيره، ويدخل في هذا بُعدٌ ما زال يلازم كل فروع البلاغة، من أول تعريفها إلى آخر فرع فيها، وذلك هو المخاطب، ويتعلق فيه بعد نفسي، أومأ إليه الجرجاني حين تكلم في باب الكناية، وربما على أساسه بني بلاغة الكناية وأنواعها، إذ يقول: (أما الكناية فإنّ السبب في أن كان للإثبات بها مزية، لا تكون للتصريح، أنّ كل عاقل يعلم -إذا رجع إلى نفسه- أنّ إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجًا غفلًا، وذلك أنّك لا تدّعي شاهد الصفة ودليلها، إلّا والأمر ظاهر معروف بحيث لا يشكّ فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط)(١٦٦).

وهو الذي نجده في باقي تقسيمات الكناية وفروعها من مراعاة الجمال في التأمل والغموض وحال المخاطب إزاء الكلام العادي المجرد والكلام الذي يشدّه إلى إعمال فكره ونظره وتأمله.

* **وقسموها أيضا باعتبار ذات الكناية**، إلى: مفردة ومركبة، وجعلوا المزية والأبلغية في المركبة، وقدموها على المفردة، قال ابن الأثير: (الكناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهيّة، وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة)(١٦٧).

وذلك راجع أيضا إلى نظر المخاطب وتأمله، كما أشار إلى ذلك العلوي: (نعم ورود الكناية إنما هو على جهة التشبيه عند التأمل والنظر، فإذا وردت على طريقة التركيب كانت أشد ملاءمة وأعظم بلاغة، وإن وردت على صورة الإفراد لم يكن لها تلك المزية التي حصلت للمركبة)[١٦٨].

إلا إنّ هذا يضعنا في المشكلة نفسها التي تقدمت إليها الإشارة، وذلك أنّ القرآن الكريم استعمل المفردة واستعمل المركبة، فهل في القرآن شيء أبلغ من شيء؟ أو بعبارة أخرى استعمال أدنى من آخر؟

والحقيقة، إن هذا التصور أتى من قناعة بعضهم أنّه لابد من الغموض والبعد في كل كلام متناسين القاعدة العامة التي ابتدؤوها في تعريفهم للبلاغة وتعويلهم كثيرا على «مقتضى الحال»، وقد جاء في كلام العلوي ما يوهم ما تقدم السؤال عنه، إذ نظر في كلام ابن الأثير، ففهم منه ذلك المعنى، قال: (إنك إذا قلت في الكناية المركبة: فلان نقي الثوب، وأردت إيراده على صورة المشابهة، فإنك تقول: هو في نزاهة العرض من العيوب كنزاهة الثوب من الأدناس، فإذا حصل على هذا التأليف اتّضحت المشابهة ووجدت المناسبة وظهر أمر الكناية، وإذا قلت في الكناية المفردة: اللمس، في الجماع، لم تكن في تلك الدرجة من المناسبة وقوة المشابهة كما ترى)[١٦٩]. في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، وهذا الذي اقتبسه من ابن الأثير إنما ذكره ابن الأثير على غير هذا الوجه، فقد ذكره في معرض تقريب الكناية المركبة من التشبيه، وهو عندهم كما تقدم من الحقيقة، لا من المجاز، فيجعلها -أي الكناية ملحقة به- ثم نقض ذلك بقوله: (وهذا الذي ذكر في أن من الكناية تمثيل، وهو كذا وكذا، غير سائغ ولا وارد، بل الكناية كلها هي ذاك، والذي قدمته من القول هو الحاصر لها)[١٧٠]، والذي يعنيه التفريق الذي تقدم ذكره بين الكناية والمجاز، وقد ذكر الآية، وبيّن أن لفظ «لامستم» إمّا أن يراد به الحقيقة، وهو الملامسة، وهو مذهب الشافعي، وإمّا أن يراد به الجماع، فهو من المجاز، إذ هو استعمال لفظ لغير ما وضع له في أصله، وأنّه عدول عن ظاهر اللفظ[١٧١].

* **وقسموها أيضا باعتبار لوازمها** كما فعل السكاكي، فقال: (الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة)[١٧٢]، ويبقى معيار البعد والقرب مستمرا معنا في باب الكناية، فالسكاكي (نظر في تقسيم الكناية -هذا- إلى كثرة الوسائط وقلتها، وإلى سهولة الاستنتاج من جهة أخرى)[١٧٣].

وعبر عنه بلفظ تتفاوت لعلة تبين ما نحن بصدده من بيان مراتب الكناية، وقد أشار بهاء الدين السبكي إلى هذه العلة فقال: (ولعلّه إنّما عدل عن «تنقسم» إلى «تتفاوت»، إشارة إلى أن رتب هذه الأقسام في الكناية متفاوتة في القوة والضعف)[١٧٤]. ولعل في ترتيبه قصدية إذ إنّ التعريض أبلغ من التلويح، والتلويح أبلغ من الرمز، وهذا ما يفهم من كلام الشّرّاح[١٧٥].

والقدماء يرون الرمز أقل الأنواع أبلغية، إلا أنّ (بعض الباحثين المعاصرين قد ربط بين الموضوع وبين تداعي المعاني والرموز، إلا أنّ هذا الربط ينبغي ألا يتخذ على علاته، ولاسيما إذا كان يؤكد الصلة الوثيقة بين الرمز الأدبي المعاصر والكناية التعريضية الأصلية، وذلك لأن مفهوم الرمز في البلاغة العربية لا يمكن أن يدخل في الألغاز والمُعمّيات التي أولع بها طائفة من أدبائنا المعاصرين من المدرسة السريانية)[١٧٦].

*** وقسموها باعتبار حالها إلى قريبة وبعيدة..**

وقد مرّ بنا نصّ السكاكي -وإن كان في الكناية صفة خاصة- فجعلها قريبة واضحة إن لم يكن الانتقال بواسطة، وحتى القريبة جعلها قسمين: ساذجة، كقولهم: طويل نجاده، وأبلغ منها قولهم: طويل النجاد، وإنما جعل الثانية أبلغ من حيث إن الأولى اشتملت على تصريح لتضمن الصفة، وذكر الضمير، فصارت هي والكلام العادي قريبة، وفي الثانية حذف الضمير مع اشتمالها على تصريح ما بالصفة. وبعيدة وهي التي يكون فيها الانتقال عبر الوسائط(١٧٧).

وقال: (القسم الثالث في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، هي أيضا تتفاوت في اللطف، فتارة تكون لطيفة، وأخرى ألطف)(١٧٨). وهكذا في البعيدة أنواع، وكلما بعد الطريق وطالت، زادت بلاغتها وجمالها.

أما ابن الأثير، والعلوي، فقد نظرا إلى جمال الكناية عموما، ومعيارها فيها قرب اللوازم وبعدها أيضا، ولمحوا أيضا إلى أن القريبة تحسن وتبلغ بحسب خفائها والتأمل فيها، قال العلوي: (وأمّا الخفي من القريب منها، فهو كقولك: فلان عريض القفا، فإنه كناية عن الأبله من الناس، وقولهم أيضا: فلان عريض الوساد، فإنه كناية عن هذه الكناية)(١٧٩).

ثم وضح بعد ذلك أن الأبلغية إنّما تتأتى من الخفاء والغموض والبعث على التأمل، قال: (اعلم أن أنس النفوس وسكونها متوقف على إخراجها من غامض إلى واضح، ومن خفي إلى جلي، وإبانتها بتصريح بعد مكنى، وأن تردّها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به أقوى، وتحققها له أدخل)(١٨٠).

إنّ هذا الترتيب بين أقسام الكناية وفروعها يوقعها في المأزق نفسه، ذلك الذي تناولناه في ترتيب الحقيقة والمجاز، ألا وهو: كيف أمكن للبلاغيين أن يتحدثوا عن مراتب للكناية، والكتّاب والشعراء تصرفوا وكتبوا بجميع الأنواع، فهل نقول: إن هناك نوعا منها أبلغ من نوع آخر؟ وتتعقد المسألة أكثر حينما ننقل هذا الكلام إلى القرآن الكريم، فهل يقال: إن بعضه أفضل من بعض؟ هذا مع العلم أن الأبلغية عندهم منطلقة من المبالغة مع التفضيل كما مرّ معنا.

وهذا المأزق لا يمكن حلّه إلا بتجاوز الترتيب في مراتب، والسماح لمبدأ: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، سواء أكان حال السامع أم حال المتكلم لأن يعمل عمله فنقول: إن استعمال نوع ما من هذه الأنواع معتمد في تقرير أبلغيته وأفضليته على موضعه في النص وفي سياق تخاطبي معين، وبهذا نتخلص من كل مشكلات الترتيب والتفضيل، ونصل إلى أبلغية المطابقة.

خاتمة

يبدو من خلال رحلتنا المطولة هذه أن البلاغيين يتفقون على بعض الأمور كما أنهم يختلفون حول أمور أخرى، ويبدو أيضا أنهم يتفقون على مسائل جوهرية ومهمة في البلاغة العربية، ومن هذه المسائل مسألة مراتب البيان العربي فضلا عن التفريعات العديدة كالمجاز وأشكاله والتمثيل والحقيقة والكناية وغيرها، ولكنهم وهم يفرعون الفروع ويضبطون الأصول حاولوا ترتيب الفنون البيانية في مراتب متدرجة تبدأ بالأدنى أو الأصل وهو الحقيقة يليه التشبيه ثم الكناية ثم الاستعارة، كما أنهم حاولوا تصنيف مراتب لكل فن بتدريج آخر من الأدنى إلى الأعلى.

ومرتبة الكناية تقف فوق مرتبة الإفصاح مرافقة للفنون المجازية الأخرى، على أننا نلحظ أن هذه المرتبة تحوي ترتيبا آخر داخل الفنون التابعة للكناية فقد جعل البلاغيون الكناية عن نسبة تعلو باقي الأنواع تليها الكناية عن صفة وأخيرا الكناية عن موصوف وهو ترتيب يثير الحيرة لأنهم لم يؤشروا على سبب اعتماد هذا الترتيب ومبرراته .

ولكن هذا الترتيب يثير مشاكل جمة واجهنا بعضها في ثنايا البحث ولعل أخطرها الوقوف أمام النص القرآني العظيم بالمفاضلة والترتيب بين فنون الكناية، مما يعني أن يكون بعض القرآن أفضل من بعض أو أبلغ أو ألطف أو أفضل، وهو خطر كبير لست أدري كيف استجاز البلاغيون العرب الوقوع فيه.

كما أن المشكلة الكبرى الثانية تتعلق بالكلام العربي نفسه فهل يمكننا القول بأن بعض الفنون أبلغ من بعض دوما؟ إذن لماذا يستعمل العرب الحقيقة في شعرهم وخطبهم ويتركون استعمال المجاز في بعض المواضع؟ ولماذا يستعملون الكناية عن موصوف أحيانا ويتركون باقي الانواع؟ ألا يمكن القول وفق نظرية النظم أن لكل فن من الفنون الكنائية المحل الذي يقتضيه وأن استعمال فن آخر بدلا عنه يعني الوقوع في الخطأ التعبيري، وهذا البحث لم يحاول سوى تشخيص المشكلة وحاول تقديم حل يتمثل في استعادة مفهوم المطابقة للمقتضى ليتم تطبيقها على الكناية ولكي يتخلص بعد ذلك من الأبلغية القائمة على التفضيل الجمالي.

ومن المؤكد أن في البحث أخطاء وهنات هنا وهناك ولكنه لذلك يظل عملا بشريا قابلا للنقص والخطأ لكي يظل الله تعالى وكتابه منزهين تماما عن كل نقص وخطأ، وعسى أن ننتفع من أخطائنا في المستقبل فلا نقع فيها مجددا عبر نصائح الأخوة التي ننتظرها بفارغ الصبر، نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

[١] البيان والتبيين، ٧٥/١.
[٢] نفسه، ٨٣/١.
[٣] البيان والتبيين، ٢٥٥/١.
[٤] ينظر أدب الكاتب، ١٤.
[٥] كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ٢٠.
[٦] ينظر سر الفصاحة، ٦٣.
[٧] البيان والتبيين، ٨٨/١.
[٨] نفسه، ١١٧/١.
[٩] الجامع الكبير، ٣٠/٢.
[١٠] ينظر: البيان والتبيين، ٧/١ – ٩.
[١١] ينظر البديع، لابن المعتز: ٢.
[١٢] ينظر: الخصائص، ٤٤٧/٢ إذ قال: (اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة وذلك عامة الأفعال).
[١٣] سورة الحجر، الآية ٩٤.
[١٤] النكت في إعجاز القران للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، ٨٧.
[١٥] ينظر الخصائص، ٤٧٣/٢-٤٧٤.
[١٦] محاسن النظم والنثر لأبي هلال العسكري، ٥.
[١٧] أسرار البلاغة: ٢٩.
[١٨] مفتاح العلوم، ٤١٥.
[١٩] ينظر نهاية الإيجاز، ٤٣.
[٢٠] ينظر الطراز للعلوي، ٦٨/١.
[٢١] ينظر مختصر المعاني، ١٨.
[٢٢] دلائل الإعجاز: ٧٠.
[٢٣] ينظر مثلا المصباح ١٥٦، الإيضاح للقزويني، ٣١٠/١، الجامع الكبير، ٨٣/٢، النكت في إعجاز القران للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، ٨٧، الطراز للعلوي، ١٥٦/١، جوهر الكنز للحلبي، ٥١، شرح عقود الجمان، ١٠٤، مفتاح العلوم، ٤١٢-٤١٥.
[٢٤] مفتاح العلوم، ٤١٢.
[٢٥] الإيضاح للقزويني، ٣١٠/١-٣١١.
[٢٦] جوهر الكنز للحلبي، ١٠١.
[٢٧] ينظر أسرار البلاغة، ٢٧.
[٢٨] دلائل الإعجاز، ٤٢٩-٤٣٠.
[٢٩] الطراز للعلوي، ٦/٢.

[٣٠] نفسه، ١/١٩٠.
[٣١] نفسه، ١/١٩٢.
[٣٢] نفسه، ٢/٤.
[٣٣] المصباح ١٥٦.
[٣٤] ينظر: أسرار البلاغة، ٤٠٧.
[٣٥] ينظر دلائل الإعجاز، ٢٦٢.
[٣٦] ينظر نفسه، ٤٤٧ – ٤٤٨.
[٣٧] نفسه، ٩٩ –١٠١.
[٣٨] الجامع الكبير، ٢/٨٢.
[٣٩] المثل السائر، ٢/٧١-٨٠.
[٤٠] جوهر الكنز للحلبي، ٥٥.
[٤١] المثل السائر، ١/٨٨-٨٩.
[٤٢] منهاج البلغاء، ٩٦.
[٤٣] ينظر الطراز للعلوي، ٢/٦.
[٤٤] نفسه، ١/١٥٦.
[٤٥] ينظر نفسه، ١/٤٤-٤٦.
[٤٦] الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، ١٠-١١.
[٤٧] معترك الأقران للسيوطي، ٢٠٩.
[٤٨] شرح عقود الجمان، ١٠٤.
[٤٩] نفسه، ١٠٤.
[٥٠] معترك الأقران للسيوطي، ٢١٤-٢١٥.
[٥١] ينظر: دلائل الإعجاز، ٣٥، مفتاح العلوم: ٤١٥-٤١٦، الطراز للعلوي، ١/٦٨-٦٩، مختصر المعاني للتفتازاني، ١٨، ونهاية الإيجاز، ٤٣.
[٥٢] النكت في إعجاز القران للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، ٨٦.
[٥٣] المثل السائر، ٢/٧٢.
[٥٤] الطراز للعلوي، ١/٤٤.
[٥٥] نفسه، ١/٤٧-٤٨.
[٥٦] النكت في إعجاز القران للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، ٨٦.
[٥٧] محاسن النظم والنثر لأبي هلال العسكري، ٥.
[٥٨] جوهر الكنز للحلبي، ٥١.
[٥٩] دلائل الإعجاز، ٤٢٦.
[٦٠] المثل السائر، ١/٨٨.
[٦١] مختصر المعاني للتفتازاني، ٢١١.
[٦٢] الطراز للعلوي، ١/١١٠.

[٦٣] معترك الأقران للسيوطي، ١٨٦.
[٦٤] دلائل الإعجاز، ٤٨١.
[٦٥] الطراز للعلوي، ٩٧/١.
[٦٦] نفسه، ١٨٠/٣.
[٦٧] شرح عقود الجمان، ٧٧.
[٦٨] دلائل الإعجاز، ٤٢٩-٤٣٠.
[٦٩] نفسه، ٨١-٨٣.
[٧٠] نفسه، ٣٥.
[٧١] سورة النجم، الآية ٥٤.
[٧٢] سورة طه، الآية ٧٨.
[٧٣] الطراز للعلوي، ٤٥/٢.
[٧٤] سورة سبأ، الآية ٤٨.
[٧٥] سورة القمر، الآية ٥٥.
[٧٦] الطراز للعلوي، ٨٧/٢.
[٧٧] سورة الرعد، الآية ٩.
[٧٨] سورة الأنعام، الآية ٣٧.
[٧٩] الطراز للعلوي، ٢١/١.
[٨٠] نفسه، ١٦١/١-١٦٣.
[٨١] سورة الحجر، الآية ٩٤.
[٨٢] سورة الأحزاب، الآية ٤٦.
[٨٣] الطراز للعلوي، ٦/٢.
[٨٤] نفسه، ١٠٧/١-١٠٩.
[٨٥] نفسه، ٤/٢.
[٨٦] الإيضاح للقزويني، ٢٢٥/١-٢٢٦.
[٨٧] كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ٣-٤.
[٨٨] مفتاح العلوم، ٤١٥-٤١٦.
[٨٩] نهاية الإيجاز للرازي، ٣١.
[٩٠] جوهر الكنز للحلبي، ١٠١.
[٩١] البيان والتبيين ١١٥/١.
[٩٢] نفسه، ٦٠/١.
[٩٣] نفسه، ٨٨/١.
[٩٤] البديع، ابن المعتز، ٦٤.
[٩٥] ينظر: الطراز للعلوي، ١٩٠/١.
[٩٦] البرهان في علوم القرآن، ٣٠١/٢.

[٩٧] شرح عقود الجمان، ١٠٤.
[٩٨] معترك الأقران للسيوطي، ٢٠١.
[٩٩] نفسه، ٢٠١.
[١٠٠] ينظر دلائل الاعجاز، ٢٦٢، ٢٦٣.
[١٠١] المثل السائر، ٣/٥٤-٥٥.
[١٠٢] الطراز للعلوي، ١/١٩٢.
[١٠٣] نفسه، ٢/٤.
[١٠٤] معترك الأقران للسيوطي، ٢٠١.
[١٠٥] ينظر في ذلك : دلائل الإعجاز، ٧٠، معترك الأقران للسيوطي، ٢١٤-٢١٥، البرهان في علوم القرآن، ٢/٣٠٠، المصباح ١٥٦، الإيضاح للقزويني، ١/٣١٠-٣١١، الطراز للعلوي، ١/١٥٦، ٢٠٥، وغيرهم.
[١٠٦] دلائل الإعجاز، ٢٦٢ وما بعدها.
[١٠٧] نفسه، ٧٠.
[١٠٨] ينظر نفسه، ٣٠٦.
[١٠٩] ينظر: نفسه، ٧١، ويتفق معه السكاكي في مفتاح العلوم: ٤١٣، والرازي في نهاية الإيجاز، ٤٢، والقزويني في الإيضاح، ١/٣١٠، والعلوي في الطراز، ١/١٥٦، وابن الناظم في المصباح، ١٥٦، والسيوطي في شرح عقود الجمان، ١٠٤.
[١١٠] ينظر: دلائل الإعجاز، ٧٢-٧٣.
[١١١] نفسه، ٢٦٤-٢٦٥.
[١١٢] نفسه، ٤٤٠.
[١١٣] نفسه، ٤٢٩-٤٣٠.
[١١٤] ينظر المثل السائر: ٣/٥٤-٥٥.
[١١٥] الطراز للعلوي، ١/٢١٧.
[١١٦] نفسه، ١/١٥٦.
[١١٧] الإيضاح للقزويني، ١/٢٠٢.
[١١٨] الطراز للعلوي، ١/١٩٢.
[١١٩] نفسه، ٢/٦.
[١٢٠] مفتاح العلوم، ٣٣١.
[١٢١] ينظر : المثل السائر، ٣/٥٤-٥٥.
[١٢٢] المصباح ١٥٦.
[١٢٣] مفتاح العلوم، ٤١٤-٤١٥.
[١٢٤] عروس الأفراح: ٢/٣٩٤.
[١٢٥] معترك الأقران للسيوطي، ٢١٤، وينظر: شرح عقود الجمان، ١٠٤.
[١٢٦] مفتاح العلوم، ٣٣١.
[١٢٧] المثل السائر، ٣/٥٤-٥٥.
[١٢٨] ينظر الطراز، للعلوي، ٢/٦.

[١٢٩] نفسه، ٦/٢.
[١٣٠] النكت في إعجاز القران للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، ٨٦.
[١٣١] ينظر: محاسن النظم والنثر لأبي هلال العسكري، ٥.
[١٣٢] دلائل الإعجاز، ٤٣٢.
[١٣٣] أسرار البلاغة: ٢٤٠-٢٤١.
[١٣٤] ينظر على سبيل المثال: أسرار البلاغة: ٢٤٢-٢٤٣، ودلائل الاعجاز، ٧١-٣، ٢٦٢ وغيرها.
[١٣٥] أسرار البلاغة: ٥٩.
[١٣٦] ينظر نفسه: ٦٢-٦٣.
[١٣٧] نفسه: ٦٥-٦٦.
[١٣٨] دلائل الإعجاز، ٧٠.
[١٣٩] نفسه، ٧٤.
[١٤٠] أسرار البلاغة: ٣٠٦.
[١٤١] دلائل الإعجاز، ٤٥٠.
[١٤٢] نفسه، ٥٣٧-٥٣٨.
[١٤٣] مفتاح العلوم، ٣٦٢-٣٦٤.
[١٤٤] نفسه، ٤١٢-٤١٥.
[١٤٥] مفتاح العلوم، ٣٨٧-٣٨٨.
[١٤٦] ينظر: الإيضاح للقزويني، ٣١٠/١.
[١٤٧] نفسه، ٢٨٢/١.
[١٤٨] نفسه، ٢٦٧/١-٢٦٨.
[١٤٩] ينظر: مختصر المعاني للتفتازاني، ٢١١.
[١٥٠] الطراز للعلوي، ١٠٧/١-١٠٩، وينظر: مختصر المعاني للتفتازاني، ١٢٨/١.
[١٥١] نفسه، ١٥٦/١.
[١٥٢] نفسه، ٤٥/١.
[١٥٣] نفسه، ٤٣/١.
[١٥٤] الطراز للعلوي، ١٨٠/٣.
[١٥٥] نفسه، ٤٦/١.
[١٥٦] نفسه، ١٩٢/٣.
[١٥٧] جوهر الكنز للحلبي، ٥٥.
[١٥٨] نفسه، ٦٠.
[١٥٩] شرح عقود الجمان، ١٠٤، وينظر: معترك الأقران، ٢١٢.
[١٦٠] معترك الأقران للسيوطي، ٢١٤-٢١٥.
[١٦١] نفسه، ٢٠٨-٢٠٩.
[١٦٢] شرح عقود الجمان، ١٠٠.

[١٦٣] مفتاح العلوم، ٤١٥-٤١٦، ١٩٠، والإيضاح، ٣١٩، والتلخيص، ٣٣٨، والمطول، ٤٠٩.
[١٦٤] شرح عقود الجمان: ١٠٤.
[١٦٥] مفتاح العلوم: ٤٠٤.
[١٦٦] دلائل الإعجاز: ٦٤، وينظر: البلاغة والتطبيق: ٣٦٨.
[١٦٧] المثل السائر: ١٨٨/٢.
[١٦٨] الطراز: ٢٠١.
[١٦٩] المصدر نفسه: ١٨٤/٢.
[١٧٠] المثل السائر: ١٨٨/٢.
[١٧١] المصدر نفسه: ١٨٤/٢.
[١٧٢] مفتاح العلوم: ٤٠٣.
[١٧٣] البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٩١.
[١٧٤] عروس الأفراح: ٣٨٧/٢.
[١٧٥] ينظر: الإيضاح: ٧١/٢، والمطول: ٦٣٦-٦٣٨، وعروس الأفراح: ٣٨٧/٢- وما بعدها.
[١٧٦] البلاغة والتطبيق: ٣٦٩، وينظر: دراسات في علم النفس الأدبي: ٤٦.
[١٧٧] ينظر: مفتاح العلوم: ٤٠٣، ٤٠٧، وعروس الأفراح: ٣٨١/٢- وما بعدها.
[١٧٨] ينظر: مفتاح العلوم: ٤٠٣، ٤٠٧، وعروس الأفراح: ٣٨١/٢- وما بعدها.
[١٧٩] الطراز: ٢٠١، وينظر: المثل السائر: ١٨٨/٢- وما بعدها.
[١٨٠] الطراز: ٢٠٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
-أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرح وتقديم علي فاعور ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨ .
-أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراءة وتعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، د. ط، د. ت.
-الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدين محمد بن عبد الحمن الخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٣.
-البديع، عبد الله بن المعتز، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشقوفسكي، لينينغراد، د.ط، د.ت.
-البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د. ط، د. ت.
-البلاغة فنونها وأفنانها، د. فاضل حسن عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.
-البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠١١م.
-بيان إعجاز القران حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، والنكت في إعجاز القران للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، تحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦ .
-البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨.

-التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت.
-الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، ضياء الدين بن الأثير الجزري، تحقيق وتعليق، مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦ .
-جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسلامية، د. ط، د. ت .
-الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط٢، ١٩٥٢.
-دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، بغداد، ١٩٤٩م.
-دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط،١٩٨٤.
-ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤ .
-سر الفصاحة، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢ .
-شرح المعلقات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، تقديم عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤.
-شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت لبنان، د. ط، د. ت.
-الطراز، يحيى بن حمزة بن علي العلوي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢ .
-عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق د. خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٧م.
-الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر ط١، ١٣٢٧ه .
-كتاب الصناعتين الشعر والنثر، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٥٢ .
-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ط، د. ت .
-محاسن النظم والنثر أو الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، مصر، د. ط، ١٩١٦ .
-مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٤١١ه .
-المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك المعروف بابن الناظم، تحقيق وشرح حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٩٨٩ .
-مطول على التلخيص، سعد الدين التفتازاني، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠ه .
-معترك الأقران في إعجاز القران، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي، ضبط وتصحيح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٨ .
-مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ط١، ١٩٨١ .
-منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق وتقديم محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، د. ط، ١٩٨٦ .
-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ .

إشكالية التجنيس والرؤى الملتبسة رواية (الأجنبية) لعالية ممدوح أنموذجًا

د. شيماء جبار علي
جامعة الأنبار- كلّية التّربية للبنات
shamayjabar@gmail.com.

الملخص :

يسعى هذا البحث إلى الوقوف على ضرب من الكتابات التي تتميز بتجسيد الاختلاف ، بدءًا من التباس تجنيس الكتاب مرورًا بالمتن وما يضمه من تناقض في الصيغ وتداخل القول المباشر في نسق خطابي غير مباشر من دون توطئة سردية تُهيّء لهذا الانتقال ، فضلا عن اختلاف الازمنة المندرجة فيها بين الصيغ القولية ؛ لكونها تنحو منحى سبيل التأمل والمناجاة ، أو على سبيل المنجز من الأقوال التي تقع في الماضي وتستذكرها الشخصية بين الحين والاخر ، كما أن مرتكز النص ينهض على أساس علاقة إشكالية بين الأنا والاخر ، وهي علاقة ملتبسة قوامها التناقض والتنازع بين المركز والهامش والتابع والمتبوع ، وليس غريبًا وسط هذه المفارقات أن تستولي على الشخصية فلسفة المحو التي تكاد يتكىء عليها تأثيث الأحداث جميعها، فتتشابك الرؤى وتتباين الطبائع والحجج ، ممَّا يجعلها وسيلة لاستدراج القارئ والتأثير فيه ، ودفعه إلى التعامل مع الخطاب بشكل مختلف على وَفْقِ قراءة استراتيجية تكشف مضمرات النص ، وقد هيمنت هذه الجوانب جميعها على رواية (الأجنبية) لعالية ممدوح التي اتخذتها الباحثة إنموذجًا لهذا البحث ،لذا تأسس هذا الخيار على مهاد نظري يضمُّ عرضًا موجزًا لمصطلح الجنس الأدبي عن طريق النشأة والتطور ، ثم جاء المهاد الإجرائي فرصد المناصّات وأزمة التجنيس من خلال الوقوف على الدلالات والمعاني ، ثم كان الحديث حول التحولات السردية الملتبسة في الخطاب وما تضمه من مسوغات نصية أو معلنات من السادرة، ذلك ضمن آلية المنهج التحليلي الوصفي الذي عدّ وسيلة أساسية في العمل الإجرائي.

كلمات مفتاحية : الجنس الأدبي ، المناصات وأزمة التجنيس ، التحولات السرديَّة الملتبسة.

Abstract

This research seeks to find a multiplicity of writings that are characterized by the embodiment of difference, from the confusion of naturalization of the book to the passage of the dead and the contradictions that it contains in the formulas and the overlap of the direct statement in the format of the indirect speech without the introduction of a narrative to prepare for this transition, as well as the different times between the formulas , As they tend towards the path of contemplation and dialogue,

or as a result of the words that are in the past and personal recall from time to time, and the basis of the text is based on the problematic relationship between the ego and the other, a confusing relationship of contradiction and conflict between center and margin, It is strange, in the midst of these paradoxes, that the personality takes over the philosophy of fear, which is almost entirely dependent on the feminization of all events. The visions converge and the different types and arguments differ. This makes it a way to attract and influence the reader. All these aspects of the novel (the foreign) of (A'alea Mamdouh) taken by the researcher model of this research, so this option was founded on a theoretical Mulch, which includes a brief overview of the term of the genus through the emergence and development, and then came the moth procedural monitoring naturalization and the crisis of naturalization through standing and recognition And meanings, then the talk was about the transformations in the ambiguous narrative discourse and left untouched from the textual justification or announcers by the narrator, within the descriptive analytic approach, which counted an essential means in the procedural mechanism of action.

المهاد النظري

الجنس الأدبي : المصطلح والتعريف.

على الرغم مما تمتلكه اللغة من طاقة تأثيرية من خلال الأصوات والتراكيب التي تستند عليها، بيد أنها تبقى عاجزة عن تحقيق القيمة الجمالية لوظائفها ، إلا اذا تم تحديد الجنس الأدبي الذي تذعن له في صوغ أبنيتها ، فمن خلاله تعلن عن انسجام أسلوبيتها ووظائفها في سياق جنس أدبي محدد[١] ؛ لذا تعني لفظة (الجنس) في اللغة على أنها ((ضرب من كل شيء)) [٢] وهو أعم من النوع. ويخرج في المجانسة والتجنيس، ويقال هذا يجانس هذا بمعنى يشاكله[٣] وهنا يتضح أن الجنس أعم من النوع ،وهو أحد الأوجه اللغوية المهمة التي تجعلنا نسلم لها، فالجنس يقوم على التميز والتفرد عن غيره، حتى وإن كان شبيها به في بعض الأغراض وهذا ما توقف عنده الفقهاء والأصوليون في التراث العربي حين عُدَّ الجنس ((كليا مقولًا على كثيرين مختلفين بالأغراض دون الحقائق)) [4] وفي الاصطلاح عَوَّلَ عليه صاحب التعريفات بأن لفظة الجنس تأخذ انواعًا مختلفة وتأتي الماهية عنصرًا مهمًا في تحديد كل نوع [٥] وبما أن الجنس الادبي يمتاز بالشمولية والتشعب ؛لذا يجد الباحثون صعوبة في تحديد تعريف جامع ومانع له ، فهو اصطلاح يستعمل في عدة أنماط للخطاب الادبي ، ويتضمن مصطلح الجنس الأدبي مجموعة من المعايير والخصائص الفنية والجمالية التي تعمل على ضبط الخطاب وتفسيره [6] ويرى د. جميل حمداوي أن الجنس مفهوم اصطلاحي أدبي ونقدي وثقافي يرمي إلى تصنيف الإبداعات الأدبية التي توحدها خصائص مشتركة تبعا إما للشكل الخارجي(البنية، الطول)، أو الداخلي (المضمون، الأسلوب) ، مؤكدا قدمَ مسألة الأجناس الأدبية، التي ترعرعت في حضن الادب لتجيب عن اسئلته تجنيسا وتنميطا وتصنيفا وتأويلا[٧] لذا يعد الجنس الأدبي احد المحاور الرئيسة لموجهات القراءة ؛ لأنه يمنح القارئ مفتاحًا لقراءة النص والخوض في غماره .

بدأت مسألة الأجناس الأدبية مع (افلاطون)من خلال نظرية المحاكاة التي طبقها على بعض النماذج الشعرية ، ولاسيما حين عُدَّ الشاعر مصورًا ومحاكيًا للظواهر التي تحيط به من دون التعويل على بواطن الاشياء[٨] .ولكن تلميذه (أرسطو) كان أكثر إيغالا من استاذه ؛ إذ طبق نظرية المحاكاة على الفنون الأدبية جميعها، ولاسيما حين قسم الادب إلى ثلاثة أجناس غنائي وملحمي ودرامي. [٩]

في حين يسند (تودروف) هذا التقسيم الثلاثي الى افلاطون [١٠] ويشير (جيرار جينيت) أن هناك من يرى أن اصول هذا التقسيم و جذوره تعود للرومانيين وليس للإغريق[١١] ويستطرد في الحديث بهذا الجانب معولا على مصطلح (التعالي النصي) الذي يدخل النص في علاقة مضمرة مع النصوص الأخرى، مقترحًا مجموعة من المصطلحات نتيجة تداخل الاجناس فيما بينها كـ (جامع النص أو جامع النسج) وينتج عن هذا التداخل جنس أدبي اخر[12] وسعى (كروتشه) إلى هدم هذا التقسيم؛ إذ يعد الغنائية العامل الاساس لمضمون الجنس الفني عامة ، لكنه يعود ويناقض رايه حين أعلن أهمية تقسيم الجنس الادبي إلى عدة أجناس بغية دراسة كل جنس والوقوف على الأسس القائمة عليه[13]

وفي تراثنا النقدي نجد أن للعرب وقفة عند هذه الظاهرة سواء عند الآمدي حين عرض قول دعبل الخزاعي في شعر أبي تمام حين شبه شعره بالخطب والكلام المنثور[14] أو عند القرطاجني حين أشار في كتابه منهاج البلغاء وسراج الادباء إلى مفهوم (الإشراب) الذي يقصد به تداخل نوعين من الاجناس موضحا هيمنة الجنس الاصلي على الخطاب مع وضوح آثار الجنس الآخر عليه[15]. وفي العصر الحديث اختلف الامر نتيجة التحولات التي طرأت على الحياة وظهور طابع التأثير والتأثر بالثقافات الأوربية ، فضلا عن اشتداد أزمة الحروب ، فخرجت القصيدة عن الهندسة التي عهدتها منذ عصور طويلة ، و تجلى هذا الأمر في قصيدة التفعيلة التي أحدثت تغييرًا كبيرًا في بنية الشعر، فخلعت ثوبها التقليدي، وتخلت بذلك عن البيت الشعري بالسطر الشعري نائية عن القافية الواحدة مع محافظتها على الاوزان ، ثم جاءت قصيدة النثر معلنة بقوانينها تداخل الشعر مع النثر ، فهي حصيلة نثر مكتوب بلغة شعرية شفافة ، تحكمها بنية ومعايير حديثة ؛لذا عدت شكلا جديدا للشعر جاءت بحلة غير معهودة البنية والمضمون[١٦] ثمة مجموعة من الثوابت التي تحكم كل خطاب أدبي ضمن استقلاليته الأجناسية ، ومن خلالها يتم الكشف عن الخصائص النوعية التي يتميز بها كل جنس من آخر ثمة مجموعة من الثوابت التي تحكم كل خطاب أدبي ضمن استقلاليته الأجناسية ، ومن خلالها يتم الكشف عن الخصائص النوعية التي يتميز بها كل جنس من آخر[١٧] ؛ لذا يمكننا البحث عن صلة ((الجنس الأدبي ، وأنواعه النصية المتعددة والمتنوعة حسب حضورها وتجليها في سياق مدونة الجنس الادبي ، وتحليل الكل بمعرفة الجزء والجزء بمعرفة الكل)) [١٨] لذا تعددت أشكال النهج المتبع في النص الأدبي عامة والروائي خاصة طبقا لرؤى الكاتب ومخزونه الثقافي والاجتماعي والسياسي، فأصبح الخطاب أكثر استيعابا والماما فاخذ ينحو منحى السيرة الذاتية والحكايات اليومية والمذكرات ، بما يتيح للشخصية الاستئثار بالسرد عن طريق عمل استبطاني متسع ، ولعل نزوع الخطاب الى طرائق وأساليب مستلة من مقومات جنس

أدبي آخر يأتي بغرض إيهام القارئ بحياديته ، ولكي يجعل النص نافذة مفتوحة امامه للتصور والتأويل. وهذا ما وجدناه في عدة روايات، ولاسيما الرواية التي نحن بصددها

المهاد الاجرائي

- **المناصّات وأزمة التجنيس .**

يتوقّف جيرار جينيت عند مستويين للنص الأدبي ، يتمثل الأول : في النص الفوقي الذي يضم الخطابات الموجودة خارج الكتاب جميعها ، وتتعلق هذه الخطابات بالمراسلات والقراءات والشهادات وغيرها من الجوانب التي تخدم النص [١٩] وثانيا: النص المحيط وفيه يلقى الضوء على العنوان الرئيس والعنوانات الفرعية والداخلية والمقدمات والذيول والتوطئة والملاحظات الهامشية تحت الصفحات ، والنهايات والمنقوشات الكتابية ، والعبارات التوجيهية، والعلامات والإشارات جميعها ، لذا فإنّ هذه المعطيات التي تحيط بالنص ما هي إلا عتبات أولية من خلالها نستطيع الولوج إلى النص وفضاءاته المشفّرة[٢٠] وممّا لا شكّ فيه أنّ مناصّاتٍ كهذه تختلف من كتابٍ إلى آخر ، وإن اشتركت في عموميّتها ، بيد أنّها لا تلغي الدور المهم للمناص في تحديد الكتاب ؛ لأنّها كما يرى جينيت ((ما يصنع به النص من نفسه كتابًا ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه أو بصفةٍ عامةٍ على جمهوره، فهو أكثر من جدارٍ ذو حدودٍ متماسكةٍ)) [٢١] الغلاف العتبة الأساس الذي يثير المتلقّي إذا ما نظر إليه متوحدًا مع العنوان ، وهذا الجانب يعمل على تأسيس سياقٍ متوازنٍ بين طرفي العملية الاتصالية (المرسل والمتلقي)؛ لأنّ ((العنوان بنية صغرى لا تعمل باستقلالٍ تامٍ عن البنية الكبرى التي تحتها ...فهو بنية افتقارٍ يغتني بما يتصل به من قصةٍ وروايةٍ وقصيدةٍ ، ويؤلف معها وحدةً على المستوى الدّلالي))[٢٢] لذا يعدّ الغلاف أيقونةً بما يضمه من علاماتٍ (بصريةٍ ولسانيةٍ) تشير إلى طبيعة النص الأدبي. إذا كان عنوان الأجنبية_ للكتاب الذي نحن بصدده _ يوحي بسؤال الهويّة بمنعطفاتها جميعا ، فإن اختيار(الباسبورت) كأيقونةٍ يدلّ على أنّه وثيقة رسمية تعرف حامله بهويته التي ينتمي إليها، ومن دونه يعدّ أجنبيًّا ((الباسبورت العراقي يتجاوز قدرتي على التجريب في الأساليب وصياغة بياناتٍ مستلّةٍ من الحياة . فهو بحجمه الصغير يستطيع أن ينسف ماضي احدنا كما حصل ويحصل في جميع الأوقات والعهود والحكام . ويقدر أن يدع بعضنا الآخر يمتلك الدنيا والآخرة .هذا الكائن الصغير هو عمل إبداعيّ متفرّد بذاته ، ينتج الفنّ والفتن والفتنة بخطه المكتنز، بحروفه الواضحة والصالحة للقراءة من قبل جميع عيون البوليس الدولي والعربي)) [٢٣] ومن العلامات الأخرى التي كشفت عن هويّة الشّخص هي (البصمة) بعدها باسبورت آخر لكل إنسانٍ وهي علامته وسمته ((جرّبت أن تكون بصمتي كما لو كانت خفّة الكائن الذي لا يحتمل ، ولكن عبثًا . حاولت أن تكون طبعتي بثقل فيل مولودٍ حديثًا، فكبست بشدّة وأيضًا بلا نفعٍ...إن الأصابع تحمل أسرار النّفس الحميمة كلّها)) [٢٤] من يدقق النّظر يلاحظ أن البصمة بظلالها على الغلاف تنقسم إلى لونين :الأبيض والأسود ،ويرتسم الأخير على الباسبورت، وربما هذا الجانب يوحي إلى سواد القدر وضياع

الهويّة ، وهو عكس الأبيض الذّي يوحي بالصّفاء والانتماء ، ولكنّ اجتماع اللونين معًا يعطي لونًا جديدًا وهو (الرّمادي) ، علمًا أنّنا لا نجده هنا ، ولكن نجد من يدلّ عليه ويشير إليه ، فهذا اللون من الألوان المحيرة التي تشعر باللبس وعدم الوضوح ، وربّما هذا ما أشارت إليه لفظة (الأجنبية) التي تدّل على تشظي الذات والتباسها ، ولا سيّما حين فقدت السّاردة الوثائق الرسميّة التي تثبت للمؤسسات المعنية من تكون، وإلى من تنتمي، فأوحى ذلك إلى ذاتٍ ممزقةٍ تعاني الاضطراب في الانتماء والهويّة واللغة ((كنت أبدو وأنا أترك هذا المعهد لغيره مثل مخطوطةٍ في طور الكتابة . فكلّ من يشاهدني أو يعلمني أو يشتبه في أمري أو في هويّتي ،أو في سحنتي)) [٢٥] وجاء اسم الكاتبة وعنوان الكتاب في أعلى الصفحة وكلاهما بلون مائلٍ إلى الاصفرار، وتخرج دلالته حسب الإشارات الدالة عليه في المتن إلى الذبول والمرض .

ثم ألقي الضوء على المكان من خلال لفظة (البيت) ، وردف العنوان الرئيس بعنوانٍ آخر أسمته (بيوتًا روائيةً) ،وما هذه إلا استنطاقات تمّ الإعلان عنها منذ البداية ، وهي شفرة للمتلّقي توحي إلى ارتكاز المتن على (المكان) في تحديد مسار الأحداث والشخصيات ((فالبيت هو عراقيّ الوحيد الذي دوّنتُ وشيّدتُ حجارته وطوابقه وأرضيّته وأصباغ حيطانه، والضّنى الذي يتأكلني ثانيةً بعد ثانيةٍ وهو على بعد آلاف الأميال لكنّه اقرب إليّ من حبل الوريد)) [٢٦] وفي الواجهة الخلفية نجد مقطعًا نثريًا يعطي إملاءاتٍ للكتاب ، بيد أنه يبدأ بجملة ((سيرة روائيّة للكاتبة العراقيّة عالية ممدوح)) وهنا تأكيد أزمة التجنيس وقضية اللبس التي اخذت تنتاب المتلقي منذ البداية ، فكتاب الأجنبية يتوزع على عدة أجناسٍ أدبية منها (الرواية ، والسيرة الذاتية، والمذكرات اليوميّة)،وهنا تستمدّ الكاتبة من هذه الطريقة المهجنة لكي تعمل على ممارسة الاختلاف، ومن خلاله تقنع المتلقّي بالوقائع ((أنّ الرواية تحتوي على روابط مضادّةٍ للموضوعات الكثيرة التي تحاول أن تثبتها السيرة كإحدى ثيماتها وليست الأساسية فقط. هذا كتاب حاولت أن أجعله يرتدي أزياءً مختلفةً مابين السموكينغ والجلباب... صفحات وفصول هذا الكتاب ليست على مقاس أحد ما بعينه، لا الرّجل ولا المرأة ، لا البلد ولا الاغتراب والترحّل ..وها أنا شكاكة في جميع ما حصل من أحداث حقيقيةٍ وليس في ما دوّنت من سرديات مخترعةٍ)) [٢٧] وتعود الكاتبة لتؤكد كلامها بقولها ((لا أميل كثيرًا لأيّ عنوانٍ تدخل فيه كلمة السيرة . فهذه كلمة ما إن أسمعها تنطق من فم فلانٍ أو غيره حتى أصغي لنوعٍ من صفيرٍ يتجمّع في قاعاتٍ مغلقةٍ ومن هناك يبدأ التغامز)) [٢٨] وفي الصفحة الأولى من الكتاب كتبت الأجنبية وتحتها (رواية) ، فهذا الكتاب ينشد الاختلاف ،إذ لا يريد أن يعامله القارئ على أنّه رواية ، ولا على أنه سيرة ذاتية أو مذكرات يومية لذا فـ((الأجنبية كتاب يدخله اللبس ويحاول أن يحرّف مفهوم ضرورة وضع ما يسمى بالجنس الأدبي ، رواية، قصص قصيرة)) [٢٩] ثم تصرح الكاتبة في المتن ((هذه ليست رواية يشغل التخييل فيها الحيز الأكبر. هذه حياتي تنبق أمامي بدون توريات أو استعارات)) [٣٠] تتحرك الكاتبة بوعيٍ حول الأجناس الأدبية جميعها ، من دون أن تميل إلى أي احد منها ، علما أن الوقائع التي توظّفها في النص توحي للمتلقي بعدة خروقات تنسجم مع المناصات جميعها لتوحي بعدم الالتزام بأي نسقٍ معينٍ ، وهي إحدى

المراوغات التي تسلكها الكاتبة بغية بيان اللبس الذي تثيره في كتابها، بدءًا من المناصات مرورا بالمتن وانتهاءً بحيثيات النشر فيصطدم القارئ بها، ولعل أولها أزمة التجنيس ، فالكاتبة لا تعطي الجانب الصريح بوقائعية الأحداث أو تخيلها، بحيث يبقى هذا الجنس يدور في فلك الرواية والسيرة الذاتية والقصص .وبطريقةٍ مراوغةٍ أخرى تقوم بتوظيفٍ إجرائي تحت عنوان (بيوت روائية) لتدخله إلى عوالم تتسم بالصراحة مع الذات بطريقة الوخز المؤلم من جانبٍ ، وبالصّراحة مع الوقائع والأحداث إلى حد القسوة والشدة من جانبٍ آخر .

وأسفل الواجهة الخلفية تمّ التعريف بالمؤلفة وابرز ما صدر لها من رواياتٍ ، التي ترجمت إلى عدة لغات عالمية ، وبعدها وضعت حيثيات النشر .

-بناء الرواية .

تتحرك الأحداث ضمن عدة مساراتٍ لتقدم لنا ذاتًا تعاني التباسًا في هويّتها، وهي في انتظار الحكم بشأنها كمهاجرة فقدت أوراقها الثبوتية ، نتيجة رفض الزوج إرسالها لها .

تقع الرواية في(٢٣٩) صفحة من القطع المتوسط ، وزعتها الكاتبة بين خمسةٍ وسبعين فصلا، بعض هذه الفصول تحمل عنوانا يضمّ لفظة (البيت) كـ (بيت الطاعة ، بيت الجحيم ،بيت القانون الفرنسي ، بيت اللغة ، بيت اللسان ، بيت القرد العاري ، بيت الثمالة ، بيوت الكترونية ، بيوت الآلات ....) فضلا عن بيوت أخرى نسبتها لأسماء الشخصيات كـ (بيت بلقيس ، بيت نهلة ، بيت هيلين ، بيت أبي ، بيت بو عزيزي ، بيت المعلمات ...) ليس غريبًا امام هذا الحال أن تكشف هذه البيوت عن ذات يستولي عليها الصراع والقلق والخوف ، لذا يسعى النص لإنقاذها، ازاء بنيةٍ مكانيةٍ ممزقة تلملم الذات أشلاءها عن طريق هذه الخاصية المتفاعلة والمتشابكة في تأسيس نظام تعبيري يتسم بالتواصل والتداول في الوقت نفسه ،وفي جانب اخر ترسخ التشظي واللبس فتقول ((الخوف شيء حقيقي ، مثير ، بديهيّ ، متحوّل ، متنوّع وملتبس، لا يهجرنا)) [٣١] يلاحظ أن عالية ممدوح مسكت الأحداث بثيمة المكان . فالمكان حين يكون هندسيًا يصبح وقتها خارج النص ،وحين يجعله الكاتب عضوًا أساسيًا في النص يكون مرجعيًا[٣٢] لذا جعلت أغلب فصول الكتاب ترتكز عليه ، وعملت على بعثرة الأحداث في الأبواب جميعها ، لكي تعطي انطباعًا للمتلقي عن محنةٍ تمزق الذات ، وازدواجية الانتماء ،وهذه إحدى الوسائل التي يلجأ إليها النّص لإشراك القارئ في إيجاد الحلول المناسبة وسط هذا التذبذب . علما أنّ هذه الأحداث شخصتها الكاتبة تشخيصًا فنيًّا محكمًا يبتعد عن التقريرية ، ولا ينال منه الوصف، ضمن لغة سردية عالية لا تشعر القارئ بالملل وهو يتطلّع لمعرفة خفاياها .

الكتاب يتوقف عند عدة أزمنةٍ ،يبدأ السرد فيه من استعادة الأحداث منذ منتصف التسعينيات حين انتاب الساردة هاجس الخوف ((الخوف الذي كان يحثّ الخطى في اتجاهين إمّا السفارة العراقية وإمّا دائرة البوليس الفرنسي ...ومنذ الهاتف الذي وصلني فأختار الميتة أو الوضعيّة التي ستكون الأقلّ وجاهةً والأكثر مرحًا ، ماذا لو قبض عليّ ؟)) [٣٣] ثم يحدث تذبذبٌ في زمن السرد من خلال العودة إلى النقطة الأولى

بيت العائلة في بغداد /الأعظمية ، وإذا بانعطافةٍ نحو حاضر العراق بعد الاحتلال الأمريكي للبلاد عام ٢٠٠٣ ،ثم العودة إلى ماضي الكاتبة الذي يحمل ذاكرة تحرّكها الآلام والتجارب القاسية، فضلا عن ألوانٍ من التهكمات المختلفة التي تجعلنا أمام زمنٍ مضمرٍ، ولاسيّما حين يكون الحاضر مشروطًا بالماضي ، ومستهدفًا لتكراره ، وهذا ما نلاحظه في جل كتابات السيرة ، وبهذا تكون الحبكة مبعثرةً وتقسيمها للفصول أشبه بالحلقات ، وهذا يعطي تبلورًا كاملا عن مضمونها من خلال رؤيةٍ شاملةٍ ويحتكم هذا إلى تناوب يبعد رتابةً السيرة الذاتيّة ، فكأن حركة الزمن انطلقت من اللحظة الراهنة(الحاضرة) ثم تناوبت الحركة بين الأزمنة الأخرى ،لذا فالخطاب تحكمه علاقات إشكالية متنوعة من خلال التجنيس الملتبس ، والحيل الكتابية والخطية ، واللغة المهجنة ، والتعالقات النصية المشحونة بأبعاد مختلفة ،وتداخل الازمنة ، والفضاءات النصية الصامتة ، وهذا كفيل باستدعاء طاقة تأويلية ومتعة فريدة عند المتلقي ، توجب ضرورة التعامل مع النص تعاملا فعالا وخلاقا .

-الراوي والشخصيات.

يتميز الراوي بدور مهم في النص السردي ؛ إذ لا يمكننا إغفاله أو تجاهله ، ولكل مروي ـ وهو رسالة كلاميّة ـ لابد من وجود راوٍ (مرسلٍ) ومروي له (مرسل إليه) [٣٤] وتعدّ الشّخصية من العناصر المهمة في النص فـ((اللغة وحدها تستحيل إلى سماتٍ خرساء فجةً لا تكاد تحمل شيئًا من الحياة والجمال ، والحدث وحده وفي غياب وجود الشخصية ، يستحيل أن يوجد في معزل عنها؛ لأنّ هذه الشخصية هي التي توجد وتنهض به نهوضًا عجيبًا ، والحيز يخمد ويخرس إذا لم تسكنه هذه الكائنات الورقيّة العجيبة : الشّخصيات)) [٣٥] نواجه في كتاب (الأجنبية) سردًا مكتوبًا بضمير المتكلم (داخل العمل القصصيّ) حسب ما اصطلح عليه جينيت (autodiegetic) أي السّرد الذاتيّ [٣٦] وهذا يجعلنا أمام سردٍ متجانس الحكي (homodiegetic) [٣٧] ، أي إن (الكاتبة والراوية والبطلة) كلّهم نفس الشخصية ، فإنّ قرب الرّاوي من الأحداث التي يسردها ، ومدى صلته المباشرة بالشخصيات التي يتحدث عنهم تجعل القارئ ينسى المؤلف ، ذلك من خلال التناوب في السرد بين صوت البطلة والأصوات الأخرى التي تمّ توظيفها ، فالكتاب قائم على عدة شخصيات ، ولاسيّما الجانب النسوي الغالب فيه كـ (نهلة الشهّال ، وبلقيس الراوي ، وهيلين سيكسو) فتقول السّاردة((لدى نهلة الشهال قدرة استثنائية على معاينة وفحص الأشياء والمعضلات من جميع الجوانب .فتقيم حوارًا بينها وبين أيّة وثيقةٍ أضعها بين يديها . كانت تقتي بها وبطريقة تفكيرها ونزاهتها نهائيةً . ثلاث نساءٍ في حياتي امتلكن هذه الثقة : بلقيس الراوي وهيلين سيكسو والشهّال)) [٣٨] إن تحديد الكاتبة لثلاث نساءٍ في حياتها لتجعل منهنّ آلية لفتح مغاليق المتن ، ولاسيّما أنّها تعتمد مبدأ المزاوجة بينهن وبين ما تطرقت له في النص لكونها ذاتًا مضطربةً، ساعيةً في البحث عن كينونتها ((ولعلّي هنا أدوّن ما ينبغي قوله بفصيح العبارة ؛ في حضرة نهلة لأتنقب على جرحٍ أو خطأ أو عيبٍ عندي . أمامها اقدر على إعلان فشلي وإحباطي وأمراضي أمامها . فلا تنشد التوبيخ ولا اللوم ولا إصدار الأحكام)) [٣٩] وترفد الراوية أحداثًا عالقةً في

ذهنها خلال حديثها عن اللغة في بلاد الغرب ((لست مهاجرةً ولا منفيةً لكنّ اللغة في هذا الشأن لها جاذبية مهولة لكي تسمح للأجنبية مثلي أن ترى وتلمس وتشعر أنّ ما حولها حقيقي فعلا . لكنّني في تلك الأوقات ، تصورت بما أنّني كائنة عراقيّة فقد أحشر وأزج بطريقةٍ من الطرق ويعاد بي إلى هناك ، فأنا أعرف عموم روايات التعذيب وما يدور في الغرف السريّة)) [٤٠] يبدو أنّ الكاتبة قد تسنّى لها من اجل تغطية الأحداث بصورةٍ متوازيةٍ إدخال بعض التابوهات مضمنةً في اللعبة السردية لتسبر أغوارها معبرةً عن مكنونات الذات والمجتمع من جانب ، ولتكشف عن الهم الذي ينتاب يومياتها من خلال تفصيلاتٍ حياتيةٍ أوسع من جانبٍ آخر ، وهذا ما حدث لها أمام هيلين سيكسو((عندما كنت أزورها في أحد الأيام. بادرتني قائلةً وهي تضحك :

ـ أنت الكاتبة الأجنبية الوحيدة التي نشأت بيني وبينها صداقة ثمينة وهي لا تقرأ لي إلا عبر التراجم ، وأنا لا أفضل ذلك أبدًا .

ـ وأنا أيضًا لا أفضّله .

كانت حسرتي تتفاقم ونحن ، أنا وهيلين ، نتبادل الزيارات . ففي إحدى المرّات وبعد بضعة أعوامٍ على تعارفنا خرجت عن طورها المزاجي الرزين والكيّس .

احتدّ صوتها قليلا وهي تجيبني عن سؤالي عن مسرحيّتها القادمة ، ومتى ستعرض إلخ:

ـ ولماذا تسألينني عن مسرحيّتي الجديدة ؟ لو تعرفين الفرنسيّة لقرأت أخبار المسرح وأخباري في الصحافة ...)) [٤١] إنّ عرض قضايا منتخبة بدءًا من ذاتها ومرورًا بالذوات الأخرى ، لتكشف عن هموم المهاجر فيجعلنا لا نقف أمام سيرةٍ ذاتيّةٍ متعلقةٍ بالكاتبة، إنّما تتخذ من نفسها أنموذجًا للتعبير عن المتفرقات السردية لواقع التبس فيه كل شيءٍ.

وتعلن عالية ممدوح رفضها للسيرة الذاتية من خلال حديثها مع إحدى شخصيات الرواية (رنا إدريس) [٤٢] إنّ هذا التقارب بين(الراوية / الكاتبة) والشّخصيات الأخرى الحاضرة في النّص، يعطي المتلقي تداخل السرد في الأجناس الأدبية سواء أكانت سيرة ذاتية أم سردًا قصصيًّا أم مذكرات يومية ؛ لأنّ القارئ يدلف إلى مضامين النص طبقًا لما تعارف عليه ، بأنّ الكاتبة والراوية والشخصية الرئيسة هم في الواقع شخص واحد ، وهنا يأتي دور القارئ في الوقوف على البنى السردية وانساقها الخطابية المتنوعة وتأكيد قيمتها الفنية ،والبحث عن الدلالات الفكرية والجمالية ضمن افق نقدي ، يسهم في لفت الانتباه الى مضمرات الخطاب واستجلاء وظائفه ، فضلا عن الجوانب الاخرى التي تنتظر البحث وتجويد النظر.

إن لغة الخوف طالت سياقات النص بكل جوانبه ، وآثرته الكاتبة بطريقةٍ غريبةٍ ، وجعلته يسير موازنًا مع الذّات ، ومن خلاله عولت على لغة الإقصاء للمواطن المنبوذ وسط تراجيديا وظّفتها بشخصية البو عزيزي عندما أحرق نفسه ((بوعزيزي أظهر رؤيا . وضع النيران شعلةً فوق شعلةٍ لم يطلع صوته ، لكنّ عدد الذين يتألمون من نقصٍ في الرجولة قد ازداد . في الغالب كان هذا هو التعريف : قهر سياسي ، فساد امنيّ ،

انحطاط اجتماعي ....رجل يعيش تهديدًا يطالعه صباح مساء بكل ما يخصّه ؛ بالقامة والصوت ، بالمشية وبسوء الفهم ، وبالطرد وفي لحظةٍ واحدةٍ إلى الجريمة)) [٤٣] يبدو أنّ الكاتبة سخّرت ذاكرتها لتعزيز الخطاب ببعض السياقات التاريخيّة والاجتماعيّة ، فاستنطاقات الجدل الحواريّ المستمر مع الذات فرضية أكدتها الكاتبة منذ البداية باجنبيتها في المنفى من جانب ، وخوفها من ضياع هويتها في بلدها الأم من جانبٍ آخر .

- **التحولات السردية الملتبسة .**

تتحرك الكاتبة ضمن محاور عدة لإثبات ذاتها من خلال حوارها مع الشخصيات الأخرى لكي تقول للآخرين من أنا؟ وإلى من أرمي ؟ ويبقى سؤال الهويّة المحرك الأساس هنا ، فالوثائق التي فقدتها البطلة أصبحت في عصرنا أهمّ من كل شيء ، ومن دونها يتعرض الإنسان إلى سوء الفهم وسطوة الآخرين ، فمن الطبيعي أن يتعرض وعي الشخصية بهويّتها إلى الالتباس [٤٤] وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أنّ الكاتبة / الراوية تسعى لمحاولة البحث عن هويتها المفقودة التي تشعر باللبس فيها وهو إعادة لتأكيد ((الشعور(الوعي) التاريخي في إطار حدود صلاحيته يتطلب....البحث من لدن الأفراد والجماعات التي تنتمي له ، عن هويتها السردية الخاصّة)) [٤٥] وهي أيضًا محاولة للوقوف على سؤال الهويّة الذي يواجه المهاجر نتيجة تمزق الانتماءات بين البلد الأم الذي تركته البطلة ولم يقدم لأبنائه سوى لغة الإقصاء والحروب ، وبين بلد قصدته يتقيد بقوانين معقدة ، ممّا جعل البطلة تقول ((الأجنبية كنت هناك ومازلت هنا في فرنسا .

كنت أظنّ أنّ البلد يصلح أن يكون مادةً نصيةً خارقةً للعادة ، ونعيش على نفقتها تحت وطأة ثقلها)) [٤٦] وهنا تتوضح إشكالية الهويّة من خلال الأزمات التي يمرّ بها الإنسان ، مما جعل السّاردة تؤكد اجنبيتها تجاه الآخر الذي ينظر إليها على أنّها هامش ، وعليها إثبات من تكون ((أريد ثلاثة شهود يشهدون بأنك فلانة بنت فلان وأنك ابنة فلان وفلانة وزوجة لفلان وأمّ لفلان ... وأنّ جواز سفرك العراقي السابق واللاحق هو هو لم تعبث به يد ..أو..)) [٤٧] الجانب التوثيقيّ في الغالب لا يتعارض مع الرؤى الفنية للنص أو للأحداث التي يتمّ ذكرها، فتصبح هاجسًا وتخمينًا له ، لا انعكاسًا أو قراءةً متفحّصةً ، فالأحداث كلّما كانت مصيريةً ، كان حضورها أقوى ، وكانت ملامسة النص للواقع أعمق وأدقّ ، وهو أمر يجعل الأحداث قريبة من حياة الناس وعليه تزداد واقعية الخطاب .

إن فقدان الترتيب في الهويّة الملتبسة ، يؤكد فقدان البناء الأساس لها ، بيد أنّ عدم معرفتها بالترتيب الصّحيح لها ، يحيل على غياب كليّ للذاكرة التي تشكل الهويّة ((لم أعد أعرف، ربّما لأيامٍ وسنين من أكون . من أنت آه)) [٤٨] علما أنّ هذا الغياب هو بداية لفعل الإبادة ، وهذه الأخيرة معاداة للذاكرة ، وهنا تسقط البطلة / السّاردة في دائرة الإبادة بمعنى آخر التباس الهويّة وتلاشيها ((إنّني لست واحدةً في هذا الكتاب أو ذاك ، ولا أنا هي التي يعرفها فلان أو علان .

إنّني شخص آخر ، أنا شخصيًّا لا اعرفه واشعر بمتعةٍ فريدةٍ بالتّعرف إليها في أثناء جميع ما يحصل لي . هي كما أزعم إلقاء النفس في كائن آخر)) [٤٩] إن هذا التلاشي و الالتباس هو نتاج تاريخٍ طويلٍ حافلٍ بإشكاليات عدة منها بيت الأسرة في حي الاعظمية في بغداد الذي تعنونه

بـ (بيت الجحيم) قبل أن تطأ قدمها في باريس عدة سنين ((فأنا وديعة في البيت وضارية في الشارع)) [٥٠] يبدو أنّ للمكان سطوةً هنا ، علما أنّه لا ينفصل عن الزمان فرابطة المكان والحنين إليه مرتبطان بزمانه ، والهرب منه هو الهرب من زمانه أيضًا، وذلك من خلال فلسفة (الخوف) التي نثرتها الكاتبة بين طيات الفصول ، والتي لعبت دورًا مهمًا في فتح آفاقٍ تأويليةٍ خصبةٍ ((كنت الاحق الخوف الذي كان قائمًا في علامات الطريق بين النساء والرجال ، المعلّمات والخالات والعمّات، الأعمام ورجال الحي المتقشّف الذي أحيا وسطه)) [٥١] وهكذا يتحوّل المكان حسب وعي الفرد ((من تضاريس الجغرافيا إلى هواجس السيكولوجيا، ومن أقاليم الطبيعة إلى أقانيم الثقافة ، ومن سوسولوجيا المعاش إلى انثروبولوجيا الذاكرة ، ومن ترسيمات الواقع إلى تهويمات المتخيل)) [٥٢] ويزداد النص حدةً حين يشير إلى تدجين الحياة من السلطة السياسية والاجتماعية عن طريق (الخوف) بعده آلية لقضم مساحات الحرية((إنني من جيلٍ عراقٍ لم يغادرنا الخوف ولم نغادره)) [٥٣] ، فهو حاضر في نفسها ـ البطلة ـ سواء في الوقت الحاضر أم كلّما كانت بها حاجة للتواصل مع ماضيها ((لم أصل لليوم إلى شيء آخر. أعني ليس هو اللاخوف أيضًا . هو أمر آخر يرتبط بالرفض ، بالمفاهيم و الاكراهات الاجتماعية والسياسية بمرجعيات : العائلة ، الأحزاب الحاكمة ، الدين ، الغرب والشرق ...الخ . كنت أحاول أن أكون مقاتلةً بالمعنى الحرفيّ وليس المجازيّ للخوف ، خوفي)) [٥٤] أغلب الدّوال التي يتمّ توظيفها تشدّ النص نحو أفق المذكرات اليوميّة، فيخلق توازيًا بين الوعي التاريخي ومرجعية التوثيق ، مما يحيلنا على السيرة لكونها إحدى الأجناس الأدبية ، والكتابة التاريخية بعدها استنطاقات ذهنية ،وهذا يجعلنا نقف على الأسباب التي أدت إلى التغيرات في بنية المجتمع خلال تعاقب الأزمنة .علما إن الكاتبة حققت التوازنًا ملحوظًا بين الاشكالية التي صنعتها في تجنيس الكتاب و التباس الرؤى وصراع الهوية الذي رافق السارده.

يتغذّى النصّ على بعض المفارقات الساخرة ، والتي يسعى إلى تفجيرها بغية التعبير عن مشكلات الإنسان ، وعدّ هذا النمط من الممارسات الأدبية التي ذاع شيوعها في اغلب النصوص السّردية ، ومن خلاله توظف الكاتبة مفارقةً في أحد عنوانات الفصول الذي أسمته بـ (بشاشة الخوف) لكي توحي إلى المتلقي مدى تعايشها مع هذا الهاجس الذي لا يفارقها سواء في بلدها الأم أم بحكم وضعها مهاجرةً ترى هويتها تمحى بسبب الجانبين ، وإهمال وفساد بلدها وصرامة البلد المضيف ،ممّا أدخلها في محنةٍ ازدواجية الانتماء ((لا يجوز أن يعلو صوتك ، أو تصيبك المضايقة . تمامًا ، إنني اجهل القوانين وليست الوصفة سهلةً بالنسبة لي، هؤلاء القوم يوطّدون نظام الجمهوريّة وما عليّ إلا احترامهم من اجل ذلك وها أنا كمواطنة أجنبية أبذل جهدًا خارقًا لكي لا يبدو خوفي في الأوج على قسمات وجهي وجفاف فمي بل في موضعٍ آخر ، في ركبتيّ أو ساقيّ ، في

اختضاض صدري أو بشا شتي الكاذبة)) [٥٥] فالسّاردة تعاني أزمة تأسيس هويّةٍ ، بعد أن كانت تعاني الازدواجية نتيجة الأزمات النفسية والخوف الذي لا يفارقها ،ممّا زاد الأمر هشاشةً تعاملها مع (اللغة) ، ولاسيّما اللغة الفرنسية التي تتصارع مع تفاصيلها وهي متشبثة بلغتها الأم وتزداد قوةً وحبًّا لها كلما تنأى عن الوطن ((لماذا عليّ أن أتعلم الفرنسية وهي ليست من أوّليّات وجودي هنا .....اشعر أن لغتي العربية هي حصني الأخير الذي أملك ضدًّا للزوج ومؤسسة الزواج ، ووزارة العدل ، والدولة العراقيّة كلها. ضدًّا لجميع لغات العالم. فهي التي تجعلني أرى عظمي مكسوًّا باللّحم)) [٥٦] يتضافر السّرد المتشكل في السياق ليقف على مخاض الانتقال بين لغتين مختلفتين ممّا ولد انشطارًا لدى السّاردة ، ولاسيّما اللغويّ والنفسيّ ((هو المضيّ صوب الخرس اللغوي فتضاعف لساني أجنبيةً ولعثمةً وأنا ابتدع طرقًا ملتويةً في قطع دابر استخدام لساني الأصلي فهو ملك آخر ، حتى ليس ملكي الشّخصي ولا أنا من صناعته..)) [٥٧] يبدو أن الصراع متأزم لدى السّاردة ،إذ ترى ((أنّ التنظير للوطن أمر غبيّ ، وتفكيك أسره عمل فوق طاقتي وإرادتي)) [٥٨]. فهي مكبلة بهذا الوطن ومريضة به ((كان مرضي هو وطني الذي امتدّت خصوبته ودمامله وفساده إلى بدني ، فأنا انتمي لهذا المعلوم الذي لا ينفع معه أيّ نوعٍ من دواء الأولين والمحدثين)) [٥٩]. لذا فهي لا تستطيع أن تتخلّى عن لغتها لاستيعاب لغةٍ أخرى ((ليس لديّ أيّ سببٍ معقولٍ لتعلم اللغة ، اللغات ولن أحفل بها)) [٦٠]

ومن خلال اللغة تفتح السّاردة نافذةً على جدل الهويات ، لكونها إنسانة تبغي لذاتها أن تبقى بعيدةً عن الصراعات الإيديولوجية وألعوبة السياسة ((في بلدي كنت أوصم بالجانحة التي تستبيح اللغة ، المرجعيّة ، الجماعة ، والحزب)) [٦١] ثم تقول: ((تعلّم الفرنسية يستنزفني تمامًا، كما هو بلدي يسحب الدم من عروقي ، وما كنت امتلك الأمان اللغويّ وهذا ما صعّب عليّ الأمور كأجنبية)) [٦٢] وتعود السّاردة إلى أزمة البحث عن الوطن ((الأوطان موقّتة على الدوام)) [٦٣]. وسط ضياع الذات وأزمة تعلم لغة الآخر ، لذا تتخبط بين إشكالياتٍ وجوديةٍ طرحتها من خلال فعل الكتابة لترينا كيف واجهتها ، ساعيةً إلى الحرية والحصول عليها وسط ضياع المهاجر بين الوطن والبلد المضيف ، مما جعلها تمنح الحرية لشخصياتها الروائية ((وأنا احضر شخصيات رواياتي وتصرفاتها ولا أبددها سدًى . باريس برحابتها وعالميتها تدفعني للاشتغال على تدريب كائنات رواياتي على فعل الحرية)) [٦٤]

الخلاصة

إن الصّورة التي رسمتها الكاتبة في نصها لا تعكس فئةً بعينها ، بقدر ما تعكس صورة المهاجر عن الوطن الذي يصعب عليه الاندماج ، لتحيل على ذاتٍ ملتبسةٍ في أمرها، إذ لم تجد الذات المأزومة لغةً تتفق مع تأزمها، فتعصف بها سؤال الهويّة وقلق الذات ، لكونهما المحركين الأساسيين للخطاب ، فالخوف من فقدان الهويّة يحيل على الخوف من الانقراض ،وعليه وسمنا هذا الكتاب باللبس على نطاق الجوانب جميعًا ، ولاسيّما في عملية التواشج بين الزّمان والمكان حنينًا إليهما ، وهربًا منهما في آنٍ واحدٍ ، فالكتاب أبدى تناقضاتٍ كثيرةً

للتعبير عن الهرب الذي يشكل إحدى سماته الرئيسة ، مرةً باتجاه الذات من خلال العودة إلى حياة الطفولة ، ومرةً باتجاه الآخر، فحاولت عالية ممدوح من خلال تأملاتٍ وتنظيراتٍ واسعةٍ أن تفتح مجالاً أكبر للأحداث وأن تجعل من السّرد ملجأً آمناً لتسكين قلق الذات الممزقة ، مع الحبكة الروائية المنفرطة التي حققت انعطافاتٍ وتحولاتٍ داخل النص في أكثر من جانبٍ ، وشحنته بعدة بدلالاتٍ وهواجس نفسيةٍ حادةٍ ، لتقف في نهاية المطاف على إشكاليات وجودية متعلقة بالهويّة والمكان معًا.

الهوامش

(١) ينظر: البلاغة ومقولة الجنس الادبي ، محمد مشبال .
https://www.aljabriabed.net/n25_05machbal.(2).htm

(2) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور(ت٧١١هـ)، تحقيق: عامر احمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣: ٦/ ٥١.

(3) ينظر : م. ن : الصفحة نفسها .

(4) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد التهانوي، دار صادر، بيروت، سنة ١٨٦١م: ١ /٢٢٤.

(5) ينظر: التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، المعروف بالسيد الشريف، تحقيق : نصر الدين التونسي ، شركة القدس ، القاهرة _ مصر ، ط١ ، ٢٠٠٧ : ١٣٤.

(٦) ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية ، د. لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢: ٦٧ .

(7) ينظر : من اجل قوانين جديدة لتحديد الجنس الادبي ، جميل حمداوي .
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article3110

(8) ينظر: الجمهورية، أفلاطون ، ترجمة ودراسة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م:٢٦٧- ٢٧٠ . وينظر: فن الشعر، أرسطو طاليس، ترجمة :ابراهيم حمادة ،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة د. ت : ١٠_ ١٦

(9) ينظر: : فن الشعر : ٨٨_ ٩٦ .

(10) ينظر: مدخل لجامع النص ، جيرار جينيت ، ترجمة : عبد الرحمن ايوب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط١ ، د . ت : ١٨

(11) ينظر: م. ن : ١٦_١٧ .

(12) ينظر: م . ن : ٩٠ _ ٩٢.

(13) ينظر : المجمل في فلسفة الفن ، كروتشية ، ترجمة: سامي الدروبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١، ١٩٤٧: ٤٥_٩٦.

(14) ينظر : الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، الحسن بن بشر الآمدي ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦ : ٢٨ .

(١٥) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ابو الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتاب الشرقية ، ط١ ، تونس ، د.ت : ١٢.

(١٦) ينظر : قصيدة النثر العربية الاطار النظري ، احمد بزون ، دار الفكر الجديد ، ط١ ، ١٩٧٧ : ٣٥ _ ٦٣ .

(١٧) ينظر: دينامية النص الادبي وإشكالية التجنيس ، محمد صابر عبيد ، دار غيداء للنشر، الاردن، ط١ ، ٢٠١٦: ٩.

(١٨) م . ن : الصفحة نفسها .

(١٩) ينظر: السيميوطيقيا والعنونة ، جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، ع٣ ، المجلد الخامس والعشرون ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، كويت ، ١٩٩٧ :١٠٢ .

(٢٠) ينظر: م . ن : ١٠٥ .

(٢١) عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، عبد الحق بلعابد ، الدر العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف، ط١،٢٠٠٨ : ٤٤ .

(٢٢) ثريا النص مدخل لدراسة العنوان القصصي ، محمود عبد الوهاب ، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٣٩٦)، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٥: ٩.

(٢٣) الأجنبية ، عالية ممدوح ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت، ط١ ،٢٠١٣ : ٩٥ .

(٢٤) الرواية : ١٨٨ .

(٢٥) الرواية : ٦٩ .

(٢٦) الرواية : ٢٢٨ .

(٢٧) الرواية : ٢٠ _ ٢١ .

(٢٨) الرواية : ٢٠ .

(٢٩) حوار مع الروائية عالية ممدوح ، هديل عبد الرزاق احمد ، مؤسسة النور للثقافة والإعلام ، ٢٠١٣/٧/١٥ .
http://www.alnoor.se/article.asp?id=208399

(٣٠) الاجنبية : ١١٣ .

(٣١) الرواية : ٥٠.

(٣٢) ينظر: في فلسفة المكان الروائي الرواية المغاربية أنموذجا، ربيعة جلطي ، ٢٠١٠/١١/٥ .
https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/KhQB7B2KX34

(٣٣) الاجنبية : ٧ .

(٣٤) ينظر : السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، د. عبد الله ابراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ : ١٣.

(٣٥) في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٨ :٩١ .

(٣٦) ينظر: خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، جيرار جينيت ، ترجمة: محمد معتصم وآخرون ، منشورات الاختلاف ، المغرب ، ط٣ ، ٢٠٠٣ : ٢٥٩.

(٣٧) ينظر : قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ترجمة : السيد امام ، دار ميريت ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٣: ٢٤.

(٣٨) الاجنبية : ١٤ .

(٣٩) الرواية : ١٤ .

(٤٠) الرواية : ٦٢ _ ٦٣ .

(٤١) الرواية: ٦٣ .

(٤٢) ينظر : الرواية : ٢٠ .

(٤٣) الرواية : ٢٠٠_٢٠١ .

(٤٤) ينظر: الرواية : ٦٩ .

(٤٥) الزمان والسرد (الزمن والمروي)، بول ريكور ، ترجمة : سعيد الغانمي ، مراجعة جورج زيناتي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ : ٦ / ٤١٣ .

(٤٦) الاجنبية : ٩٣.

(٤٧) الرواية : ١١٣.

(٤٨) الرواية: ١١ .

(٤٩) الرواية: ١٣ .

(٥٠) الرواية : ٢٥ .

(٥١) الرواية: الصفحة نفسها .

(٥٢) الهوية الملتبسة (الشخصية العراقية وإشكالية الوعي بالذات) ، ثامر عباس ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٢ : ٢٢٠ .

(٥٣) الاجنبية : ١٩٢ .

(٥٤) الرواية : ٥١ .

(٥٥) الرواية : ٥٨ .

(٥٦) الرواية : ٦٤ .

(٥٧) الرواية: ١٦٤ .

(٥٨) الرواية: ٩٢ .

(٥٩) الرواية: ١٤٩ .

(٦٠) ا الرواية : ١٤٩ .

(٦١) الرواية: ٦٩ .

(٦٢) الرواية: ٧٩ .

(٦٣) الرواية: ٦٩ .

(٦٤) الرواية: ٧٣ .

المصادر والمراجع

اولًا: الكتب العربية.

- الأجنبية ، عالية ممدوح ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت، ط١ ،٢٠١٣ .
- التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، المعروف بالسيد الشريف، تحقيق : نصر الدين التونسي ، شركة القدس ، القاهرة _ مصر ، ط١ ، ٢٠٠٧.
- ثريا النص مدخل لدراسة العنوان القصصي ، محمود عبد الوهاب ، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٣٩٦)، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٥:
- دينامية النص الادبي وإشكالية التجنيس ، محمد صابر عبيد ، دار غيداء للنشر، الاردن، ط١ ، ٢٠١٦
- السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، د. عبد الله ابراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢.
- في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٨.
- قصيدة النثر العربية الاطار النظري ، احمد بزون ، دار الفكر الجديد ، ط١ ، ١٩٧٧.
- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد التهانوي، دار صادر، بيروت، سنة ١٨٦١م.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور(ت٧١١هـ)، تحقيق: عامر احمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣.
- معجم مصطلحات نقد الرواية ، د. لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢.
- منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ابو الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتاب الشرقية ، تونس ، ط١ ، د.ت.
- الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، الحسن بن بشر الآمدي ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦ .
- الهوية الملتبسة (الشخصية العراقية وإشكالية الوعي بالذات) ، ثامر عباس ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٢.

ثانيًا_ المصادر والمراجع المترجمة .

- الجمهورية، أفلاطون ، ترجمة ودراسة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، جيرار جينيت ، ترجمة: محمد معتصم وآخرون ، منشورات الاختلاف ، المغرب ، ط٣ ، ٢٠٠٣.
- الزمان والسرد (الزمن والمروي)، بول ريكور ، ترجمة : سعيد الغانمي ، مراجعة جورج زيناتي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦.
- عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، عبد الحق بلعابد ، الدر العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف، ط ١ ، ٢٠٠٨.
- فن الشعر، أرسطو طاليس، ترجمة :ابراهيم حمادة ،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة د. ت .

- قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ترجمة : السيد امام ، دار ميريت ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٣.
- المجمل في فلسفة الفن ، كروتشية ، ترجمة: سامي الدروبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١، ١٩٤٧.
- مدخل لجامع النص ، جيرار جينيت ، ترجمة : عبد الرحمن ايوب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط١ ، د . ت.

ثالثًا_ الدوريات والصحف

- السيميوطيقيا والعنونة ، جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، ع٣ ، المجلد الخامس والعشرون ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، كويت ، ١٩٩٧ .

رابعًا _ المواقع الالكترونية .

- البلاغة ومقولة الجنس الادبي ، محمد مشبال .
https://www.aljabriabed.net/n25_05machbal.(2).htm
- حوار مع الروائية عالية ممدوح ، هديل عبد الرزاق احمد ، مؤسسة النور للثقافة والإعلام ، ٢٠١٣/٧/١٥
http://www.alnoor.se/article.asp?id=208399
- في فلسفة المكان الروائي الرواية المغاربية أنموذجا، ربيعة جلطي ، ٢٠١٠/١١/٥ .
https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/KhQB7B2KX34
- من اجل قوانين جديدة لتحديد الجنس الادبي ، جميل حمداوي .
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article3110

مسوغات الابتداء بالنكرة

محمد أبو طاهر بن إبراهيم البري المدني (ت ١١٥٧هـ)

دراسة وتحقيق

أ.م.د. نصيف جاسم محمد الراوي
جامعة الأنبار – كلية التربية / القائم / قسم اللغة العربية
naseef40@yahoo.com

الملخص :

تناول البحث تحقيق احدى المخطوطات النحوية والتي كانت بعنوان (رسالة في بيان مسوغات الابتداء بالنكرة) لمحمد أبي طاهر بن إبراهيم البري المدني المتوفى عام ١١٥٧هـ ، وتضمن البحث دراسة عن حياة المؤلف وأهم مؤلفاته التي ذكرتها المصادر ، و دراسة مفصلة عن المخطوط الذي اعتمدت فيه على نسختين ، فتكلمت عن عنوانه وصحة نسبته لمؤلفه ، ومنهجه واهم المصادر التي استقى منها مادته النحوية وآراؤه وترجيحاته .وتناولت وصفا دقيقا للمخطوط ، وأما منهجي في تحقيق المخطوط واخراجه على الوجه الذي اراده مؤلفه ، فكان من خلال مقابلة النسخة الأم (أ) مع النسخة الثانية (ب) ، واثبات العبارة التي يستقيم معها الكلام وتخريج الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والشواهد الشعرية والاقوال من مصادرها ، والتعريف بالأعلام وتوضيح المفردات الغامضة.

Abstract

The research dealt with the achievement of one of the grammatical manuscripts, which was entitled "Letter in the statement of the reasons for the beginning of the story" by Muhammad Abi Taher ibn Ibrahim Al-Bari Al-Madani, who died in 1157 AH. The research included a study on the author's life and the most important works mentioned by the sources. A detailed study of the manuscript, , And I spoke about the title and validity of the author, and methodology and the most important sources from which he derived his grammatical material and his views and calibrations. I took a careful description of the manuscript, but systematic in the achievement of the manuscript and output on the face wanted by the author, was through (A) with the second copy (b), proving the phrase with which words are consistent, and graduating Quranic verses, Hadiths, poetic narratives and quotations from their sources, introducing the flags and clarifying the ambiguous vocabulary

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين

تناول هذا البحث تحقيق مخطوطة من مخطوطات النحوي العربي والتي كانت بعنوان (مسوغات الابتداء بالنكرة) لابي طاهر محمد بن ابراهيم البري المدني المتوفى ١١٥٧ هـ) وهي من الرسائل النحوية التي شرح فيها المؤلف مسألة من مسائل النحو معتمدا في ذلك على ما أورده ابن مالك و ابن هشام ،وقد قسمت بحثي على فصلين : الفصل الأول : خصصته للحديث عن المؤلف وحياته ومؤلفاته ، ومن ثم الحديث عن المخطوط ونسبته لمؤلفه وأهم المصادر التي استقى منها معلوماته ، وآراءه النحوية ، ومنهجي في تحقيق المخطوط .أما الفصل الثاني فكان مخصصا للنص المحقق ، اذ قمت بإخراج النص على اقرب صورة ارادها مؤلفه من خلال المقابلة بين النسختين اللتين اعتمدتهما ، وتخريج الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والابيات الشعرية ، وارجاع النصوص الى مصادرها الاصلية ، والتعريف بالأعلام المغمورة ، وتوضيح المفردات من المعاجم المختلفة .وختمت هذا البحث بقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في تحقيق هذه الرسالة النحوية . والله سبحانه وتعالى أسأل توفيقه وتيسيره ، والحمد لله في الأولى والآخرة

الفصل الأول

الدراسة

المبحث الأول : المؤلف وحياته

نسبه :

أبو طاهر محمد بن إبراهيم بن أحمد البري المدني ، ولد وتعلم وتوفي في المدينة المنورة ، نحوي حنفي[١]

ولادته :

ولد بالمدينة المنورة سنة ثمانين وألف ونشأ بها ، وكان شيخاً مهاباً عليه الوقار والسكينة ، تولى مشيخة الخطباء مدة ثم رفع نفسه منها ، وكان صالحاً مباركاً ،أخذ العلم عن والده وعن ملا إبراهيم بن حسن الكوراني والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي ، وغيرهم من العلماء الذين كانت حلقاتهم تزحم المسجد النبوي في عهده ، وكان من وجوه آل بري علماً وصلاحاً ، وقد تولى الإمامة بالمسجد النبوي مدة طويلة ثم تفرغ للتدريس ، وكانت وفاته بالمدينة سنة (١١٥٧هـ) [٢]

أسرته :

ينتسب المؤلف الى أسرة آل بري ، وهي من الأسر الكبيرة التي جمعت بين العراقة في النسب والعراقة في العلم ، إذ يرجع نسبهم الى محمد بن الحنفية (رضي الله عنه)[٣]

وقد استوطن رجالها الأوائل في قرية فرّيانة بتونس ، ومنهم القاضي أحمد المغربي الفرياني والذي ترجم له كثير من المؤرخين ، قدم المدينة المنورة في حدود سنة (٩٠٠ هـ) وتولى بها قضاء المالكية وكان عالما فاضلا ، توفي سنة (٩٧٠هـ) [٤]

وقد كان لهذه الأسرة عدد كبير من العلماء الذين تولوا مناصب علمية عدة كالإمامة والقضاء والإفتاء ، إذ أقبلوا على مدارسة العلم وتدريسه بالمسجد النبوي ، ومن هؤلاء الشيخ إبراهيم بن أحمد البري (ت ١١٣٠هـ) والد المؤلف إذ كان عالماً فاضلاً ، تولى نيابة القضاء ، كما تولى إفتاء الحنفية[٥]

مؤلفاته :

١-الفتاوى البرية في الحوادث الحالية ، وهي عبارة عن فتاوى والده قام بجمعها[٦]

٢-شرح الرامزة في العروض[٧]

٣-اللؤلؤ المهذب في عمل الربع المجيب ، وهو من مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس[٨]

٤-مسوغات الابتداء بالنكرة ، وهو موضوع البحث[٩]

وقد ذكر خير الدين الزركلي في الأعلام ان للمؤلف عددا من الرسائل الصغيرة في النحو ، ولم يشر الا الى المخطوط موضوع البحث

المبحث الثاني : المخطوط

١-نسبة المخطوط الى مؤلفه

ذكرت المصادر نسبة هذا المخطوط الى محمد بن إبراهيم البري ، ومن هذه المصادر الإعلام لخير الدين الزركلي [١٠] ،وكذلك فهارس المخطوطات التي أشارت الى المخطوط منسوباً الى مؤلفه[١١] ، وقد صرّح المؤلف باسمه في نهاية المخطوط بقوله : (قاله مؤلفها محمد أبو طاهر ابن إبراهيم المدني عفى الله عنهما وغفر زللهما ، بمنزله بظاهر المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة و أزكى السلام) ، كذلك ما كتب على الصفحة الأولى من المخطوط مصرحاً باسم بعنوان الرسالة واسم مؤلفها .

٢-منهجه

تناول المؤلف في رسالته : مسوغات الابتداء بالنكرة ، التي ذكرها النحويون ، وقد أشار المؤلف الى ذلك في مقدمته بقوله (المقصود في هذه الوريقات نقل ما يتعلق بمسوغات الابتداء بالنكرة مما ذكره النحاة مع خدمة عبارة الخلاصة هنا ، وعبارة شرحها للحافظ السيوطي) ، فالمؤلف يبين منهجه وهدفه من تأليف هذه الرسالة والتي هي شرح لخلاصة ابن مالك ، وشرحها للسيوطي في كتابه (البهجة المرضية) فيما يتعلق بمسألة بمسوغات الابتداء بالنكرة ، ومما يلاحظ على منهج هذه الرسالة أن المؤلف قد ذكر كثيراً ما أورده ابن هشام في المغني عن مسوغات الابتداء بالنكرة وقارن بين ما أورده ابن مالك وما أورده ابن هشام ، ولم يكتف بذلك بل نجده قد أضاف مسوغات لم يذكرها الناظم ولا الشارح معتمداً على المغني ، فيقول : (وبقي من

مسوغات المغني العشرة واحد لم يتعرض له وهو الثالث ، فليضف لما سبق) ، ثم يقول : (وقد فرغ الكلام على جميع مسوغات المغني العشرة بمنة الله وإعانته) ثم يضيف بعد ذلك ما أضافه ابن عقيل في شرح الألفية بقوله :(والمراد بعد هذا ذكر ما زاده ابن عقيل في شرح الألفية على هذه المذكورات ، ليعلم أنه داخلة فيما سبق)

٣- مصادره

اعتمد المؤلف في رسالته على مصادر كثيرة و متنوعة شملت كتباً في النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه ، ومنها :

١-شرح الدماميني على مغني اللبيب للإمام محمد بن ابي بكر الدماميني (ت ٨٢٨ هـ)

٢-المنهل الصافي في شرح الوافي للدماميني (ت ٨٢٨ هـ)

٣-حاشية الشمني على مغني اللبيب لأحمد بن محمد بن محمد بن حسن ابن علي الشمني (ت ٨٧٢هـ)

٤-مغني اللبيب لابن هشام

٥ -حاشية ياسين على الألفية

٦-حاشية ابن قاسم على النكت للسيوطي ، وهو احمد بن قاسم العبادي (ت ٩٩٢ هـ) فقيه شافعي له مؤلفات في النحو

٧-البهجة المرضية للسيوطي

٨-التصريح على التوضيح

٩-شرح الوافية نظم الكافية لابن الحاجب

١٠-التلويح للسعد التفتازاني وهو كتاب في أصول الفقه

١١-التلخيص في وجوه البلاغة للسكاكي

١٢-النكت على الألفية للسيوطي

١٣-التسهيل لأبي حيان

١٤-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك

١٥- -شذور الذهب لابن هشام

٤- آراؤه وترجيحاته النحوية

لم يكتف أبو طاهر البري بعرض المسوغات التي ذكرها النحويون بل نجده يرجح أحياناً رأياً على آخر ، ويعترض أحياناً أخرى وسأذكر هنا بعض الأمثلة على ذلك :

١-يرى أبو طاهر البري أن تقديم الجار والمجرور في هذا الباب لا يعد مسوغاً مستقلاً فيقول : ((وعليه فهو داخل فيما مسوغه الوصف المقدر ، فلا يجب أن يعد مستقلاً))

٢-ونجده يتحدث عن الجار والمجرور بقوله (هل المجرور وحده خبر كما في ظاهر العبارة أم مع جاره ؟ الجواب: مع جاره))

٣-تكلم على الاستفهام بكونه مسوغاً من المسوغات ، ثم بين رأيه في ذلك بقوله : ((فالمسوغ في الحقيقة العموم ، والاستفهام إنما كان مسوغاً باعتبار وجود العموم فيه)) ، فهو هنا يرجح رأي ابن هشام في المغني ، فلا يعد الاستفهام مسوغاً مستقلاً

٤-ذهب أيضاً الى أن ما تقدمه نفي لا يعد مسوغاً مستقلاً بل يدخل تحت ما مسوغه العموم

٥-ردَّ رأي ابن هشام في كون معنى الفعل مسوغاً من مسوغات الابتداء بالنكرة بقوله: ((هل يمكن جعل هذا السابع في عدّ ابن هشام داخلاً في غيره فيكون هو ممن كثّر الأقسام بعدّ المتداخل ؟ فالجواب : يمكن)) ثم ذكر أن هذا يمكن إدخاله فيما مسوغه العمل .

٦- ومن ذلك أيضاً تفريقه بين : كل يموت ، ورجل مات ، فيرى أن الجملة الأولى فيها إيقاظ من سنة الغفلة وتذكير لمن لا يوقن بالموت ، فتحصل بها الفائدة ، بخلاف الجملة الثانية .

ثالثا : وصف المخطوط

اعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة على نسختين محفوظتين في مكتبة جامعة الرياض ضمن مجموع يحمل الرقم (٨٢ / ٨٠٦ م) يضم ٢٥ رسالة في النحو والصرف ، وبقياس ١٤x١٩ سم ، وقد كان عدد أوراق النسخة الأولى (٩) أوراق وعلى وجهين ، بينما شملت النسخة الثانية (١١) ورقة وعلى وجهين أيضا .

فالنسخة الأولى طمس فيها عنوان المخطوط وقد كتب عليها (ملك أبو بكر علي بن خالد الجعفري المدني) ، ويبدو أنه هو الناسخ لهذه النسخة كما أشار الى ذلك في نهاية المخطوط .

وكان عدد الأسطر في كل صفحة (٢٥) سطراً ، وقد وضع الناسخ بعض الحواشي التي قام من خلالها بتوضيح بعض المسائل والتعليق عليها ، وبعضها تصحيح لما وقع فيه من خطأ.

ابتدأت هذه النسخة بمقدمة يبين فيها المؤلف الهدف من تأليفه لهذه الرسالة بقوله: ((بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وذريته وأمته وسلم تسليماً ، الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، المقصود من هذه الوريقات نقل ما يتعلق بمسوغات الابتداء بالنكرة مما ذكره النحاة ..))

وختمت هذه النسخة بقوله: ((قاله مؤلفها محمد أبو طاهر ابن إبراهيم المدني عفى الله عنهما وغفر زللهما آمين ، بمنزله بظاهر المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة وأزكى السلام ...))

وقد امتازت هذه النسخة بحسن خطها ووضوحها وخلوها تقريباً من الطمس أو الخرم ، كذلك تمامها إذ لم يسقط منها شيء ، وأيضاً نجد الناسخ يشير الى أنه نسخها من نسخة المؤلف بقوله: ((نقلتها من نسخة مؤلفها وقابلتها ، والحمد لله على ذلك ، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة ١١١٨ على يد أفقر الورى أسير الذنوب أبي بكر بن علي بن عبد الله بن خالد الجعفري المدني)) .

ولذلك اخترت هذه النسخة لتكون هي النسخة الأم ، وقد رمزت لها بالرمز (أ)

أما النسخة الثانية فكتب على ورقتها الأولى عنوان المخطوط (رسالة فيها بيان مسوغات الابتداء بالنكرة ، جمعها أفقر الورى محمد أبو طاهر غفر عنه زلله وأصلح عمله آمين) .

وكان عدد الأسطر في الصفحة الواحدة (٢٣) سطراً ، وأيضا ضمت هذه النسخة بعض الحواشي التوضيحية .

ابتدأت بقوله : ((بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، المقصود في هذه الوريقات نقل ما يتعلق بمسوغات الابتداء بالنكرة مما ذكره النحاة ....))

وختمت بقوله: ((والله أسأل أن يحسن من عبده الحال والمآل والقال والفعال بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه خير صحب وآل ، آمين)) ، وهذه الخاتمة هي نفسها في النسخة الأولى ولكن من دون ذكر للمؤلف أو الإشارة إليه .

وختمها الناسخ بقوله: ((وكان الفراغ من كتابة هذه الوريقات المباركة يوم الجمعة المباركة ضحوة النهار لست خلت من شهر شوال المبارك من سنة ١١٤٣ على يد الفقير الى الله تعالى محمد بن إبراهيم إمام مصلي ...))

وقد أصاب هذه النسخة سقط في عدد من الأسطر فلذلك جعلتها نسخة للمقابلة مع النسخة الأم ورمزت لها بالرمز (ب)

رابعا : منهجي في التحقيق

١-مقابلة النسخة الأم (أ) مع النسخة الثانية (ب) ، واثبات العبارة التي يستقيم معها الكلام .

٢-تخريج الآيات القرآنية ، ووضعها بين قوسين مزهرين بخط قرآني ،وأثبت التخريج في متن النص المحقق بين قوسين معقوفين

٣-تخريج الأحاديث النبوية من كتب الحديث النبوي

٤-تخريج الشواهد الشعرية من دواوين الشعراء أو المجموعات الشعرية ونسبة ما لم ينسب الى قائله

٥-تخريج الأقوال من المصادر والمراجع ونسبتها الى أصحابها .

٦-التعريف بالأعلام المغمورة .

٧-توضيح بعض المفردات من خلال الرجوع الى المعاجم .

٨-وضع المفردات التي تختلف فيها النسخة (أ) عن النسخة (ب) بين معقوفتين ، والإشارة الى ذلك في الهامش

٩-استخدمت الأقواس ( ) للنصوص التي نقلها المؤلف من المصادر والمراجع المختلفة .

١٠-رمزت للوجه الأول من الصفحة بالرمز (أ) وللوجه الثاني بالرمز (ب) مع رقم كل صفحة من صفحات المخطوط، وجعلتها في متن النص المحقق ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة .

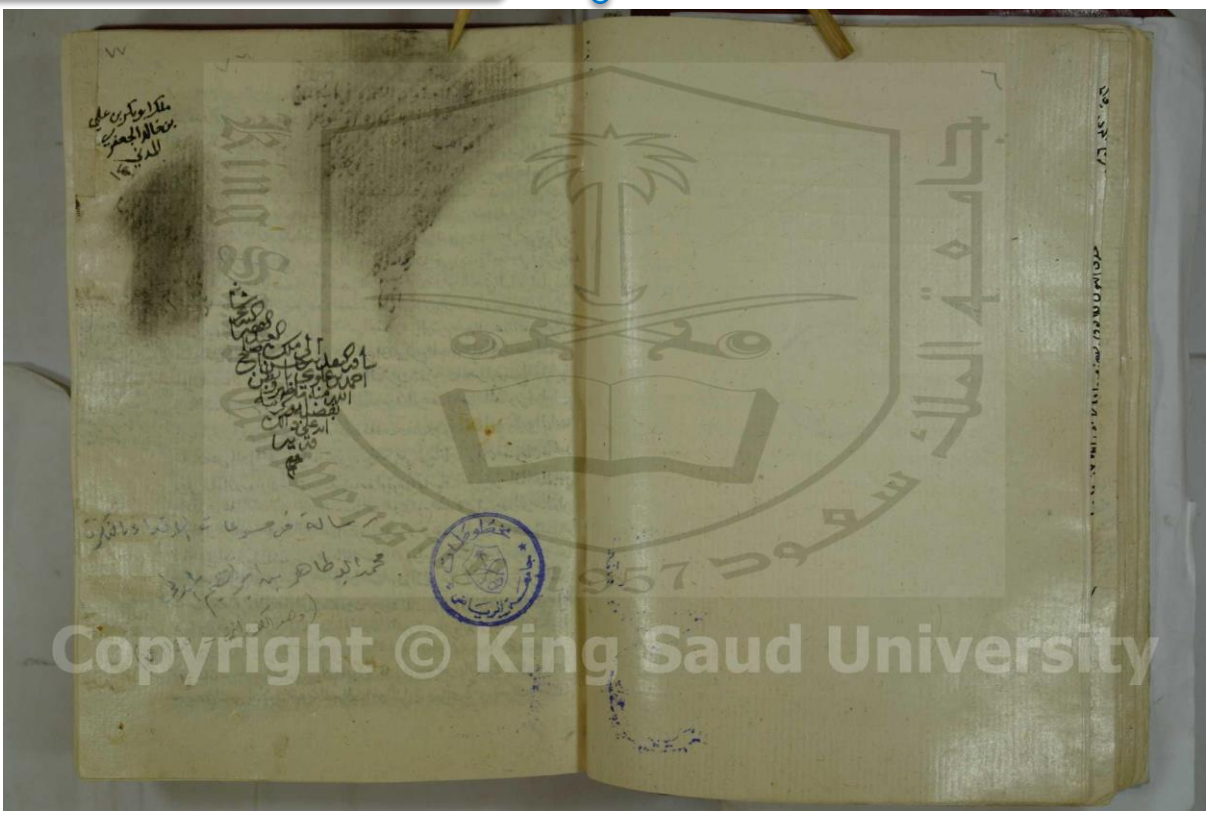
Copyright © King Saud University

الورقة الأولى من النسخة (أ)

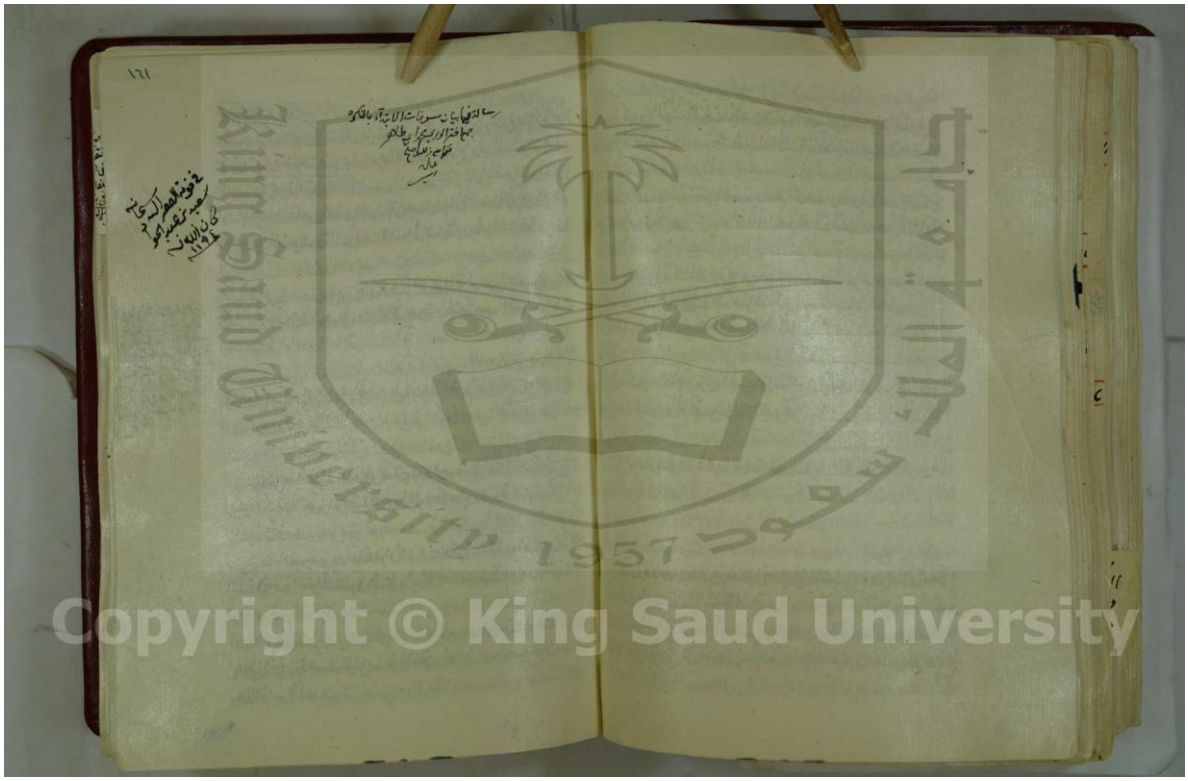
Copyright © King Saud University

الورقة الأولى من النسخة (ب)

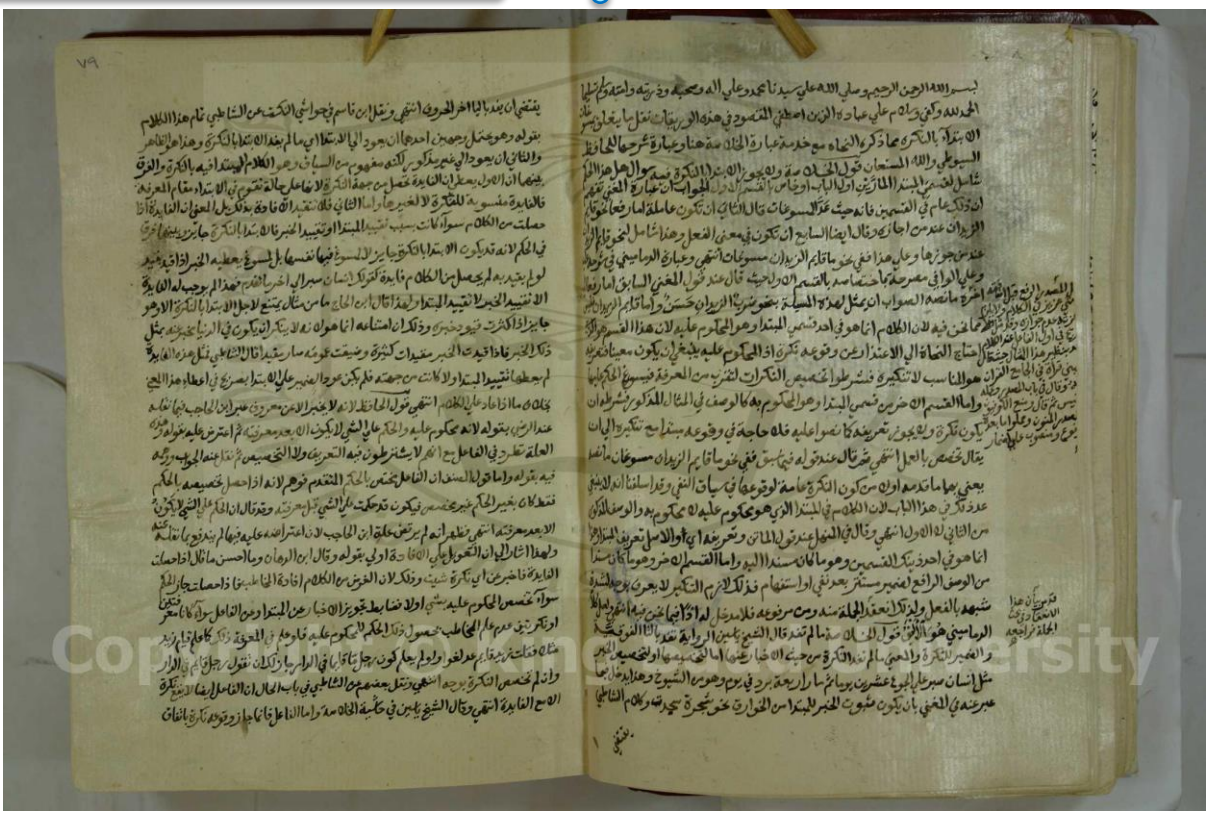

الصفحة الأولى من النسخة (أ)

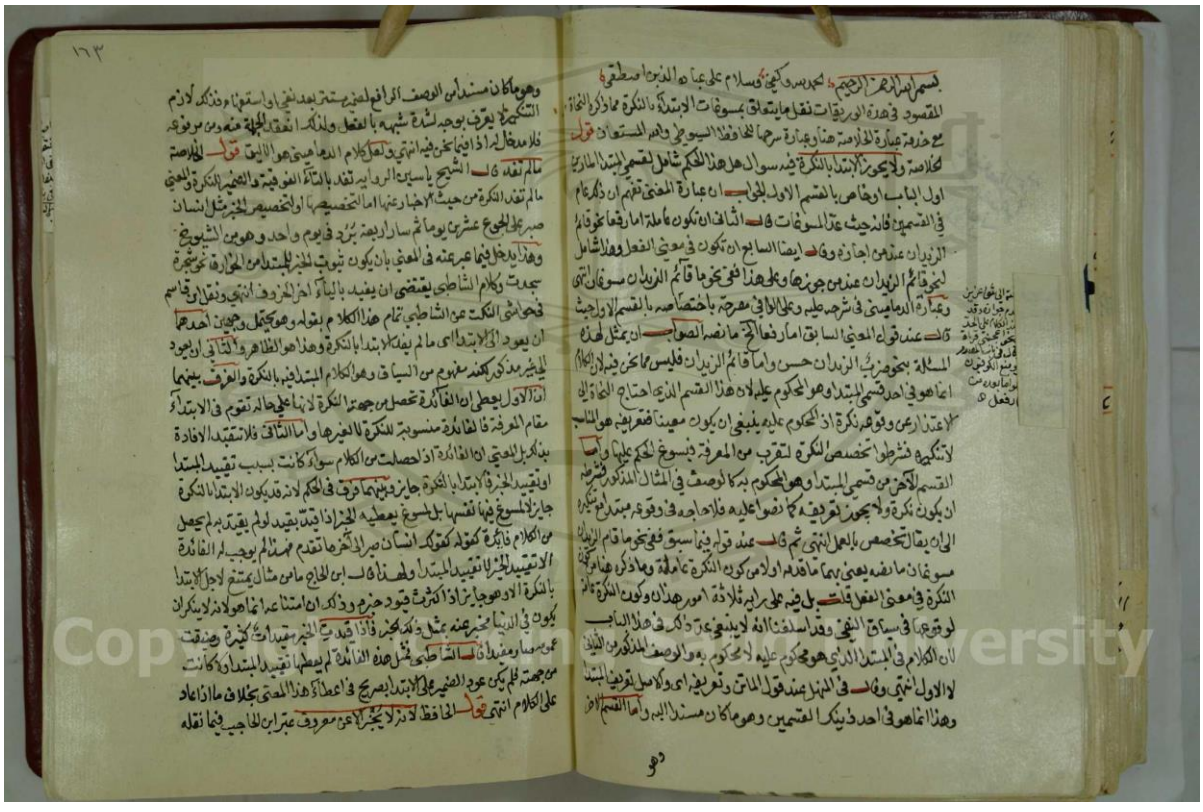

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

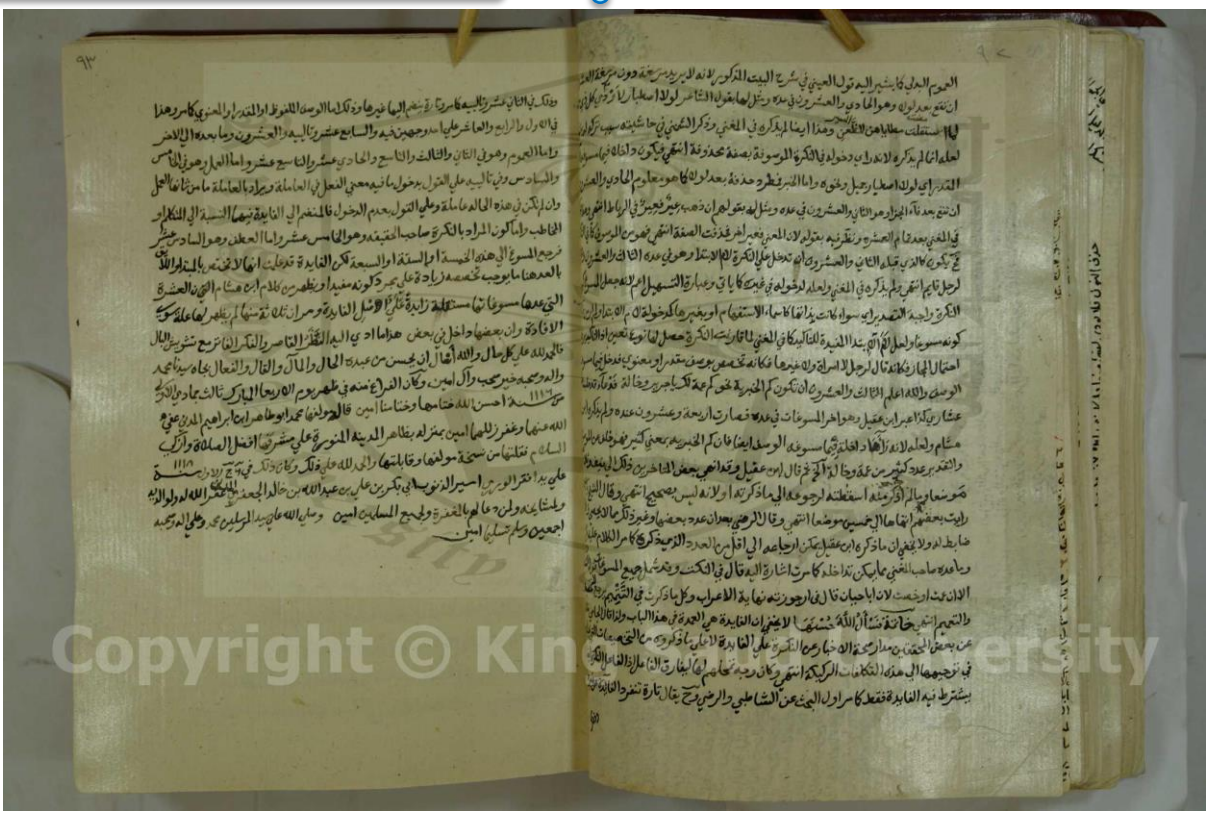

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

الفصل الثاني

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وذريته وأمته وسلم تسليما[١٢]

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، المقصود في هذه الوريقات نقل ما يتعلق بمسوغات الابتداء بالنكرة مما ذكره النحاة مع خدمة عبارة الخلاصة[١٣] هنا وعبارة شرحها للحافظ السيوطي[١٤] ، والله المستعان ، قول الخلاصة : ولا يجوز الابتداء بالنكرة[١٥] ، فيه سؤال : هل هذا الحكم شامل لقسمي المبتدأ المارّين أول الباب ؟ أو خاص بالقسم الأول ؟ الجواب : إن عبارة المغني تفهم أن ذلك عام في القسمين ، فإنه حيث عدّ المسوغات قال :الثاني : أن تكون عاملة ، إما رفعا نحو: قائم الزيدان ، عند من أجازه[١٦] ، وقال أيضا : السابع : أن تكون في معنى الفعل ، وهذا شامل لنحو :قائم الزيدان ، عند من جوزها ، وعلى هذا ففي نحو: ما قائم الزيدان ، مسوغان ، انتهى[١٧] .

وعبارة الدماميني في شرحه عليه وعلى الوافي[١٨] مصرحة باختصاصه بالقسم الأول ، حيث قال عند قول المغني السابق :إما رفعا ..الى آخره[١٩] ، ما نصه : الصواب أن يمثل لهذه المسألة بنحو: ضربٌ الزيدان حسنٌ ، وأما : قائم الزيدان ، فليس مما نحن فيه ،لأن الكلام إنما هو في أحد قسمي المبتدأ ، وهو المحكوم عليه ، لأن هذا القسم هو الذي احتاج النحاة الى الاعتذار عن وقوعه نكرة إذ المحكوم عليه ينبغي أن يكون معيناً ، فتعريفه هو المناسب لا تنكيره ، فشرطوا تخصيص النكرة[٢٠] لتقرب من المعرفة ، فيسوغ الحكم عليها ، وأما القسم الآخر من قسمي المبتدأ ، وهو المحكوم به كالوصف في المثال المذكور، فشرطه أن يكون نكرة ولا يجوز تعريفه كما نصوا عليه ، فلا حاجة في وقوعه مبتدأ مع تنكيره إلى أن يقال: تخصص بالعمل[٢١] ، انتهى. ثم قال عند قوله فيما سبق :ففي نحو : ما قائم[٢٢] الزيدان ، مسوغان ، ما نصه : يعني بهما ما قدمه أولاً من كون النكرة (عاملة ، وما ذكره هنا من كون النكرة في معنى الفعل .قلت :بل فيه على رأيه ثلاثة أمور :هذان وكون النكرة)[٢٣] عامة لوقوعها في سياق النفي ، وقد أسلفنا أنه لا ينبغي عدّ ذلك في هذا الباب ، لأن الكلام في المبتدأ الذي هو محكوم عليه لا محكوم به ، والوصف المذكور من الثاني لا الأول ، انتهى [٢٤]. وقال في المنهل[٢٥] عند قول الماتن : وتعريفه ، أي : والأصل تعريف المبتدأ ، وهذا إنما هو في أحد ذينك القسمين ، وهو ما كان مسندا إليه ، وأما القسم الآخر ، وهو ما كان مسندا من الوصف الرافع لضمير مستتر بعد نفي أو استفهام ، فذلك لازم التنكير لا يعرّف بوجه لشدة شبهه بالفعل ولذلك انعقد الجملة منه ومن مرفوعه فلا مدخل له إذاً فيما نحن فيه ، انتهى [٢٦]. ولعل كلام الدماميني هو الأليق .

قول الخلاصة : ما لم تفد[٢٧] ، قال الشيخ ياسين : الرواية : تفد بالتاء الفوقية ، والضمير للنكرة ، والمعنى : ما لم تفد النكرة من حيث الإخبار عنها ، إما لتخصيصها أو لتخصيص الخبر ، مثل :إنسانٌ صبر على الجوع عشرين يوما ثم سار أربعة برد في يوم[٢٨] وهو من الشيوخ ، وهذا يدخل فيما عبّر عنه في المغني[٢٩] :بأن يكون ثبوت

الخبر للمبتدأ من الخوارق ، نحو: شجرة سجدت ، وكلام الشاطبي (١ أ) / يقتضي أنّ (يفد) بالياء آخر الحروف[٣٠] ، انتهى .

ونقل ابن قاسم[٣١] في حواشي النكت عن الشاطبي تمام هذا الكلام بقوله :وهو يحتمل وجهين :أحدهما :أن يعود إلى الابتداء ، أي: ما لم يفد الابتداء بالنكرة ، وهذا هو الظاهر ، والثاني :أن يعود إلى غير مذكور لكنه مفهوم من السياق ، وهو الكلام المبتدأ فيه بالنكرة ، والفرق بينهما أن الأول يعني أن الفائدة تحصل من جهة النكرة لأنها على حالة تقوم في الابتداء مقام المعرفة ، فالفائدة منسوبة للنكرة لا لغيرها ، وأما الثاني :فلا تتقيد الإفادة بذلك ، بل المعنى أن الفائدة إذا حصلت من الكلام سواء كانت بسبب تقييد المبتدأ أو تقييد الخبر ، فالابتداء بالنكرة جائز وبينهما فرق في الحكم لأنه قد يكون الابتداء بالنكرة جائز لا لمسوغ فيها نفسها ، بل لمسوغ يعطيه الخبر إذا قيد بقيد لو لم يقيد به لم يحصل من الكلام فائدة ، كقولك : إنسان صبر ، إلى آخر ما تقدم[٣٢] ، فهذا لم يوجب له الفائدة إلا تقييد الخبر لا تقييد المبتدأ ، ولهذا قال ابن الحاج[٣٣] : ما من مثال يمتنع لأجل الابتداء بالنكرة إلا وهو جائز إذا كثرت قيود خبره ، وذلك أن امتناعه إنما هو لأنه لا ينكر أن يكون في الدنيا مخبر عنه بمثل ذلك الخبر ، فإذا قيدت الخبر مقيدات كثيرة وضيقت عمومه صار مفيداً [٣٤]، قال الشاطبي :فمثل هذه الفائدة لم يعطها تقييد المبتدأ ولا كانت من جهته ، فلم يكن عود الضمير على الابتداء بصريح في إعطاء هذا المعنى بخلاف ما إذا عاد على الكلام[٣٥] ، انتهى . قول الحافظ: لأنه لا يخبر إلا عن معروف[٣٦] ، عبر ابن الحاجب فيما نقله عنه الرضي بقوله :لأنه محكوم عليه ، والحكم على الشيء لا يكون إلا بعد معرفته[٣٧] ، ثم اعترض عليه بقوله : وهذه العلة تطرد في الفاعل مع أنهم لا يشترطون فيه التعريف ولا التخصيص[٣٨] ثم نقل عنه الجواب ووهمه فيه بقوله : وأما قول المصنف : إنّ الفاعل مختص بالحكم المتقدم، فوهم لأنه إذا حصل تخصيصه بالحكم فقط كان بغير الحكم غير مخصص فيكون قد حكمت على الشيء قبل معرفته ، وقد قال :إنّ الحكم على الشيء لا يكون إلا بعد معرفته ، انتهى[٣٩] . فظهر انه لم يرتض علة ابن الحاجب ، لأنّ اعتراضه عليه فيها لم يندفع بما نقله عنه ، ولهذا أشار إلى أن التعويل على الإفادة أولى ، بقوله : وقال ابن الدهان - وما أحسن ما قال- : إذا حصلت الفائدة فأخبر عن أي نكرة شئت ، وذلك لأن الغرض من الكلام إفادة المخاطب ، فإذا حصلت جاز الحكم سواء تخصّص المحكوم عليه بشيء أو لا . فضابط تجويز الإخبار عن المبتدأ وعن الفاعل سواء كانا معرفتين أو نكرتين عدم علم المخاطب بحصول ذلك الحكم للمحكوم عليه ، فلو علم في المعرفة ذلك ، كما علم : قيام زيد مثلاً ، فقلت :زيد قائم ، عُدّ لغواً ، ولو[٤٠] لم يعلم كون : رجل ما قائما في الدار ، جاز لك أن تقول: رجل قائم في الدار ، وإن لم تخصص النكرة بوجه ، انتهى[٤١] . ونقل بعضهم عن الشاطبي في باب الحال :أنّ الفاعل أيضاً لا يقع نكرة إلا مع الفائدة[٤٢] ، انتهى . وقال الشيخ ياسين في حاشية الخلاصة : وأما الفاعل فإنما جاز وقوعه نكرة باتفاق (١ ب) / لما ذكره ابن الحاجب ، واعتراض الرضي عليه مدفوع ، انتهى[٤٣] . ولعل ما ذكره ابن الحاجب هو ما نقله الشمني في حاشية المغني عنه ، بقوله - وعبارته في أمالي كافيته- :الفاعل يجوز أن يكون نكرة وإن كان في المعنى محكوما

عليه لما فيه من التخصيص ، ووجه التخصيص في الفاعل أنّ حكمه لما كان متقدماً صار المحكوم عليه لا يذكر إلا بعد تقرر الحكم في الذهن ، فلما تقدم العلم بالحكم صار كالصفة في كونه متقدماً عليه ، لكون الصفة لا فرق بينها وبين الخبر إلا تقدم العلم بها دونه ، فمن ثم جاز أن يكون الفاعل نكرة [٤٤]، انتهى كلامه انتهى . ومنه أخذ الجامي[٤٥]، وذلك قوله في (شرٌ أهرّ ذا ناب ، لتخصيصه بما تخصص به الفاعل : وما يتخصص به الفاعل قبل ذكره هو صحة كونه محكوما عليه بما أسند إليه ، فإنك إذا قلت : قام ، علم منه أنّ ما يذكر بعده أمر يصح أن يحكم عليه بالقيام ، فإذا قلت : رجل ، فهو في قوة رجل موصوف بصحة القيام [٤٦]، انتهى . فاتضح (بحلّه) - رحمه الله - كلام ابن الحاجب ، وظهر أنه لا اعتراض عليه ، كما قال الشيخ ياسين ، وتوهيم الرضي له آنفاً ، إنما هو على ظاهر العبارة التي نقلها عنه ، وهي كما ترى غير العبارة التي نقلها الشمني عن الأمالي ، ولعل الرضي نقلها بالمعنى ، وتوجيهها ممكن ، بأن تجعل (الباء) في قوله (بالحكم) سببية ، أي :مختص بسبب الحكم ، أي أن الحكم سبب في تخصيص الفاعل بمخصص ما ، لأنه يحصل من تقدم العلم بالحكم تخصص الفاعل بما هو بمنزلة الصفة ، كما مرّ ، وليس مراده أن المخصص هو الحكم ، والله أعلم .

هذا والقصد الآن التكلم على المسوغات وعلى ما أورد الناظم والشارح الحافظ[٤٧] منها فيقال :لا يخفى اختلافهم فيها ، كما يدل عليه قول المغني : لم يعول المتقدمون في ضابط ذلك إلا على حصول الفائدة ، ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدي إلى مواطن الفائدة ، فتتبعوها فمن مقل مخل، ومن مكثر مورد ما لا يصح ، أو معدد لأمور متداخلة. والذي يظهر لي أنها منحصرة في عشرة أمور[٤٨] ،(انتهى)[٤٩] . وساقها

والمراد أن ما ذكره الناظم والشارح الحافظ هنا ، هل يرجع إلى العشرة التي عدّها أو يزيد أو ينقص ؟ ويظهر ذلك بالتكلم عليها واحداً واحداً ، وقد أشار الناظم إلى ستة منها بالأمثلة [٥٠]، الأول :أن يتقدم الخبر وهو ظرف أو مجرور مختص ، مثال الأول: عند زيد نمرة ، مثال الثاني : في الدار رجل ، وفيه أسئلة : أحدها : هل هو من المسوغات التي ذكرها ابن هشام ؟ الجواب : نعم ، وهو الرابع منها[٥١] . ثانيها :لم كان مسوغاً ؟ الجواب :ما ذكره الجامي بقوله : لتخصيصه بتقديم الخبر ، لأنه إذا قيل : في الدار ، علم أن ما يذكر بعده : موصوف بصحة استقراره في الدار ، فهو في قوة التخصيص بالصفة [٥٢]، انتهى .وعليه فهو داخل فيما مسوغه الوصف المقدر ، فلا يجب أن يعدّ مستقلاً . ثالثها: هل يختص هذا التسويغ بالظرف والمجرور أو يوجد في غيرهما ؟ الجواب :إن مثلهما في ذلك الجملة عند ابن مالك[٥٣] ، قال الشمني : قال أبو حيان :ولا أعلم أحداً أجرى الجملة مجرى الظرف إلا هذا المصنف ، يعني :ابن مالك [٥٤]، انتهى . مثالها : قصدك غلامه رجل ، ولم يتعرض لها الشارح اقتصارا على المشهور المتفق عليه . رابعها :هل المجرور وحده خبر كما (في)[٥٥] ظاهر العبارة أم مع جاره ؟ الجواب :مع جاره ، قال الشمني :وأراد بالمجرور (٢ أ) / مجموع الجار والمجرور[٥٦] ، انتهى . واكتفى الشارح[٥٧] هنا به لما سبق منه عند قول الناظم :

واخبروا بظرفٍ أو بحرف جر[٥٨]

حيث قال : مع مجروره . خامسها : ما معنى المختص ؟ الجواب: ما ذكره الشمني بقوله :المراد بالاختصاص هنا أن يكون (المجرور)[٥٩] بالحرف والمضاف إليه الظرف والمسند إليه في الجملة صالحاً للإخبار عنه[٦٠] ، انتهى . أي : فلو لم يكن ، لم يصلح مسوغاً ،قال في المغني : فلو قيل :في دار رجل ، لم يجز لأن الوقت لا يخلو عن أن يكون فيه رجل ما (في دار ما)[٦١]، . فلا فائدة في الإخبار بذلك[٦٢] ، ونقل الشيخ ياسين عن الشاطبي : أنه قد يفيد حيث يكون الظرف غير مختص ، نحو: في كل أربعين شاةً شاةٌ[٦٣] ، وفي خمس ذوْد شاة[٦٤] ، قال ابن هشام في الحواشي : وشرطه صحة الابتداء بالمجرور ،وما أضيف إليه الظرف ، ولا يشترط كونهما معرفتين بدليل قوله { لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ } [الرعد ٣٨] ولا شك أن لفظ (كلّ) يصح الابتداء بها ، وتخصصت بالعموم لذاتها لا بالإضافة إلى النكرة[٦٥] ، انتهى .سادسها :هل تقديم الخبر المذكور للتسويغ فقط فيعد منها ، أو لخوف التباس الخبر بالصفة فقط فلا يعد ، أم لهما معاً فيعد أيضاً ؟ والجواب: أنهم اختلفوا في ذلك ، فعبارة الشرح هنا تفهم أن له دخلاً في التسويغ ، وعبارة المغني :تفهم أنه لا دخل له فيه ، بل لخوف اللبس فقط ، حيث قال : وشرط الخبر فيهنّ الاختصاص ، ثم قال بصيغة التبري : قالوا : والتقديم فلا يجوز :رجل في الدار ،وأقول : إنما وجب التقديم هنا لدفع توهم الصفة ،(أي: المجرور والظرف والجملة ، انتهى)[٦٦]. واشتراطه هنا يوهم أن له دخلاً في التخصيص [٦٧]، انتهى . قال الشمني متمماً لكلامه :وليس كذلك ، ويدل على ما (قلنا)[٦٨] أنهم ذكروا المسألة فيما يجب فيه تقديم الخبر[٦٩] ، قال في المغني :وذاك موضعها ، وعبارة الشيخ ياسين صدرها يوافق المغني ، وآخرها يجوّز أن يكون التقديم لهما ، حيث قال عند قول الناظم فيما يأتي ، ونحو: عندي درهم ، ما نصه : ليس بتكرار مع ما تقدم من قوله: كعند زيد نمرة ، لأن ذاك في مسوغ الابتداء ، وإنما قدم الظرف ضرورة ، فإن تأخيره ملبس ، لا للتسويغ ، وهنا لبيان أن التقديم واجب لدفع الإلباس ، وعلى (تسليم)[٧٠] أنّ للتقديم دخلاً في التسويغ ، لا مانع أن يحصل به أمران ، نبه فيما مرّ على أحدهما ، وهنا على الآخر[٧١] ، انتهى .

الثاني :أن يتقدمها استفهام ، وفيه أسئلة : أحدها :هل هو أحد المسوغات التي عدها ابن هشام ؟ الجواب: نعم ، وهو الخامس[٧٢] ، إلا أن عبارته أشمل من عبارة الشارح هنا ، ولعل الشارح عبر بذلك لينطبق عليه تمثيل الناظم ، وإلا فالمسوغ يعم ما يكون المبتدأ فيه اسم استفهام ، وما يقع بعد حرف الاستفهام ، وغير ذلك كما تفهمه عبارة المغني ، حيث قال: الخامس أن تكون عامة إما بذاتها كأسماء (الشرط)[٧٣] وأسماء الاستفهام أو بغيرها ، نحو: ما رجل في الدار و { أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ} [النمل ٦٠] انتهى[٧٤] . فالمسوغ في الحقيقة العموم ، والاستفهام إنما كان مسوغاً باعتبار وجود العموم فيه ، فعلى ما ذهب إليه في المغني ، لا يعد مسوغاً مستقلاً كما يأتي في الذي بعده ، ثانيها :علم من عبارة المغني علة كون اسم الاستفهام مسوغا ، وهو العموم ، وسيأتي بيان كونه مسوغاً ، فهل ما تقدمه حرف الاستفهام مسوغه العموم أيضا أم شيء غيره ؟ الجواب :هو العموم ، كما صرحت به عبارة المغني ، حيث مثل بقوله تعالى(أإله) وكما يؤخذ من عبارة التصريح[٧٥] ، حيث قال في تعليل كونه مسوغاً لأن الاستفهام سؤال (٢ ب) عن غير معين ،يطلب تعيينه في الجواب ، فأشبه

العموم الخاص[٧٦] ،انتهى . ثالثها: لأي شيء كان العموم مسوغاً ؟ الجواب: أن الرضي استشكله بقوله :التخصيص أن يجعل لبعض من الجملة شيء ليس لسائر أمثاله ، وأنت إذا قلت :ما أحد خير منك ، فالقصد أن هذا الحكم ـ وهو عدم الخيرية ـ ثابت لكل فرد فرد ، فلم يتخصص بعض الأفراد لأجل العموم بشيء ، وكيف ذلك والخصوص ضد العموم ؟ ثم وجهه بقوله :الحق أن يقال :إنما جاز ذلك لأنك عينت المحكوم عليه ، وهو كل فرد فرد ،ولو حكمت بعدم الخيرية على واحد غير معين لم يحصل للمخاطب فائدة ، أما إذا بينت أن حكمي على الواحد حكم على كل فرد ،فقد تعين المحكوم عليه ، وهو كل فرد[٧٧] .

قال الجامي :فإنه لا تعدد في جميع الأفراد بل هو أمر واحد[٧٨] ، ثم قال الرضي : وكذلك كلمات الشرط ، نحو: من صمت نجا ، تحصل الفائدة فيها [٧٩] . بسبب التعين الحاصل من العموم لا بسبب تخصصها بشيء[٨٠] ، انتهى .وعلله في التصريح والمنهل[٨١] :بأن النكرة إذا عمت كان مدلولها جميع أفراد الجنس فأشبهت المعرف بأل الاستغراقية[٨٢] ،انتهى .[والشمني نقل نظير إشكال الرضي عن الشارح ، وقال في آخر الجواب: الوجه فيه أن الاسم النكرة بسبب عمومه ماثل المعرفة ،من حيث أنه يصلح المتعدد على البدل فساغ الابتداء به ،انتهى[٨٣]. ومنه يعلم أنّ العموم المراد هنا أعم من البدلي والشمولي فاحفظه .وسيأتي فيما مسوغه الإبهام ، ثم نقل الشمني إشكالاً آخر ،على مثال المصنف ونحوه ، بقوله: كون النكرة في : هل رجل في الدار ، عامة ، منظور فيه ، لأنها في سياق الإثبات وليس دخول الاستفهام الحقيقي عليها بالذي يوجب كونها عامة [٨٤]. ثم أجاب بقوله :قد تكون النكرة في سياق الإثبات للعموم ، نحو: تمرةٌ خيرٌ من جرادة ،كما ذكر ابن الحاجب والمصنف ،على أنه يمكن أن يقرر العموم في نحو: هل رجل في الدار ، بنحو ما قرره المصنف، في نحو: رجل خير من امرأة ، بأن يقال: لما استفهم عن الحكم على واحد من الجنس من غير خصوصية لفرد على فرد ، حصل الشياع[٨٥]، انتهى . رابعها :هل الاستفهام كله يكون مسوغاً أو بعضه ؟ الجواب: أنّ المختار أنه كله مسوغ ، وقد ذهب ابن الحاجب إلى أنّ المسوغات :بعض الاستفهام ، قال في المغني ،وفي شرح منظومة ابن الحاجب[٨٦] :إن الاستفهام المسوغ للابتداء هو الهمزة المعادلة بـــ (أم) ، نحو: أرجل في الدار أم امرأة ، كما مثّل به في الكافية ، وليس كما قال[٨٧] ، انتهى . قال الجامي في تعليل مثال الكافية المذكور : لأن المتكلم بهذا الكلام يعلم أن أحدهما في (الدار) ، فيسأل المخاطب عن تعيينه ،فكأنه قال: أي الأمرين المعلوم ، كون أحدهما في الدار كائن فيها ؟ فكل واحد منها تخصص بهذه الصفة [٨٨]،انتهى .وكأنه منقول عن ابن الحاجب . ولذا قال الرضي في رده :لو كان المجوز في : أرجل في الدار أم امرأة ؟ ،معرفة المتكلم بكون أحدهما (في الدار) للزم امتناع : أرجل في الدار ؟ وهل رجل في الدار ؟ و أرجل في الدار أو امرأة ؟ لعدم لفظة (أم) الدالة على حصول الخبر عند المتكلم ،وعدم شيء آخر يتخصص به المبتدأ[٨٩] انتهى .أي : لكنه غير ممتنع ، بل صحيح كما قال (٣ أ) عبد الغفور[٩٠] فليس العلة ما ذكره بل ما سبق من العموم .الثالث: أن يتقدمها نفي ، وفيه أسئلة : أحدها: هل هو من المسوغات التي ذكرها المغني ؟ الجواب: نعم ، وهو الخامس كما مر في الذي قبله[٩١]، حيث قال: نحو: ما رجل في الدار ، وكلامه يقتضي أنه لا يعد قسماً برأسه ،بل هو مع الذي قبله

داخلان تحت ما مسوغه العموم ، فمن عدهما مستقلين فهو ممن كثر المسوغات بعدّ الأمور المتداخلة . ثانيها: لأي شيء كان تقدم النفي مسوغاً ؟ الجواب: لأن النكرة إذا تقدمها النفي تعم ، والعموم في النكرة مسوغ كما مرّ .ثالثها: ما سبب كون النكرة تعم في النفي ؟ الجواب: ما ذكر في التلويح[٩٢] عند ذكر ألفاظ العام ، حيث قال: ضرورة أن انتفاء فرد مبهم لا يكون إلا بانتفاء جميع الإفراد[٩٣] ، فقوله (ضرورة الخ) تفهم أنه بديهي ، وما ذكر تنبيه . ثم قال : وقد يقصد بالنكرة الواحد بصفة الوحدة ،فيرجع النفي إلى الوصف فلا يعم ، مثل :ما رجل في الدار بل رجلان ، أما إذا كانت مع (من) ظاهرة أو مقدرة ، كما في : ما من رجل ، أو لا رجل في الدار ، فهو للعموم قطعاً[٩٤]، ولهذا قال صاحب الكشاف : إن قراءة {لاَ رَيْبَ فِيهِ} [البقرة ٢] بالفتح توجب الاستغراق ، وبالرفع تجوزه[٩٥].واستدل المصنف على عموم النكرة المنفية بالنص والإجماع ، فالأول قوله تعالى {قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى} [الأنعام ٩١] في جواب { مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ} لأنه لو لم يكن مثل هذا الكلام للسلب الكلي لم يستقم في الرد عليهم الإيجاب الجزئي ، وهو قوله تعالى ((مَنْ أَنزَلَ.. الآية)) والثاني :كلمة التوحيد ، لأن قولنا: لا إله إلا الله ، كلمة توحيد إجماعا ، فلو لم يكن صدر الكلام نفياً لكل معبود لما كان إثبات الواحد الحق تعالى وتقديسه توحيداً[٩٦] انتهى مختصراً . ثم ذكر أيضاً علة كونها لا تعم في الإثبات ، بقوله :لأنها موضوعة للفرد فلا تعم إلا بدليل يوجب العموم . وذكر أيضاً أن من جملة أدلة العموم لفظ (كل) إذا أضيفت إليها ، نحو: كل رجل ، واقتضاء المقام كقوله {عَلِمَتْ نَفْسٌ}[التكوير١٤] وقولهم : تمرة خير من جرادة[٩٧]، انتهى . فظهر أن قولهم النكرة لا تعم في الإثبات أغلبي ، أي: عند عدم دليل العموم ، لا مطلقاً . واتضح قول الشمني : قد تكون النكرة في سياق الإثبات للعموم[٩٨] ، أي: بقرينة ، وهي اقتضاء المقام . الرابع :أن تكون موصوفة ، وفيه سؤال ، هل هو من المسوغات التي ذكرها ابن هشام ؟ الجواب: نعم ، وهو الأول ، حيث قال: أحدها : أن تكون موصوفة لفظاً أو تقديراً أو معنى ، فالأول نحو: {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ} [الأنعام ٢] ، ومنه قولهم : ضعيفٌ عاذ بقرملة[٩٩] ، إذ الأصل : رجل ضعيف ، فالمبتدأ في الحقيقة المحذوف وهو موصوف ، والنحويون يقولون : يبتدأ بالنكرة إذا كانت موصوفاً أو خلفاً من موصوف ، والصواب ما بينت ، وليس كل صفة تحصل الفائدة ، فلو قلت : رجل من][١٠٠] الناس جاءني ، لم يجز . والثاني نحو قولهم : السمن منوان بدرهم ، أي: منوان منه ، وقولهم :شرٌ أهرّ ذا ناب[١٠١] ، وقدر أحلك[١٠٢] (ذا المجاز)[١٠٣] ، إذ المعنى :شرٌّ أيُّ شرٍ ، وقدرٌ لا يغالب . والثالث : نحو: رجيلٌ جاءني ، لأنه في معنى :رجل (٣ ب) / صغير ، وقولهم :ما أحسن زيداً ،لأنه في معنى :شيء عظيم أحسن زيداً ،وليس في هذين النوعين صفة مقدرة ، فيكونان من القسم الثاني ، انتهى[١٠٤] . قوله : (فيكونان) داخل في حيز النفي بـ (ليس) أي : فلا يكونان من القسم الثاني وهو الوصف المقدر ،وأما سبب كون الوصف مسوغاً فظاهر، إذ الوصف المحصل للفائدة مخصص ، ومدار التسويغ على التخصيص . قال في التصريح :لأن النكرة إذا وصفت قربت من المعرفة[١٠٥]،انتهى .

قول الحافظ: أو مقدر ، نحو: شر أهر ذا ناب ، على أحد التقديرين [١٠٦]، عبارة النكت له تشير إلى التقديرين حيث قال :قول الكافية : شر أهر ذا ناب ، وجهه في شرحها بأنه في معنى الفاعل ، أي: ما أهر ذا ناب إلا شر ، وغيره قال : إنه من الموصوف بوصف مقدر ، أي: شر عظيم [١٠٧]، انتهى .

وعليه فمراده من أحد التقديرين هو الثاني ، فهو عنده غير الأول المنقول عن شرح الكافية ، مع أن الأول منه ، إذ كونه في معنى الفاعل ، إذا فصل معناه ،يرجع إلى أنه موصوف بوصف مقدر ، كما هو ظاهر (عبارة)[١٠٨] الجامي حيث قال : لتخصصه بما تخصص به الفاعل لشبهه به ، إذ يستعمل في موضع :ما أهر ذا ناب إلا شر ، وما يتخصص به الفاعل إلى آخر ما نقل سابقا[١٠٩] ، وحينئذ فلا مغايرة بينهما فلا يحسن التقابل فيحتاج إلى بيان تقديرين غير هذين ، ولعلهما المستفادين من كلام الجامي الآتي في تقرير وجه الحصر كما يأتي بعد تمهيد له . بأن يقال : كون :شر أهر ذا ناب ، يفيد القصر بحيث يكون مساوياً للمحصور بـــ (ما) و (إلا) وهو :ما أهر ذا ناب إلا شر ، فيه خفاء ، وقد أحاله في المنهل على غير هذا الفن ، حيث قال: وتحقيق استفادة القصر في أمثال هذا التركيب من وظائف علم المعاني [١١٠]، انتهى . أي: في باب القصر ، فإنه ذكر فيه أن طرقه أربعة ، وأن (فيها)[١١١] التقديم (كهذا)[١١٢] المثال ، وذكر فيه أيضاً أن دلالته على الحصر بالفحوى لا بالوضع بخلاف الثلاثة الأُخر فإنّ دلالتها عليه بالوضع .وفي بحث تقديم المسند إليه فإن صاحب التلخيص نقل فيه هذا التركيب عن السكاكي ، وله معه فيه بحث ، يعلم عند الرجوع إليه[١١٣] .

والجامي (قدس سره) قرب المسافة وأزال الخفاء بقوله :واعلم أن المهرّ للكلب بالنباح المعتاد قد يكون خيراً ، كما إذا كان مجيء حبيب مثلاً ، وقد يكون شراً إذا كان مجيء عدو ، والمهرّ بنباح غير معتاد يتشاءم به ، يكون شراً لا خيراً ، فعلى الأول يصح القصر بالنسبة إلى الخير ، فمعناه :شر لا خير أهر ذا ناب ، وعلى الثاني :لا يصح[١١٤] القصر فيقدّر وصف حتى يصح القصر ، فيكون المعنى :شر عظيم لا حقير أهر ذا ناب[١١٥] ، انتهى .فالذي يظهر أن التقديرين هذان وأحدهما المبهم ، ظهر أنه الثاني والله أعلم .الخامس :أن تكون عاملة ، وفيه سؤالان : أحدهما: هل هو أحد المسوغات في المغني ؟ الجواب: نعم ، وهو الثاني إلا أن عبارته تشمل هذا مع الذي بعده هنا ، لأنه أدخل المضافة في هذا القسم لأنها عاملة جر عنده حيث قال :الثاني أن تكون عاملة إما رفعاً نحو: قائم الزيدان ، عند من أجازه ، أو نصباً نحو:(أمرٌ بمعروف صدقةٌ)[١١٦] وأفضل منك جاءني[١١٧] ، إذ الظرف منصوب المحل بالمصدر والوصف ، أو جراً نحو: (٤ أ) غلام امرأة جاءني وخمس صلوات كتبهن الله . ثانيهما : لأي شيء كان عملها مسوغاً ؟ الجواب :لأنها تخصصت بالمعمول فأفادت، ألا ترى أنك لو لم تقيدها بمعمول ،وقلت :رغبة خير ، لم تحصل فائدة .إذ لا يخلو وقت عن أن تكون : رغبة خير . ولا يخفى أن العامل يقل شيوعه إذا قيد بمعمول ، ويصير مخصوصا بالنسبة إلى ما كان قبل العمل . السادس :أن تكون مضافة ، وفيه أسئلة ، أحدها: هل هو من جملة مسوغات المغني ؟ الجواب: نعم ، وهو الثاني كما مر آنفاً ، وهذا مع ما قبله نوع واحد عنده ، وهو كون النكرة عاملة ، ومن جعلهما نوعين كالشارح ، فهو عند ابن هشام ممن كثّر الأقسام بعدّ أمور متداخلة ، وكان الحامل للشارح على عدّه نوعاً مستقلاً أنّ

الناظم لما اكتفى بالأمثلة ، كان اللائق أن يجعل كل مثال لنوع من المسوغات ، فلذا جعل الخامس لنوع منها وهو (النكرة العاملة) ، وأطلق ولم يقيد عملها برفع ولا غيره ، مع أن مثال الناظم لعاملة النصب ،إشارة إلى التعميم ، وجعل السادس لنوع منها وهي (النكرة المضافة) ، ولعل الناظم أفرزه ولم يجعله داخلاً في العاملة كابن هشام ، لأن العامل في المضاف إليه عنده ، ليس المضاف بل الحرف المقدر ، كما نقله الشارح عنه في بابه[١١٨] ، ثانيها : لِمَ سكت عن مثال عاملة الرفع مع أنّ عبارته غير مقيدة كما مرّ ؟ والناظم مثّل لعاملة النصب ،ولعاملة الجر على القول بأن الجار للمضاف إليه هو المضاف ، لا الحرف المقدر، فكان على الشارح تتميم الفائدة بالتمثيل لها . فالجواب: أنه لعله بسكوته أشار إلى أنه لما كان التمثيل لها مبنياً على الضعيف المجوز للابتداء بالوصف بدون اعتماد على نفي أو استفهام ، كما مثل لها ابن هشام ،(فحينئذ)[١١٩] أشار إلى لينه ،بقوله :عند من أجازه[١٢٠] تركه، وأما إذا تقدمها نفي أو استفهام فالمسوغ حينئذ احدهما . وهذا الجواب على مشرب ابن هشام القائل: بأن كلا قسمي المبتدأ يحتاج إلى مسوغ [١٢١]، وأما على ما مرّ من الدماميني : أن المسوغ إنما يحتاج إليه في القسم الأول منه ، فمثال عاملة الرفع ، ما مثل به هو سابقاً فراجعه [١٢٢]. ثالثها : لِمَ جعل كون النكرة مضافة مسوغاً ؟ الجواب: ظاهر أنّ وضع الإضافة المعنوية لإفادة التخصيص إذا كان المضاف إليه نكرة ، والتعريف إن كان معرفة . لكنّ الثاني لا دخل له هنا ، لأنّ كلامنا في المبتدأ النكرة ، وإذا كان المضاف إليه معرفة يصير المبتدأ معرفة ، وليس الكلام فيه . وقد تمت المسوغات التي أشار إليها الناظم بالأمثلة ، وأشار إلى غيرها بقوله :وليقس ما لم يقل[١٢٣] ، فذكر بعض ذلك الشارح فليُضمّ إلى ما سبق ، ويقال :السابع أن يكون فيها معنى التعجب ، قال الرضي :التعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه[١٢٤] ، انتهى . وفيه أسئلة : أحدها: هل هو من المسوغات التي ذكرها المغني ؟ الجواب : نعم ، وهو السابع . لكنّ عبارته أشمل ، ولا بأس بنقل جميع عبارته فيه ، لما فيها من الفوائد . قال : السابع : أن يكون فيها معنى الفعل ، وهذا شامل لنحو (٤ ب) / عجبٌ لزيد ، وضبطوه بأن يراد به التعجب ، ولنحو:{ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ }[الصافات ١٣٠] و{ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ }[المطففين ١] وضبطوه بأن يراد به الدعاء ، ولنحو: قائمٌ الزيدان ، عند من جوزها ، وعلى هذا ففي نحو: ما قائم الزيدان ، مسوغان ، كما في قوله تعالى{وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ } [ق ٤] ، وأما منع الجمهور لنحو :قائم الزيدان ، فليس لأنه لا مسوغ فيه للابتداء بل إمّا لفوات شرط العمل وهو الاعتماد ، أو لفوات شرط الاكتفاء بالفاعل عن الخبر ، وهو تقدم النفي والاستفهام ، وهذا أظهر لوجهين : أحدهما: أنه لا يكفي مطلق الاعتماد ، فلا يجوز في نحو:(زيد)[١٢٥] قائم أبوه ، كون (قائم) مبتدأ ، وإنْ وجد الاعتماد على المخبر عنه . والثاني: إنّ اشتراط الاعتماد وكون الوصف بمعنى الحال والاستقبال ، إنما هو للعمل في المنصوب ، لا لمطلق العمل ، بدليلين :أحدهما: أنه يصح : زيدٌ قائمٌ أبوه أمس ، الثاني: أنهم لم يشترطوا الصحة :أقائم الزيدان ، أن يكون الوصف بمعنى الحال والاستقبال[١٢٦] ، انتهى .ثانيها :هل يمكن جعل هذا السابع في عدّ ابن هشام داخلاً في غيره ،فيكون هو ممن كثّر الأقسام بعدّ المتداخل ؟ فالجواب : يمكن . فقد نقل ابن القاسم في حاشية النكت عن الشاطبي : أنه

أدخله في قسم (العاملة) ، حيث قال الشاطبي : ومنها ، أي: مواضع الإفادة ،أن يكون فيها معنى الفعل ، وهو داخل في تمثيل المصنف بقوله :ورغبةٌ في الخير(خيرٌ[١٢٧] ، انتهى)[١٢٨] . ثالثها: ما سبب كون معنى الفعل مسوغاً ؟الجواب: أنه إذا كان داخلاً فيما مسوغه العمل ، يكون سببه سببه ، وقد مرّ ، وأيضاً يقال :ما كان فيه معنى الفعل بمنزلة الجنس . وهو لا يوجد إلا في ضمن أنواعه ، فعلة أنواعه علة له ، فمن جملة أنواعه المطلوب تعليله الآن ، أن يكون فيها معنى التعجب ، ولفظه أو معناه فقط ، فالأول نحو: عجبٌ لزيد ، وتعليله بنظير ما علل به الجامي (سلامٌ عليك)[١٢٩] كما يأتي ، بأن يقال :لتخصيصه بنسبته إلى المتكلم ، إذ أصله :عجبت عجباً ، فحذف الفعل ، وعدل إلى الرفع لقصد الدوام والاستمرار ، فكأنه قال: عجبي أي عجبٌ من قبلي لزيد ، والثاني نحو ما مثل به الشارح من قوله :ما أحسن زيداً [١٣٠]، فإنّ (ما) عند جميع البصريين إلا الأخفش ، نكرة بمعنى :شيء ، وهي مبتدأ ، وجملة ((أحسن زيداً)) خبره ،كما يأتي في بابه .وعلته :إما كونه موصوفاً معنى ، كما مثل به المغني في المسوغ الأول ، ومرّ نقله عنه هنا في الرابع ، فيكون داخلاً فيما مسوغه الوصف المعنوي ، وأما ما نقله الرضي عن ابن الحاجب :من أنه لما كانت (ما) في المعنى فاعلاً ، تخصصت بما تخصص به الفاعل من الحكم المتقدم عليه[١٣١] ، كما مرّ ، فيكون نظير (شرٌ أهرّ ذا ناب) فيدخل فيما مسوغه الوصف المقدر ، كما مرّ عن ابن هشام في الرابع .فظهر أنه لا ينبغي عدّ هذا النوع مستقلاً لئلا يلزم التكثير بعدّ المتداخل .

ومن جملة أنواعه :الثامن ، الذي عبر عنه الشارح بقوله : أو يكون دعاء[١٣٢] ، نحو { سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ } و { وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ } ،الأول :مثال للدعاء النافع ،والثاني: مثال للدعاء الضار، فالمثال الأول :علله الجامي في شرح قول الكافية (سلامٌ عليك) بقوله :لتخصيصه بنسبته إلى المتكلم ، إذ أصله : سلّمت سلاماً ، فحذف الفعل وعدل إلى الرفع لقصد الدوام والاستمرار ، فكأنه قال :سلامٌ أي سلامٌ من قبلي عليك [١٣٣]، انتهى .وهذه العلة بعد أن نقلها الرضي عن ابن الحاجب ،قال: إنها غير مطردة في جميع الدعاء ، إذ ليس معنى : (٥ أ) ويلٌ لك : ويلي لك ، لأن معنى (ويل) : الهلاك ، ولو قدرت أيضاً : ويلك لك ، لكان خلفاً من القول ، بل المراد : مطلق الهلاك لك ، ثم قال: فالأولى أن يقال :تنكيره لرعاية أصله حين كان مصدراً منصوباً فلا تخصيص فيه ، إذ تخصيصه بالنظر إلى المخاطب إنما كان بذكر الفعل الناصب والمسند إليه ، فأصل (ويلٌ لك) : هلكت ، ويلاً : أي : هلاكاً ، فرفعوه بعد حذف الفعل نفضاً لغبار الحدوث[١٣٤] ، انتهى .ففهم منه أن تخصيص (ويل لك) ونحوه ، بنسبته إلى المخاطب ، بخلافه نحو :سلام عليك ، فإنّ تخصيصه بنسبته إلى المتكلم ، كما مرّ .

بقي سؤال ، وهو أنه : لِمَ لم يجب تقديم الخبر في نحو: سلامٌ عليك وعجبٌ لزيد ، ووجب في نحو: في الدار رجل ، وحالهما واحد ؟ الجواب ما قاله الدماميني في المنهل :أن الظرف الواقع خبراً عن المصدر كان له في الأصل حق التأخير عن المصدر المجعول مبتدأ ،لكونه ظرفاً لغواً متعلقاً به أو بفعله ، وحق المعمول التأخير ، فحين جعل ظرفاً مستقراً واقعاً خبراً عن المصدر لم يلزم تقديمه عليه رعاية لحق التقديم ، ولا كذلك في

الظرف الواقع خبراً عن غير المصدر[١٣٥] ،انتهى . وعلله الرضي بوجه آخر فقال: وإنما تأخر الخبر مع كونه جاراً ومجروراً لتقدم الأهم وللتبادر إلى ما هو المراد ، إذ لو قلت الخبر وقلت : (عليك) قبل أن تقول:(سلام) ،لربما يذهب الوهم إلى اللعنة ، ولهذا انخذل أبو تمام وترك الإنشاد - على ما يحكى- لما ابتدأ القصيدة وقال[١٣٦] :

على مثلها من أربُعٍ وملاعبِ ....

فعارضه شخص كان حاضراً ، فقال :{لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[البقرة١٦١]، وبعد المصراع: **تُذالُ مصوناتُ الدموعِ السواكبِ** [١٣٧] ،انتهى .

التاسع :أن يكون شرطاً ، وهذا داخل فيما مسوغه العموم ،كما صرّح به المغني[١٣٨] في المسوغ الخامس ، وقد مرّ نقله هنا في الثاني ، فلا حاجة إلى طول الكلام عليه .العاشر: أن يكون جواب سؤال ، كـــ (رجل) لمن قال: من عندك ؟ وفيه أسئلة :أحدها :هل هو من المسوغات المعدودة في المغني ؟ الجواب :ليس هو منها ، ولا هو مما نقله بعد العشرة ، وانتقده .ثانيها :لِمَ تركه ؟ الجواب: لعله رآه داخلاً فيما مسوغه تقدُّم الاستفهام ، لأنه تعيّن بتقدم السؤال عنه ، وقد أشار في التصريح إلى تعيينه بقوله :في تعليل كون الاستفهام مسوغاً ، أنه سؤال عن غير معين يطلب تعيينه في الجواب[١٣٩] ، انتهى .أي : فلا يصلح للجواب إلا ما حصل له نوع تعيّن ، أو فيما مسوغه الوصف المقدر ، فإنه إذا قيل : من عندك ؟ علم أن المذكور في الجواب مما يوصف بالاستقرار عنده ، كما ذكره الجامي فيما مرّ في علة كون الظرف المقدم مسوغاً[١٤٠] ، ثالثها: علم من كلامهم في هذا المسوغ أن (رجل) المذكور في الجواب ، مبتدأ متعين تقديمه ، وأن خبره (عندي) مؤخر محذوف ، أغنى عن ذكره السؤال ، كما قال الناظم[١٤١]، وحذف ما يعلم جائز كما تقول :(زيد) بعد : من عندكما ؟ فلِمَ لم يقدّروا الظرف مقدَّماً ، ليكون هو المسوغ ، فيدخل في الأول ولا يحتاج إلى عدّه مستقلاً ؟ الجواب: ما ذكره الرضي بقوله :لأن السؤال بالاسمية ، والجواب بمثلها أولى[١٤٢] .

الحادي عشر :أن تكون (عامة)[١٤٣] ، كـ(كلّ يموت) ، وهذا هو المسوغ الخامس في المغني[١٤٤] ، كما مرّ هنا في الثاني . ولا يخفى أنها سبب(٥ ب) / العموم فهي سبب في عموم ما أضيفت إليه ، ولما قطعت عن الإضافة (صارت)[١٤٥] هي عامة بذاتها ، كما مرّ في الأول .بقي سؤال ، وهو : ما الفرق بين هذا المثال ، وبين: رجل مات ، حيث جعلوا (الأول مفيداً)[١٤٦] ، والثاني غير مفيد .معللين له بأنّ الوقت لا يخلو عن أن يموت فيه رجل ، فلا فائدة في الإخبار بذلك ، وكذا يقال : كون كل أحد يموت أمر معلوم ،فلا فائدة في الإخبار به ؟ والجواب: لعل الملحوظ في الفرق ، أن الله لما ألقى الغفلة على عالم الملك لعمارة هذه الدار للوقت الذي يريد ، و(طالت)[١٤٧] آمالهم ، صار حالهم كحال من لا يوقن بالموت ، ففي الإخبار بذلك إيقاظ من سنة الغفلة ، فيحصل به الفائدة لذلك ، فهو نظير {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن ٢٦] بخلاف : رجل مات ، ولذا ترى الوعاظ يستعملون نحو هذا اللفظ لتأثيره في النفوس لتذكيره بالموت ، والله أعلم . الثاني عشر :أن يتلو (إذا) الفجائية ، كـــ (خرجت فإذا أسدٌ في الباب) ، وهو المسوغ التاسع في المغني ،

وعلّل كونه مسوغاً بقوله :إذ لا توجب العادة أن لا يخلو الحال من أن يفاجئك عند خروجك أسد أو رجل[١٤٨] ، انتهى .قال الشمني هنا : أي: يخلو الحال من ذلك ، فيقيد الإخبار. وإنما فسرنا كلامه بذلك لأنه اشتمل على نافيين ، فيكون مثبتاً لأنّ نفي النفي إثبات [١٤٩]، انتهى. وظهر من تعليل ابن هشام أن الأمر دائر على الفائدة ، كما مرّ عن الرضي أول المبحث[١٥٠] . وعليه فلا ينبغي عدّه مستقلاً ولا الذي بعده ، لاتحاد العلة (حينئذ)[١٥١] والله أعلم .

الثالث عشر: أن تكون تالية لواو الحال ، كقوله :

سرينا ونجمٌ قد أضاء[١٥٢] .....

وهو المسوغ العاشر في المغني ، لكن عبارته أعم ، حيث قال: العاشر: أن تقع في أول جملة حالية ، ومثل لها بمثال الشارح ، وبقول الشاعر :

الذئبُ يطرقها في الدهر واحدة وكلّ يوم تراني مديةً بيدي[١٥٣]

ثم قال : وبهذا يعلم أن اشتراط النحويين وقوع النكرة بعد (واو) الحال ، ليس بلازم . ثم قال: من روى (مدية) بالنصب فمفعول لحال محذوفة ، أي: حاملاً أو ممسكاً ، وبعد أن مثل بمثال الشارح ، علله بقوله:وعلة الجواز ما ذكرناه في المسألة قبلها[١٥٤] ، قال الشمني : يشير إلى قوله :في المسألة السابقة (إذ لا توجب العادة ..الخ) وتقريره هنا : إذ لا توجب العادة أن لا يخلو: (السرى) من إضاءة نجم ، أي :يخلو السرى من ذلك[١٥٥] ، انتهى . قول الحافظ: وقد توجد الإفادة دون شيء مما ذكر[١٥٦] ، أي :المسوغات المارة ، كقولك :شجرة سجدت ، وتمرة خير من جرادة ، فيه إيماء إلى أن المثالين المذكورين ليس فيهما مسوغ معتبر سوى الإفادة ، وهذا في الأول منهما صحيح ، وأما الثاني :فله مسوغ كما يأتي ، وكلامه لا ينفيه ، فلذا قلت :فيه إيماء ، وعلى ما فهم من الإيماء يقال: قد علمت أن (اللذين)[١٥٧] قبل هذا أيضاً لا مسوغ فيهما سوى الإفادة ، (وحينئذ) فكان اللائق أن تجعل هذه العبارة الخارمة لنظم التعداد والعطف، قبلهما . وأما المغني فأورد كل واحد من المثالين المذكورين لنوع من المسوغات ، فلا بأس بضمهما إلى ما سبق ، مع الكلام عليهما . فيقال :الرابع عشر أن يكون ثبوت ذلك الخبر للنكرة من خوارق العادات ، وهو المسوغ الثامن في (٦ أ) المغني ، ومثل له بمثال الشارح ، و بـــ :بقرة تكلمت ، وعلله بقوله :إذ وقوع ذلك من أفراد هذا الجنس غير معتاد. ففي الإخبار به عنها فائدة ، بخلاف :رجل مات ، ونحوه[١٥٨] ، انتهى . قال الشيخ ياسين في حاشية الخلاصة بعد نقل عبارة المغني هذه : و به يعلم أن الخبر متى قيد بما يصير به الإخبار مفيداً ، كان ذلك مجوزاً للابتداء بالنكرة ، وإلى هنا يرجع ما قاله ابن الحاج كما أسلفناه[١٥٩] ، انتهى . ونقلته عنه أول هذا(المبحث)[١٦٠] ، وعلته كالعلة التي مرت في اللذين قبله ، كما صرح به الشيخ ياسين أول (المبحث)[١٦١]، فهو موافق لقول الحافظ : وقد توجد الإفادة دون شيء مما ذكر[١٦٢] ، بخلاف الذي بعده ، فإن فيه مسوغاً غيرها كما ستعرفه .

الخامس عشر : أن يكون مراداً بها صاحب الحقيقة من حيث هي ، (كذا)[١٦٣] عبّر في المغني[١٦٤] وهو المسوغ السادس فيه ، ومثل بمثال الشارح المذكور ،(فجعله كون ذلك مسوغاً أنه في المعنى كالمعرف بلام الحقيقة)[١٦٥]) فتخصيصه كالتخصيص الذي في علم الجنس ، لأن المعرف بها يساويه ، كما ذكروه في بحث (لام التعريف) ، وهذا أولى من جعله كالمعرف بلام الاستغراق كما يأتي عن المنهل ، لأن المعرف بها مسوغه العموم ،فيلزم دخوله فيما مر ، فلا يصدق قول الحافظ :دون شيء مما ذكر .هذا وفي النكت للحافظ نقلاً عن التسهيل : أن مسوغ العموم شامل ، لنحو: تمرة خير من جرادة ، لأنه عموم بدلي[١٦٦] ، انتهى .وهذا العموم هو الذي يعبر عنه بعضهم بالإبهام، فيجعله مسوغاً مستقلاً كما يأتي . وجعله في المنهل مما مسوغه العموم الشمولي ، حيث قال عند قول الماتن في تعداد المسوغات :أو عاماً لنفي و غيره :كتمرة خير من جرادة ، ما نصه : فإن المراد بحسب الاستعمال ، كل فرد من أفراد (التمرة) على سبيل الاستغراق ،خير من كل جرادة ، ثم قال: وإنما جاز الابتداء بالنكرة من جهة العموم لكونها حينئذ في المعنى كالمعرف تعريف الجنس المستغرق[١٦٧] ، انتهى .

وبذلك بحمد الله سبحانه ،تم الكلام على ما ذكره الناظم والشارح الحافظ من المسوغات ، وبقي من مسوغات المغني (العشرة) واحد لم يتعرض له ، وهو (الثالث) منها ،فليضف لما سبق ،ويقال: السادس عشر :العطف ، قال في المغني :بشرط كون المعطوف أو المعطوف عليه مما يسوغ الابتداء به ، نحو : {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} [محمد ٢١] أي: أمثل من غيرهما ، ونحو {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى} [البقرة ٢٦٣] وكثير منهم أطلق العطف وأهمل الشرط[١٦٨] ،انتهى .قال الشمني في حاشيته عليه ، ناقلاً عن الشارح اعتراضاً وأجاب عنه ، وفي ضمن ذلك توجيه كون العطف مسوغاً ، ونصه : في الشرح إذا امتنع نحو: رجل قائم ، فأي أثر لعطفه على ما يجوز الابتداء به ، أو عطف ذلك عليه في تجويز ما كان ممتنعاً ، مع قيام المانع ، وأقول :لما كان حرف العطف مشركاً بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم ، وجاعلاً المعطوف مع المعطوف عليه كشيء واحد ، كان المسوغ للابتداء في أحدهما مسوغاً له في الآخر ، ولا نسلم أنه يمتنع نحو: رجل قائم ، ثم (بعطفه)[١٦٩] على ما يجوز الابتداء به أو (بعطف)[١٧٠] ذلك عليه يجوز ، وإنما ذلك جائز من أول الأمر (٦ ب) لأن الكلام كله كشيء واحد[١٧١] ، قال التفتازاني في حاشية الكشاف :إنه ليس في القواعد احتياج المعطوف على المبتدأ إلى التعريف والتخصيص[١٧٢] ، انتهى .

وقد فرغ الكلام على جميع مسوغات المغني العشرة بمنة الله وإعانته ، فله الشكر على كل حال .

والمراد بعد هذا ذكر ما زاده ابن عقيل في شرح الألفية على هذه المذكورات ، ليعلم أنه داخلة فيما سبق أو مستقلة ؟ فلتورد هكذا : السابع عشر :أن يقصد بها التنويع ،وهو العاشر في عدّه[١٧٣] ، وما قبله معلوم دخوله فيما سبق ، ومثّل له بقول الشاعر :فأقبلت زحفاً على الركبتين فثوب نسيت وثوب أجر[١٧٤]

ونقله في المغني بعد تمام العشرة ، وعبّر عنه بالتفصيل ونظّر فيه بقوله :لاحتمال (نسيت وأجر) للوصفية ، والخبر محذوف ، أي: فمن أثوابي ثوب نسيته وثوب أجره ،ويحتمل أنهما خبران وثم صفتان مقدرتان، أي:

فثوب لي نسيته وثوب لي أجره ، ومثّل أيضاً بقولهم :شهر ثرى وشهر ترى وشهر مرعى وشهر استوى ، وبنحو : الناس رجلان رجل أكرمته ورجل أهنته ، ونظّر في الأول :باحتمال (شهر) الأول للخبرية ، والتقدير: أشهر الأرض الممطورة شهر ذو ثرى ، أي :ذو تراب ندٍ ، وشهر ترى فيه الزرع ، وشهر ذو مرعى .وفي الثاني باحتمال (رجل) الأول للبدلية كقوله :

وكنت كذي رجلين رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رمى فيها الزمان فشُلّت[١٧٥]

ويسمى بدل التفصيل[١٧٦] ،انتهى . فحينئذ جميع ما يذكر فيه إما داخل في الموصوفة أو ليس بمبتدأ حتى يتحمل له مسوغ . والحادي عشر وتاليه داخلان فيما فيه معنى الفعل ، أو في العاملة كما مرّ . والثالث عشر وتاليه داخلان في الموصوفة كما مرّ . الثامن عشر :أن تكون في معنى المحصور ، وهو الخامس عشر في عدّه ، ومثّل له بنحو :شر أهر ذا ناب ، وقال : التقدير : ما أهر ذا ناب إلا شر ، على أحد القولين ، والقول الثاني: أن التقدير: شر عظيم أهر ذا ناب ، فيكون داخلاً في قسم ما جاز الابتداء به موصوفاً[١٧٧] ، انتهى .

وقد مر الكلام على هذا المثال وقوليه في الرابع ، وأنهما راجعان إلى الوصف ، لا الثاني فقط . وفي حاشية النكت لابن قاسم عند ذكر هذا المثال ، ما نصه - وفي الشاطبي وغيره - : ومنها أن يكون فيه معنى الحصر لأنه مقدر بالفاعل ، أي : ما أهر ذا ناب إلا شر[١٧٨] ، انتهى . فيصح كلٌ من اعتبار الوصف ، كما ذكره المحشي[١٧٩] ، ومن الحصر كما ذكره الشاطبي [١٨٠]، انتهى .فجعل اعتبار الوصف مقابلاً للحصر ، فيكونان متغايرين عنده ، مع أن الشاطبي علل كون الحصر مسوغاً : بأنه مقدر بالفاعل ، وقد عرفت فيما مر ، أن ما قدر بالفاعل يرجع إلى ما مسوغه الوصف المقدر ، فعلى كلا التقديرين ، المثال (داخل)[١٨١] فيما مسوغه الوصف ، فلا ينبغي عدّ الحصر مسوغاً مستقلاً ، لأنه ناشئ من عدم تدبر ما يؤول إليه معناه ، ولذا ذكره في المغني من جملة المنظور في عدّه ، وإن كان في (تنظره)[١٨٢] شيء كما يأتي .وعبارته أعم من عبارة ابن عقيل ، حيث قال: ومما ذكروا من المسوغات أن تكون (٧ أ) النكرة محصورة ، نحو: إنما في الدار رجل ، ونظّر فيه بقوله : لأن الابتداء فيها بالنكرة صحيح قبل مجيء (إنما)[١٨٣] انتهى . قال الشمني هنا ما نصه : في الشرح هذا قدح في المثال الخاص ، ولا يلزم منه تطرق القدح إلى تلك القاعدة المقررة ، ألا ترى أنها صادقة على قولنا :إنما قائم رجل ، والاحتمال الذي أبداه المصنف غير متأت فيه[١٨٤] ، انتهى .وصدق أن القدح في المثال لا يستلزم القدح في القاعدة ، ولكن لا يلزم أن لا تكون القاعدة مقدوحاً فيها بوجه آخر . والقاعدة هنا : أن (يجعل)[١٨٥] كون النكرة محصورة مسوغاً مستقلاً ، والقدح فيها بيان أن كونها محصورة ليس مسوغاً مستقلاً ، بل هو داخل في بعض ما سبق . فمن عدّه مستقلاً ، فهو ممن كثر الأقسام بعدّ المتداخل . وتوضيح ذلك أن يقال : إن من المعروف في محله ، أن طرق الحصر أربعة : منها (ما) و(إلا) ، نحو: ما قائم إلا رجل ، ولا يخفى أن هذا داخل فيما مسوغه تقدم النفي ، وقد مرّ ، ومنها :التقديم عن تأخير ، نحو: شر أهر ذا ناب ، وقد عرفت آنفاً أنه داخل فيما مسوغه الوصف ، لأن أصل المقدم كان فاعلاً ،كما صرح به السكاكي حيث

قال :التقديم يفيد الاختصاص ، إن جاز تقدير كونه في الأصل مؤخراً على أنه فاعل معنى فقط[١٨٦] ، نقله عنه صاحب التلخيص فراجعه . وقد مرّ أن الفاعل في قوة المخصص بالصفة فتذكّره .

ومنها :العطف بـ(لا) أو بـ(بل) نحو : رجل قائم لا امرأة ، وما رجل قائم بل امرأة . ولا يخفى أن الأول داخل فيما مسوغه الوصف أيضاً ، لأن قوله (لا امرأة) مؤكد بمنزلة الوصف لـ(رجل) وإن تأخر عن الخبر ، والثاني: داخل فيما مسوغه تقدم النفي ، وقد مرّ ، فإن قيل :لو مثل :بـ رجل قائم بل امرأة ، لم يدخل فيما مسوغه النفي ، يجاب :بأن إفادة الحصر بالعطف موقوفة (على)[١٨٧] التنصيص على المثبت والمنفي ، كما قرروه في باب القصر . ومنها:(إنما) ، نحو مثال الدماميني :إنما قائم رجل[١٨٨] ، وهذا يمكن إرجاعه إلى ما مسوغه الوصف المعنوي ، بنحو ما ذكره الجامي سابقاً فيما يتخصص به الفاعل ،(وفي بيان كون تقدم الظرف مسوغاً)[١٨٩] ، بأن يقال :إذا قلت إنما علم منه أن ما يذكر بعده أمر يصح أن يحكم عليه بكونه محصوراً[١٩٠] فيه ، فإذا قلت : قائم رجل ، فهو في قوة (رجل) موصوف بصحة الحصر فيه ، فظهر دخول هذا المسوغ في شيء مما سبق ، فلا يظهر عده مستقلا بل يكون مقدوحا فيه : على أن أمثلة الحصر في النكرة ، (غير)[١٩١] مثال التقديم ، لمجرد التصوير ، وإلا فهي غير صادقة .إذ حصر القيام في (الرجل) كاذب ، نعم إن كان المحصور ظرفاً مختصاً ، كمثال المغني :إنما في الدار رجل ، صدق ، والله أعلم .

نعم إن وجه تسويغ الحصر بأمر آخر غير كونه في معنى الفاعل ، ولا يرجع إلى شيء من المسوغات الأخر ، فيمكن القول باستقلاله ، ولكني لم اطلع عليه للقصور .والسابع عشر وتالياه :داخلون فيما مسوغه العطف ، وقد مر ، التاسع عشر :أن تكون مبهمة ، وهو العشرون في عدّه[١٩٢] ، ومثل له بقول امرئ القيس :

مُرَسَّعَةٌ بَيْنَ أَرْسَاغِهِ ... بِهِ عَسَمٌ يَبْتَغِي أَرْنَبَا[١٩٣]

وهذا لم يذكره في المغني ، ولعله تركه لأنه داخل في العموم ، إذ العموم كما مر في الخامس عشر قسمان :شمولي وبدلي ، والإبهام من قبيل (٧ ب) / العموم البدلي ،كما يشير إليه قول العيني في شرح البيت المذكور[١٩٤] ، لأنه لا يريد (مرسعة دون مرسعة) ، العشرون :أن تقع بعد (لولا) ، وهو الحادي والعشرون في عدّه[١٩٥] ،ومثل لها بقول الشاعر :

لَوْلا اصْطِبارٌ لأَوْدَى كُلُّ ذي مِقَةٍ ... لَمَّا استَقَلَّتْ مَطاياهُنَّ لِلظَّعْنِ[١٩٦]

وهذا أيضاً لم يذكره في المغني ،وذكر الشمني في حاشيته سبب تركه بقوله :لعله إنما لم يذكره لأنه رأى دخوله في النكرة الموصوفة بصفة محذوفة[١٩٧] ، انتهى . فيكون داخلاً فيما مسوغه الوصف المقدر ، أي :لولا اصطبار جميل ، ونحوه . وأما الخبر فمطرد حذفه بعد (لولا) كما هو معلوم .

الحادي والعشرون: أن تقع بعد (فاء) الجزاء ، وهو الثاني والعشرون في عدّه ، ومثل له بقولهم :إن ذهب عير فعير في الرباط[١٩٨] ، انتهى .وهذا (ذكره)[١٩٩] في المغني بعد تمام العشرة ، ونظّر فيه بقوله :لأن المعنى :فعير آخر ، فحذفت الصفة[٢٠٠] ، انتهى .فهو من الموصوف كما في (النكت)[٢٠١] ، فحينئذ يكون كالذي قبله .

الثاني والعشرون :أن تدخل على النكرة (لام) الابتداء ، وهو في عدّه ، الثالث والعشرون ومثل بقوله :لرجل قائم[٢٠٢] ، انتهى . ولم يذكره في المغني ، ولعله لدخوله في غيره كما يأتي . وعبارة التسهيل أعم[٢٠٣] لأنه جعل المسوغ : كون النكرة واجبة التصدير ، أي : سواء كانت بذاتها كأسماء الاستفهام أو بغيرها كمدخولة (لام الابتداء) ، ولم أر من ذكر علة كونه مسوغاً ، ولعل لام الابتداء المفيدة للتأكيد ، كما في المغني، لما قارنت النكرة حصل لها نوع تعين ، إذ التأكيد يرفع احتمال المجاز ، فكأنه قال :لرجل لا امرأة ولا غيرها ، فكأنه تخصص بوصف مقدر أو معنوي ، فدخل فيما مسوغه الوصف ، والله أعلم .

الثالث والعشرون: أن تكون (كم) الخبرية ، نحو:

كَمْ عَمَّةٍ لَك يَا جرير وَخَالَةٍ ... فدعاء قد حلبت عَلَيّ عشاري[٢٠٤]

كذا عبر ابن عقيل ، وهو آخر المسوغات في عدّه[٢٠٥] ، فصارت أربعة وعشرون عنده، ولم يذكرها[٢٠٦] ابن هشام ، ولعله لأنه رآها داخلة فيما مسوغه الوصف أيضاً ، فإن (كم) الخبرية بمعنى (كثير) فهو خلف عن الموصوف ، والتقدير: عدد كثير من عمة وخالة ..الخ . ثم (قال)[٢٠٧] ابن عقيل :وقد أنهى بعض المتأخرين ذلك إلى نيف وثلاثين موضعاً ، وما لم أذكر منه (أسقطته)[٢٠٨] لرجوعه إلى ما ذكرته ، أو لأنه ليس بصحيح[٢٠٩] ، انتهى .وقال الشيخ ياسين :رأيت بعضهم أنهاها إلى خمسين موضعاً[٢١٠] ،انتهى . وقال الرضي ،بعد أن عدد بعضها : وغير ذلك مما لا يحصى ولا ضابط له [٢١١]، ولا يخفى أن ما ذكره ابن عقيل ، يمكن إرجاعه إلى أقل من العدد الذي ذكره ، كما مر الكلام عليه ، بل وما عده صاحب المغني مما يمكن تداخله ، كما مرت إشارة إليه .

قال في النكت :وقد شمل جميع المسوغات قول (الشذور)[٢١٢] (إلا إن عمت أو خصت) ، لأن أبا حيان قال في أرجوزته نهاية الإعراب : (وكل ما ذكرت في التتميم يرجع للتخصيص والتعميم[٢١٣] ،انتهى .)

خاتمة نسأل الله حسنها :

لا يخفى أن الفائدة هي العمدة في هذا الباب ، ولذا قال الجامي نقلاً عن بعض المحققين :مدار صحة الإخبار عن النكرة على الفائدة ، لا على ما ذكروه من التخصيصات التي يحتاج في توجيهها الى هذه التكلفات الركيكة[٢١٤] ،انتهى . وكان وجه تحلهم لها ، ليفارق الفاعل ، إذ الفاعل النكرة أيضاً يشترط فيه الفائدة فقط ، كما مر أول البحث عن الشاطبي والرضي ، وحينئذ يقال :تارة تنفرد الفائدة عن غيرها (٨ أ) وذلك في الثاني عشر وتاليه ، كما مر، وتارة ينضم إليها غيرها ،وذلك إما الوصف الملفوظ أو المقدر ، أو المعنوي ، كما مر ، وهذا في الأول والرابع، والعاشر على أحد وجهين فيه ، والسابع عشر و(تاليه)[٢١٥]، والعشرون وما بعده ، إلى الآخر .

وإما العموم وهو في الثاني والثالث والتاسع والحادي عشر والتاسع عشر ، وإما العمل وهو في الخامس والسادس ، وفي تاليه على القول بدخول ما فيه معنى الفعل في العاملة . ويراد بالعاملة :ما من شأنها العمل ، (وإن)[٢١٦] لم تكن في هذه الحالة عاملة ، وعلى القول بعدم الدخول فالمنضم إلى الفائدة فيهما ، النسبة إلى

المتكلم أو المخاطب ، وإما كون المراد بالنكرة صاحب الحقيقة وهو الخامس عشر ، وإما العطف وهو السادس عشر ، فرجع المسوغ إلى هذه الخمسة أو الستة أو السبعة ، لكن الفائدة قد علمت أنها لا تختص بالمبتدأ ، واللائق بالعد هنا ، ما يوجب تخصصه زيادة على (مجرد)[٢١٧] كونه مفيداً ، ويظهر من كلام ابن هشام أن العشرة التي عدها ، مسوغاتها مستقلة زائدة على أصل الفائدة ، ومر أن ثلاثة منها ، لم يظهر لها علة سوى الإفادة ، وأن بعضها داخل في بعض .

(هذا)[٢١٨] ما أدى إليه النظر القاصر والفكر الفاتر ، مع تشويش البال ، فالحمد لله على كل حال . والله أسأل أن يحسن من عبده الحال والمآل والقال والفعال ، بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه خير صحب وآل .آمين

[وكان الفراغ منه في ظهر يوم الأربعاء المبارك ثالث جمادى الأولى من سنة (١١١٤) أحسن الله ختامها وختامنا آمين .

قاله مؤلفها محمد أبو طاهر ابن إبراهيم المدني ، عفى الله عنهما وغفر زللهما ، آمين ، بمنزله بظاهر المدينة المنورة ، على مشرفها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

نقلتها من نسخة مؤلفها وقابلتها ، والحمد لله على ذلك . وكان ذلك في شهر جمادى الأول سنة(١١١٨هـ)على يد أفقر الورى أسير الذنوب أبي بكر بن علي بن عبدالله بن خالد الجعفري المدني ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ، ولمن دعا لهم بالمغفرة ولجميع المسلمين . آمين . وصلى الله على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً ، آمين .][٢١٩]

الهوامش

١. ينظر : الأعلام ٥ / ٣٠٤
٢. ينظر : سلك الدرر ٤ /١٦
٣. ينظر: تحفة المحبين ص ٩١
٤. ينظر: المصدر نفسه ص ٩١
٥. ينظر : المصدر نفسه ص ٩١
٦. ينظر: الأعلام ٥/٣٠٤ و معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف ص ١٩٥
٧. ينظر : معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي ص ١٩٥
٨. ينظر : خزانة التراث ، فهرس المخطوطات الرقم التسلسلي: ٩٨٣٣٦
٩. ينظر : الأعلام ٥ / ٣٠٤
١٠. ينظر : الأعلام ٥ / ٣٠٤
١١. ينظر : مخطوطات مكتبة جامعة الرياض رقم ٨٢ / ٨٠٦ م
١٢. هذه المقدمة غير موجودة في نسخة (ب)
١٣. يشير إلى ألفية ابن مالك[١٣]

١٤.وهو شرح السيوطي على الألفية المسمى (البهجة المرضية)
١٥.ينظر :شرح ابن عقيل ١ /٢١٥
١٦.ينظر: مغني اللبيب ١ /٦٠٩
١٧.ينظر: المصدر نفسه ١ /٦١٢
١٨.يشير إلى (شرح الدماميني على المغني) وشرحه على الوافي في النحو
١٩.في (ب) : الخ
٢٠.في (أ) النكرات ، وما أثبتناه من (ب) هو الصحيح
٢١.ينظر: حاشية الشمني على المغني ٢ /١٦٨
٢٢.في (ب) قام ، والصحيح ما أثبتناه
٢٣.مابين القوسين سقط من (أ)
٢٤.ينظر: حاشية الشمني على المغني ٢ /١٦٨
٢٥.يشير هنا إلى كتاب (المنهل الصافي في شرح الوافي)للدماميني ، وهو كتاب مخطوط
٢٦.ينظر :المنهل الصافي في شرح الوافي ٥٥ ب
٢٧.ينظر: شرح ابن عقيل ١ /٢١٥
٢٨.في (ب) :يوم واحد
٢٩.ينظر :مغني اللبيب ١ /٦١٣
٣٠.ينظر :حاشية ياسين على الألفية ١ /٨٥
٣١.هو أحمد بن قاسم العبادي (ت ٩٩٢هـ) فقيه شافعي له مؤلفات في النحو ،منها :حاشية على شرح الأشموني وحاشية على النكت للسيوطي ، تنظر ترجمته في الأعلام ١ /١٩٨
٣٢.ينظر :المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ٢ /٥٢
٣٣. [٣٣] هو ابو العباس أحمد بن محمد الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الحاج. كان عالما بالعربية محققا حافظا للغات، قيل إنه برع في لسان العرب حتى لم يكن في زمنه من يفوقه أو يدانيه، قرأ على الشلوبين وغيره، له مصنفات كثيرة منها: مختصر خصائص ابن جني، ومختصر المستصفى، وله نقود على الصحاح، وإيرادات على المقرب لابن عصفور، و أمالي على كتاب سيبويه، وكان يقول: إذا مت يفعل ابن عصفور في كتاب سيبويه ما يشاء. ومات سنة ٦٤٧هـ. تنظر ترجمته في : بغية الوعاة ١ /٣٤٤
٣٤.ينظر :المقاصد الشافية ٢ /٥٢
٣٥.ينظر: المصدر نفسه ٢ /٥٢
٣٦.ينظر : البهجة المرضية ١٢٧
٣٧.في (ب) :معرفة[٣٧]
٣٨.ينظر :شرح الرضي على الكافية ١ /٢٣١
٣٩.ينظر :المصدر نفسه ١ /٢٣١
٤٠.في (ب) لم
٤١.ينظر:شرح الرضي على الكافية ١ /٢٣١

٤٢.ينظر :المقاصد الشافية ٣ /٤٤٤
٤٣.ينظر :حاشية ياسين على الألفية ١ /٨٤
٤٤.ينظر :حاشية الشمني على المغني ٢ /١٦٨
٤٥.عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي (ت ٨٩٨ هـ) من مؤلفاته (الفوائد الضيائية وهو شرح على الكافية لابن الحاجب) ينظر : الاعلام ٣ / ٢٩٦
٤٦.ينظر:الفوائد الضيائية ١ /٢٨١
٤٧.يقصد بالشارح الحافظ (جلال الدين السيوطي) في شرحه (البهجة المرضية)
٤٨.ينظر : مغني اللبيب ١ /٦٠٨
٤٩.ساقطة من (ب)
٥٠.ينظر :شرح ابن عقيل ١/٢١٥ و٢١٦
٥١.ينظر: مغني اللبيب ١ /٦١١
٥٢.ينظر :الفوائد الضيائية ١ /٢٧١
٥٣.ينظر:شرح التسهيل لابن مالك ١/٢٩٤ و ٢٩٥
٥٤.حاشية الشمني ٢ /١٦٩ ، وينظر :التذييل في شرح التسهيل ٣ /٣٣٠
٥٥.في (ب) :كما هو ظاهر العبارة
٥٦.ينظر:حاشية الشمني ٢ /١٦٩
٥٧.يشير إلى السيوطي ، ينظر :البهجة المرضية ١٢٥
٥٨.ينظر : شرح ابن عقيل
٥٩.مابين القوسين ساقطة في (ب)
٦٠.ينظر:حاشية الشمني ٢ / ١٦٩
٦١.ساقطة في (ب)
٦٢.ينظر: مغني اللبيب ١ / ٦١١
٦٣.هذا جزء من حديث نبوي شريف ، ينظر: سنن أبي داود ٩٨/٢ وسنن الترمذي ١٧/٣ ومصنف عبدالرزاق٣/٤
٦٤.هذا جزء من حديث نبوي شريف ، ينظر: مسند احمد ٢٣٢/١ و سنن النسائي ٥ / ١٨
٦٥.حاشية ياسين على الألفية ٨٤/١ ، وينظر: المقاصد الشافية ٢ /٥٠
٦٦.ساقطة في (ب)
٦٧.ينظر:مغني اللبيب١ /٦١١
٦٨.في (ب) : ما قلناه
٦٩.ينظر:حاشية الشمني ٢ /١٦٩
٧٠.في (ب) : التسليم
٧١.ينظر :حاشية ياسين على الألفية ١ /٩١ ، وفيها (لا مانع أن يحصل له أمران)
٧٢.ينظر: مغني اللبيب ١ / ٦١١
٧٣.في (ب) : الشروط

٧٤. ينظر: مغني اللبيب ١ /٦١١ و ٦١٢
٧٥. يشير هنا إلى (التصريح على التوضيح) لابن هشام
٧٦. ينظر :شرح التصريح على التوضيح ١ / ٢١٠
٧٧. في (ب) : انتهى
٧٨. ينظر : الفوائد الضيائية ١ / ٢٧٠
٧٩. ورد في (أ) : انتهى ، وهي ساقطة من (ب) ، ونص الرضي غير موجودة فيه
٨٠. ينظر :شرح الرضي على الكافية ١ / ٢٣٤
٨١. هو المنهل الصافي في النحو الوافي
٨٢. ينظر :شرح التصريح على التوضيح ١/ ٢٠٩ ، و المنهل الصافي ٥٦ أ
٨٣. ينظر : حاشية الشمني ٢ / ١٦٩
٨٤. المصدر نفسه ٢ / ١٦٩
٨٥. المصدر نفسه ٢ / ١٦٩
٨٦. ينظر :شرح الوافية نظم الكافية ١٧٥
٨٧. ينظر : مغني اللبيب ١ /٦١٢
٨٨. ينظر :الفوائد الضيائية ١/ ٢٧٠
٨٩. ينظر :شرح الرضي على الكافية ١ /٢٣٣
٩٠. هو عبد الغفور اللاري (ت ٩١٢ه) أديب نحوي من تلاميذ الجامي ، له حاشية على الفوائد الضيائية ،تنظر ترجمته في الأعلام ٤ / ٣٢و٣٣ ،و ينظر: حاشية اللاري على الفوائد الضيائية (مخطوط) ٦٦ أ
٩١. ينظر:مغني اللبيب ١ /٦١١ و ٦١٢
٩٢. هو كتاب في أصول الفقه للسعد التفتازاني (ت ٧٩٣ هـ)
٩٣. ينظر : شرح التلويح على التوضيح ١ /١٠١
٩٤. ينظر : المصدر نفسه ١ /١٠١
٩٥. ينظر : الكشاف ١ /٧٦
٩٦. ينظر :شرح التلويح على التوضيح ١ /١٠١و ١٠٢
٩٧. ينظر:المصدر نفسه ١ /١٠٤ ، وهذا القول من كلام عبد الله بن عباس ، وروي أيضا أنه لعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ، ينظر : مصنف عبد الرزاق ٤ /٤١٠ ، ومصنف ابن أبي شيبة ٣ /٤١٦
٩٨. ينظر :حاشية الشمني ٢ / ١٦٩
٩٩. ورد في مجمع الأمثال (ذليل عاذ بقرملة) أي: بشجرة لا تستره ، وهو مثل يضرب لمن استعان بضعيف لا نصرة له ،ينظر : مجمع الأمثال ١ /٢٧٩
١٠٠. مابين المعقوفتين من الصفحات الناقصة في (ب)
١٠١. ينظر : مجمع الأمثال ١ /٣٧٠ و المستقصى في أمثال العرب ٢ /١٣٠
١٠٢. هذا شطر من شاهد شعري ، وتمامه : قدر أحلك ذا المجاز وقد أرى وأبيّ مالك ذو المجاز بدار . وهو من شواهد مغني اللبيب ١ / ٦٠٩ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ /٢٧١

١٠٣. ساقطة من (ب)
١٠٤. ينظر :مغني اللبيب ١ / ٦٠٩
١٠٥. ينظر : شرح التصريح على التوضيح ٢١٠/١
١٠٦. ينظر: البهجة المرضية ١٢٨
١٠٧. ينظر : النكت ٢٢ ب
١٠٨. في (ب) : من عبارة
١٠٩. ينظر : الفوائد الضيائية ١/ ٢٧١
١١٠. ينظر :المنهل الصافي ٥١ب
١١١. في (ب) : منها
١١٢. في (ب) : لهذا
١١٣. ينظر: التلخيص في وجوه البلاغة ٨١
١١٤. في (ب) : يصح
١١٥. ينظر: الفوائد الضيائية ١ /٢٧١
١١٦. هذا جزء من حديث نبوي شريف ، ورد بلفظ (أمر بالمعروف صدقة) ، ينظر: صحيح مسلم ١ /٤٩٨
١١٧. ينظر: مغني اللبيب ٦٠٩/١، وقوله (خمس صلوات ..) حديث نبوي شريف ،ينظر: الموطأ ٢ /٣٥٤
١١٨. ينظر:البهجة المرضية ٣١١
١١٩. ساقطة من (ب)
١٢٠. ينظر: مغني اللبيب ١ / ٦٠٩
١٢١. ينظر: المصدر نفسه ١ /٦٠٩
١٢٢. ينظر: حاشية الشمني على المغني ٢ /١٦٨
١٢٣. ينظر :شرح ابن عقيل ١ /٢١٦
١٢٤. ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤ /٢٢٨
١٢٥. ساقطة من (ب)
١٢٦. ينظر: مغني اللبيب ٦١٢/١ و ٦١٣
١٢٧. ينظر:المقاصد الشافية ٢ /٤٨
١٢٨. ساقطة من (ب)
١٢٩. ينظر: الفوائد الضيائية ١ /٢٧٢
١٣٠. ينظر:البهجة المرضية ١٢٩
١٣١. ينظر:شرح الرضي على الكافية ١ /٢٣٣
١٣٢. ينظر : البهجة المرضية ١٢٩
١٣٣. ينظر: الفوائد الضيائية ١ /٢٧٢
١٣٤. ينظر: شرح الرضي على الكافية ١ /٢٢٥ و ٢٢٦
١٣٥. ينظر : المنهل الصافي ٥٣ أ

١٣٦. ينظر: ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ١٩٨/١ ، والرواية فيه : أذيلت مصونات
١٣٧. ينظر: شرح الرضي على الكافية ١ /٢٣٥
١٣٨. ينظر: مغني اللبيب ١ /٦١١
١٣٩. ينظر : شرح التصريح على التوضيح ١ /٢١٠
١٤٠. ينظر: الفوائد الضيائية ١ /٢٧١
١٤١. ينظر: شرح الكافية الشافية ١ /٣٥٢ و ٣٥٣
١٤٢. ينظر : شرح الرضي على الكافية ١ /٢٣٢
١٤٣. وردت في (أ) : عاملة ، وما أثبتناه من نسخة (ب) هو الصحيح
١٤٤. ينظر: مغني اللبيب ٦١١/١
١٤٥. وردت في النسختين (أ) و(ب) (صار) والصحيح ما أثبتناه
١٤٦. في (ب) : حيث جعلوا الأول فيه أو الثاني غير مفيد
١٤٧. في (أ) : طارت ، والصحيح ما أثبتناه من (ب)
١٤٨. ينظر: مغني اللبيب ٦١٣/١
١٤٩. ينظر:حاشية الشمني على المغني ١٧٠/٢
١٥٠. ينظر:شرح الرضي على الكافية ٢٣١/١
١٥١. سقطت من (ب)
١٥٢. لا يعرف قائله ، وتمامه ...فذ بدا محياك أخفى ضوءه كل شارق ، وهو من شواهد مغني اللبيب ٦١٣/١
١٥٣. شاهد لا يعرف قائله ، وهو من شواهد مغني اللبيب ٦١٣/١ ، وشرح الأشموني ١٩٥/١
١٥٤. ينظر:مغني اللبيب ٦١٣/١
١٥٥. ينظر:حاشية الشمني على المغني ١٧٠/٢
١٥٦. ينظر:البهجة المرضية ١٢٩
١٥٧. وردت في (أ) : الذين ، والصحيح ما أثبتناه من (ب)
١٥٨. ينظر:مغني اللبيب ٦١٣/١
١٥٩. حاشية ياسين على الألفية ٨٦/١
١٦٠. في (ب): البحث
١٦١. في (ب) : البحث
١٦٢. البهجة المرضية ١٢٩
١٦٣. في (ب): كذلك
١٦٤. ينظر:مغني اللبيب ٦١٢/١
١٦٥. سقطت من (ب)
١٦٦. ينظر: النكت على الألفية والكافية الشافية و شذور الذهب للسيوطي ٢٢أ ، والتذييل في شرح التسهيل ٣٣٣/٣

١٦٧. ينظر: المنهل الصافي ٥٦ أ
١٦٨. ينظر: مغني اللبيب ١ /٦١٠
١٦٩. في (أ) : يعطفه ، والصحيح ما أثبتناه من (ب) إذ لا يستقيم المعنى مع ما ورد في (أ)
١٧٠. في (أ) : يعطف ، والصحيح ما أثبتناه من (ب) إذ لا يستقيم المعنى مع ما ورد في (أ)
١٧١. ينظر:حاشية الشمني على المغني ١٦٩/٢
١٧٢. ينظر: المصدر نفسه ١٦٩/٢
١٧٣. ينظر: شرح ابن عقيل ١ /٢١٩
١٧٤. البيت لامرئ القيس ، ينظر: ديوانه ١٠٦ ، ورواية الديوان :فلما دنوت تسديتها فثوبا نسيت وثوب أجر ، ولا شاهد فيه على هذه الرواية ، وذكره ابن عقيل بالرفع (فثوب) ، ينظر: شرح ابن عقيل ٢١٩/١
١٧٥. البيت لكثير عزة ، ينظر ديوانه ٩٩
١٧٦. ينظر: مغني اللبيب ٦١٤/١ و ٦١٥
١٧٧. ينظر: شرح ابن عقيل ٢٢١/١
١٧٨. ينظر: المقاصد الشافية ٤٧/٢
١٧٩. ورد في حواشي المخطوطة (ب) أن المقصود به (السيوطي) صاحب النكت ،ويبدو أن المقصود به ابن قاسم لأن له حاشية على النكت
١٨٠. ينظر: المقاصد الشافية ٢/ ٤٧
١٨١. في (أ) : داخلاً ، وما أثبتناه من (ب) هو الأولى إذ لا حاجة إلى نصبه
١٨٢. في (أ) : تنظيره ، والصحيح ما أثبتناه من (ب)
١٨٣. ينظر:مغني اللبيب ٦١٤/١
١٨٤. ينظر:حاشية الشمني على المغني ١٧١/٢
١٨٥. في (ب) :تجعل
١٨٦. ينظر:التلخيص في وجوه البلاغة ٨٠
١٨٧. سقطت من (ب)
١٨٨. ينظر:حاشية الشمني على المغني ١٧١/٢
١٨٩. سقطت من (ب)
١٩٠. في (ب) : محصوراً أو محصوراً فيه
١٩١. في (ب) : ومثال التقديم
١٩٢. ينظر:شرح ابن عقيل ٢٢٢/١
١٩٣. ديوان امرئ القيس ٧٩
١٩٤. ينظر:شرح الشواهد للعيني ٣٣٠/١
١٩٥. ينظر:شرح ابن عقيل ٢٢٤/١
١٩٦. لا يعرف قائله ، وهو من شواهد ابن عقيل ٢٢٤/١ ، و شرح الأشموني ١٩٧/١ ، وشرح التصريح ٢١١/١

١٩٧. ينظر:حاشية الشمني على المغني ١٧٠/٢
١٩٨. ينظر:شرح ابن عقيل ٢٢٥/١
١٩٩. طمست في (أ) وما أثبتناه هو من (ب)
٢٠٠. ينظر:مغني اللبيب ٦١٥/١
٢٠١. طمست في (أ) وما أثبتناه هو من (ب)
٢٠٢. ينظر:شرح ابن عقيل ٢٢٥/١
٢٠٣. ينظر: شرح التسهيل ٢٨٩/١
٢٠٤. البيت للفرزدق يهجو جريراً ، ينظر ديوانه ٢ /٣
٢٠٥. ينظر:شرح ابن عقيل ٢٢٦/١
٢٠٦. في (ب) : يذكر
٢٠٧. طمست في (ب)
٢٠٨. طمست في (ب)
٢٠٩. ينظر:شرح ابن عقيل ٢٢٧/١
٢١٠. ينظر:حاشية ياسين على الألفية ٨٦/١
٢١١. ينظر: شرح الرضي على الكافية ٢٣٢/١
٢١٢. ينظر: شرح شذور الذهب ٢٣٤/١
٢١٣. ينظر: النكت ٢٢ أ
٢١٤. ينظر:الفوائد الضيائية ١١٧/١
٢١٥. في (ب) : وتاليه
٢١٦. في (ب) : فإن
٢١٧. طمست في (ب)
٢١٨. طمست في (ب)
٢١٩. [٢١٩]
٢٢٠. هذه الخاتمة لم ترد في النسخة (ب) وقد وردت ((وكان الفراغ من كتابة هذه الوريقات المباركة يوم الجمعة المباركة ضحوة النهار لست خلت من شهر شوال المبارك من سنة ١١٤٣ ، على يد الفقير الى الله تعالى محمد بن ابراهيم امام مصلي ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين آمين آمين آمين يا رب العالمين))

المصادر والمراجع

- الأعلام خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ ه) ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ٢٠٠٢م
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية - لبنان / صيدا
- البهجة المرضية جلال الدين السيوطي (٩١١ه)) تحقيق : محمد صالح بن أحمد الغرسي ، دار السلام ط١، ٢٠٠٠م
- تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب ، عبد الرحمن الانصاري ، تحقيق :محمد العروسي المطوي ، المكتبة العتيقة ، تونس ط١ ١٣٩٠ ه
- التذييل والتكميل في شرح التسهيل ،ابو حيان الاندلسي (ت) تحقيق د حسن هنداوي ، دار القلم دمشق ط١ ١٤٢٦ / ٢٠٠٥ م
- التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، (ت) ضبطه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي
- حاشية الشمني على مغني اللبيب ،تقي الدين احمد بن محمد الشمني ، مطبعة محمد افندي مصطفى ١٣٠٥ ه
- حاشية اللاري على الفوائد الضيائية ، عبد الغفور اللاري (ت ٩١٢ ه) (مخطوط
- حاشية ياسين على الالفية ياسين بن زين الدين العليمي (١٠٦١ ه)المطبعة المولوية ، فاس ١٣٢٧ ه
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق :محمد عبده عزام ، ط٥ دار المعارف القاهرة
- ديوان امرئ القيس ، شرح :عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة بيروت ،ط٢ ١٤٢٥ ه- ٢٠٠٤ م
- ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه :الاستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط١ ،١٩٨٧ م
- ديوان كثير عزة ،جمعه وشرحه :د احسان عباس ، دار الثقافة بيروت لبنان ١٣٩١ه- ١٩٧١
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني (ت: ١٢٠٦هـ) دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم ط٣ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
- سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق بشار عواد معروف: دار الغرب الإسلامي - بيروت: ١٩٩٨ م
- السنن الصغرى للنسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ط٢ ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث - القاهرة، سعيد جودة السحار وشركاه ،ط٢٠ ، ١٩٨٠ م
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك علي بن محمد أبو الحسن، الأُشْمُوني (ت: ٩٠٠هـ) دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط١ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م
- شرح التسهيل لابن مالك ، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي (ت ٦٧٢ه) تحقيق :د عبد الرحمن السيد و د محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر ط١ ١٤١٠/ ١٩٩٠م

- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو خالد بن عبد الله الأزهري (ت: ٩٠٥هـ) : دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان ط١ ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (ت : ٧٩٣هـ) تحقيق: زكريا عميرات: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط١ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦
- شرح الرضي على الكافية رضي الدين الأستراباذي تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر جامعة قاريونس - ١٩٧٨ م
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ) تحقيق: عبد الغني الدقر الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا
- شرح الشواهد للعيني بهامش حاشية الصبان ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية
- شرح الوافية نظم الكافية ، لابن الحاجب (٦٤٦هـ) تحقيق: د موسى بناي، مطبعة الآداب ، النجف ١٩٨٠
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب نور الدين عبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨ هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور أسامة طه الرفاعي
- مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار المعرفة - بيروت، لبنان
- المستقصى في أمثال العرب أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) : دار الكتب العلمية - بيروت ط٢، ١٩٨٧م
- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون: مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- مصنف ابن ابي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت: ٢٣٥هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت: مكتبة الرشد - الرياض ط١، ١٤٠٩
- مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي: المجلس العلمي- الهند المكتب الإسلامي - بيروت ط٢ ١٤٠٣
- معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف ، عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي ، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ، ١٤١٦ ه – ١٩٩٦ م
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله دار الفكر - دمشق ط٦ ١٩٨٥
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، ابو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠ه) تحقيق : د عبد الرحمن سليمان ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ١٤٢٨ ه – ٢٠٠٧ م
- المنهل الصافي في شرح الوافي للبدر الدماميني محمد بن ابي بكر (ت ٨٢٧ه) (مخطوط)
- موطأ الإمام مالك بن أنس رواية ابن القاسم : الإمام مالك (١٧٩ هـ) تحقيق: السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي: منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي - الإمارات ط١ ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤
- النكت على الالفية والكافية الشافية والشذور ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ه) مخطوط